



Princeton University Library



32101 058324482

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY

*This book is due on the latest date  
stamped below. Please return or renew  
by this date.*



1925

Karmi

لقسم الأول

من شرح نهج البلاغة

# بحوث وآراء تتبعها الواقع والحضارة الزمنية

أو

نهج البلاغة في معارفه وفنونه

تأليف المفتقر إلى رحمته مولانا العنبري محمد الكرمي

عن عنده

١٣٨٧

المطبعة الغيلية بقم

(REGAP)

D536

. 8

. K37

qism 1

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين و الصلاة على انبيائه

المرسلين لاسيما محمدا و اهل بيته الطاهرين :



## على في مجارى التاريخ

التاريخ ظاهرة من ظواهر الحياة العامة ، و ايس هو كاحد الفنون التى تفرض على الوجود فرضاً ، بل هو لمسايرته الاجيال ضبط الاحياء بلا مشورة منهم ، و قيد الاموات بالادعوة من ذويهم ، و تعرض للحوادث ليجعلها عبرة ، و للملابسات الزمنية ليعرضها على الفكرة ، فنعلم المتحدث هو عن الغاير والحاضر والحى والميت .  
والتاريخ قسما قسما ، استخدم لسان الزمان فجعله هو المتحدث عنه ، و قسم استخدمه اهل اللسان ليجعلوه اداة تعبير لمقاصدهم : و القسم الاول هو التاريخ الذى لا يمتري فيه ولا يعتريه تحريف وتشويه وهو الذى ضبط الاحداث العامة و تحدث عن ابطال الرجال ومضامير الاجيال .

واما القسم الثانى ففيه الغث والسمين والدخيل والاصيل والزور الذى لا اثر له و الواقع الذى لا محيص عنه : وهذا القسم لاقيمة لاصيله ودخيله الابدع البحث والتفتيش والتحرى و التمحيص : ذلك لان خونة الدنيا و عفاريت بنى آدم لم يألوا جهداً فى استعمال هذه الحربة لذلك مناوئهم ولو كانوا اطهر من ماء السماء عرضاً و سجية ، و فرض انفسهم على الوجود بعنوان انها نفائس وان كانت فى الواقع من سقط المتاع ، فكم تقراً فى كتب التراجم والرجال القاباً و عناوين وهى مختلقة لاصل لها ، و كم تقف فى الهوامش على منسبين وهم عند التحقيق لباب كل من ترجم فى هذا الكتاب .  
اذن فلا غرابة اذا شكك جملة من المتنورين قديماً و حديثاً فى وجود جملة من الاشياء لاننا هانحن انفسنا نرى فى كل فريق من جماعات البشر من ادرع التدليس ظاهرة والصلاقة وجهاً ومشى يغذ بلسانه و بيانه وبكل ما أوتى من حول و طول لتثبيت هدف يحاول تثبيته فلا يمر زمان الا وتجد ما كنت تحسبه من الاضاليل اشد تر كزأمن الحقائق تتداوله الالسنه بالذكر والاقلام بالتحريرو ساحت العيان بالتجسيم ، فكم من حديث لاصل له ، و كم من متحدث عنه لا وجود له ، و كم من حادثة لم يحتضنها العيان ، و كم من متظاهر بالقدس هو الدجال فى دخيلة قلبه ونخيلة صدره .

و لكم حورت الميول النفسية والاعراض الشخصية و السياسات الزمنية و النزعات التعصبية حقائق ذات بال ولعبت بالرجال والاجيال جهد مقدورها فاختلقت ما ليس له وجود و انكرت الشاخص المشهود وليس بمقدور القلم ان يحيط بالقليل من ذلك في هذه العجالة فضلا عن الكثير .

لكن الذين سخرروا الوجود ببطولاتهم واقاموا في الوجود شهوداً على كمالاتهم في امان من تقاضى قلم النقد لهم ، و من اعظم هؤلاء الشخصية الفذة التي ضربت بجرانها على طول الوجود و عرضه ، و فرضت نفسها على الكون بدون ان تخايره او تشاوره تلك هي الشخصية القائمة بشخص امير المؤمنين على بن ابي طالب سلام الله عليه . ولا بدع اذا قلت ذلك فان شخصية هذا البطل المتأله المفضل شقت اكثف الحجب التي وضعها المأجورون لامائة شخصيات العالم وطلعت بعنقها المديد لترى الدهر و ابناء الدهر ان الحق الراهن و مهم ما قاومته القوى الهدامة حتى لا يموت . و ناهيك بعلى في كل صفة من اوصاف الخير المطلق و في كل سجية من سجايا الانسان الكامل و ليس بمقدورى ان اعدد مآثره و مزاياه و احصى فضائله و جلائل اعماله : ولكنى قصدت في هذا الكتاب ان اشرح ناحية من نواحي فضله و عقله ، و اعرض للقارئ ثمرة من ثمرات غرسه و نفسه الاوهى ناحية فصاحته و بلاغته في طرف قليل من علمه و عمله و عساني اوفق لما اتوخاه و الله من وراء القصد وهو المستعان .

## (اللغة العربية و انتشارها من طريق الاسلام)

نحن محصلوا العلوم الدينية قبل كل شيء مسلمون ، و من طريق اعتناقنا للدين الاسلامى يجب علينا ان ننسى كل نزعة تعصبية ، و ان نعتبر الدين نقطة التلاقى بين كافة العناصر المسلمة فلا فرق عندنا بين المسلم العربى و الاخر الهندى و الثالث الاندونوزى و الرابع الايرانى و الخامس الافغانى و هلم دوايك لان الوحدة الاسلامية بهدفها الانسانى العام الفت بين هذا الشتات و جعلته العنصر الحاشد لجماعة افراد بنى آدم : و اللغات كلها سواسية في ان اصل وضعها



للافهام والتفهم بين المتخاطبين ، غايتها ان السير الى زمنى واعتناء فريق دون فريق من الناس ببعض اللغات قدم اللغة المعنى بها وكون لها حيثية عالمية وان لم تكن لغة الناس جميعاً ولالغة الاكثرين منهم : وفي الطليعة من هاته اللغات اللغة العربية لغة القرآن والحديث النبوى وسنة الائمة المعصومين واداة رواة الاسلام وفقهائهم ومحدثيهم ومفسريهم ومتكلميهم وخطبائهم وشعراءهم وساير اهل الفضل منهم . لم يكن للغة العربية قبل الاسلام شأن عالمى لانه لم يكن للعرب فى انفسهم الا بعض الشأن من الشؤون العالمية ولان جامعة العرب قبل الاسلام لم يكن فيها عالم خريت ولافنان شهير ولاشاعر واسع الشعور ولاخطيب خصب الخيال ولا كاتب يهتم له .

نعم كانت اللغة العربية وكان المتكلمون بها يملكون من الكنايات والاستعارات والمجازات المرسله والالفاظ المترادفة والكلمات الفصيحة الشيء الكثير وهذا المعنى بدوره هو الذى وسعها وكثر مفرداتها ، لكن القرآن الكريم لما هبط من عالم الملكوت الاعلا الى الجزيرة العربية قبل كل مكان واتخذ اللغة المزبورة اداة تعبير شقق جوانب الكلمة العربية تشقيقا ماعليه مزيد : فترك الكلمات الوحشية بالمره وانتخب من مانوسها كل لفظ رقيق واكثر من التشبيهات والتراكيب الجليلة والاستعارات المليحة والكنايات الاخاذة والمجازات القوية ، وجاء بسبك لم يكن له ند ولا نظير فى لغة اقبح العرب و بسلك تحداهم وأفهمهم ، و اضاف على ذلك استخدامه لهذه اللغة فى سرد القصص والعبر وتاريخ الامم السالفة و انبيائهم وضرب الامثال وصوغ الادلة على احقاق الحق وابطال الباطل وبيان الشرائع والوظائف و الاخلاق الانسانية ، وتنوع ماشاء فى صياغة ذلك بشتى الاساليب والاشكال الفاتنة ، ومن هذا وذاك لايزال القرآن محل اعجاب كافة الاجيال وفحول الرجال حتى الذين يشككون انفسهم بسماويته .

ولقد اعتنى نبي الاسلام بهذه اللغة فكان فيها قطب رحى الناطقين فصاحة وبلاغة ومثانة وسلاسة وفخامة ونظرة واحدة فيما أثر عنه من صحاح الاثار تكفى للبرهنة والتدليل على ذلك .

ومندسنى الطفولة استن" على هذا المدرج نابغة الاسلام امير المؤمنين على عليه السلام فكان في فصاحته وبلاغته آية يملك الاسماع و الابصار و القلوب اذا نطق او حاول الافصاح عن غرض مهم وهذا قرآن بلاغته نهج البلاغة من اعظم الادلة على هذه الدعوى التى لم يختلف فيها اثنان من الناس : وهكذا امتلك بنوه ازمة القول فكان الناطق منهم اذا نطق لا يدع محلا لغيره لهيمنتهم على الحضار ونفوذهم فى ارواحهم : و على هؤلاء الناطقين الا اذا تلمذ اهل التحصيل من المسلمين بلا فرق بين العربى منهم و الفارسى والتركى الى ماشئت ان تعدد من العناصر التى تشرفت بالاسلام و ساهمت فى ترويجه و الخدمة له و تكفيها نظرة واحدة الى ما كان عليه حصلوا العهود القديمة من المسلمين فاننا نجد الهندى و الأفغانى و الفارسى والتركى فى مصاف العرب الاقحاح تكلماً و كتابة حتى ليخيل للسامع و الناظر فى حديثهم و كتبهم ان جميعهم عرب بلا شوب لكن الوقوف على تراجمهم هو الذى يميزهم الى عناصر تبعد عن العنصر العربى بعداً شاسعاً .

غير ان الادوار الحاضرة مع مزيد الاسف لمشيها مع العنصرية و التعصب البغيضين اخذت تمحيز لنفسها فلا تدع للغة الآخرين منفذاً فى افرادها فمن اللازم المحتم ان نحطم عن انفسنا و نحن مسلمون كافة هذه الحواجز و نلتحق باسلافنا الماضين الذين مارسوا لغة القرآن فكانوا من خير زملائها نطقاً و كتابة .

### (مقدمة الورود فى البحث)

اللغة العربية مفردات و تراكييب و يراد من المفردات المواد التى يكون بها التركيب ، و البحث عن المفردات يتكفله علم اللغة ، و دراسته تكون بمزاولة الكتب اللغوية المتقنة مزاولة عن امعان و تدبر ، و اذا كان من يحاول الاستفادة رأساً من الاجانب عن اللغة و جب عليه ان يكون تحت اشراف استاذ .

و يراد من التراكييب ما تألف من المفردات ، و بما ان التأليف بينها تارة يكون غلطاً من الوجهة اللسانية و اخرى يكون صحيحاً ، و مرة يكون غثاً لعدم

مراعات المؤهلات فيه واخرى يكون سميئاً لمراعاة ذلك تخصص علماء اللسان للبحث عن كل وجهة بفن خاص يتناول تلك الوجهة فقط ، فعلم النحو و الصرف يتناول التراكيب من حيث الصياغة اللفظية في مفرداتها . وصف الكلمة مع ما يجوز اولاً يجوزان تصفاليه وحر كات او احر الكلم ، وعلم المعاني والبيان يتناولها من حيث السبك و مراعاة الخصوصيات و المزايا التي تشرف الكلام وتعطيه وزناً وقيمة .

ونحن في در استنا هذه لسنا نجويين صرفيين خالصين و لا بيانين اختصاصيين بل نحن في ذلك اعم مما ذكر ، فكما نتعرض للنكتة النحوية و الصرفية و البيانية نتعرض للفلسفة و الكلام و علوم الاجتماع و كل مامت الى موضوعنا الذي بايدينا من جميع جوانبه .

ومقدمة يجب علينا ان نعرف سند و تاريخ ( نهج البلاغة ) هذه المجموعة التي قام بتأليفها و ضم شواردها السيد الشريف الرضى رضى الله عنه فان كلام امير المؤمنين على عليه السلام لم يجمع بهذه الصورة قبل السيد الشريف في كتاب خاص على الظاهر ، و انما تناولته كتب الحديث و الامالي و الادب متشتمةً تطبق المناسبات التي عرضت للمؤلفين اما السيد الرضى فقد اعتنى بذلك عناية خاصة و هدف ان يجمع كلام امير المؤمنين في كتاب خاص مخافة ان يبقى مبعثراً في بطون عشرات الكتب : و للشريف الرضى اعتناء كثير بالفصاحة على الاخص ما كان منها في القرآن الكريم و الحديث النبوي الشريف و ما جاء من كلام عن امير المؤمنين عليه السلام وله في كل ذلك كتب خاصة حافلة بمضامينها العالية .

و ان من شيم العصر اللاحدى الحاضر تشككه في كل شىء خصوصاً اذا كان مبعوثاً عن دواعى رمزية ، و خصوصاً بالنسبة الى عالم الاديان و ما وراء الطبيعة ، و احياناً يسرى شكه الى ما هو وجداني حاضر لكل حى " حساس مدرك ، فكم شكك فيما قبل زمانه و اعتبر قضية آدم و حواء و هود و صالح و يعقوب و يوسف و المسيح بن مريم و ما الى ذلك من الاساطير : لعزوب نفسه عن هذه القضايا و لصوقه بالمادة الجافة الحاضرة بين يديه ، لكنه لم يتشكك في اقوال الماديين و خرافاتهم التي يمر عليك

شيء منها فيما سيجيء لحسن ظنه بممارسة الالحداد و الدعاة الى الطبيعة بما جعله مؤمناً بهم على كل حال .

و من نعات التعصب البغيض هي محاولة فريق مخذول من بعض المسلمين للتشكك في نسبة نهج البلاغة الى على امير المؤمنين و ان واضع هذه المجموعة هو السيد المرتضى على قول بعضهم او السيد الرضى على قول آخرين وانه بعد وضعها نسبها لجده على عليه السلام خدمة له و ابرازاً لشخصيته : مع ان قاطبة من درس الاسلام و عرف مشاهير رجاله لا يتشككون في ان علياً من افصح العرب والمسلمين و ان صيت بلاغته و فصاحته لا يقل عن صيت شجاعته و عبادته .

ونحن اصحاراً بالحقيقة و قمعاً لنوايا السوء نستعرض هذا البحث ناقلين للشبه التي القاها المشككون والتي هي كسر اب ببيعة يحسبه الظمان ماء بل و لا سواء فان شبه القوم او هن من كل البيوت : و رادين عليهما من عدة جهات .

قال محمد محيي الدين عبدالحميد - من علماء مصر - في تقديمه لنهج البلاغة شرح الشيخ محمد عبده : ليس من شك عند احد من ادباء العصر و لا عند احد ممن تقدمهم في ان اكثر ما تضمنه نهج البلاغة من كلام امير المؤمنين عليه السلام : نعم ليس من شك عند احد في ذلك : و ليس من شك عند احد في ان ما تضمنه الكتاب جار على النهج المعروف عن امير المؤمنين موافق للاسلوب الذي يحفظه الادباء و العلماء من كلامه الموثوق بنسبته اليه : و لكن بعض المعروفين من ادباء عصرنا يميلون الى ان بعض ما في الكتاب من خطب و رسائل لم يصدر عن غير الشريف الرضى جامع الكتاب هو منشؤه و مدعى نسبته الى الامام : و هم في ذلك يترسمون خطوات بعض المتقدمين ممن قرب من عهد الرضى و من بعد عنه فقد سبق الى التشكك في شأن الكتاب و استبعاد نسبة جميع ما فيه الى الامام عليه السلام قاضي القضاة ابن خلكان و لعل ابن خلكان اول من اثار الشكوك في قلوب الباحثين بنسبته الكتاب الى الشريف الرضى تأليفاً ثم جاء من بعده الصفدى و غيره من كتاب التراجم فتابعوه على ذلك و حينئذ قوى الشك و تمكن .

و اهم ما يجده باحثوا الاداب العربية في هذا العصر من اسباب يدعمون بها

القول بان الكتاب من صنع جامعته و تأليفه ذلك الذى نوجزه لك فى الاسباب الاربعة الاتية .

(الاول) ان فى الكتاب من التعريض بصحابة رسول الله (ص) ما لا يصح ان يسلم صدوره عن مثل الامام على كما تراه فى ثنايا الكتاب من سباب معاوية وطلحة والزبير وعمر وبن العاص ومن ذهب الى تأييدهم والدفاع عن سياستهم .

( الثانى ) ان فيه من السجع والتنميق اللفظى و آثار الصنعة ما لم يعهده عصر على عليه السلام ولا عرفه وانما ذلك شىء طرأ على العربية بعد العصر الجاهلى و صدر الاسلام وافتتن به ابداء العصر العباسى والشريف جاء من بعد ذلك على ما ألقوه فصنف الكتاب على نهجهم وطريقتهم .

(الثالث) ان فيه من دقة الوصف واستغراق صفات الموصوف واحكام الفكرة وبلوغ النهاية فى التدقيق كما تراه فى وصف الخفاش والطاووس و النملة و كل ذلك لم يلتفت اليه علماء الصدر الاول و انما عرف بعد تعريب كتب اليونان و الفرس و يدخل فى هذا السبب استعمال الالفاظ الاصطلاحية كالين والكيف و كذلك استعمال الطريقة العددية نظير قوله الاستغفار على ستة معانى .

(الرابع) ان فى عبارات الكتاب ما يشم منه ريح ادعاء صاحبه علم الغيب وهذا امر يجل عن مثله مقام على .

ثم قال ولسنا علم الله ممن يرى فى هذه الاسباب مجتمعة او منفردة دليلا او شبه دليل على ما ذهب اليه انصار هذه الفكرة ثم اجاب من عنده باجوبة تشاكل اصل الاشكال فى السقوط والانحطاط .

وقبل كل شىء يجب ان يعلم ان هذا كله من نتائج التعصب البغيض والحسد الفاضح على حد قول القائل .

حسدوا الفتى اذ لم ينالوا سعيه فالقوم اعداء له و خصوم

والافابن خللكان اولالم يذ كر شخصاً معلوماً نسب اليه التشكك فى نهج البلاغة

وانما قال فى ترجمة السيد المرتضى من تاريخه : و قد قيل انه- اى مجموع نهج

البلاغة - ليس من كلام علي بن ابي طالب و انما الذى جمعه و نسبه اليه هو الذى وضعه ، فليس بعيداً ان يكون (قوله وقد قيل) من اختلافاته هو ولم ينسبه الى نفسه كثيراً لايجاد الشبه والشكوك وهذا بمجرد لاقيمة له :

واما ابن خلكان فى نفسه فانسان معروف بحب الصبيان ومن شواهد ذلك قوله فى غلام اشتهر فى حبه .

لولم اكن فى رتبة ارعى لها	العهد القديم صيانة للمنصب
لهتكت سرى فى هواك ولذلى	خلع العذار ولو ألح مؤنبى
لكن خشيت بان تقول عواذلى	قد جن هذا الشيخ فى هذا الصبى

### وقوله فيه ايضا

انا والله هالك	آيس من سلامتى
اوارى القامة التى	قدا قامت قيامتى

ومن احب التوسع فى حاله فليراجع ترجمته فى ذيل تاريخه المعروف وفيات الاعيان وفى غيره من الكتب : ومثل هذا الانسان ساقط الحيثية من وجهة الورع و التقوى ولو كان ثقة لحجزه الاحتياط عن ملاسة ما يقوده الى الضلال : فلاقيمة لقوله ولاحجة فيه .

واما ثالثا فكون نهج البلاغة ليس من كلام علي عليه السلام وانما هو من كلام المرتضى او الرضى فشىء يكابر الضرورة من حال امير المؤمنين ومن حال من رواه عنه قبل ان يخلق الشريفان كما سيجىء .

واما رابعاً فان النفس الدافع لمضامين ما هو مبثوث فى خطب نهج البلاغة و كتبه ووصاياه و مواعظه و حكمه قاطع بالضرورة انه لم يندفع الاعن حنجرة على ذلك الديان الذى لم يتشكك فى قدسيته وجميع مؤهلات الفضيلة فيه حتى اعداؤه .

فهذا السنا الواضح من ذلك السنا وهذا الشذا الفياح من ذلك الوادى

واما الاسباب التى ذكرها محمد محيى الدين فىه على تفاهتها مردودة بان تعرض على

لمعاوية و ابن العاص و طلحة و الزبير باللون الذى نجده فى نهج البلاغة يعد من الادلة

القائمة على متانة على عليه السلام وحلمه ومضغه للحوادث واهل الاحداث والبده ولو كان غير على مكان على لجا منه ما تنهد له الجبال .

وقد سن الله سبحانه شريعة اللعن لمن يصد عن سبيل الله ويغيها عوجاً حيث قال تعالى ( الاية ٤٣ و ٤٤ من سورة الاعراف ) لعنة الله على الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله ويغيونها عوجاً : وقال سبحانه ( الاية ٢٧ من سورة الرعد ) والذين يفتنون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض اولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار : وغير ذلك من الايات الكثيرة الواردة في مثل هذا المضمون : وكل هؤلاء المذكورين اخف جرائمهم الصد عن سبيل الله وشق عصا المسلمين ونقض العهد من بعد ميثاقه وقطع ما امر الله به ان يوصل والافساد في الارض واثارة الفتن والتعدى على حقوق الحاكم العادل .

واما ان فيه من آثار الصنعة كالسجع والجناس وما الى ذلك من المحسنات البديعية فهو قبل كل شيء وارد على كتاب الله وسنة نبيه فان فيهما من كافة الانواع المحسنة التي يذكرها البيانون ما يفوت حد الاستقصاء وقل ما يذكرون في ابواب المعاني والبيان والبديع مطلباً من المحسنات الا ويشفعونه بالاستشهاد عليه من الكتاب والسنة النبوية والشعر الجاهلي وصدر الاسلام فأحرر بعلي تلميذ محمد وخريج مدرسة القرآن وابن الفصحاء البلغاء ان يجيء بكلامه على آخر مقياس فهمه ومرن عليه من كلام الله وحديث النبي صلى الله عليه وآله وما طرق سمعهم منذ نعومة اظفاره من نشر وشعر جيدين وما اوهبه من نبوغ ولسن وفصاحة : و بمثل هذا يقال عما فيه من دقة الوصف واستفراغ صفات الموصوف فان آيات القرآن الكريم و فقرات الحديث النبوي الشريف مملوءة بذلك :

واما ما فيه مما يشعر بعلمه عليه السلام بالمغيبات فذلك يحال به الى ما صرح عن رسول الله في هذا الباب فان علياً باب مدينة علم النبي وخريجه اللصيق به وموضع سره ومحل امانته وبعدها كله فمن وراء هذه الجمل تفاصيل تقرؤها فيما يلي .

اما بالنسبة الى الصحابة - فنحن وفقاً للحق لا يجوز لنا ان نعترف لكل من

ادرك النبي ﷺ مسلماً وراًه-لمجرد هذه السمة- بفضيلة : وانما نعترف بالفضل لمن آمن عن ايقان ودان للرسول باذعان وواساه فى الشدائد واخذعنه علماً عمل به - وهذا هو ميزان فضيلة الصحابى .

اما الذى ادر كه وصحبه ولم يتخلق بخلقه ولم يواسه ويهدى بهداه و لم تؤثر دعوته فى قلبه ولاعلى اعضاءه فذلك هوالمجرم حقاً البعيد عن مرضاة الله و الرسول قطعاً وفى جملة من ادر كوه و رأوه كثيرمن هؤلاء المجرمين و لو اردنا ان نتوسع بذكرهم لضاق بناالمقامولكننا نختصر شيئاً مما دون فى هذا الموضوع تثبيتاً للاستدلال على هذه الدعوى .

قال ابن حجر فى الاصابة ( ج ١ ص ١٧ تحت عنوان الفصل الثالث فى بيان حال الصحابة من العدالة ) اتفق اهل السنة على ان الجميع عدول ولم يخالف فى ذلك الاشدوذ من المبتدعة : ومع هذا فقد روى مسلم فى الصحيح (ج ٧ ص ٦٥ وما بعدها) تحت عنوان باب اثبات حوض نبينا وصفاته عن ابى حازم عن سهل: و ابى سعيد الخدرى: وعبدالله بن عمرو بن العاص : واسماء بنت ابى بكر: وعائشة : وام سلمة : و انس بن مالك : و اللفظ الذى نقله لانس - ان النبي ﷺ قال ليردن على الحوض رجال ممن صاحبني حتى اذا رايتهم ورفعوا الى اخلجوا دونى فلا قولن اى رب اصحابى اصحابى فليقن لى انك لا تدري ما احدثوا بعدك : وفى رواية اخرى : فيقال اما شعرت ما عملوا بعدك والله ما برحوا بعدك يرجعون على اعقابهم : الى نظير ذلك من العبارات : وقد سردنا هذه الروايات فى ج ٤ ص ٣٨ وما بعدها من نتائج الفكر) وذكر ابن حجر فى الاصابة و ابن عبد البر فى الاستيعاب و ابن ابى الحديد فى شرحه على النهج و الحاكم فى المستدرک و ابن كثير فى البداية و النهاية و غير هؤلاء مساوى و جرائم كثيرة لجملة من الصحابة تعرضنا لها فى ( ج ٤ من ص ٣٩ الى ص ٩٠ من نتائج الفكر ايضاً).

و مع هذا هل يستكثر على على انه ذكر جملة ممن يطلق عليهم لفظ الصحابة كما عاوية و ابن العاص و ابى موسى الاشعري و من الى ذلك بسوء و انه لهذه العلة يتشكك ابن



خلكان ومن كان على رويته في نسبة ما فيه تعريض بهؤلاء من نهج البلاغة الى على ع:  
 - ملحوظة - لعل قائلًا يقول ما صنع بقوله تعالى (سورة التوبة الاية ١٠١) والسابقون  
 الاولون من المهاجرين والانصار و الذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم و رضوانه  
 واعدل لهم جنات تجري تحتها الانهار خالدين فيها ابدًا ذلك الفوز العظيم .  
 وبقوله تعالى (سورة الفتح الاية ٢٩) محمد رسول الله والذين معه اشداء على  
 الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله و رضوانا سيماهم فى  
 وجوههم من اثر السجود :

قلنا لادلالة فى ذلك على شمول المفادين المزبورين لكل من ادرك النبى ص  
 مسلماً و رآه بل المفاد يعطى خلاف ذلك فان فى جملة من تظاهر بالاسلام و قيل له  
 صحابى من ثبت انه من المؤلفة قلوبهم وانه من المنافقين وانه مرتكب للمعاصى الكبار  
 والجرائم العظام و مثل هؤلاء خارجون بالوجدان عن كل ملاك يوجب الاحترام  
 فى دين الاسلام فان قوله تعالى اشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً  
 يبتغون فضلاً من الله و رضوانا سيماهم فى وجوههم من اثر السجود لا يشمل بطرف  
 خفى او جلى امثال ابى سفيان وولده معاوية و المغيرة بن شعبة و عمرو بن العاص الذين  
 تظاهروا بكلمة الاسلام و اجلبوا عليه بكل ما يستطيعون من تخريب لمبانيه و تحطيم  
 لاعتاب محمد و ذويه .

فضلا عن ان الكثير من الحديث النبوى الشريف والضرورى من مجارى التاريخ  
 وملاحظة كتاب الله فيما تعرض له من التنديد بالفاسقين ومرتكبي المعاصى والمنحرفين  
 عن الجادة الموصى بها من ناحيته تعالى مما يصحح بجلاء ان المنظور - بالذنب  
 مع محمد ص - و - بالسابقين الاولين - امر وراء ما يلوح من هاتين الفقرتين : وان  
 الوجدان الصريح من حال الافراد هو الذى يحدد موقف المصدق من انطباق  
 بعض العناوين عليه .

كيف يرضى الله عن الفاسقين امثال الوليد بن عقبة : وعن الخميرين السكيرين  
 الزناة امثال المغيرة بن شعبة وضرار بن الازور و قدامة بن مظعون و نعيمان و خالد :

وعن الذين اراقوا دماء الاخيار الابرار بدون ادنى مجوز شرعى سوى ارضاء الشهوة ونيل مرضاة الفسقة الذين استعملوهم امثال بسر بن ارطاة وحبیب بن مسلمة الفهرى وعن الذين اصرواعلى السخرية والاستهزاء بالرسول امثال الحكم بن ابى العاص ونظير هؤلاء كثير كالخريت بن راشد الناجى وربيعة بن يزيد السلمى و سفيان بن عوف الغامدى وعمر بن العاص .

وكيف يرضى الله عن تعمد الكذب على رسول الله وقد صح عنه ﷺ انه قال من تعمد الكذب على فليتبوء مقعده من النار امثال ابى هريرة الدوسى وسمرة بن جندب : وكيف يرضى الله عن من نصب العدا لآل رسول الله ﷺ و قرباه وقد جعل تعالى محبة ذوى القربى اجر رسالة النبى وفى طليعة كل هؤلاء المجرمين معاوية بن ابى سفيان العدو الالد لقربى رسول الله والقاتل للاخيار الاجلاء من صحابة و تابعين عمداً من غير حق وصبراً بلا ادنى مجوز .

اذن فبالوجدان الذى لا تتخالجه ادنى شبهة يقطع بان من عناه من سبق المهاجرين والانصار ومن الذين مع محمد رسول الله هم الذين صحبوا محمداً وكانوا على وتيرته فى الدين والتقوى و الورع وسائر صفات الخير : و شهدت لهم التجارب بالاستقامة على حدود الله و شريعة رسول الله منذ اسلموا الى ان ماتوا : و ملاحظة برامج الدين وسيرة الصالحاء من المتدينين و كلمات النبى ﷺ وامير المؤمنين و الطريقة المثلى التى عليها اخيار المسلمين دليل قاطع على ذلك - فليلتفت الى هذه النقطة جيداً ..

واما بالنسبة الى ما فيه من السجع والتنميق وسائر الانواع البديعية - فنقول ان كل ما يذكره المحدثون فى شتات ابواب المعانى و البيان و البديع مما يعد صنعة له وجود منتشر فى شعر ونثر الجاهليين والقدامى من المسلمين جاء الى خواطرهم بالبديهة و عفو الخاطر وليس المحدث من كل ذلك الا الاصطلاح المحض حيث اخترع المتأخرون اسم الاحتراس والتكميل و الالتفات و الارصاد ورد العجز على الصدر و المذهب الكلامى والتجريد وما الى ذلك : و دونك فاستعرض من كتب البيان اى كتاب شئت تجده يذكر قول علقمة الفحل .

طحابك قلب في الحسان طروب      بعيد الشباب عصر حان مشيب  
 يكلفنى ليلي وقد شط و ليها      و عادت عواد بيننا و خطوب  
 في مقام الاستشهاد على صنعة اللغات و هو هنا من الخطاب الى التكلم : و  
 قول الخنساء .

و ان صخرآ لتأتم الهداة به      كانه علم في راسه نار  
 و كذلك قول امرء القيس ،  
 كان عيون الوحش حول خباءنا      و ارحلنا الجزع الذي لم يثقب  
 في مقام الاستشهاد على صنعة الايغال وهو ختم البيت بما يفيد نكتة ففي بيت الخنساء  
 هو قولها - في رأسه نار - وفي بيت امرء القيس هو قوله - لم تثقب .

و كلمة القبعثرى - مثل الامير يحمل على الادهم والاشهب - في قبال قول الحجاج  
 له : لاحملنك على الادهم : في مقام الاستشهاد على حمل الكلام على خلاف المراد  
 وهو من خلاف مقتضى الظاهر من فن المعاني : و قول النابغة الذبياني .

و لست بمستبق اخا لا تلمه      على شعث اى الرجال المهذب  
 في الاستشهاد على صنعة التذليل وهو تعقيب جملة بجملة اخرى تشمل على  
 معناها للتأكيد وهو هنا تعقيب لا تلمه على شعث بقوله اى الرجال المهذب فان الجملتين  
 بمعنى واحد : و قول طرفة بن العبد :

فسقى ديارك غير مفسدها      صوب الربيع و ديمة تهمة  
 لصنعة التكميل وهو ان يؤتى في كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفعه وهو هنا  
 قوله غير مفسدها . و قول امرء القيس .

كأن قلوب الطير رطباً و يابسا      لدى و كرها العناب والحشف البالي  
 لصنعة التشبيه الملفوف وهو ان يؤتى اولا بالمشبهات على طريق العطف وغيره  
 ثم بالمشبه به كذلك : و قول المرقش العبدى .

النشرمسك والوجوه دنانير و اطراف الاكف عنم  
 لما فيه من التشبيه المفروق وهو ان يؤتى بمشبه ومشبه به ثم بآخر و آخر . و قول

فاطمة بنت الخرشب الانمارية لمن سأله عن بنيتها - هم كالحلقة المفرغة لا يدري اين طرفاها - لمافيه من التشبيه المجمل وهو ما لم يذكر وجه الشبه فيه : وقول يزيد بن مسلمة بن عبد الملك .

و اذا احتبى قربوسه بعنانه  
و كذلك قول كثير عزة .

اخذنا باطرف الاحاديث بيننا  
و كذلك قول طفيل الغنوى .

و جعلت كورى فوق ناجية  
يقنات شحم سنامها الرحل  
للاستعارة الغريبة و هى فى الاول قوله : و اذا احتبى قربوسه : وفى الثانى و الثالث مصراعها الاخير : و قول زهير بن ابى سلمى .

لدى اسدشاكى السلاح مقذف  
له لبد اظفاره لم تقلم  
لمافيه من الاستعارتين التجريدية والترشيحية : وقول زهير ايضاً .

صحأ القلب عن سلمى واقصر باطله  
وعرى افراس الصبا ورواحله

لاشتماله على الاستعارتين الكنائية والتخييلية : وقول ابى ذؤيب الهمداني .

و اذا المنية انشبت اظفارها  
القيت كل تميمة لاتنفع

لاشتماله على الاستعارتين المزبورتين : وقول عمرو بن معديكرب .

اذا لم تستطع شيئاً فدعه  
و جاوزه الى ما تستطيع

لما فيه من صنعة الارصاد وهوان يؤتى قبل العجز بما يدل عليه : وقول زهير ايضاً .

قف بالديار التى لم يعفها القدم  
بلى وغيرها الارواح والديم

لما فيه من صنعة الرجوع و هو العود الى الكلام السابق بالنقض لنكتة :

وقول المتلمس .

ولا يقيم على ضيم يراد به  
الا الاذلان غير الحى والوتد

هذا على الخسف مر بوط برمته  
وذا يشج فلا يرثى له احد

لمافيه من صنعة التقسيم : وقول امرىء القيس .

وشوهاء تعدوي الى صارخ الوغى  
لما فيه من صنعة التجريد : وقول الاعشى .  
بمستلئم مثل الفنيق المرحل

ياخير من ركب المطى ولا  
يشرب كأسا بكف من بخلا

لصنعة التجريد والكناية معاً : وقول النابغة الذبياني .

حلفت فلم اترك لنفسك ريبة  
وليس وراء الله للمرء مطلب

لئن كنت قد بلغت عنى جناية  
لمبلغك الواشى اغش واكذب

ولكننى كنت امرء لى جانب  
من الارض فيه مستراد ومذهب

ملوك واخوان اذا ما مدحتهم  
احكمم فى اموالهم واقرب

كفعلك فى قوم اراك اصطنعتهم  
فلم ترهم فى مدحهم لك اذنبوا

لما فيه من صنعة المذهب الكلامى : وقول الكميت .

احلامكم لسقام الجهل شافية  
كما دماؤكم تشفى من الكلب

لما فيه من صنعة التفريع وهو ان يثبت لمتعلق امر حكم بعد اثباته لمتعلق له آخر :

وقول النابغة الذبياني .

ولاعيب فيهم غير ان سيوفهم  
بهن فلول من قراع الكتاب

لما فيه من تأكيد المدح بما يشبه الذم : وقول الحسين بن عبد الله العرجي

بالله يا ظبيات القاع قلن لنا  
ليلاى منكن ام ليلى من البشر

لما فيه من صنعة تجاهل العارف : وقول الشاعر الجاهلي .

ان يقتلوك فقد ثلثت عروشم  
بعتيبة بن الحارث بن شهاب

لما فيه من صنعة الاطراد وهو ان تأتى باسم الممدوح او غيره واسماء آباءه على

ترتيب الولادة ، وقول النعمان بن بشير الانصارى .

الم تبتدركم يوم بدر سيوفنا  
وليك عماناب قومك نائم

للجناس المطلق : وقول حسان بن ثابت .

وكنا متى يغزى النبى قبيلة  
نصل جانبيه بالقنا والقنابل

للجناس المذيل : وكذلك قول النابغة .

- لها نارجن بعد انس تحولوا  
وقول عبدالله بن رواحة .
- تحمل الناقاة الادماء معتجراً  
للجناس المقلوب : وقول النابغة الذبياني .
- فتى تم فيه ما يسر صديقه  
على ان فيه ما يسوء الاعاديا
- لصنعة المقلب وهو ان يؤتى بمعنيين او اكثر ثم يؤتى بما يقابل ذلك على الترتيب  
وقول جرير .
- اذا نزل السماء بارض قوم  
رعيناه و ان كانوا غضابا
- لصنعة الاستخدام وهو ان يراد بلفظ له معنيان احدهما ثم يراد بضميره معناه  
الآخر: وقول زهير .
- اخوثقة لايهلك الخمر ماله  
ولكنه قد يهلك المال نائله
- لصنعة الاستدراك : وقول ابى صخر الهذلي .
- اما والذي ابكى وضحك والذي  
أ مات واحيي والذي امره الاهر
- لصنعة الطباق وهي الجمع بين المعنيين المتقابلين : وقول امرىء القيس .
- اذا المرء لم يخزن عليه لسانه  
فليس على شيء سواه بخزان
- لصنعة ارسال المثل : وقول ليلى الاخيلية .
- اذا نزل الحجاج ارضاً مريضة  
تتبع اقصى دائها فشفاهها
- شفاهها من الداء العصال الذي بها  
غلام اذا هز القاة سقاها
- سقاها دماء المارقين و علها  
اذا جمحت يوماً وحف اذاها
- لصنعة تشابه الاطراف وهو ان يكون آخر البيت اولاً في البيت الذي يليه: و  
قول الحماسي .
- رمى الحدئان نسوة آل حرب  
به مقدار سمدن له سمودا
- فرد شعورهن السود بيضاً  
ورد وجوههن البيض سودا
- لصنعة العكس وهو ان تقدم في الكلام جزء تم تعكس فتقدم ما اخرت وتؤخر ما

قدمت : وقول الفرزدق :

لقد جئت قوماً لو لجأت اليهم      طريد دم او حاملا ثقل مغرم  
لافتيت فيهم معطياً او مطاعنا      وراءك شزراً بالوشيح المقوم  
الصنعة التفسير: الى غير ذلك مما لا يحصى الا في أسفار .

- واما بالنسبة الى دقة الوصف و استعمال الطريقة العددية و التعبير بالايين و الكيف و نظير ذلك فهو قبل كل شيء موجود بكثرة في كتاب الله و لاجل اعطاء النموذج نذكر قوله تعالى في بيان التفاق و شرح حال المنافقين (سورة البقرة الاية ١٧ و ما بعدها) مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً فلما اضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم و تر كهم في ظلمات لا يبصرون صم بكم عمى فهم لا يرجعون او كصيب من السماء فيه ظلمات و رعد و برق يجعلون اصا بعمهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت و الله محيط بالكافرين يكاد البرق يخطف ابصارهم كلما اضاء لهم مشوا فيه و اذا اظلم عليهم قاموا .  
وقوله تعالى في استفرغ صفات الموصوف (سورة البقرة الاية ٦٧ - وما بعدها) واذ قال موسى لقومه ان الله يامركم ان تدبخوا بقرة قالوا ألتخذنا هزوا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي قال انه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك فافعلوا ما تؤمرون قالوا ادع لنا ربك يبين لنا مالونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي ان البقر تشابه علينا وانا ان شاء الله لمهتدون قال انه يقول انها بقرة لاذلول تثير الارض و لاتسقى الحرث مسلمة لاشية فيها .

وقوله تعالى في مقام السبر و الاستقصاء للانتقال منه الى تثبيت اصل اولي (سورة البقرة الاية ١٦٤ و ما بعدها) ان في خلق السموات و الارض و اختلاف الليل و النهار و الفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس و ما انزل الله من السماء من ماء فأحى به الارض بعد موتها و بث فيها من كل دابة و تصريف الرياح و السحاب المسخر بين السماء و الارض آيات لقوم يعقلون .

وقوله تعالى في مقام التقسيم و استعمال الطريقة العددية (سورة البقرة الاية ٢٢٩)

الطلاق مرتان فأمساك بمعروف أو تسريح باحسان .

وقوله في نظير ذلك (سورة آل عمران الآية ١٤) زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث .

وقوله في مثل ذلك ايضاً (سورة آل عمران الآية ١٠٦) يوم تبيض وجوه و تسود وجوه فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون واما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون .

وقوله في نظير مامر (سورة الانعام الآية ١٤٣) ثمانية ازواج من الضان اثنين ومن المعز اثنين - الى ان يقول - ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين : الخ .  
وقوله في طراز ما سلف (سورة الاعراف الآية ١٤١) واعدنا موسى ثلاثين ليلة واتممناها بعشر فتم ميقات ربه اربعين ليلة .

وقوله تعالى في مقام وصف واجب الوجود بطور فلسفي (سورة الانعام الآية ١٠٣) لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو المظيف الخبير .

وفي القرآن من هذا القبيل ونظيره شيء كثير غير قابل للاستقصاء في مثل هذا الموضوع : ويوجد ايضاً في حديث النبي ص بكثرة ففي التاج للاصول في احاديث الرسول (ج ١ ص ١٤ و ما بعدها) عن انس بن مالك عن النبي ص قال ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان ان يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما وان يحب المرء لا يحبه الله تعالى وان يكره ان يعود في الكفر كما يكره ان يقذف في النار .

وعنه ص انه قال الايمان بضع وسبعون او بضع وستون شعبة فأفضلها قول لا اله الا الله وادناها امامطة الاذى عن الطريق والحياء شعبة من الايمان وفي الامثال واستغراغ صفات الموصوف مارواه (في التاج ج ١ ص ٣٥ وما بعدها) عن ابي موسى عن النبي ص انه قال ان مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثلي رجل اتى قومه فقال يا قوم اني رأيت الجيش بعيني واني انا النذير العريان فالنجاء فاطعه طائفة من قومه فادلجوا فانطلقوا على مهلتهم وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فاهلكهم



و اجتاحهم فذلك مثل من أطاعنى واتبع ماجئت به ومثل من عصانى وكذب ما جئت به من الحق :وعن جابر عن النبى ص انه قال ان اصدق الحديث كتاب الله واحسن الهدى هدى محمد و شر الامور محدثاتها و كل محدثة بدعة و كل بدعة ضلالة و كل ضلالة فى النار .

وعبئاً نحاول الاكثار من هذا ونظيره فهو اكثر من الكثير فى الحديث النبوى الشريف : هذا وليت شعرى ما ارتباط وصف الخفاش و الطاووس و النملة بالفلسفة المصطلحة وهكذا عالم الالهيات الذى هوورد السنة الانبياء والاوصياء بفلسفة اليونان والفرس وهل عرف المتكلمون والفلاسفة الاسلاميون مباحث الالهيات على محور الدين الاسلامى الامن طريق اسياده وسنته و كتابه و كلمات رؤساء الامائل وفى طليعتهم النبى محمد والوصى على و الاطايب الاطهار من ذريته ولقد شاع علم الكلام بين المسلمين فى نفس التابعين و تابعيهم ومن تلمذ عليهم قبل ان يعرف المسلمون فلسفة اليونان وغيرها من الفلسفات الاصطلاحية وهذا كتاب الله وما اثر عن النبى ﷺ وعلى والحسين والسجاد فى صحيفته المشهورة والصادقين من العلم الكثير الذى ضبط عنهما اقوى شاهد على ذلك و كفى .

واما بالنسبة الى ما يشتم فى بعض فصوله من علم الغيب والاخبار عن مستقبل الامور - فما يبعد بعلى عن ذلك بعد صحة صدوره عن الرسول ﷺ وهو باب مدينة علمه و الخصيص به و موضع سره و افضل من تخرج عليه و الصق الناس به : و قد تواتر عن النبى ﷺ مضمون اعلميته و افضليته وعمق مكانته واعترف بذلك احرار الافاضل من الناس فقد قال ابو نعيم الاصفهاني ( ج ١ ص ٦١ من حلية الاولياء ) هو باب مدينة العلم والعلوم ورأس المخاطبات ومستنبط الاشارات رأية المهتدين ونور المطيعين وولى المتقين وامام العادلين اقدمهم اجابة وايماناً واقومهم قضية وايقاناً واعظمهم حلماً واوفرهم علماً على بن ابى طالب : وروى فى حقه - حديث : انادار الحكمة وعلى بابها : وعن النبى ﷺ انه سئل عن على فقال قسمت الحكم عشرة اجزاء فاعطى على تسعة اجزاء والناس جزء واحداً : و انه صلى الله عليه وآله قال :

يا على اخصمك بالنبوة ولانوبة بعدى وتخصم الناس بسبع ولا يحاجك فيما احد من قريش انت اولهم ايماناً بالله واوفاهم بعهد الله واقومهم بامر الله واقسمهم بالسوية واعدلهم فى الرعية وابصرهم بالقضية واعظمهم عند الله مزية - وانه صلى الله عليه وسلم قال - يا على ان الله امرنى ان ادنيك واعلمك لتعى وانزلت هذه الاية وتعيها اذن واعية فانك اذن واعية لعلمى : وقال ابن عباس كنا نتحدث ان النبى صلى الله عليه وسلم عهد الى على سبعين عهداً لم يعهد الى غيره .

راجع لامثال هذه المضامين مما يعود للعلم والفضيلة واللصوق بالنبى صلى الله عليه وسلم طبقات ابن سعد (ج ٤ ص ١٥٤ وما بعدها) والاستيعاب فى ترجمة على : والمحب الطبرى فى ذخائر العقبى (ص ٧٦ - وما بعدها) : والمتقى الهندى فى منتخب كنز العمال (ج ٢ ص ٣٤٥ وج ٥ ص ٣٠ وما بعدها) : والكنجى فى كفاية الطالب ص ٨٤ و ما بعدها : والنسائى فى خصائصه ص ٥٨ وما قبلها وبعدها : والفصول المهمة ص ١٦ : وتذكرة الخواص ص ٥٣ : والمستدرک للحاكم ج ١ ص ٢٥٨ و ص ٤٧٢ وج ٣ ص ١٢٢ وما بعدها وج ٤ ص ٣٨٨ وما بعدها : والاغانى لآبى الفرج (ج ١ ص ٣٣٠) : والمعتصر (ج ٢ ص ٣٠١) : وينايع المودة (ج ١ ص ٦٨ وج ٢ ص ٢ و ما بعدها) واسعاف الراغبين ص ١٥٦ : و تاريخ الخلفاء للسيوطى ص ٦٦ : و ابا الفرج ابن الجوزى فى موضوعاته ج ١ ص ١٧٠ : وتعقبنا له فى نتائج الفكر ج ٤ ص ١٦٧ و ما بعدها : والشرح الحديدى على نهج البلاغة ج ١ ص ٦ و ما بعدها : الى غير ذلك مما لا يسعنا التعرض له فعلاً . وراجع له حد الاقل ما دوناه فى مرحلة العلم والفهم والفضيلة من كتابنا نتائج الفكر (ج ٤ من ص ١٥٢ الى ص ١٨١) .

على ان امير المؤمنين عليه السلام اسند جملة من اخباره عن الغيب الى نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم : فمن ذلك قوله (النهج الحديدى ج ٢ ص ١٩٣) ايها الناس لا يجر منكم شقاقي ولا يستهوينكم عصياني ولا تتراموا بالابصار عندما تسمعونه منى فوالذى فلق الحبة وبرأ النسمة ان الذى أنبئكم به عن النبى الامى ص والله ما كذب المبلغ ولا جهل السامع لكسانى انظر الى ضليل قد نعق بالشام وفحص برياياته فى ضواحي كوفان - الخ - .

وقوله أيضاً (النهج الحديدى ج ٢ ص ٣٦١) فى وصف الأتراك : كانى اراهم قوماً كان وجوههم المجان المطرقة - الى ان يقول - فقال له بعض اصحابه لقد أعطيت يا امير المؤمنين علم الغيب فضحك عليه السلام وقال للرجل و كان كليياً يا اخا كلب ليس هو بعلم غيب وانما هو تعلم من ذى علم وانما علم الغيب علم الساعة وما عدده سبحانه بقوله ان الله عنده علم الساعة الآية - حتى يقول - فهذا علم الغيب الذى لا يعلمه احد الا الله وما سوى ذلك فعلم علمه الله نبيهص فعلمنيه ودعالى بأن يعيه صدرى وتضطم عليه جوانحى : الى غير ذلك .

هذا وقد قال المسعودى المتوفى سنة ٣٤٦ للهجرة اى قبل أن يولد الشريف الرضى بثلاثة عشر عاماً فان الشريف الرضى ولد سنة ٣٥٩ للهجرة وتوفى سنة ٤٠٦ فى كتابه مروج الذهب عند تعرضه لفصول من كلامه ع فى مقام ترجمته (ج ٢ ص ٤٣١) و الذى حفظ الناس عنه من خطبه فى سائر مقاماته اربعاً خطبة و نيف و ثمانون خطبة يورد ها على البديهة تداول الناس ذلك عنه قولاً وعملاً.

وقال الشارح المعتزلى فى مقدمة شرحه على النهج (ج ١ ص ٨) واما الفصاحة فهو (ع) امام الفصحاء وسيد البلغاء وعن كلامه قيل دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوق و منه تعلم الناس الخطابة والكتابة : قال عبد الحميد بن يحيى حفظت سبعين خطبة من خطب الاصلع ففاضت ثم فاضت : وقال ابن نباتة حفظت من الخطابة كنزاً لا يزيد الانفاق الا ساعة وكثرة حفظت مائة فصل من مواعظ على بن ابي طالب : ولما قال محفن بن ابي محفن لمعاوية جئتكم من عند اعبي الناس قال له : ويحك كيف يكون اعيان الناس فوالله ما سن الفصاحة لقريش غيره : ويكفى هذا الكتاب الذى نحن شارحوه دلالة على انه لا يجارى فى الفصاحة ولا يجارى فى البلاغة وحسبك انه لم يدون لاحد من فصحاء الصحابة العشر ولا نصف العشر مما دون له وكفاك فى هذا الباب ما يقوله ابو عثمان الجاحظ فى مدحه فى كتابه البيان والتبيين وفى غيره من كتبه - اهـ - وقال الشارح المعتزلى ايضاً فى شرحه على الخطبة الشقشقية (ج ١ ص ٦٩) واما قول ابن عباس ما اسفت على كلام - الخ - فحدثنى شيخى ابو الخير مصدق بن

شبيب الواسطي في سنة ثلاث وستمائة قال قرأت على الشيخ ابي محمد عبدالله بن احمد المعروف بابن الخشاب هذه الخطبة - الى ان يقول - فقلت له اتقول انها منحولة فقال لا والله واني لاعلم انها كلامه كما اعلم انك مصدق قال فقلت له ان كثيراً من الناس يقولون انها من كلام الرضى ره فقال اني للرضى ولغير الرضى هذا النفس وهذا الاسلوب : قد وقفنا على رسائل الرضى وعرفنا طريقته وفنه في الكلام المنثور وما يقع مع هذا الكلام في خل ولاخمر ثم قال والله لقد وقفت على هذه الخطبة في كتب صنعت قبل ان يخلق الرضى بماتى سنة ولقد وجدت بها مسطورة بخطوط اعرفها واعرف خطوط من هو من العلماء واهل الادب قبل ان يخلق النقيب ابو احمد والد الرضى - قلت - وقد وجدت انا كثيراً من هذه الخطبة في تصانيف شيخنا ابي القاسم البلخي امام البغداديين من المعتزلة وكان في دولة المقتدر قبل ان يخلق الرضى بمدة طويلة ووجدت ايضاً كثيراً منها في كتاب ابي جعفر بن قبة احد متكلمي الامامية وهو الكتاب المشهور المعروف بكتاب الانصاف وكان ابو جعفر هذا من تلامذة الشيخ ابي القاسم البلخي ومات في ذلك العصر قبل ان يكون الرضى موجوداً . وقال ابن ميثم البحراني في (ج ١ ص ١٠١ من شرحه على النهج) قال قطب الدين الراوندي رحمه الله سمعت بعض العلماء بالحجاز يقول اني وجدت بمصر مجموعاً من كلام علي في نيف وعشرين مجلداً - اهـ .

هذا وقد ذكر الشيخ المفيد في الارشاد والكليني في الكافي والجاحظ في البيان والتبيين والمبرد في الكامل وغير هؤلاء فصولاً جمعة في مواضع شتى لامير المؤمنين علي عليه السلام فراجع حد الاقل ص ١٠٧ الى ص ١٤٤ من الارشاد للمفيد وكل هؤلاء سابقون في الزمان على الشريف الرضى : ولواردنا التوسع في ذكر الكتب والمؤلفين الذين سبقوا الشريف زماناً وتناولوا قليلاً او كثيراً مما اثر عن علي عليه السلام من خطبة او كتاب او وصية او موعظة او حكمة بليغة لطاق بنا المجال وخرجنا عن حدود الموضوع : هذا مع ان الشريف الرضى قد تعرض في جملة من المقامات لنسبة الخطبة الى كتاب وجدها فيه واخذها منه وهكذا ابن ابي الحديد في كثير من موارد شرحه :

على ان النفس الذى يلمسه القارىء من مضامين مواعظه وزواجره وارشاداته ووصاياه وما يثبه عن ذات نفسه وما واجهه من الخطوب والحوادث وغير اليمان وعلل الاشخاص دليل قاطع على ان قائمه ممن تأثر بالدواعى المومأ اليها تأثراً لامزيد عليه لمستزيد ولم يوجد بعد رسول الله فى كافة المسلمين سابقاً ولا حقاً من طلع بهذه الطلعة سوى على وقد شهدت له الدنيا وافاضل اهلها بكل ذلك .

وفى خاتمة المطاف يكفيننا اعتراف العلامة الشيخ محمد عبده بكتاب نهج البلاغة على جملته وتفصيله واطرائه اياه باللون الذى تقرأه حيث يقول  
وبعد فقد اوفى لى حكم القدر بالاطلاع على كتاب نهج البلاغة مصادفة بلا تعمل أصبته على تغير حال وتبلبل بال وتزاحم اشغال وعطلة من أعمال فحسبته تسلية وحيلة للتخلية فتصفحت بعض صفحاته وتأملت جملا من عباراته من مواضع مختلفة ومواقع متفرقات فكان يخيل لى فى كل مقام ان حروباً شبت و غارات شنت و ان للبلاغة دولة وللصاحبة صولة وان للاوهام عرامة وللريب دعارة وان جحافل الخطابة وكتائب الذرابة فى عقود النظام و صفوف الانتظام تنافح بالصفيح الابلج والقويم الاملج و تمتلج المهج برواضع الحجج فتقل من دعارة الوسوس و تصيب مقالت الخوانس فما انا الا : والحق منتصر والباطل منكسر و مرج الشك فى خمود و هرج الريب فى ركود .

وان مدبر تلك الدولة وباسل تلك الصولة هو حامل لوائها الغالب امير المؤمنين على بن ابى طالب بل كنت كلما انتقلت من موضع الى موضع احس بتغير المشاهد و تحول المعاهد فتارة كنت اجدنى فى عالم يعمره من المعانى ارواح عالية فى حلال من العبارات الزاهية تطوف على النفوس الزاكية وتدنو من القلوب الصافية توحى اليها رشادها وتقوم منها مرادها وتنقر بها عن هداحض المزال الى جواد الفضل و الكمال : الى ان يقول بعد فصول : ذلك الكتاب الجليل هو جملة ما اختاره السيد الشريف الرضى - رحمه الله - من كلام سيدنا ومولانا امير المؤمنين على بن ابى طالب - كرم الله وجهه - جمع متفرقه وسماه هذا الاسم (نهج البلاغة) ولا اعلم اسماً اليق بالدلالة

على معناه منه وليس في وسعي ان اصف هذا الكتاب بازيد مما دل عليه اسمه - الى آخر مقال -

وبعد هذا فاننا ندرس نهج البلاغة دراسة موضوعية على عناوين شتى .

(١) نهج البلاغة والتوحيد وتحليل العقائد .

(٢) نهج البلاغة وتعريفه للاسلام .

(٣) نهج البلاغة في المواعظ والزواجر .

(٤) نهج البلاغة في العلوم والفنون .

(٥) نهج البلاغة في النقود والردود .

(٦) نهج البلاغة في السياسة وادارة امور الناس .

(٧) نهج البلاغة في الحكم والامثال .

(٨) نهج البلاغة في الجهاد ومناجزة الاعداء لاحقاق الحق وابطال الباطل فهنا

فصول ثمانية نتكلم على الفصل منها تلوا الفصل على الترتيب الذي اسلفناه.

## (١- نهج البلاغة والتوحيد وتحليل العقائد)

قال عليه السلام (ج ١ ص ٢٩٢ من الشرح الحديدي الطبعة الاولى بمصر) الحمد لله

الذي بطن خفيات الامور ، ودلت عليه اعلام الظهور ، وامتنع على عين البصير فلا

عين من لم يره تنكره ، ولا قلب من اثبته يبصره ، سبق في العلو فلا شيء اعلا منه ،

وقرب في الدنو فلا شيء اقرب منه ، فلا استعلاؤه باعده عن شيء من خلقه ، ولا قرب به

ساواهم في المكان به ، لم يطلع العقول على تحديد صفته ، ولم يحجبها عن واجب معرفته

فهو الذي تشهد له اعلام الوجود على اقرار قلب ذي الجحود تعالى الله عما يقول المشبهون

به والجاحدون له علواً كبيراً .

يجب ان يلتفت الدارس لهذه الفصول الى ان ما نستقبله بالبحث نقاط ثلاثة

نقطة البحث عن مبدأ المبادئ واصل كل الاصول .

ونقطة تكون العوالم وتنوعها الى انواعها المتكثرة .

ونقطة الحكمة في تسيير المخلوقات على ما هي عليه سابقاً ولاحقاً .  
وانه لا يربط لكل نقطة من هاته النقاط الثلاثة بالنقطة الاخرى: وفي بحثنا هذا  
انما نتعرض للكلام على النقطة الاولى فحسب : فنقول .  
نحن مشياً مع ذوق العصر الحاضر يلزمنا ان نبحث عن وجود الصانع بحثاً يواكب  
الفلسفة الدارجة في الغرب المأخوذ بهافي الشرق لنقند علماء المادة وننقد اخواننا  
الشرقيين- حداقل- من هوة الالحاد الماحق فنقول قبل كلشيء: نحن نعلم بالقطع  
ان في افراد النوع الانساني اناساً بلغوا الغاية في المثالية وكانوا معجزة الدهر في  
بنى آدم قدساً وايماناً وعبادة مع تبجرهم العميق في الكون والكونيات ولا تكاد العقول  
تستريب في ان عبادتهم كانت عبادة مر كزة على واقع مكشوف لهم لاشان المتعبدين من  
طغمة الناس .

مثلاى " انسان من البشر المتنور لا يعرف على بن ابي طالب ولا يعتقد بمثاليته  
وقدسه وتقواه ولم يقف من كلامه في متشمت مواضعه على تعريفه و تمجيده للمبدء  
الاعلا تمجيداً يأخذ بالاسماع والقلوب ، على ما صادفه على في دنياه من اذى وبلاء  
استمر معه من لدن أن شب واخذوا يزدادان الى جانبه كل ما كبرنا وزاد معنوية  
الى ان قتل ونراه كل ما ازداد بلاء ازداد عبادة وتقوى وشكراً .

واذا قارنا بين هذه المقدمات يحصل لنا القطع بان امثال هذه الذوات وقفوا من  
ناحية المبدأ الاعلا على اسرار غمضت على غيرهم ومن طريق غموضها نراهم يفتشون عن  
هذا المبدأ العظيم من طريق الدليل العقلي او هذه الاثار الشاخصة في عرصة الوجود  
من شمس و اقمار و انسان وحيوان : و بما ان اغلب الناس من اهل هذه الطبقة  
القائمة في الحياة على ما توحىه اليها عقولها او تلمسه حواسها لزمنا ان نبحث عن  
الصانع من طرق هؤلاء لا من الطريق الذى سلكه المثاليون العظام : لان الطرق  
الاولى يمكننا ان نعالجها بسهولة : و طريق المكاشفة طريق و عرو لم يسلكه من  
مجموعة بنى الانسان الضخمة العدد الافراد منزورون جداً وهم من ثبتت مثاليتهم  
باليقين الصادق للناس : ولذلك نقول .

ان الانسان من ست جهاته يرى بعينه المسلحة والمجردة عوالم زخارة بالعجائب اخاذة بالعقول خلافة للافكار غير منتهية فى عجائبها وغرائبها و لاتزال على مرور الزمان تنكشف عن خبايا تقهر القلوب والعقول فى بدائعها وروائعها سواء فى منظومات الشمس والاقمار والكواكب ام فى ذخائر الارض وكنوزها ام فى البحار وما يسبح فيها ويقر فى قعورها من ملايين الحيوانات المختلفة الشكول والحقائق ام فى الانسان والحيوان و النبات القائم على وجه الارض المتنوع الى حدود لاتحصى والمختلف جوهرها ومعنى : ولانراه يسيغ له لبه وعقله او ضميره ووجدانه بان يعتبر كل ما فى هذه الاكوان وجد عفواً ليعن قصد وحصل صدقة لامن طريق حكمة وكان ليعن مكون فان هذه الخاطرة لاتجول فى اى " ذهن يفرض : وان ادعاها المادى الملحد فهو يقولها لفظاً بادىء الامر ويعجز عن تثبيتها لاول مرة من وروده فى البحث .

كيف لايعجز وهو يرى بأحداه المفتحة ملايين الملايين من الخلايا الحية فى جسم حيوان واحد وكل فصيلة منها تشكل جهازاً خاصاً ذا شعب ونفرات واعدادات يقل الشرح ومهما طال عن بيان خصوصياتها ووظائفها واعمالها الجبارة : فجهاز المنخ والمخيش وجهاز السمع والبصر وجهاز الشم والذوق و اللمس : و جهاز المضغ و البلع : وجهاز القلب والرئة : وجهاز الكبدو الكليتين : وجهاز الطحال والدورة الدموية : وجهاز الهضم والترشح والدفعو البول : وجهاز التباضع والتناسل : وجهاز الاعصاب والعروق وجهاز العضلات والغضاريف : واجهزة الغدد و العظام : و مالكل جهاز من اتصالات وفوائد وآثار .

وقد اثبت علماء الطبيعة والتشريح فى بنيان الانسان مجموعات خطيرة لخلاياه تعمل كل مجموعة منها لمنظور واحد مشخص واهم المجموعات عبارة عن : المجموعة الغشائية : الغددية : التركيبية : الغضروفية : العظمية : الدموية : العضلانية : العصبية : الدهنية : وأطالوا البحوث القيمة القائمة على اساس التجزئة والتحليل فى الدم والدورة الدموية وعمل القلب والشرايين حمرها وسودها صغارها وكبارها : وفى عمل التغذية والمضغ والهضم الشامل للمقم والحلق والمرى والمعدة والمعائين الضيق والواسع



وفي غدد الهضم وغدد المعدة وغدد الامعاء وغدد لوز المعدة و غدد الكبد : و فى الاعمال الميكانيكية للمضغ والبلع والمعدة والمعائين والاعمال الكيميائية لهذه الاجهزة ايضا : وفى خواص الكبد ولوز المعدة بالنظر الى هضمها : وفى الجذب وما فى عوالمه من غرائب : و فى عمل التنفس و الاكياس الهوائية التى يقرب تعدادها فى الرءتين من مليونى كيس و وجود هذه البيوت هو الذى يوسع سطح تبادل الغازات حتى ان سطح التبادل فى مجموع الرءتين قد يصل الى ١٥٠ بل الى ٢٠٠ متر مربع : وهذا هو الذى يجعل مركزية بيوت الرءتين مهمة عظيمة .

وفى جهاز دفع الادرار الشامل للكليتين و للمجارى من الطشت و الحالب والمثانة ومجرى الخروج : وما فى انايب الادرار من غرائب تبهر العقل وتحير العاقل حتى انهم ذكروا ان الانايب المزبورة تتراوح بين المليونين و الاربعة ملايين انبوب : و ان هذه الانايب الدقيقة جداً لا جل تصفية الدم تعمل فى محيط واسع : و فى الاعمال الارتباطية من غدد لها فعالية مهمة كالتيروئيد : مسامير التيروئيد : التيموس : غدد الكلية : الهيوفيز : لوز المعدة : الكبد : غدد التناسل - و غير غدد .

وفى جهاز الارتباط من البنية العظمية المركبة من ٢٠٨ عظام والقائمة باعمال واجهزة جبارة وفى الطحال وعمل الارتباطات العصبية فى شبكة الاعصاب المهمة وفى اعمال المخ والمخيخ والنخاع وانشعاباتها ومراكزها المنظمة المعظمة : وفى جهاز اللمس الجبار ذى الخواص والانشعابات الكثيرة : فقد ذكروا من بعض خواص الجلد ان النقاط الجلدية اللاقطة للبرودة فى البدن تبلغ ٢٥٠/٠٠٠ الفأ و ان اللاقطة للحرارة تبلغ ٣٠/٠٠٠ الفأ و ان اللاقطة للالام فيه تبلغ ٣/٥٠٠/٠٠٠ الف الى غير ذلك : و فى جهاز الذوق والشم المهمين : وجهاز السمع و البصر العظيمين : الى ما سوى ذلك من جهاز يقوم فى محيطه بعمل حيوى جبار يقف امامه ذوالبصيرة فى حيرة و بهت لانهاية لهما .

أترى ان الانسان يأخذه مديد العجب من مضخة الماء ووسائل توليد الكهرباء

وسفينة الفضاء لانه يرى في ذلك صنعة ودقة وفنا وعملا جباراً ولا يتخالجه الشك في نسبتها الى الافاذ الذين قاموا باشادتها ووجوب تعظيمهم والخضوع لهم ثم تراه بالنسبة الى عوالم الارض والسماء ذات العظمة القهارة والاثار الجبارة يدعى الصدفة في وجودها والاتفاقات غير المحسبة في كينونتها ويشك او يقطع بعدم وجود ما هو اعظم منها قدصورها ودبرها وسيرها لمقاصد حكيمة هذاما لا يجيزه العقل منسوباً الى عاقل اصلا : اذن فهناك مبدء قهار ونقطة انبعاث جبارة هي التي كبست هذه العوالم بهذه الذخائر الدالة بآثارها المنظمة وصنعتها المحكمة و سلطانها القهار على ان هذه الصنعة قد صفى حسابها وعدل نظامها وواقع كل شىء منها في نصابه اللائق به بدقة عميقة حتى تؤتى عوائدها المتوخاة وفوائدها المرادة لمقصد من المقاصد الغامضة او الجلية من الحياة .

و عدم وصول الافكار و الحواس الى صميم هذا المبدأ و مركز هذه النقطة و غموض هويتها لا يبرر لها الوجود والانكار كما لا يجيز لها التفاضل عن وجودها : و هذا الذى امليناه يعد في طبيعة مدركات العقول : ولم اربدورى فيما قرأت وطالعتو رأيت من اقوال الماديين ما ينقى هذا اصلا : وانما قرأت ورأيت شروحا مبسوطة في مباحث النشوء والنماء وتنازع البقاء وانتخاب الطبيعة للفرد الاصلح و ما الى ذلك من نظير و هذه كلها بعد تسليمها - وهيئات - لا تنقى هذا المبدأ ولا تزاخمه على قدسه بل لا ترتبط به في مطافها وانما تستعرض امورا وراء ذلك .

لكن هذا المعنى وحده بنحوه الجملى لا يكفي المكلف بنظر الشرع في معرفة الصانع بل يحتاج الى توسع فيه و ان كان يكفي في طرد المادى عن مزاعمه التى يحاولها من طريق دراساته التى آنفنا فهرسها : اذن فهلم بنا الى قول امير المؤمنين عليه السلام في هذا المجال .

فان قوله ، دلت عليه اعلام الظهور ، فصل قصير جامع لما اوعبناه من التفصيل فان جميع ما فى الكوائن ادلة ظاهرة على اثباته ولزوم الاعتراف به والاعلام جمع علم وهو الشاخص الذى يستدل به ، وامتنع ، لرقيق لطافته، على عين البصير، و مهما كان

شديد البصر قوى الحاسة لانه ليس من المادة والماديات ومع ذلك، فلا عين من لم يره تنكره ، لانها بحا كمية العقل عليها تراه كالمحس بين يديها ، ولا قلب من اثبتته يبصره ، لبعده هويته الاعن الادراك الجملى ، سبق فى العلو فلاشئ اعلا منه ، لانه فى صانعيته لكل شئء فوق كل شئء رفعة وشأنا ، وقرب فى الدنو فلاشئء اقرب منه ، لان اتصال العلة بالمعلول يعطيها من القرب ما لاشئء اقرب وصلة منها اليه ، فلا استعلاؤه باعده عن شئء من خلقه ، لان العلو المعنوى لا يقتضى بعداً بين العالى والدانى ، ولا يقربه ساواهم فى المكان به ، فانهم وان كانوا ذوى مكان وحيز الا ان قربه لما كان معنوياً كبعده لم يستدع اى مكان يفرض فهو فى قربه اليهم و علوه عليهم لم يقتض ما يحصل منه التنافى والتضاد بخلاف علو المكان ما بين شئء وشئء فانه يقتضى عدم القرب قطعاً وهكذا القرب المكانى يقتضى عدم العلو فيه ، لم يطلع العقول على تحديد صفته ، الا بما در كته حسب مقدورها من اثره وصنعه ، و لم يحجبها عن واجب معرفته ، بما تكون به معترفة بصانع الكون وموجده ، فهو الذى تشهد له ، بالضرورة القاطعة ، اعلام الوجود ، ومظاهره البينة الواضحة ، على اقرار قلب ذى الجحود ، بلسانه فان العاقل لا يستطيع ان يخادع عقله و ان استطاع ان يتذبذب بلسانه ، تعالى الله عما يقوله المشبهون به ، لانهم لما جهلوا حقيقته حكموا اوهاهم فى استطلاعهم فجاء كل وهم بما انتج ومن هنا فشت الخرافات بين الناس قديماً و حديثاً ، و الجاحدون له علواً كبيراً ، ولا جاحد فى مجموعة العقلاء من البشر الا و قلبه مطمئن بالايمان نعم من انظمت عليه مجارى عقله و التهى عن كل معقول بما بين يديه صارفاً كل همه وهمته الى اشباع نهمته واطفاء شهوته قديقال فى حقه انه جاحد قلباً ولساناً لبعده عن عالم المعنويات بالمرّة : والمنظور بقوله **عَلَيْهِ السَّلَامُ** ، بطن خفيات الامور ، انه علم بمستورها ووقف على كوا منها لانها خلقتة الا يعلم من خلق وما انشأ ثم ان المنطق الصحيح قاض بان الاعدادات القوية والاثار الفعلية الموجودة فى المعلول حاكمة بلزوم وجودها من نسخها واءلا فى العلة المؤثرة فان فاقد الشئء لا يعطيه . لذلك فكل ما يوجد فى المعلول من حياة وادراك وعلم وقدرة يجب وجود

ما هو من ملاكه في العلة : فذاك المبدأ القهار الذى علل به وجود العوالم الظاهرة والخفية يجب ان يكون وراء اصل وجوده حياً مدر كاً عالمياً قادراً ازلياً اذ لا مجال لفرض وجود قهار قبله لان الكلام فى مبدأ كل المبادئ واصل كل الاصول وما وجب وجوده من نفسه لتعليل كافة الكوائن به وجب استمرار وجوده ابدأ بمقتضى وجوب الوجود الذى لا يجتمع مع امكان التلاشى : وهذا كله ما لا ريب فيه ويلتئم حتى مع القول بالنشوء والنماء وتنازع البقاء وانتخاب الطبيعة لاصلاح الافراد .

وعلى الملاك الذى ذكرناه يطبق قوله <sup>عَلَيْهِ السَّلَامُ</sup> (فى خطبة اخرى ج ١ ص ١٨ وما بعدها من النهج الحديدى ) الحمد لله الذى لا يبلغ مدحته القائلون ، ولا يحصى نعماءه العادون ، ولا يؤدى حقه المجتهدون ، الذى لا يدركه بعد الهمم ولا يناله غوص الفطن الذى ليس لصفته حد محدود ولا نعت موجود ولا وقت معدود ولا اجل ممدود فطر الخلائق بقدرته ونشر الرياح برحمته ووتد بالصخور ميدان ارضه .

الحمد لله الذى لا يبلغ ، اى لا يصل الى الغاية ومهما حاول الوصول اليها ، مدحته القائلون ولا يحصى نعماءه ، بحيث لا يرى مزيداً على ما احصاه ، العادون ، وذلك لان الاعم الاغلب مما يدركه الانسان من كافة الموجودات الظاهرة والخفية فى الكوائن العلوية والسفلية هو فى خدمة البشر وما لا يدرك فيه نفعاً من جملة الكوائن فامر خلقته مو كول الى من خلقه لعجز العقول عن اكتناه كل ما فى الكون من اسرار وستأتى الاشارة الى هذا المطلب فى بحث مستقل ، ولا يؤدى حقه ، اى حق فواضله . المجتهدون ، فى طاعته وشكره فضلا عن المتساهلين او المتمردين يقال اجتهد فى الشيء اذا بذل فيه جهده وطاقته ، الذى لا يدركه بعد الهمم ، المبدولة فى طريق التعرف به لان الطرق اليه مسدودة على العقل الامن ناحية الاثار المدركة وما اشد محدودية ادراك الانسان للآثار الشاحصة فى الوجود لقصرافقه عن امتداد آفاقها الواسعة . ولا يناله غوص الفطن ، فان غوص الفطنة يجب ان يكون فى مجارى يمكن من طريقها الاستطلاع على الخفايا والاسرار فاذا فقدت جملة من الخفايا والاسرار تلك الطرق عقم غوص الفطنة عن الانتاج ومهما طال الغوص واعقب من جهد ومشقة ، الذى ليس

لصفته حد محدود ، لان الموصوف متى لم يكن طريق لمحدوديته لم يكن لصفته طريق كذلك بحكم تابعة الصفة للموصوف ، ولانعت موجود ، يقوم بتمام كشفه والوقوف على كنهه ، ولا وقت معدود ولا اجل ممدود ، تزييف للوهمين من المسلمين الذين يدعون جواز رؤية الله في الآخرة محدوداً من كافة جوانبه . فطر. اى ابداً خلق ، الخلائق ، جميعها ، بقدرته ، غير المحدودة اذ تحديد القدرة يمنع من ذلك قطعاً ، ونشر الرياح ، اى اجراها لتقوم باعمالها النافعة ، برحمته ، على الناس ولطفه بهم ، ووتد ، اى اثبت ، بالصخور ، ومنظوره الجبال الصماء ، ميدان ارضه ، اذلاشبهه فى ان وجود الجبال الثقيلة من الاوتاد المانعة من التموج الكثير للارض وسيأتى فى بحث العلوم والفنون من هذا الشرح ما يتعرض فيه للرياح والجبال وغيرهما :

اول الدين معرفته ، وكمال معرفته التصديق به ، وكمال التصديق به توحيد ، وكمال توحيد الاخلاص له ، وكمال الاخلاص له نفي الصفات عنه ، لشهادة كل صفة انها غير الموصوف وشهادة كل موصوف انه غير الصفة ، فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه ، ومن قرنه فقد ثناه ، ومن ثناه فقد جزاه ، ومن جزاه فقد جهله ، ومن جهله فقد اشار اليه ، ومن اشار اليه فقد حده ، ومن حده فقد عده ، ومن قال فيم فقد ضمنه ، ومن قال علام فقد اخلاه منه :

اول الدين معرفته ، دان يدين للشىء اذا خضع له والمنظور بالدين اصطلاحاً هو اعتقاد الانسان بنظام خاص يحدد موقفه من حياته فى افعاله وتروكه ويعين مصيره فى نشأته الثانية كل ذلك من طريق انتسابه لله مشرع الدين فعليه لا يكون معنى للدين بدون معرفة الخالق المشرع فالمعرفة هى المرحلة الاولى فى النظام الدينى العام ، وكمال معرفته التصديق به ، فان المعرفة الناقصة المشوبة بشىء من التردد والتشكك والتحير لا تصديق معها ، وكمال التصديق به توحيد ، لان التصديق مجتمع مع الشرك لكن كمال التصديق وهو المبني على التحريم الكمال فى واجب الوجود ينافى الاعتراف بالشركاء للمحاذير العلمية التى يأتى التعرض لها لذلك كان التوحيد نتيجة لكمال التصديق به ، وكمال توحيد الاخلاص له ، لان الاعتقاد بوحد الرب

مع تمايل النفس لمؤثرات اخرى ولومع اعتقاد تنزل درجتها عن المبدأ الاعلانوع من الشرك وهو ينافي الاخلاص قطعاً اذن فالتوحيد الكامل ما كان عن اخلاص العبد في توجهه الى منبع الفيوضات و محور خلق الكائنات ، و كمال الاخلاص له نفى الصفات عنه ، اى نفى الصفات الزائدة على عين الذات فكمال الاخلاص معناه العقيدة بان صفات الواجب عين ذاته لانه ذات منحاذة و صفات مجلوبة ، لشهادة كل صفة ، مجلوبة ، انها غير الموصوف ، و ان قامت به ، و شهادة كل موصوف ، منحاذا ، انه غير الصفة ، و ان تلبس بها ، فمن وصف الله سبحانه ، بوصف زائد على ذاته ، فقد قرنه ، بشيء آخر واخرجه عن البساطة ، ومن قرنه ، بشيء آخر ، فقد ثناه ، لانه راح يعتقد بموصوف منحاذا وصفة طارئة ، ومن ثناه فقد جزءه ، لانه اعتدفيه التركيب من موصوف منحاذا وصفة مجلوبة ، و من جزءه فقد جهله ، لان الاعتقاد بان واجب الوجود ذو أجزاء معناه الجهل بحقيقة واجب الوجود واقعاً لان معرفة حقيقته من لازمها اعتقاد وحدته وبساطته معاً ، ومن جهله فقد اشار اليه ، اى ومن لوازم الجهل بحقيقة واجب الوجود تذبذبه في معتقده فجائز عليه ان يجسمه و يحدد هويته في مكان خاص فيكون حينذاك محلاً للإشارة الحسية ، ومن اشار اليه فقد حده ، لان الإشارة الحسية لاتكون الا الى محدود بالحس . ومن حده فقد حده لان تحديد الشيء يوجب ان يكون المحدود قابلاً للمعد والواحد المحدد بالإشارة الحسية معدود لان الواحد الحسى من الاعداد ، و من قال فيم فقد ضمنه ، لان الاطراف يقتضى المظروفية ومعناها وقوع شيء فى ضمن شيء آخر ، ومن قال علام فقد اخلأ منه ، لان معنى علام هو الاستفسار عن انه على اى شيء من الاشياء هو و هذا معناه قراره فى مكان خاص دون مكان آخر و لازم ذلك خلو غير مكانه عنه و واجب الوجود لتجرده لامكان له لكن فيضه لا يخلو منه مكان .

كائن لاعتن حدث ، موجود لاعتن عدم ، مع كل شيء لابتقارنة ، وغير كل شيء لامتزيلة ، فاعل لامتزيلة الحركات والالة ، بصير اذلا منظور اليه من خلقه ، متوحد اذلا سكن يستانس به ولا يستوحش لفقده ، انشأ الخلق انشاء . و ابتداء ابتداء ، بلا

روية اجالها ، ولا تجربة استفادها ، ولا حركة احدثها ، ولا همامة نفس اضطرب فيها ، احوال الاشياء لاوقاتها ، ولا عم بين مختلفاتها ، وغرز غرائزها ، والزمها أشباحها ، عالمها قبل ابتدائها ، محيطاً بحدودها وانتهائها ، عارفاً بقرائنها واحنائها .

كائن ، اى حاصل موجود ولولا ان الدليل القاطع حاكم باستحالة العدم على مبدأ المبادئ واصل كل الاصول ازلا وابدأ لكان كل كائن و كل متلبس بالوجود دالا من نفسه على نفسه انه لم يكن ثم كان وان وجوده حاصل بعد عدمه - ولو ان هذه الكوائن لم تقطع من نفسها على نفسها بلزوم مكون كونها وصورها وابدع صنعها و كبسها من القوى ما يعجز البيان واللسان عن سرده وعده وان هذه القوة المبدئية الجبارة لايجوز فيها فرض الكون بعد العدم لان الكلام اصولا في مبدأ المبادئ وعللة العلل واصل كل الاصول ولا مجال للتسلسل مع هذا الفرض: لكان فهم الوجود الازلى من اشكل المشكلات على عقولنا .

لا عن حدث ، اى ان كونه لم يحصل عن تكوين فيحتاج الى محدث وموجد بل هو ازلى لاحد لاويلته في القدم ، موجود لا عن عدم ، لان وجوده واجب لذاته و كل ما يكون وجوده مسبقاً بالعدم لا يكون واجب وجود ، مع كل شيء ، في قيامه عليه وتديره اياه ، لا بمقارنة ، لان المقارنة انما تصور في الاجسام واما في المجردات فلا ، وغير كل شيء لا بمزايلة. بل هو غيره في الهوية لافي سخرية العلية والمعلولية ، فاعل لا بمعنى الحركات والالات ، اى انه يفعل لا كسائر الفاعلين الذين يستحيل عليهم الفعل بدون الاستعانة بالحركات والالات بل فعله بالارادة الصرفة ؛ بصير اذ لا منظور اليه من خلقه ، يريدان معنى البصر فيه غيره فيما سواه فان البصر في الغير معناه وجود منظور اليه حتى يتعلق به البصر واما ابصاره هو تعالى فعلمه الكاشف لكل شيء المحيط بكل شيء ، متوحد ، اى لا قرين له ، اذلا ، حاجة تدعوه الى . سكن يستأنس به ولا يستوحش لفقده ، لان كل ذلك من لوازم نقصان المخلوق و واجب الوجود لا نقصان فيه . انشاء الخلق انشاء وابتدأه ابتداء ، الانشاء والاختراع والابداع كلها بمعنى واحد وهو الايجاب بعد السلب المحض والايجاد بعد العدم الخالص وتصوير

ذلك فى الافعال بسيط التعقل جداً كاحداث التكلم بعد السكوت والحر كة بعد السكون ونظير هذين .

و اما ابداع المادة فتصوره مستعلق على العقول : ولكننا نضرب مثلاً واقعياً ونبحث عنه لنرى مدى ما يوصل اليه البحث فتقول نجد فيما نباشره من الاراضى الزراعية بكثرة ان مساحة الهكتار الواحد يبذر فيها من البر مقدار ٧٥ كيلواً وفى مقام العائد ينتج هذا الهكتار بنسبة كل حبة ١٠٠ حبة فيبلغ المجموع ٧٥٠٠ كيلو ويعطى من التبن بهذه النسبة ٧٥٠٠ كيلو فيكون مجموع ما انتجه الهكتار الواحد من بذر ٧٥ كيلواً مبلغ ١٥٠٠٠ كيلو وهو مبلغ خطير ثم نعود الى المواد التى يمكن ان يتغذى منها البذر المذكور ونباتة فنراه منحصرأ بالارض التى ينبت فيها والماء الذى يصل اليه والهواء الذى يستنشقه ويمر عليه اما الارض التى نتحدث عنها فاننا نجدها على مرور مآت السنين هى الاولى كما كانت ولايظهر منها للحس زيادة او نقصان وكل محصولاتها يصرف خارجاً عنها كما لا يضاف اليها من الخارج شىء تدمن به واما رطوبة الماء التى تقارب الحصاد فتجف وتبخر قبل الحصاد ومهما كان فى الهواء فان المحسوس لنامنه محدود جداً وهذا كله ليس به ان يستهلك مقدار ١٥٠٠٠ كيلو من بذر ٧٥ كيلواً فى مساحة هكتار واحد خال من التدمين ونظير هذا المثال ملايين الامثلة من هذا القبيل وملايين اخرى من اسناخه و لا نستطيع ان نتعقل بعد التدبر التام فى الموجودات المادية التى نشهدها فى عصورنا ان موادها بلا زيادة او نقصان كانت من الازل وستبقى الى الابد وان التحولات التى نشهدها هى فى الصور والاشكال فقط . ان هضم هذه الدعوى من اشكل الامور على العقل بعد ان يرى الانسان ان نوعه كان محدوداً جداً وهو اليوم الوف الملايين وسيعود على مرور الزمان ملايين الملايين وان ارخاء عنان التناسل مما يخاف منه عجز الكرة الارضية عن قيامها بواجب النسل فى المستقبل : وهكذا يرى الانسان النبات وسائر انواع الحيوانات مما هو ظاهر لحسه وفى عرض هذه الرؤية لا يشهد نقصاً فى ارضه ولا جباله و بحاره فان تكن تيك الكثرات المهولة مادتها الارض والماء لبان على هذين العنصرين نقص محسوس :



ولا يشكل بتلاشى ما يتلاشى منها ويعود الى الارض فان المواليدي في قبال المتلاشيات رقم واسع جداً وبعد تثبيت هذا التصوير يثبت معنى واضح للإبداع في المادة . ولمزيد التوضيح نقول ايضاً : يتشكل الوجود الحي من واحد او عدة خلايا وهو لاجل ادامة الحياة وفعاليتها في حاجة ماسة الى الغذاء والماء والاكسيجن وفي نتيجة هذه التغذية يستحيل الغذاء الى خلايا : وفي ضمن التغذية المستمرة لا تبقى الوجودات الحية على قدر واحد بل تزداد وزناً وحجماً الى أن تصل الى حدها النهائي وذلك ما يعبر عنه بالنمو : والموجود الحي في طيه لدورته الخاصة وتحسنت شرائط معينة يلد مثله : والخلية هي اصغر جزء في بدن الموجود الحي حيواناً كان ام نباتاً وهي لاجل ادامة حياتها تحتاج الى الغذاء والاكسيجن ومن طريق جذبها تستطيع ان تولد مثلها : والموجود الحي من ناحية تأمين غذاءه ودفع المواد الزائدة تراه في مبادلة دائمة مع محيطه فعلى هذا يكون وجود الماء المحتوى على الاملاح اللازمة ووجود الاوكسيجن والمواد الغذائية من اهم الشرائط الكيميائية للمحيط . اذن يلزم ان يكون المحيط واحداً للماء ذى الاملاح لان الماء المقطر لا حياة معه وللغذاء القائم بكل احتياجات الموجود الحي وللواوكسيجن الذى هو نوع غذاء غازى . فهاهم علماء الطبيعة يصرون بلزوم كون محيط الموجود الحي واحداً للغذاء القائم بكل احتياجات الموجود الحي وللماء ذى الاملاح وللواوكسيجن وان الموجود الحي دائماً هو في مبادلة مع محيطه منه يأخذ غذاءه واليه يدفع زوائده : ومع مقارنة هذا بما اسلفناه يتضح ان في مواليدي الطبيعة ابداعاً مادياً وسوى ذلك لا يعقل تكثرها الهائل مع بقاء المواد الطبيعية على حالها : وان قال قائل انها تتمون من مواد نجهلها تحقيقاً قلنا لا يجوز لنا ان نعطي محسناً من ايدينا لاحتمالات لم نقف على تقررها : وعلى كل حال فالتكثير الفاحش في المواليدي الحية لا يكاد ينكرو كون ان هذا التكثير مما لم يولد كسراً واضحاً في المواد المحسوسة لنا من ماء وتراب ونظير ذلك مما هو محط انظارنا فامر مسلم للجميع وادعاء ان اهم التغذية يكون من اشعة الشمس والهواء والواوكسيجن مما لا يرتبط بالمواد المطروحة امام النظر المعتاد ادعاء لا يعلم مبلغ

صحته : اذن فالتكثير المادى فى المواليده مع عدم نقص محسوس فى المحيط المادى من ماء و تراب وشبيه ذلك قطعى الحصول و كون مادته من امور اخرى خفية ادعاء مجرد وهو لا يقاوم ما حصل بالقطع وسيجىء فى البحوث القادمة خصوصاً فى بحثنا عن النبات فى الفصل الرابع من هذا الشرح ما يعين على ما ارتئيانه هنا من الابداع المادى : ومع هذا كله فلا غرابة من محدودية العقل ان يقف امام الظواهر الكونية موقف البهت والحيرة ومهما سلح نفسه :

والماديون الذين - من دون تصور - يقولون باولية وابدية المادة اشد حيرة من المبدئين و دونك نبذة مما جاء عنهم لتعلم ان العلم مهما بلغ رشده فهو قاصر عن ان يلم بالقليل مما طفق على وجه الوجود واما كوامن الكوائن فأمرها فى الخفاء جد عظيم .

و لقد اعترف اكابر الماديين و اعظم الفلاسفة الحسينيين بالقصور عن درك ما فى مشهد الكائنات و اظهروا الخضوع امام عظمتها القهارة و مظاهرها الجبارة فقد قال العلامة (بيو) فى كتابه شذرات علمية وادبية ( وحدى مادة اله ٥٢٥) بقدر ما اتدبر فى نظام هذا الوجود وسعته و فى جميع عجائبه اعجب من هذا الابداع المدهش و ارانى فى حالة عجز عن تفسيرها و تعلييلها و انى لا تجاسر بأن اقول انى جربت ذلك بنفسى فان تلك التفسيرات الناقصة و التعليقات الكاذبة او المبهمة التى يريدان يقنعنا بها بعض الكتاب العصريين بصفة مدركات سامية لا تظهر مجحفة و تافهة الا اذا قورنت بالطبيعة نفسها : و ان الذين تشرفوا بمعرفة بعض جمال الطبيعة و احسوا بها وجدوا انفسهم مرغمين لان يعتبروا الذين يريدون ان يشوهوا هذا الجمال بتدليسهم القبيح كفاراً ملحدين فان كل الكائنات العضوية متمتعة بوسائل حياتها الذاتية المتنوعة فى اختلاف اجهزتها مثل تنوع الكواكب الزواهر فى القبة الزرقاء و زيادة على هذا فاننا لانشاهد الا ما يظهر لنا من ذلك فى الخارج وقد حجب عنا ما هو اعجب و اغرب بعيشك قل لى من هذا الذى استطاع ان يفهم الاعمال الكيمائية الخاصة بالاعضاء الحية لهذه الكائنات و التى هى السبب فى حر كبتها الارادية و غير الارادية - ما ذا

اقول- من هذا الذى استطاع ان يفهم سر طيران الذبابة وسر الاعيب الفراش اذا وصل بنا ادراكنا الى معرفة القابليات الخارجية لهذه التراكيب الجسمانية والى تحديد العلائق المقصودة الموجودة بين الاجزاء التى تتألف هى منها قلنا اذا وصل ادراكنا الى هذا ثم عمينا عن رؤية الحكمة التى امرت بها ونظمتها وعشينا عن تنورها فى صميم هذا المجموع نكون قد ناقضنا ضمائرنا مناقضة تامة : اما انا فاريد على الاقل ان اتعلم من هذا المشهد العظيم بانى جاهل لا ادرى شيئاً - ا ه - وستأتى تمة لهذا البحث فى الكلام على خلق آدم من هذه الخطبة .

بلا روية أجالها- لان الروية معناها التفكير والتأمل وضرب الصور الذهنية بعضاً ببعض لاجل الاستطلاع على ما هو الاقرب الى الصواب والعالم بحقائق الاشياء بل المحيط بكل امر قابل لان ينيره العلم فى غنى عن ذلك لانه بالنسبة اليه تحصيل حاصل : واجالة الشىء هى تقليبه من كافة وجوهه، ولا تجربة استفادها فان التجارب انما تنفع الجاهلين . ولا حركة احداثها، ليستعين بها على الصنعة فانه فوق الاستعانة لاستغنائه المطلق عن كل شىء سوى ذاته البسيطة الواجدة لكل كمال ، ولا همامة نفس ، مؤنثة الهمام بالفتح يقال لاهمام لى اى لاهم بالشىء نص على ذلك اهل اللغة، اضطرب فيها ، اى لم يهمه انشاء هذا الخلق العظيم لانه فوق كل ذلك والاضطراب فى الشىء هو الذهاب والاياب فيه لتحصيل النتيجة منه ، احوال الاشياء لاقواتها ، بمعنى انه احوال خلقة كل شىء لوقته الخاص الذى يراه تعالى من المصلحة او انه تعالى بعد ان خلق الاشياء على طبائع خاصة احوال كل شىء منها لوقته الخاص بنضجه او بانتاجه او بفعله وانكماشه وما الى ذلك من شؤون طبيعة الشىء فى قبالة شىء آخر ، ولاء م اى اوجد الالتئام ، بين مختلفاتها ، اى بين مختلفات الاشياء والطبائع فعدا كل منها يعمل عمله الخاص به من دون ان يصطدم بمخالفه ففى نوع الطبائع المتعددة القائمة بتشكيل وجود واحد اختلاف فى التأثير ولكن الكسرو الانكسار الذى يحصل فى افعالها وتأثيراتها هو الذى يجعلها قابلة لاستمرار العمل على ما فيها من اختلاف وهذا هو معنى الملائمة بين المختلفات . وغرز غرائزها ، اى جعل غرائزها نظير مصر الامصار اى جعلها امصاراً والغريزة هى السجية والمنظورانه

جعل فى الاشياء الاستعدادات التى تبعث الغرائز من عالم التقدير والكمون الى عالم الفعلية والظهور ، والزمها ، الضمير يعود للغرائز واما ضمير ، اشباحها ، فيجوز ان يعود الى الغرائز كما يجوز ان يعود الى الاشياء وطبعاً لاتعمل الغريزة خارج الشبح الذى هو آلة لابرآثارها من انكماش الجبان واندفاع الشجاع وما هو من هذا القبيل اذ الغريزة نفسها كيف نفسانى لا يستقل فى وجوده الا بجوهر يقوم به ، عالماً بها قبل ابتدائها ، لحضور علمه له بكل معلوم وكل ما فى الوجود من شىء فانه معلوم له فى الازل وعن علمه فى الخارج تعين وحصل ، محيطاً بحدودها ، اى باطراف طبائعها من لوازم وذاتيات ، وانتهائها ، اى فنائها وتلاشيها حسب ما تقرر لطبائعها من بقاء وانتهاء ، عارفاً بقرائنها ، جمع قرينة مؤنثة القرين وهو ما يقترن بالشىء ، واحنائها ، جمع حنوو هو ما يضطم على الشىء ويكون له كالسور نظير تسور القلب والكبد والرءتين باحناء الضلوع والمراد بالقرائن والاحناء هنا هو ما اقترن بالاشياء التى خلقها واضطم عليها من غرائز ووسجايها ولو ازم وهيا كل تحيط بها .

### (ومنها فى صفة خلق آدم)

ثم جمع سبحانه من حزن الارض وسهلها ، وعذبها وسبخها ، تربة سنها بالماء حتى خلصت ، ولاطها بالبلية حتى لزبت ، فجبل منها صورة ذات أحناء ووصول ، واعضاء و فصول ، أجمدها حتى استمسكت ، وأصلدها حتى صلصت ، لوقت معدود ، وادم معلوم ، ثم نفخ فيها من روحه فمثلت انساناً ذا أذهان يجيئها ، وفكر يتصرف بها ، وجوارح يخدمها ، وادوات يقبلها ، ومعرفة يفرق بها بين الحق والباطل ، والاذواق والمشام ، والالوان و الاجناس ، معجوناً بطينته الالوان المختلفة ، والاشباه المؤتلفة ، و الاضداد المتعادية والاخلاط المتباينة ، من الحر والبرد ، والبلية والجمود ، والمساءة والسرور .

### (الكلام على كون العالم ووجوده)

قد اسلفنا طرفاً من القول عن لزوم الصانع للمكون بصفات خاصة : ولنتعرض الآن الى نبذة مما يراه الماديون فى بذور وجود العالم واصوله - فقد قال ديموقريط-

وهو فيلسوف يوناني قديم كان عايشاً في القرن الرابع قبل المسيح ويعتبر شيخ الماديين وامام الفلاسفة الحسينيين: بدوران ذرات الاجسام حول نفسها في الفراغ في آماطويلة لاتدخل تحت حسابان تكونت كل هذه الكائنات على اختلاف انواعها واشكالها (دائرة معارف وجدى مادة ألهص ٥٢٣) .

ونحن اذا لاحظنا هذا الكلام وجدناه تكريراً للدعوى بنفسها اذا الدعوى التي نريد تثبيتها من القوم ان الاجسام وموادها الاولية كيف وجدت ولا يفترق في الدعوى تعبيرنا عن المواد الاولية بانها أجزاء او مواد او ذرات او جواهر فردة وما الى ذلك فان هذا الاختلاف في التعبير لا ينتج للمدعى نتيجة يقتنع هو بها وجدانا او يقنع بها طرفه اذا كان من العقلاء .

ولا يكاد يدرك العقل ان دوران الذرات حول نفسها مما ينتج جسماً اذا خلايا واعضاء واجهزة و كل خلية وعضو وجهاز له فعل خاص له هدف موزون يحس به ذوالحس من نفسه وتأتي عنه ثمرات كبار ومجسولات عالية الآثار : واحالة ذلك الى الآماطويلة سفسطة وتعمية على البسطاء : ويأتي في تكلمنا عن الذرة في فصل العلوم والفنون وغيره ما ينفع في المقام .

وقال شبلي شميل ( بحكاية انوار الهدى ص ٥٢ ) ان الماديين وعلماء الطبيعة ذهبوا الى ان العوالم مؤلفة من اجزاء صغيرة لاتقبل القسمة سموها الجواهر الفردة و هي المادة الازلية الابدية التي لاتتلاشى ويستحيل ايجادها بعدالعدم .

وهذا القول اخو القول السابق وتكريره فلاقيمه له : و دعوى الازلية للموجود مستحيلة التحقق من دون مدرك فان قيل انتم الموحدون تدعون الازلية للمبدأ الاعلا ايضاً فمامدرككم قلنا نحن انما ندعيها للمبدأ الاعلا من طريق ان الآثار الملجئة الى وجود المؤثر قاضية من طريق العقل ان وجود هذا المؤثر لا يجوز ان يكون مفاداً والاخرج عن كونه مبدأ اعلا و صار واحداً من هذه الآثار التي استفادت وجودها من غيرها واذالم يكن مفاداً لزم بالضرورة ان يكون ذاتياً له و اذا كان وجوده ذاتياً لغير مفاد لزم ذاتيته بالقهر : فان قيل فليكن ما أحبتم به جواباً للماديين انفسهم حيث اعتبروا

الجوهر الفرد مبدأً اعلا لكل المبادئ و الاصول قلنا الجوهر الفرد ليس به ان يقوم بمستدعيات الآثار الشاخصة التي نلمسها فان الجوهر الفرد لا يستطيع ان يعلل الحياة و العلم و الادراك العقلاني و القصد و الاختيار و القدرة الموجودة في الانسان الذي هو بعض الآثار الشاخصة كما لا يستطيع ان يعلل الحكمة الدقيقة المنبثقة في انواع الحيوان كلها و هكذا البدائع الموجودة في عالم النباتات و هكذا القوى المودعة في اطباق الطبيعة المحيرة للعقول بل هذه المعلومات في حاجة ملجئة الى مبدأ جامع لاسناخ هذه الكمالات بصورة قوية يستطيع ان يكون واهباً لهذه الهبات العظيمة و معطياً لهذه البضائع الضخمة اذ فاقد الشيء لا يعطيه و لما لم يكن الجوهر الفرد كذلك لم يكن مبدأً اعلا و اذا لم يكن كذلك كان هو بنفسه من الآثار اذا كان له وجود رهن اذ كل ما سوى المبدأ الاعلا مما تلبس بالوجود فانه معلول له فلم يحصل ما يدعو الى ازيلته بل هناك ما يقضى بعد تحقق وجوده بان وجوده مفاد من غيره فهو حادث لا ازالى كما لا مقتضى لان يكون ابدياً فان وجوده لا يقتضى ذلك من نفسه والقوة التي ابدعته بعد العدم تستطيع ان تعدمه و لو لم نعرف انها كيف تعدمه كما لم نعرف انها كيف اوجدته و جهلنا بكيفية كل ذلك لا يضر بشيء مما اسلفناه اذ الجميع من موحد و ملحد معترف بهذا الجهل لاعترا فاه بمحدودية العقل الانساني في قبال هذه العوالم القاهرة: وعن طمس ( انوار الهدى ص ٥٢ ) ان الجواهر الفردة انما هي حلقات زوابعية في الاثير او الهبولى فالعالم مؤلف من سائل تام الاتصال مالىء للخلا و هذا ايضاً تفنن في التعبير عما قاله ديموقريط فان الحلقات الزوابعية معناها حركة الشيء على نحو الاستدارة و الاثير هو الذرات الصغيرة و لم يبين لنا ما هو السائل التام الاتصال و لا كيف وجد فما قاله دعوى مبتورة تحتاج الى ما يثبتها .

وذكر الدكتور شبلى ( انوار الهدى ص ٥٢ ) عن غوستاف لبون ان كل الابحاث النظرية لمعرفة تكون الجواهر الفردة متفقة على التسليم بان الاثير مصدرها و هو وان كان فرضاً مزموماً الا ان القول به يظهر للبعض انه أثبت من القول بالمادة نفسها: وهذا الانسان انصف نفسه و اراح طرفه حيث اعترف بان الاثير فرض مزموم و انما

صور باللفظ ليجعل اساساً لغيره و ما كان اساسه فرضاً من عوماً كان هو فرضاً من عوماً  
مثله اذ الفرض الخالي لا ينتج شيئاً .

وعلى وتيرته ذكر بخنر (انوار الهدى ص ٥٠ ) ان جواهر ديموقريط تصويرية  
بمعنى انها افترضت افتراضاً لتسهيل التعليل عن احوال الكون وان جواهرهم اصغر  
من جواهره جداً وهى تصويرية ايضاً .

لكن الظريف قوله ان جواهرهم اصغر من جواهره بعد الاعتراف بان الجميع  
تصوير فرضى والفرض مهما بلغ لا يفترق صغيره عن كبيره فى كون الجميع لاشيئاً .  
هذه نتف من اقوالهم فى اصل و كيفية تكون العوالم وهى باسرها راء ليس  
باستطاعتها ان تثبت مطلوبهم : ومن آراءهم فى بعض المخلوقات : ان طمس قال به جىء  
بذور عالم الارض من كرات اخرى محمولة على ظهور النيازك والشهب (نقد دارون ج ١  
ص ٢١٦) وهو لعمرى لفظ لا يعرف مامعناه فهل ان هذه البذور التى يشير اليها كبذور  
المقول فيقال انها كانت ملقاة على سطوح بعض الكرات فالقى بها الهواء العاصف من  
تلك السطوح فصادفت فى هويها شهباً القت بها الى كرة الارض فنبتت على ترابها فكان  
كل ما فى الارض مما هب "ودب" من اثر ذلك : أليس هذا سخرية لا ينبغي ان يتفوه بها  
ذو شعور وكم فى ذلك من مؤاخذات لاتحد .

و بمثله قال ( اغا سنر ) انه يظهر من احافير الدور الاول ان انواع الحيوان  
كانها ظهرت كلها فى برهة وجيزة لان تلك الطبقة رقيقة لم يقتض تكونها زمناً طويلاً  
(نقد ج ١ ص ٢١٧) .

ومنظوره من رقة تلك الطبقة ان قشرة الارض كانت رقيقة جداً لكن ما ربط  
ذلك بظهور انواع الحيوان كلها دفعة واحدة فهل معناه ان انواع الحيوان كلها  
كانت مخزونة تحت الارض فشقت قشرتها لرققتها وأطلعت رؤسها منها فهذا أمر لا يفهم  
لعراقته فى السقوط : ولا نعرف للفظ الذى ساقه مفهومه آخر حتى نحمله عليه .

ثم كيف دلته احافير الدور الاول على ذلك الذى يدعيه فان استطاع ان يتوصل  
به الحفر حتى يتصل بعهود رقة قشرة الارض فيعثر باجسام حيوانية متحجرة فان ذلك

انما يكشف له جسم حيوان او حيوانات متعددة لانواع الحيوان كلها فان تصوير جمع انواع الحيوان كلها في رقعة ومهما اتسعت من الارض غريب على الذهن بل مستحيل التصور لان انواع الحيوان كلها ومهما فرضنا في عدد جزئياتها قلة فان هذه الانواع بنفسها خارجة عن حدود الاحصاء وفيما بينها من التعادى الطبيعي ما لا ينكر وذلك مما يمنع تجمعها في رقعة واحدة وعلى فرض تصوير هذا فكيف تسنى له تصوير حفرشقة واسعة من اعلا الارض الى تخومها بحيث تسع كشف المكتشف لمتحجرات هذه الكثرات فما ارتآه هذا الانسان راى لم يصدر عن عقل ناضج اصلا : واغنية الاحافير لاتزال ورد افواه هولاء المتحكمين فكم حكموا ان الاحافير اوقفتهم على وسائط توسطت في انتقال نوع الى نوع وان هذه الوسائط برازخ بين النوعين ونحن على تسلمنا لصدق ما يدعونه عن هذه الاحافير نقول لهم من اين علمتم انها وسائط في التحول من نوع الى نوع آخر ولم تكن هي بنفسها نوعاً مستقلاً من الخلقة انشأ ابتداء على هذه الصورة فهل تملكون في الجواب غير الاحتمال المجرد .

وهذا نظير ما يقولون ان بعض الامراض في الآباء يظهر من طريق الوراثة في الابناء ولوفى الحفيد الرابع والخامس ومن هو ابعد من ذلك فمن اين علموا فحكموا ان مرض الحفيد بالسل مثلاً جاء من طريق الارث عن الجد الذى كان مبتلى به وما الذى يمنع ان يكون مرض الحفيد مرضاً ابتدائياً جاءه من طريق الاسباب التى سببت لجدده هذا المرض الابتدائى اليس كل هذا من التخرصات والاحتمالات المجردة وهكذا يقال فيما يدعونه من ان النبات الكذائى من فصيلة النبات الكذائى الاخر لا اشتراكهما فى بعض الخصوصيات والصور الشكلية : ومن ان الحيوان الكذائى من فصيلة الحيوان الكذائى الاخر لليلة المزبورة فمن اين احرزوا ما ذكروه وكيف لا يصح ان يكون كل نبات وكل حيوان اصلاً برأسه كما هو مستعمل بالفعل وان اشترك مع نبات آخر او حيوان آخر فى جملة من الخصوصيات افليست هذه الاحكام قائمة على تخرصات محضة واحتمالات مجردة .

وهكذا قول ( هويت الامريكى ) ان انواع النبات ظهرت دفعة واحدة فى العصر



الكاربوني (نقد ج ١ ص ٢١٧) وهكذا قول (ليل) ان تولد الانواع حتى العليا رأساً كان تولداً ذاتياً في كل الادوار بطرق غير معروفة من طرق الطبيعة (نقد ج ١ ص ١٠) واذا كان ليل يعترف بان تولدها كان من طرق غير معروفة فكيف قال انها من طرق الطبيعة لاغيرها .

ونحن يكفيننا في تضليل هؤلاء فضلا عما اسلفنا. ما يورده عليهم ابناء جلدتهم هازئين بهم (ففي نقد دارون ج ١ ص ٢٢٠ وما بعدها) ان بعض علماء العصور وكتابه قال في هؤلاء الماديين انهم يوردون من الحقائق ما يؤيد رأيهم بحسب الظاهر ويتغاضون عما ينبغي ويتخذون المفروض كامر مثبت ويفسرون الحقائق على ما يوافق آرائهم: وقال شبلي في كتاب الحقيقة : و الحق يقال ان مذهب الانتقال و ان كان تغلل به اشياء كثيرة لاتفهم بدونه لكن لاينكر انه ناقص كما بسطه دارون : ومن مضايقة خصوم هؤلاء لهم التجأ بعض منهم الى القول بالتحول الفجائي (نقد ج ١ ص ٢٠٥) وقال (كروبتكن) في تضعيف دارون ان دارون لم تبق آراؤه على ما كانت عليه بل تساهل فيها عندما اخذ يبحث في تنوع النباتات و الحيوان بحثاً مسهباً و ارتاب في كفاية الانتخاب الطبيعي : وقال كروبتكن في موضع آخر ما هو أدهى من ذلك وهو ان دارون لم يكن يعتقد الانتخاب الطبيعي وانما اراد ان يسد به باب القصد على القائلين به وذلك حيث رأى دارون ان (لامرك) ذهب الى ان في الاحياء عميلاً الى التقدم من نفسها و ان عند الحيوانات شيئاً من الارادة يساعد ها على الارتقاء فخشى ان يفتح بذلك باباً للقائلين بالقصد فيقفوا في سبيل العلم (نقد ج ١ ص ٢٠٦) ولما قال طمس ان يبس قشرة الارض لايمكن ان يكون قد تم في اقل من عشرين مليون سنة ولا اكثر من اربعمائة مليون سنة وانه يقتضى ان يكون بين ثمانية وتسعين مليون سنة و بين مائة مليون سنة قال دارون في ملاحظته على هذا الكلام ان الفرق بين هذه الحدود يدلنا كم هي الا دلة الضعيفة (نقد ج ١ ص ٢٠٤ وما بعدها) .

وقد انصف من اعترف بالعجز امام من تورط و اتخذ المباهمة طريقاً للوصول

الى مقاصده ولكنه لم يصل : فقد قال العلامة القرنسى (لوجيل) فى كتابه العلم والفلسفة نحن لانعلم ولا نرى الا الظواهر و القشور اما الحقيقة والعللة فتأبيان ان تنكشفا لنا (وجدى مادة مدد ص ٥٠٦) .

وقال العلامة الانجلىزى - استوارميل - كما نقله عنه الاستاذ جون لبوك : تبدو الينا الحياة الانسانية محاطة بغوامض الاسرار فترى دائرة تجاربنا الضيقة كأنها جزيرة صغيرة ضالة فى بحر لانهاية له يرفع احساساتنا ويساعد قوتنا الخيالية بعظمه و ظلامه ومما يزيد ذلك السرغموضاً ان مجال حياتنا الدنيا ليس كجزيرة فى فضاء غير متناه فقط بل فى زمان غير متناه ايضاً - ١ هـ - (وجدى مادة أله ص ٥٢٥ وما بعدها) .

وقال شبلى شميل : ليس فى طاقة الطبيعى ان يعلم الحقائق والماهيات : وقال بخبرانه ليصعب علينا ويستحيل ان نعرف كم يخص كلا من هذه الاسباب ويظن دارون انا غالباً لانعرف النواميس : وفى اصول الانواع لدارون كثيراً ما تستغلق دوننا وجوه الرشد فى اكتناه دستور محكم نستتر شد بهديه فى ظلمات هذه الابحاث (انوار الهدى ص ٢٦) .

وقال (سبنسر) وهو الذى يطريه اهل التعطيل غاية الاطراء ان الوجود على قسمين ما لا يمكن معرفته وما يمكن وخلاصة رأيه فى القسم الاول ان ادراك الانسان محدود فاذا بلغ حده استحال عليه معرفة ما وراء ذلك وان فى الطبيعة قوة يستحيل على العقل البشرى ادراكها ويرد كل المسائل المتعلقة بواجب الوجود وعللة العلل او العلة الاولى والغاية الاخيرة الى الدين او الى ما لا يدرك بالعقل البشرى او الى ما هو وراء الطبيعة لان العقل مقيد فى بحثه بقيود لا يستطيع حلها فلا يستطيع الوصول الى كل الموجودات ولذلك فما يستطيع العقل ادراكه محصور فى العلل الثانوية والغايات الثانوية التى نراها تنتج عنها ( نقدج ١ ص ٢٨ وما بعدها) .

هذا واذا كانت الضرورة الجأت الماديين الى ان يفترضوا الاثير والجواهر الفردة ليجعلوها اصلا يبنون عليه المادة وانشعاباتها الوفيرة فقد كان الاخرى بهم ان يفترضوا علة العلل بالسهولة التى يقول بها الموحدون من كونها مبدء حياً مقتدراً

عالمًا ازليًا ابدياً مجرداً حكيماً فان فرضهم الاثير والجوهر الفرد لا يصححان لهم ما في هذه الاكوان من موجودات عظمتها باهرة واجهزتها وافرة وانتاجاتها عظيمة : الاثير لا يصحح الحياة ولا الادراك العقلانى الجبار : والجوهر الفرد لا يستطيع ان يعمل الاجهزة القهارة في الانسان والحيوان العاملة لمقاصد حكيمة واغراض عقلائية : فلم يستقم للماديين كل ما حاولوا من طريقه اثبات اصل بغيتهم بالنسبة الى ما يقول به الموحدون وطريق الموحدين بالانتقال من الاثر الى المؤثر طريق لامعز فيه وهو طريق طبيعى خالص بقيمومة العلم عليه .

فالحق ان هذه المعلومات التي فاقت كل وصف وعز ادراكها على اعظم الادراكات تستوجب لنفسها مبدءاً يستطيع ان يقوم بها فهو اذن لا بد وان يكون حياً عالمًا حكيماً مقتدرًا مختارًا ازليًا ابدياً مجرداً لان معلوماته واجدة لسنخ اغلب هذه الاوصاف والباقي من تجرد وازلية وابدية فقد اقتضاه البرهان القاطع وقد اسلفنا كلمتنا عن هذا الموضوع فلانعيد :

وهناك امر يجب الاشعار به لاثبات كون المبدأ الاعلامباشراً لخلقة المخلوقات باسرها فرداً فرداً وجزئياً جزئياً وانه مستمر القيمومة عليها باعتبار حدوثها وتجدها في اجزاء الانات القصيرة فضلاً عن الاحيان الطويلة وان ما يعتبر سبياً في التوالد ليس الا اعداداً محضاً - وذلك هو ان انرى افراد النوع الواحد متفاوتة فيما بينها تفاوتاً عميقاً لانتلقى معه الا فى اصل عام فاذا كان توالدها طبيعياً محضاً لا دخل فيه لتدخل اى امر آخر بحكم ارث الفرع ما فى الاصل وجب ان يكون الولد عين ابيه فى كافة اشكاله وصوره فى حين ان الامر بخلاف ذلك حتى انما ع فرض كمال المشابهة بينهما نرى بين ذاك وهذا من الفروق الجمة ما تلمسه حاسة كل انسان واما ما حصل بكثرة ساحقة من انشمار الولد عن ابيه شكلاً وصوره وسجية وصفة و احتفافات اخلاقية فهو مشهود كل بصير من تولد القصير من الطويل والطويل من القصير والاسود من الابيض والدميم من الوسيم والجبان من الشجاع والبخيل من الكريم والعى من المنطق والبليد من الذكى والعقيم من الولودالى ما سوى ذلك مما لا يحسد ولا يعد بل حتى ان العيان ترقى

بنافا ثبت انك لا تكاد تجدورقتين في غصن واحد من شجرة واحدة من ثلثين في الشكول و الخطوط : وهكذا يقال في تخاطيط اصابع الانسان فانك لا تجد اثنتين من الناس متفقين في خطوط اصابعهما : فيعلم بالقطع ان كل واحد من هذه الانشعاعات له خلقه خاصة وقد صنعه منشؤه صنعة مستقلة وهذا معنى استقلال الخالق بالمباشرة لمخلوقاته وانها باستمرار حدوثها وتجددها وشخصها الى العيان تستلزم استمرار وجوده .

وقديتبدل بعض الحمقى فيقول ماهذه الصرخات المزعجة حول الخلقه وتهويل امر الكائنات الحية ونحن بطور عادى نرى انخلاق ملايين الحشرات خلقه ابتداءية من غير توالد في الآلات القصيرة من طريق المياه المتعفنة والعذرات والقاذورات وما الى ذلك ولكنه لا يشعر ان ما ابتدئه يعود بعد الدقة والتأمل فيه من اغرب الغرائب على العقل فان ظاهرة الحياة وما لها من آثار امر وراء ذرات العذرة والقذارة والماء المتعفن وما كان من هذا القبيل نعم هذه المواد تحت شرائطها الخاصة التي حصلت لها صارت مستعدة لطروء الحياة عليها لاستتمامها قابلية الطروء والحياة ظاهرة بسيطة وراء المادة وليست هي في نفسها امراً مادياً بالمرة فكل جزء من اجزاء المادة بانضمامه الى الجزء الاخر ووجدان الجميع للشرائط الخاصة بهياً نفسه لقبول طروء الحياة عليه وهو في حد ذاته لا يملك سوى الاستعداد المحض لقبول ذلك : وليست الحياة في ظاهرتها مما تقبل التبويض حتى يكون كل بعض منها موجوداً في كل جزء على سبيل الاندكاك حتى اذا التئمت الاجزاء تجمعت الابعاض وظهرت الى الوجود المكشوف بل هي كما اسلفنا ظاهرة واحدة غير قابلة للتوزع فاما موجودة واما مفقودة كما انها ليست من وادى الماديات .

غاية ما في الباب ان يسأل الانسان عن الحكمة في هذه المخلوقات واعطائها ظاهرة الحياة و جوابه عجز العقل عن ادراك ذلك وعن ملايين سواه : و بعين هذا الجواب يجاب من يقول ان علماء الطبيعة في صددتها بهم للخلايا الحية من طريق جمعهم لمواد خلقتها فاذا توفقوا لجمع هذه القوابل وطرات عليها الحياة كان ذلك مغنياً عن الاحتياج الى الخالق .

واما حديث النشوء والنماء ، وتنازع البقاء و انتخاب الطبيعة لبقاء الاصلح و ان هذا البرنامج هو الذى احوال القرد الى انسان فهو اضحوكة لعقمة فى كل فقرة من فقراته فكم تنازع البقاء ضعف وقوة فتلاشى الاقوياء وبقى الضعفاء وكم ساير الشذوذ فى الخلقة والعيوب والهيات والنقص فعل الطبيعة واقترن بها - ولا يزال - فلم تؤثر عليه :ومند عهد البشر نفسه رأى فى افراده كاملا وناقصاً قوياً وضعيفاً معيباً وسالماً شاذاً و تامةً ولم ير الطبيعة بحكم انتخابها للاصلح نزعت عنها هذا العار فابقت المخلوق الصالح ونفت الشاذ المعيب كماله يعهد البشر منذ اقدم عهوده الى اليوم ان قرداً تحول الى انسان او سمكة تحولت الى طير .

او ان الضرورة الملحة خلقت للمناقص ما يرفع به نقصه الشاق عليه : أفيحال بكل هذا الى ما قبل العهد البشرى فقط فيقال ان الطبيعة كانت تفعل هذه الافعال وتلزمها هذه الاحكام حين لادار ولا ديئار سوى الخلاع ودوران ذرات الاثير فيه .

وبعد فهذا الكلام من القوم يعدُّ ثرثرة لاحكمة وجنوناً مطبقاً لا عقلاً ومنطقاً والاكثر من هذا القليل تطويل بلاطائل قامت به سمسارة الدجل والتدليس لرموز خاصة اهابت بها لتحصيل سلطان لامسؤولية معه وهو ارسال الافراد الى تيه الضلاله والانفلات على كل قيد وابطال كل ناموس حتى ناموس العقل فان القوم الذين تسلحوا به فى قمع الموحدين جاؤا بعد ذلك ينكرونه بالمره و يحسبون الانسان كواحد من هاته الحيوانات التى تسرح وتمرح وتسافد فى الشوارع والمشارع ويتكالب القوى منها على الضعيف والحاكم على المحكوم والمدلس المثلون على الطاهر البسيط وانه لامعنى للوفاء والحياء والاباء والورع والاحتياط ولا حرمة للعهود والمواثيق ولا مجال للعدل و احقاق الحق وكل هذه الانحرافات التى تشاهدها دنيا البشرية منذ جاءت هذه الفلسفات الى عرصه الوجود وحتى اليوم نتيجة هذا الالحاد الظالم ومنبعث عن هذه الروحيات المنحطة العابثة بكرامة النوع الانسانى .

ولم ير انسان هذه القرون المتمدنة الا اعصاراً فيه نار قد عصفت بكل الدنيا فاحالها الى بر كان نائر قد سمح العيش معه وقلت الاحترامات فيه وذررت من طريقه اصول

العدالة الاجتماعية وانك لاترى الشعوب الضعيفة والامم المحكومة والافراد المستضعفين الا بحالة يرثى لها حقاً ولقد اصبحت الحياة على ضعفاء بنى آدم من اثقل الاحمال المجهددة فياقتل الله دارون وبخنرومار كس ولنين وكل زعماء عهد الذرة والصاروخ

## (ودونك تتمة الفصل السابق فى صفة خلق آدم)

واستأدى الله سبحانه الملائكة وديعته لديهم وعهد وصيته اليهم فى الاذعان بالسجود له والخنوع لتكريمته فقال سبحانه اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس اعترته الحمية و غلبت عليه الشقوة و تعزز بخلق النار و استوهن خلق الصلصال فاعطاه الله النظرة استحقاقاً للسخطة واستتماماً للبلية و انجازاً للعدة فقال انك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم .

ليس المنظور بقوله **عَلَيْكُمْ** ، ثم جمع سبحانه ، انه فعل ذلك بنفسه لان مباشرة العمل الخارجى تنافى بالذات هوية المجردات فأذن امر هذا الجمع يدور بين الابداع مرة واحدة ولا ينافيه ما ذكر من التفصيل فى عبارة الامام **عليه السلام** فانه تفصيل للمجموع الصادر مرة واحدة وشرح لما قامت به هذه الهوية و بين امر الأمورين بالتفاصيل المومأ اليها وقد يكون الهدف من ذلك- مع انه تعالى اذا اراد شيئاً قال له كن فيكون على حد تعبير القرآن المجيد- تعليم من به القيام بنظير هذه الصنعة من حيث تركيب الاجزاء المتفككة ولم شعئها وجمع متفرقاتها ان يعمل على طريقة هذا العمل كما يعلم الاستاذ تلميذه الناشء ما يخصه من الدروس عملاً حرصاً على تثقيفه ورياضة لذهنه وجوارحه وكلا الاحتمالين صحيح معقول ، من حزن الارض ، وهو ما صعب منها وغلظ، وسهلهما ، وهو مالان منها وسهل ، وعذبها ، وهو ما حلا منها وخلص ، وسبخها ، بالتحريك وهو ماملح منها ، تربة سنها بالماء ، اى من كثير ما ضربها بعضاً ببعض نعمت وملت ، حتى خلصت ، اى اعطت كل زوائدها غير القابلة للذوبان والاختلاط ، ولاطها بالبلية حتى لزبت ، اى خلطها بالرطوبة وضربها حتى تلاصقت وتجمعت ، فجبل ، اى خلق ، منها . اى من التربة المزبورة ، صورة ذات احناء ووصول ، اى ذات جوانب واوصال

واعضاء وعين هذا المعنى يقال في قوله عَلَّمَ ، واعضاء وفصول أجمدها حتى استمسكت واصلدها حتى صلصت ، اى ايسها حتى صارت كالجسارة و من شأن كل وجود صلد أن يدوى بمرور ريح عليه او قرع له ودويه هو معنى صلصته ، لوقت معدود و أمد معلوم. الجار يجوز تعلقه بواحد من قوله اجمدها واصلدها : وانما فصل تعالى بين تمام اجمادها ونفخ الروح فيها لغاية هو يعلمها ، ثم نفخ فيها من روحه ، اى وهبها الحياة والعبارة كناية صرفة عما ذكرناه ، فمثلت ، اى شخصت بعد هبتها الحياة وسائر القوى والجهازات ، انساناً ذا اذهان ، اى قوى دراية فى باطنه ، يجيلها . اى يقلبها . و فكر ، جمع فكر ، يتصرف بها ، لمصالحه ومضاره ، وجوارح يستخدمها ، الجوارح جمع الجارحة و هى الاعضاء و اختدمه و استخدمه بمعنى واحد ، وادوات وهى بمعنى الجهازات و الاعضاء ايضاً ، يقلبها ، فى شؤونه واغراضه . ومعرفة . اعم من ان تكون ناشئة من العقل ام من المدارك الاخر ، يفرق ، ويميز بها ، بين الحق والباطل . مما يرجع لعالم المعقولات ، والاذواق والمشام و الالوان والاجناس ، مما يرجع لعالم الحواس الظاهرية ، معجوناً بطينته ، اى مبعوثاً فيها بشأ ، الالوان المختلفة والاشباه المؤتلفة والاضداد المتعادية والاخلاط ، جمع خلط ، المتباينة ، والمنظور بذلك الاعدادات والغرائز والطبائع ، من الحرو البرد والبلبة والجمود ، اى اليبوسة ، والمسائة والسرور ، الحسين والعقلين واستأدى الله سبحانه ، اى بعدان تمت خلقه آدم من جميع ما يريد الله له ومعنى استأدى طلب التادية ، الملائكة وديعته لديهم وعهد وصيته اليهم ، حيث قال تعالى لهم ( الاية ٧١ و ٧٢ من سورة ص ) انى خالق بشر آمن طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين ، فى الاذعان بالسجود له ، اى لادم امتثال الامر الله حيث زوى بذلك مقصداً لم يظهره لهم وان فهموا منه انه لتعظيم هذا المخلوق ، والخنوع ، وهو الخضوع ، لتكرمه فقال سبحانه اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس اعترته الحمية ، اى الغيرة لنفسه ومنشؤها نوعاً هو الحسد والتعاضم بالنفس ، وغلبت عليه الشقوة ، وهى الشقاء الناشء من التمرد على الوظيفة ، وتعزز بخلق النار ، اى انه مخلوق من نار وفيما حسب لنفسه ان النار

خير من الطين فأمره بالسجود لمن هو بزعمه دونه اذلال له وتخفيض لمقامه على ان زعمه لو تم لكان من وظيفته الامتثال لامر مولاه على كل حال، واستوهن ، اى استضعف، خلق الصلصال ، وهو ما خلق من الطين والله سبحانه امهالا واستدراجاله لم يعاقبه فى حينه ، فأعطاه النظرة ، بفتح النون و كسر الظاء المشالة وهى التأجيل والتأخير ، استحقاقاً للسخطه ، مؤنثة السخط وهو الغضب اى انما فعل الله ذلك ليستحق ابليس سخطه من طريق اصراره واستمراره على المعصية ، و استتماماً للبلية ، وهى الامتحان والاختبار . وانجازاً للعدة ، وهى الانظار الذى هو عبارة عن امهال المكلف واستدراجه ، فقال انك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم ، وهو يوم الحساب الذى انذر الله به المكلفين من ملائكة وانس وجن :

وتفصيل هذه البحوث يقع فى فصول - الفصل الاول - ما ذكره عليه السلام فى خلقه

آدم وارد فى القرآن على صور شتى متحدة المآل من السور المومأ اليها تالياً .

ففى سورة البقرة من آية ٣٠ الى آخر آية ٣٧

وفى سورة الاعراف من آية ١٠ الى آخر آية ٢٣

وفى سورة الحجر من آية ٢٦ الى آخر آية ٤١

وفى سورة بنى اسرائيل من آية ٦١ الى آخر آية ٦٦

وفى سورة الكهف من آية ٥١ الى آخر آية ٥٣

وفى سورة طه من آية ١١٥ الى آخر آية ١٢٤

وفى سورة ص من آية ٧١ الى آخر آية ٨٥

(الفصل الثانى) فى خلاصة ما جاء فى هذه الايات بحسب ظواهرها : ففى آيات

سورة الاعراف المومأ اليها ، ولقد خلقناكم ، خطاب لعوموم بنى آدم وخلقتمهم وان لم تكن

فى عرض واحد الا انها لما كانت متفرعة عن خلقه آدم وكان آدم هو رأس السلسلة

و كانت حلقات السلسلة فى الظواهر العامة واحدة صح خطاب الجميع بكلمة خلقناكم

والمراد بهذه اللفظة هنا خلقه اصل مادة الانسان ، ثم صورناكم ، اى صورنا موادكم

بالصور الفعلية التى اتم عليها ، ثم قلنا للملائكة ، وهم نوع من المخلوقات العاقلة ،



اسجدوا لادم ، ليس فى القرآن ما يعطى جهة هذا السجود على الحقيقة وانه لآدم والله غاية ان الظواهر المستجلاة تعطى كون السجود لادم من باب التكرم له ، فسجدوا ، امثال الامر المولى ، الابليس لم يكن من الساجدين . تعنتا وتمرداً ، قال ، له الله حينذاك ، ما منعك الا تسجد اذا امرتك قال انا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين . لم يعلم ابليس انه مخلوق من نار من طريق خلقته الفعلية التى كان عليها اذ استحيل ان تكون حينذاك ناراً بحقيقة النار المعهودة بل علم ذلك من اخبار الله اياه بان اصل المادة التى تقومت منها حقيقة كانت من الاجسام النارية المتهافة كما اخبر بنى آدم ان خلقتهم كانت من تراب ، وفى القرآن ما يعطى ان خلقة الجن كانت من النار وان ابليس كان منهم وسيأتى بعض الحديث عن ذلك والذى اغرى ابليس بهذه المفارقة بين النار و الطين ما يراه من كون النار لها فعل و اثر قوى " ومن كون الطين جسماً هامداً يتأثر بالنار وغير النار : قال فاهبط منها ، الهبوط حقيقة فى النزول من عال الى سافل ولو كان النزول نسبياً حتى لو كان من مكان الى مكان آخر غير محسوس الانخفاض وقد يستعمل فى التنزل المعنوى و ضمير منها بقرينة الايات الاخر الواردة فى قصة آدم يشعر بان أمره بالهبوط كان بلحاظ الناحيتين الحسية والمعنوية وان الناحية الحسية هى الجنة ويأتى الكلام عليها فى مكان آخر ، فما يكون لك ان تتكبر فيها ، على مولاك الذى خلقك ، فاخرج ، عن ساحة عز الحضور ، انك من الصاغرين ، الاذلاء بعدها ، قال انظرنى ، اى اخرننى من الانظار فى الاجل ، الى يوم يبعثون ، اى يبعث المكلفون من مراقدهم لحساب يوم القيامة ، قال انك من المنظرين ، اى من الذين أنسأنا أعمارهم واخرنا لفناء عليهم ، قال فيما اغويتنى ، اغواء الله اياه بنظره حصل من طريق انه طلب من الله الامهال الطويل فأجاب به اليه ولحن طلب الامهال منه كان مشعراً بالتهديد فهذا وذاك بزعمه مما أغراه بجهله و الاغراء بالجهل اغواء قطعاً لكن امهال العاقل ليس اغراء له بل هو فى الحقيقة مجال سباق يستطيع من طريقه ان يأتى من احسن المهذبين : اما امهال الجاهل ففيه من البلاء على نفسه وعلى غيره ما لا يعلمه الا الله ، لا تعدن لهم صراطك المستقيم ، اى لا تعرضن لهم سبل الخير وارجف بهم ما استطعت ولا ريب ان الانحراف نوعاً

مسبب عن الراحيف ، ثم لا تينهم من بين ايديهم و من خلفهم و عن ايمانهم و عن شمائلهم ، اى ائتى اليهم من كافة جهاتهم فأوسوس لهم من اى منقذ استطعت النغوذ منه اليهم ، و ، حينذاك ، لاتجد اكثرهم شاكرين ، لانعمك السابغة بل اجعلهم بما ارجف به مشككين حتى فى الحقائق الواضحة ولازم تأثرهم بذلك هو كفران النعمة قطعاً ، قال اخرج منها ، اى من الجنة السالفة الذكر ، مذؤماً . المذؤم جاء بمعنى المذموم والمعيب واللعين والمهان وهى متقاربة المعانى ، مدحوراً . اى مطروداً ، لمن تبعك منهم لاملان جهنم منكم . اى منك انت ومن تبعك ، اجمعين ، فان المنحرف بالارجوفة تلقى عليه يستحق التنكيل والتعزير لمكان عقله منه ، ويا آدم . هذا التفات تحذير وتنبية لادم من اغواء هذا العدو الجديد الذى اقترن باول حياته وسيبقى مقترناً به وباولاده الى آخر حياة الجميع ، اسكن انت و زوجك ، حواء ، الجنة فكلا من حيث شئتما ، لكن الاختبار وضع قدمه هنا لينكشف للطرفين من آدم وابليس موقفهما امام المعبود اما ابليس فمن طريق ما هدد به و اما آدم فمن طريق ما حذر منه ، ولاتقربا هذه الشجرة ، وستأتى الاشارة الى ما ورد فى شأنها ، فتكونا من الظالمين لا نفسكم بالمخالفة لربكم و ما يتصل بكم من نتائج هذه المخالفة ، فوسوس لهما الشيطان ، طبق ما اسلفه من التهديد ، ليبسدى لهما ما وورى عنهما من سوآتتهما ، السوأة هى العورة و نحن لا تتميز من هذه الاية كيفية ارتباط ظهور عورتها لهما باكلهما من الشجرة التى نهاى عن الاكل منها ويأتى ما يفيد فى المقام ، وقال ، فى وسوسته لهما ، مانها كما ربكا عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين ، كانهما كانا يجدان فى انفسهما انهما دون الملائكة قدراً ، اوتكونا من الخالدين ، فى الحياة ، وقاسمهما ، اى اقسام لهما ليتأكدمن نفوذ قوله فى نفسيهما ، انى لكما لمن الناصحين ، فيما اشرت به فدلاهما ، اى اوقعهما فى المكروه ، بغرور ، منه لهما واغترار منهما به فلما ذاقا الشجرة ، المنهى عنها ، بدت لهما سوآتهما وطفقا ، اى شرعا ، يخصفان ، الخصف هو وصل الشىء بالشىء او هو الترقيع ، عليهما من ورق الجنة ، كانا قبل ان يطعما من الشجرة عارين لكنهما لم يستقدرا ذلك من انفسهما فلما ان طعما منها وتميزا ظهور سوآتهما ووجدا فى نفسيهما قدراً من ذلك اسرعا فى

التفتيش عما يواري عورتها فلم يجدا غير ورق الشجر فأخذا يقطعانه ويصلانه ورقة بورقة ويضعان ذلك على عورتها رجاء سترهما به او انهما كانا كاسيين فانتهك سترهما عندما اكلامن الشجرة . و ناداهما ، عند ذلك ، ربهما الم انهكما عن تلكما الشجرة واقل لكما ان الشيطان لكما عدوميين ، قد رصد بعداوته عندما امرته بالسجود فأبى متعاضماً ، قالا ، عندما عرفنا خطيئتهما وان ابليس لم يرد بهما فى نصيحته الا الاغواء والاضلال ، ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ، قد ساقهما الى هذا الكلام المعقول عقلهما حين التفتنا اليه التفات محتاج مقهور ولا ريب ان البعيد عن رحمة مولاه خاسر اشد الخسران ، قال ، بعد التوبة عنهما ، اهبطوا ، من هذه الساحة العزيزة التى لم تعرف اقدار الراحة والعزة فيها ، بعضكم لبعض عدو ، بسوء اختياره لعداوة صاحبه ، ولكم فى الارض ، التى تهبطون اليها ، مستقر ومتاع ، ولكن الى حين ، موقت ومن قوله تعالى ولكم فى الارض مستقر يظهر انهما كانا فى مكان آخر وسيأتى بعض الكلام على ذلك .

وجاء فى آيات سورة الحجر : ولقد خلقنا الانسان من صلصال ، هو الطين اليابس الذى تسمع له عند النقر صلصلة ، من حمأ ، هو الطين الاسود المتغير ، مسنون ، هو الطين الرطب المهياً للخلق والتركيب ، والجان خلقناه من قبل ، اى قبل خلقة آدم فكان له وجود منتشر ، من ناز السموم . اى ان هادته الاولى كانت من ذلك : و جاء فى آيات سورة بنى اسرائيل ، قال ارايتك هذا الذى كرمت على ، حيث امرتني بالسجود له ضمن من أمرت ، لئن اخرتني الى يوم القيامة لاحتنكن ، اى استولى على ، ذريته ، بالاغواء و الاغراء ، الا قليلا ، ممن يلتفت الى نفسه فلا يقع فى شرك المصانعة :

وجاء فى آيات سورة الكهف ، و اذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس كان من الجن . فى هذه الاية تصريح بان ابليس جنى وان شمله الامر مع الملائكة بالسجود لادم ، ففسق ، اى تعدى ، عن امر ربه .

وجاء فى آيات سورة طه ، ولقد عهدنا الى آدم من قبل ، حيث حذرناه مما

يوجب شقاه ، ففسى ولم نجد له عزماً ، ثابتاً ومن هنا يفهم ان مخالفة آدم في الاكل من الشجرة لم تكن عن استحضار لنهى الله حتى توجب له العصيان وان اطلاق العصيان عليه باعتبار اهماله العهد الذى كان من لازمه ان يراعه بالتذكير دائماً ، واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس ابى فقلنا يا آدم ان هذا عدوك و لزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى ، فى الحياة ، ان لك ، علينا فى الجنة ، الاتجوع فيها ولا تعرى . ومن هنا يظهر ان آدم فى الجنة كان من اهل اللباس ولم يكن عرياناً الا ان يقال ان ضمان الله تعالى باللباس له مشروط باستمراره الحياة فيها وانه كان قبل ان ياكل من الشجرة عارياً لداع آخر ، وانك لاتظماً فيها ولا تضحى ، اى لاتعطش ولا تعيش فى حرارة الشمس بل فى ظل كريم ، فوسوس اليه الشيطان قال يا آدم هل ادلك على شجرة الخلد ، وهو البقاء الى لانهاية ، وملك لا يبلى ، اى مقرونأ خلودك بالسيادة والرئاسة وهو اغواء من موجود متصرف الذهن قوى المعارضة لموجود غير بسيط لم يتعرف بشؤون الحياة بعد و كذلك كان ابليس و كان آدم .

وجاء فى آيات سورة ص ، فاذا سويته ، اى صنعته وصيرته سوياً لانقص فيه ونفخت فيه من روحى ، كناية عن اعطائه الحياة ، فقعوا له ، الى الارض، ساجدين فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس استكبر ، اى اظهر التكبر على امر الله ، وكان من الكافرين ، لاستكباره و كل مكلف اذا استكبر على الوظيفة المولوية فهو مستحل كافر ، فان الفاسق هو من لا يقوم بالوظيفة ولكن لا يتكبر عليها بحيث يرى نفسه فوق ذلك ، قال يا ابليس مامنعك ان تسجد لما خلقت بيدي ، و المراد بهذه الكلمة شدة الاعتناء بهذه الخلقة ، استكبرت على مولاك ، ام كنت من العالين ، فيما ترى لنفسك على هذه الخلقة التى خلقت.

وجاء فى آيات سورة البقرة ، واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الارض خليفة ، انما قال الله ذلك ليكشف لهم ما ينظون عليه ومعنى الجعل هنا هو الخلق اى انى منشأ جيلا جديداً يخلف من مضى فى الحياة ، قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها و يسفك الدماء ، انما حكموا بذلك و هم لم يروا هذا الخلق الجديد لانهم وجدوا من

عاصروه قد انتهى به الامر الى الافساد وسفك الدماء فاستبعدوا ان يجيء الخلف على غير روية السلف ، ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ، اى والحال انا نحن الملائكة ننزهك ونظهرك ونخضع لك بالعبودية ، قال انى اعلم ، من حقائق الغيب ، مالا تعلمون ، وبعد ان خلق آدم وصوره ونفخ فيه من روحه فصار بشراً سوياً من حيث الخلقة عمد الى تثقيفه فقال ، وعلم آدم الاسماء كلها ، اى اسماء المسميات من ارض وسماء وخبز و ماء وما الى ذلك مما لا يحصى كثرة وانما فعل ذلك به ليبيأ له وسيلة حياته فان الحياة من دون ذلك تثقل على صاحبها ولان يبين للملائكة ايضا ان الذى يريد ان يجعله خليفة واجد للكمال من ناحية ربه الذى أعده لحياة فضلى ، ثم عرض مسميات تلك الاسماء التى علمها آدم ، على الملائكة فقال انبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين ، فى تفضيل انفسكم على من استخلفته ، قالوا ، مع كمال اظهار الأدب ، سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم ، تعلم مالا يعلم غيرك و كل ما تفعله عن حكمة و مصلحة ، قال يا آدم انبئهم باسمائهم ، ليعرفوا مقامك ، فلما انبأهم باسمائهم قال الم اقل لكم انى اعلم غيب السموات و الارض و اعلم ما تبدون و ما كنتم تكتمون ، انما قال لهم ذلك اظهاراً لمقام عظمتهم الذى لا يجهلونه ولكن جلباً لاستحضار ذهنياتهم بالنسبة الى مقام ربهم المعبود لهم .

(الفصل الثالث) فى ما جاء من التاريخ والحديث بمناسبة هذه القصة فمن ذلك ما ذكره الطبرى فى تاريخه (ج ١ ص ٤٤ وما بعدها) محدثاً ومؤرخاً فقال : ان ابليس كان من بقايا الجن الذين كانوا فى الارض فسفكوا فيها الدماء وفسدوا فيها وعصوا ربهم فقاتلتهم الملائكة فصار ابليس مع الملائكة يتعبد معهم فلما امروا ان يسجدوا لادم ابى ابليس وان الملائكة انما قالوا لله سبحانه اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء لما كانوا عهدوا من امر الجن الذين كانوا سكان الارض قبل ذلك وان الله تعالى امر بترية آدم فرفعت فخلق آدم من طين لازب : وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال بعث الله ابليس فأخذ من اديم الارض من عذبتها وملحها فخلق منه آدم ومن ثم سمي بذلك لانه خلق من اديم الارض .

وروى عن النبي ﷺ انه قال خلق الله آدم من قبضة قبضها من جميع الارض فجاء بنو آدم على قدر الارض منهم الاحمر والاسود والابيض وبين ذلك والسهل والحزن والخبيث والطيب ثم بليت طينته حتى صارت طيناً لازباً ثم تركت حتى صارت حمئاً مسنوناً ثم تركت حتى صارت صلصالاً : قيل فمكث اربعين ليلة جسداً ملقى وقيل اربعين سنة حتى عاد صلصالاً كالفتحار فلما اراد الله ان ينفخ فيه الروح قال للملائكة اذا نفخت فيه من روحي فاسجدوا له فلما نفخ فيه الروح من ناحية رأسه عطس فقالت الملائكة قل الحمد لله فقال الحمد لله :

ثم علم الله آدم الاسماء كلها اى اسم كل شىء من الخيل والابل والبغال والجن والوحش ولما أمر آدم بأنباء الملائكة باسماء هذه المسميات جعل يسمى كل شىء باسمه وعرضت عليه امة امة ولما ظهر للملائكة استكبار ابليس وخلافه لاسرربه واقامته على غيره وطغيانه لعنه الله فأخرجه من الجنة واسكن تعالى آدم جنتاً فكان يمشى فيها وحشاً ليس له زوج يسكن اليه فنام نومة فاستيقظ فاذا عند رأسه امرأة قاعدة خلقها الله من ضلعه فسألها ما انت قالت امرأة قال ولم خلقت قالت لتسكن الى زوجها الله منه و جعلها سكناله وقال لهما يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة وكلامها رغداً ولا تقر باهذه الشجرة فتكونا من الظالمين .

وجاء الشيطان فدخل فى جوف الحية فكلم حواء ووسوس الى آدم وحكم عليهما بالهبوط من الجنة فاهبط آدم بالهند وحواء بجدة فجاء فى طلبها حتى اجتمعا فازدلفت اليه حواء فلذلك سميت المزلفة وتعارفا بعرفات فلذلك سميت عرفات واجتمعا بجمع فلذلك سميت جمعاً .

وعن ابن عباس فى قوله تعالى واذا اخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم ان الله لما خلق آدم مسح ظهره فاخرج منه كل نسمة هو خالقها الى يوم القيامة فقال الست بربكم قالوا بلى قال فنودى يومئذ جف القلم بما هو كائن : ا ه : ملخصاً مجوداً و سيجىء فى بحث العلوم والفنون من هذا الكتاب ما ينفع فى المقام .

وجاء فى تفاسير الشيعة انما سمى الله تعالى آدم خليفة لانه جعل آدم وذريته

خلفاء للملائكة لان الملائكة كانوا من سكان الارض وقيل كان في الارض الجن فافسدوا فيها وسفكوا الدماء فاهلكوا فجعل آدم وذريته بدلهم وعلى هذه السابقة قالت الملائكة اتجعل فيها من يفسد فيها :

والمنظور بقوله تعالى علم آدم الاسماء كلها على ما قاله الاكثر انه سبحانه علمه جميع الاسماء والصناعات وعماراة الارض وصنع الاطعمة والادوية واستخراج المعادن وغرس الاشجار وجميع ما يتعلق بعمارة الدين والدنيا وقيل في كيفية تعليمه الاسماء انه اودع قلبه معرفة الاسماء وفتح لسانه بها فكان يتكلم بتلك الاسماء كلها كما قيل في كيفية العرض على الملائكة انه تعالى خلق معاني الاسماء التي علمها آدم حتى شاهدها وقيل بل صور ذلك في قلوبهم حتى صارت كالمشاهدة لهم بابصارهم . وقيل ان الظاهر من الامر بالسجود لادم كان لجميع الملائكة حتى لجبرئيل و ميكائيل لقوله تعالى فسجد الملائكة كلهم اجمعون وقيل كان خاصاً بطائفة من الملائكة كانوا مع ابليس حين طهر الله بهم الارض من الجن : وروى عن الائمة (ع) ان سجودهم لادم كان على وجه التكرمة والتعظيم لشأنه ومن هنا استعظم ابليس ذلك : واختلف فيه هل انه كان من الملائكة كما قال به جماعة منهم الشيخ الطوسي وقال هو المروى عن الصادق عليه السلام اوانه كان من الجن كما عليه المفيد (ره) وغيره قال المفيد وقد جاءت الاخبار بذلك متواترة عن ائمة الهدى وهو مذهب الامامية واستدلوا على ما ذهبوا بقوله تعالى الا ابليس كان من الجن وهو جنس معروف لاخفاء فيه وبأن ابليس له نسل وذرية لقوله تعالى أفنتخذونه وذريته اولياء والملائكة روحانيون لايتناسلون وبقوله تعالى في حق الملائكة لايعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون فلو كان ابليس منهم لكان على وصفهم واستثناؤه منهم لايدل على كونه من جملتهم بل لانه كان مأموراً بالسجود معهم فلما دخل في الامر جاز استثناؤه من بين المأمورين بالسجود لادم .

واختلف في الجنة التي اسكن فيها آدم فقيل هي جنة من جنات السماء غير جنة الخلد لان هذه كلها دائمة ولا تكليف فيها وقيل هي جنة من جنات الارض وقوله

تعالى اهبطوا منها لا يقتضى كونها فى السماء مثل قوله اهبطوا مصرأ و قيل انها جنة الخلد لان الالف و اللام فيها تشعر بالعهد الذهنى : و يجىء فى بحث المعاد ما يوضح ذلك :

واختلف فى الشجرة المنهى عنها فقيل هى السنبلة وقيل هى الكرمة وقيل هى التينة وقيل شجرة الكافور : واختلف فى كيفية وصول ابليس مع انه خارج الجنة قد أبعد عنها الى آدم وحواء وهما فيها حتى وسوس اليهما فقيل ان آدم كان يخرج الى باب الجنة و ابليس لم يكن ممنوعاً من الدنومنه فكان يكلمه و قيل انه تلبس فى الحية فكلمه من فيها و قيل غير ذلك : و اختلف فى الكلمات التى تلقاها آدم من ربه فقيل هى قوله ربنا ظلمنا انفسنا و قيل هى اسماء الخمسة اهل الكساء و قيل غير ذلك :

و قيل فى معنى بدت لهم اسواتهما انهما لما اكلا منها تهاقت عنهما لبا سهما فأبصر كل واحد منهما سوءة صاحبه فاستحى ، وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة اى اخذا يجعلان ورقة على ورقة لستر اسواتهما حتى صار كهيئة الثوب وقيل فى الورق انه ورق التين .

(الفصل الرابع) ان ماجاء فى بعض الاثار تفريعاً على جمع تربة آدم من الحزن والسهل والعذب والسبخ وما الى ذلك من قولهم فجاء منهم الاحمر والابيض والاسود والخبيث والطيب لابدوان يراد منه استعداد هذه البنى لان تجيء على الوان شتى وروحيات متعددة لأن الشقاء والسعادة من ذاتيات هذه الخلقة و هكذا لو نيسة اللون للاعتبار القاطع بان الشقاء والسعادة تابعان لمحيط التربية والمعاشرة و ناشئان ايضاً عن تأثر الروح بمجارى الفكر واما اللونية فهى تقريباً ناشئة من طبيعة المحيط ولامجال هنا لاستقصاء ذلك .

## (ما الداعي الى لزوم العصمة فى الانبياء)

و جوب العصمة معناه لطف الله بعبده بحيث يقربه الى الطاعة بما يعلم معها نه



لا يقدم على المعصية من غير ان يكون في اليقين الجاء والعصمة من غير وجوب حصلت  
لجملة من بني آدم على التحقيق اولئك الذين جاهدوا أنفسهم وتغلبوا عليها حتى  
طاوعتهم الى كل ما يريدون منها : وأما وجوب العصمة فانما يلزم به الدليل لامناء الله  
ورسله القائمين بالوساطة الشرعية بينه تعالى وبين عباده لاجل حصول اليقين للنقوس  
بان ما يخبرون به حتى صدور عن المبدأ وأن افعالهم و تروكهم من الحجج  
الشرعية لوجوب التأسي بهم فكل بعث من الله وقائم بايضاح ما استغلق من شرائعه و  
توضيح ما أبهم لدواعي خاصة في حينه يجب ان يكون معصوماً اذ وجوب العصمة من  
اللوازم غير المنفكة عن الملاك الذي اشعرنا به ووقوع الخلاف في ذلك بين متكلمي  
المسلمين ناشىء عن عدم التدبر اللازم في الموضوع المتحدث عنه ولذلك نرى من  
التطويل بلا طائل ذكر اقوال النفاة والمثبتين وما لكل طرف من حجة ودليل : و  
اهم ما دعاهم الى التفرق في وجوب العصمة وعدم وجوبها ما يلاحظونه بدواً من  
نسبة الذنب الى الانبياء في بعض ظواهر الكتاب العزيز و ما أثر عن الشرائع السابقة  
واللاحقة : اما المأثور عن الشرائع فكله تزوير وتدليس من رواة سوء لاجل الاطاحة  
بمقامات اكابر الدين و الغاية تضعيف الدين نفسه لدواعي رمزية لا مجال للتعرض  
لها هنا : واما ما يلوح من بعض ظواهر القرآن مثل (وعصى آدم ربه فغوى) فباعتبارانه  
يصادم المنطق كما يصادم ما نجده في ظواهر اخرى من القرآن نفسه مثل ما اسلفنا  
ذكره من الاية (٢٠) وما بعدها من سورة البقرة : واذ قال ربك للملائكة اني جاعل  
في الارض خليفة قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك  
ونقدس لك قال انى اعلم ما لا تعلمون : وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة  
فقال انبؤنى باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت  
العليم الحكيم : قال يا آدم انبئهم باسمائهم فلما انبأهم باسمائهم قال الم اقل لكم انى  
اعلم غيب السموات والارض واعلم ما تبديرون وما كنتم تكتمون : واذ قلنا للملائكة اسجدوا  
لادم فسجدوا الا ابليس ابى واستكبر وكان من الكافرين : فلا بد من صرفه عما يلوح  
منه الى مساواه فان ظواهر هذه الايات تصحح بجلاء ان آدم له خصوصية ومقام عند الله

ومثل هذا لا يصح فيه ان يكون من العصاة للتنافي المنزلة قطعاً فلا بد وان يكون المراد من معصية آدم ارتكابه لما لا يسقطه عن مقامه المومناً اليه وقد ثبت في العرف والشرع ان ارتكاب جملة من المباحات بالنسبة الى بعض الاشخاص يعد ذنباً ويلام عليه صاحبه ويقال له انك فعلت ما لا يليق بمقامك وعلى هذا المعنى جملة علماء الامامية والملاكات العلمية والمذاهب العرفية تساعدهم عليه بلا تمحل وهو الحق : وما اسلفناه مقدمة لقوله ﷺ :

ثم اسكن سبحانه آدم داراً ارغد فيها معيشته وآمن فيها محلته وحذره ابليس وعداوته فاغتره عدوه نفاسة عليه بدار المقام ومرافقة الابرار فباع اليقين بشكته والعزيمة بوهنه واستبدل بالجدل وجلال وبالاغترار ندماً ثم بسط الله سبحانه له في توبته ولقاه كلمة رحمته ووعد المرد الى جنته واهبطه الى دار البلية وتنازل الذرية .

ثم اسكن سبحانه آدم ، اى بعد ما خلقه وعلمه واكرمه اسكنه داراً ، اى مكاناً موصوفاً بالامن والهناء والرغد وهل المنظور بذلك هو الجنة التى يؤل اليها امر الناس بعد تلاشى هذه الحياة او المنظور ما اسلفناه من المكان الامن الرغد وهو من ناحية الملاك لا يختلف فى جوهره عن الجنة الموعود بها فان المراد بالجنة حيثما اطلقت هو النعيم الخالى عن شوائب الالم غايته ان ما وصفه الله للجنة الموعودة هو اعلا ما يمكن تهيأته لمستحق النعيم من لدنه تعالى ، ارغد فيها معيشته ، الرغد هو سعة المعاش وترفه ، وآمن فيها محلته وحذره ابليس وعداوته ، لان العدو بطبيعة حاله يسعى لاضرار عدوه ما تمكن . فاغتره عدوه ، اى اوقعه فى الغرور ، نفاسة عليه ، اى حسدأله ، بدار المقام ، التى اسكنه الله اياها ، ومرافقة الابرار ، من الملائكة الذين جاورهم فباع اليقين بشكته ، اى باع يقينه فى ان ما نهاه الله عنه انما كان لمصلحته وانذار آمن غوائل عدوه وانما تزلزل يقينه متنزلاً الى درجة الشك لغواية ابليس اياه بانه يكون ملكاً ممجداً او يقترن بالبقاء مؤبداً او ان ما نهى عنه لم يكن نهى تحريم حتى يسقط بارتكابه وانما هو نهى تنزيه وارشاد ونظير ذلك من المهنونات التى صرح القرآن ببعضها والعزيمة ، وهى الثبات والاستقامة ، بوهنه ، اى بضعف نفسه وانخذالها ، واستبدل

بالجدل ، وهو الفرح والنشاط ، وجلا ، حيث اخرج من دار المقام والا زتياح ، و  
بالاغترار ند ما ثم بسط الله سبحانه له في توبته . لانه تعالى يقبل التوب من عباده ، ولقاه  
اي اعطاء ، كلمة رحمته . لان الله لطيف بمن يستمد منه اذا علم منه خلوص النية كما  
قال في شأن اهل الكهف انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى ، ووعده المرء الى جنته  
التي وعد بها المتقون بعد يوم القيامة ، واهبطه . هو نظير قوله اهبطوا مصراً او انه  
كان في السماء فاهبط الى الارض ، الى دار البلية ، اي دار الاختبار و الابتلاء ،  
وتناسل الذرية ، اي التوالد والتناسل .

### ( لزوم بعثة لرسول لاصلاح الجوامع )

بطبيعة الحال نرى الانسان مخلوقاً بين عاملين قويين احدهما شهوته وميوله  
وثانيهما عقله وفكرته و كل منهما في ميدانه له عمل جبار الا ان الشهوة لما كانت  
من غرائز الجسم لصيقة بالنفس محط النظر ومد البصر كان محيطها الذي تعمل فيه  
واسعاً للغاية و خطراً جداً : و قد يلتهى الانسان عن عقله وينشمر عن لبه طوال عمره  
او اكثره فلا يكاد يعد او يحشر في زمرة العقلاء : وما اقل في ادوار بني آدم من  
التفت الى عقله وتقرب من لبه واستنصح هداة وقاوم ميوله واهوائه .

والانسان اذا ركن الى شهوته واستغل ميوله لاتراه الا وحشاً ضارياً وفاتكاً  
بعيد الرحمة وفي تناول القسوة يشب الحروب لاول فتنة ويغتصب النواميس لاقل  
شهوة ويريق الدماء المحترمة لادنى بادرة فمسير هذا المخلوق بروحيته هذه مسير مكنتف  
بالاخطار محتف بالافات فلا بد من القيام عليه والتحديد لحر كاته .

وليس التحديد كله لحكومة السيف فان السيف اذا جمع لنفسه بين القوى  
التقنية والقضائية والاجراء كان افسد آلة استعملت في نظام الحياة وما هتك الاجتماع  
البشرى قديماً وحديثاً الا اعماله بهذه الصورة : سل عن ذلك حروب الجاهلية  
الرعاء وغارات المغول والوقائع الصليبية والحربين العالميتين الاولى والثانية بل و  
كل حكومة استبدادية قامت على وجه الارض منذ اول خلقه هذا المخلوق الغنيف الى

يوم البشرية هذا :

بل التحديد اولا وبالذات للعقل الوزين و المنطق الرزين فالعقل هو الذى يشخص الجريمة من غيرها وهو الذى يُبزن مقدار ما تستحق من عقوبة وهو الذى يقضى بين المتخاصمين وبالاخرة هو الذى يستطيع لم الجوامع وتقنين ما يضبطها ويحفظ لها أمنها واستقرارها وجريان امورها وتعديل جنبات معيشتها و بسواه لا يكون شىء من ذلك : والسيف فى كل هذه المراحل مأمور اجراء فقط ليس به ان يشهر او يغمد الامن طريق حكم القانون عليه .

هذا وان العقول لاتستطيع الحا كمية على الناس اذا لم يكن لها كانون يجمعها ويطلع بها من الخمود والسكون الى عالم الفعل والظهور فلا بد لدنيا البشرية على طول الخط من مثاليين كبارهمهم وورد ألسنتهم تنبيه العقول وتوجيه القلوب و التبشير و الانذار والوعظ والارشاد والتحذير عن نتائج الانحراف وبيان وجوه المصالح والمفاسد والمساوى والمحاسن حتى يكون الفرد الانسانى دائماً من طريق هذه التوجيهات على ذكر مما يصلحه ويفسده وبما ان المبدأ الاعلا أعلم من حاز على علم وادرى بالحق من كل من عرف الحق واتصل به كان اسناد موضوعية التوجيه اليه محتملاً لاجل ان يكون الموجه من جنس الناس للزوم اتصاله بهم وانحشاره معهم ووجب ان يكون الرسول انساناً بشرايط خاصة اهمها العصمة وقد آتفنا الحديث عنها، وجامع بقية شرائطه ان يكون دياناً كبيراً ومقدساً معروفا ومثالياً تعنوله النفوس وتخضع له القلوب لطهارته وايمانه وورعه وتقواه وحبه للخير المطلق وبغضه لمطلق الشر وان لاتكون فيه موجبات النفرة العرفية لافى نسبه او حسبه ولا فى خلقته واخلاقه ومن اياه . ومتى كان على رأس الجوامع انسان بهذا الملاك كان له تأثيره المهم فى رفع مستوى المعرفة ودك الرذيلة وتقدم الفضيلة ولولا وجود هذه المناورات الايمانية والمبارزات بنفع الانسانية من القديم السابق لكان الوجود وكل ما فيه ميداناً للشرور والاشرار والفسقة والفجار والمخربين والمنحرفين بلون لاترى فيه اثراً لفضيلة ولا وجوداً لانسان .

ولكن تيك المبارزات التي قام بها انبياء الله من نوح وهود وصالح وابراهيم و موسى وعيسى ومحمد وغيرهم اثرت اثرها الواضح وجرفت اليها القلوب والعقول و خلقت من الناس مثاليين لهم موقعيتهم الاجتماعية وصيتهم الطائر .  
وعلى ان هذه القرون المتأخرة قرون اضلال وتشويه وجهل وعنجهية وانحراف قد احتلت الحيوانية المغتلمة فيها مكان الانسانية لكن مع ذلك نرى لتعاليم اولئك الافذاذ بقاء علمياً واثراً نفسياً في جملة من القلوب والعقول : اذن فبعثة الرسل واستمرار رسالتهم وبقاء دعوتهم من الشرائط الاولية لتشكيل حياة فضلى وبدون ذلك تعود الحياة من الموبقات : - فهلم بنا الى مقاله الامام في هذا المقام -

واصطفى سبحانه من ولده انبياء اخذ على الوحي ميثاقهم ، وعلى تبليغ الرسالة أمانتهم ، لما بدل اكثر خلقه عهد الله اليهم ، فجهلوا حقه و اتخذوا الانسداد معه و اجنالتهم الشياطين عن معرفته ، و اقتطعتهم عن عبادته فبعث فيهم رسله و اتر اليهم أنبياءه ليستأدوهم ميثاق فطرته ، و يذكروهم منسى نعمته ، و يحتجوا عليهم بالتبليغ ويشيروا لهم دفائن العقول ، و يروهم الايات المقدره ، من سقف فوقهم مرفوع ومهاد تحتمهم موضوع ومعايش تحييهم و آجال تفنيهم واوصاب تهرمهم وأحداث تتابع عليهم ولم يخل سبحانه خلقه من نبي مرسل او كتاب منزل او خجة لازمة او محجة قائمة رسل لا تقصر بهم قلة عددهم ولا كثرة المكذبين لهم من سابق سمي لهمن بعده او غاب عنه ربه من قبله .

واصطفى ، اى انتخب واختار ، سبحانه من ولده ، اى من ولد آدم ، انبياء جمع نبيء مهموزاً ويخفف بحذف الهمزة منه وهو المخبر ، اخذ على الوحي ، اى على اصاله للمكلفين ، ميثاقهم ، الميثاق هو العهد والقرار وقد جاء في جملة من الايات وطوائف من الاخبار اخذ الله العهد والقرار من كافة بنى آدم انبياء كانوا ام غير انبياء في عالم الذر او قل في عالم الارواح عند ما خلق آدم على الاعتراف بر بوبيته و القيام بوظائفه كل على قدر ما حمل والقى على عاتقه من وظيفة فمن ذلك قوله (سورة المائدة الاية ٨) واذكروا ، خطاب لكافة الذين آمنوا ، نعمة الله عليكم و ميثاقه الذى واثقكم به

اذقلتُم سمعنا وأطعنا ( والاية ٨ من سورة الحديد ) و مالكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم وقد اخذ ميثاقكم ان كنتم مؤمنين : وعن ابن عباس فى قوله تعالى واذاخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم ان الله لما خلق آدم مسح على ظهره فأخرج منه كل نسمة هو خالقها الى يوم القيامة فقال ألت بربكم قالوا بلى فنودى يومئذ جف القلم بما هو كائن :الى غير ذلك ، وعلى تبليغ الرسالة ، اى رسالة الله الى عباده بما يقوم بنظام معاشهم و معادهم وما هم مسؤولون به قبال الرب تعالى نظير قوله (الآية ٧ من سورة الاحزاب) واذاخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم واخذنا منهم ميثاقاً غليظاً : (الاية ٧٠ من سورة المائدة ) يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك ، اما نتمهم ، اى اتممتهم على ذلك ، لما بدل اكثر خلقه عهد الله اليهم فجعلوا حقه ، بعد الاعتراف له بالرؤية ، ألت بربكم قالوا بلى ، واتخذوا الانداد ، اى الاشباه و النظائر لله على ما يزعمون ، معه و اجنالتهم الشياطين ، اى صرفتهم الشياطين من هنا الى هناك وبعثت بهم ، عن معرفته واقتطعتهم عن عبادته ، اى فصلتهم عنه تعالى ، فبعث فيهم رسله ، الفاء تفرير على قوله آنفالما بدل اكثر خلقه الى ما بعدها من فقرات اى ان بعثة الرسل كانت ناشئة عن التغيير و التبدل المزبورين ولا ريب فان كل انسان لو مشى بفطرته على ما هي عليه لكانت الجوامع كلها فى غنى عن المبشر والمندر لان الفطرة هي الدين الذى دعا اليه الانبياء ، و واتر اليهم انبياء ، تواترت المطالب اذا تباعت مع فترات بينها فمعنى واتر انبياء انه بعثهم فى الفترة بعد الفترة ، ليستأدوهم ميثاق فطرته ، التى فطرهم عليها و هي الاعتراف به و الانبعاث الى محاسن الامور فان كل انسان لولا الطوارىء المشوهة لخلقته و أخلاقه مؤمن بطبيعة حاله انسان كما تريد العقول منه و معنى استأدوهم طلبوا منهم الوفاء بما اعطته فطرتهم من عهد وميثاق ، و يذكر وهم منسى نعمته ، اى نعمه السابعة التى لاتعد ولا تحصى حيث اغفلوها وحسبوها شيئاً طبيعياً لهم ، ويحتجوا عليهم بالتبليغ ، وقد أشعر القرآن بذلك فى الايات ١٦٢ و ١٦٣ و ١٦٤ من سورة النساء : حيث قال تعالى : انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده و اوحينا

الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وعيسى وايوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبوراً ، ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليماً ، رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيماً ، ويثيروا لهم دفائن العقول . الموجودة فيهم المغفول عنها فان كل مبلغ وناصح وواعظ انما يثير في قبيله كوامن فطرته وعقله ولا يخلق له عقلا بوعظه ولا فطرة مستجدة بتبليغه ، ويروهم الايات المقدرة ، اى التى وقع عليها التقدير فحصلت وصارت ، من سقف فوقهم مرفوع ، ويريد به السماء ، ومهاد ، وهو ماتمهد وتوطأ ، تحتهم موضوع ، اى مجعول مبسوط ، ومعاش ، جمع معيشة ، تحييمهم اى تمسك حياتهم وتستمر بها ، وآجال ، جمع اجل وهو الوقت المقرر والمنظور به هنا الوقت المقرر لانتهاى حياتهم ، تفنيهم واوصاب ، جمع وصب وهو الاذية والمشقة والتعب ، تهرمهم ، اى تعجزهم وتنجر بشبابهم وكهولتهم الى الشيخوخة والانحطاط والوهن واحداث ، جمع حدث وهى الحوادث والخطوب والكوارث ، تتابع عليهم ، وتقدير الاوصاب التى تهرمهم والاحداث التى تعجزهم وتلاشيهم بعد ذلك جملة منه للاختبار وجملة للانتقام وجملة مجهولة السر لا يعلمها الا هو ، ولم يخل سبحانه خلقه من نبي مرسل او كتاب منزل او حجة لازمة ، وحتماً يراد بها غير النبي المرسل والكتاب المنزل واولئك هم خلفاء الانبياء واوصياء الرسل الذين يقومون بتثبيت الشريعة وتوضيح ما استغلق منها وادامة الوعظ والابلاغ وفى درجة ثانية العلماء الربانيون والمقدسون الصالحون الها دون المهديون ، او حجة ، وهى الطريق الواضح من كل علامات الله التى يريد بها هداية الخلق ، قائمة ، اى ظاهرة يشهد بها الجميع كالعبر المتواترة على طول خط الزمان ، رسل لاتقصر بهم قلة عددهم ، حتى لا يستطيعوا ابلاغ ما انتشر فى جميع الاصقاع ، ولا كثرة المكذبين لهم ، لاستمرارهم على التبليغ فى كل حال واجهوها ، من سابق سمي له من بعده ، كما سمي نبي الاسلام للسابقين عليه من الرسل الكرام ، او غاير ، اى مستقبل وجوده ، عرفه ، للناس ، من قبله كما عرف بنبي الاسلام ايضاً من سبقه من الانبياء سلام الله عليهم اجمعين .

## (جزيرة العرب وبعثة النبي محمد ص)

كانت الجزيرة العربية يومذاك و قبله دون مجاوريتها في كل شيء فلا علم ولا حلم ولا فضيلة ولا حسن خليقة اعرابية خالصة ووحشية ظاهرة تستعبد فيها الاحرار بالتغلب وتملك فيها النساء بالمكابرة و تراق على بوغائها الدماء لادنى شهوة عيشها غليظ ومشربها قذر كدر وأمنها مفقود بالمرّة وويلاتها لاتعد ولا تحصى .

فكانت لها السبقة على كافة الامم والعناصر في الاحتياج الى مرب يربيهها وهاد يهديها ومتقدّم من الضلالة يرشدها و كم كان في لازم ذلك الاستاذ المربي والحكيم الهادي والمنقذ المرشد من قوة شكيمة ومثابرة على عمل وهدوء نفس وثروة في المعنويات و شجاعة في المبارزة حتى يستطيع احالة ذلك المحيط الجاف الغليظ الى محيط تتصرف فيه المثل الراقية تصرف المالك المختار فيما يملك .

عرفنا الجزيرة العربية في يؤسها وشقائها فمن ذلك المنقذ الاعظم ذلك محمد بن عبد الله الصادق الامين والعالم المجاهد والكمال الذي اربى على كل كامل والمثالي الذي بذّ كافة المثالين .

وانما جعل الله نقطة انطلاقه من هذا المكان المظلم ليكون من دلائل اعجازه على الباقي انه سخر من طريق التبليغ بين عناصر معرفته في الشقاء امة انتجت الزاهد العابد والمتقى الورع والعالم العامل والفاضل الكامل و الديان المقدس و اللوذعي الالهي والوفى الصادق والامين النجيب ومن الى هذا الرديف من الاخيار الابرار و حتى تكون نقطة انطلاقه هذه عبرة واضحة ومقياساً جلياً للاخيار : و عن هذا السر الدقيق انبعث من رافقه وتلمذ عليه من بدء بعثته - بل قبلها - و الى آخر ساعة من حياته فقال : على ذلك نسلت القرون ، ومضت الدهور ، وسلفت الاباء و خلفت الابناء الى ان بعث الله سبحانه محمداً رسول الله ﷺ لانجاز عدته وتمام نبوته مأخوذاً على النبيين ميثاقه مشهورة سماته كريماً ميلاده واهل الارض يومئذ ملل متفرقة واهواء منشرة وطوائف متشتمة بين مشبهه لله بخلقه او ملحد في اسمه او مشير الى غيره فهذا هم به من



الضلالة و انقذهم بمكانه من الجهالة ثم اختار سبحانه لمحمد ﷺ لقاءه و رضى له ما عنده و اكرمه عن دار الدنيا و رغب به عن مقارنة البلوى فقبضه اليه كريماً ﷺ و نحن توطيداً للبحث عن فقرات هذا الفصل نذكر موجزاً من حالات النبي ﷺ عن الخاصة و العامة .

(١) قال الكليني في باب تاريخ مولد النبي ووفاته من اصول الكافي ولد النبي لاثنتي عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الاول في عام الفيل يوم الجمعة مع الزوال وروى ايضاً قبل طلوع الفجر قبل ان يبعث باربعين سنة وبقى في مكة بعد مبعثه ثلاث عشرة سنة ثم هاجر الى المدينة و مكث بها عشرين سنين ثم قبض لاثنتي عشرة ليلة مضت من ربيع الاول يوم الاثنين وهو ابن ثلاث وستين - ٥٥ - و فيما ارخ به ولادته ﷺ ووفاته خلاف بين العلماء .

(٢) سادس البحار في فصل بعثته ﷺ ان العامة قد اختلفوا في زمان بعثته على خمسة اقوال خامسها انه لسبع وعشرين من رجب و عليه اتفاق الامامية ثم قال ارسله الله بعد اربعين سنة من عمره و لبعثته درجات - اولها - الرؤيا الصادقة - ثانيها - مارواه الشعبي و داود بن عامر ان الله قرن جبرئيل بنبوة رسوله ثلاث سنين يسمع حسه و لا يرى شخصه و يعلمه الشيء بعد الشيء و لا ينزل عليه القرآن فكان في هذه المدة مبشراً غير مبعوث الى الامة - ثالثها - حديث خديجة و ورقة بن نوفل اى ما حدثهما النبي به كما سيجيء - رابعها - امره بالتحديث بالنعم حيث قال و اما بنعمة ربك فحدث اى بما جاءك من النبوة - خامسها : حين نزل عليه القرآن بالامرو النهي فصار به مبعوثاً و لم يؤمر بالجهر و نزل يا ايها المدثر فأسلم على و خديجة ثم زيد ثم جعفر - سادسها - امره بأن يعمّ بالانذار بعد خصومه و أن يجهر بذلك و نزل فاصدع بما تؤمر قال ابن اسحاق و ذلك بعد ثلاث سنين من مبعثه و نزل و انذر عشيرتك الاقربين فنادى يا صباحاه - سابعها - ان العبادات لم يشرع منها مدة مقامه بمكة الا الطهارة و الصلاة و قد كانتا فرضاً عليه و سنة لامتة ثم فرضت الصلوات الخمس بعد اسراءه و ذلك في السنة التاسعة من نبوته فلما تحول الى المدينة فرض صيام شهر رمضان في السنة الثانية

وحولت القبلة وفرضت زكوة العطر وصلاة العيد و كان فرض الجمعة بدلا من صلاة الظهر ثم زكوة الاموال ثم الحج والعمرة والتحليل والتحرير والحظر و الاباحة و الاستجاب والكرهه وفرض الجهاد - اه - وفي جملة مما ذكره بعض الاختلاف بين كتاب السيرة .

(٣) ذكر المؤرخون ومن جملةهم ابن سعد في الطبقات الكبرى (ج ١ ص ٩٩)

ان ام النبي ص لما توفيت بعد ابيه قبضه اليه جده عبدالمطلب وضمه ورق عليه وكان يقربه منه وقال مرة لام أيمن وكانت تحضن رسول الله يا بركة لا تغفلي عن ابني فاني وجدته مع غلمان قريبا من السدرة وان اهل الكتاب يزعمون ان ابني هذا نبي هذه الامة ومات عبدالمطلب والنبي ابن ثمان سنين فخلفه على تربيته ابوطالب : و عمل لخديجة بنت خويلد فرأت منه انساناً جمّ المحاسن فرضيت به زوجاً و تقدم للخطبة ابوطالب فقال الحمد لله الذي جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسماعيل و ضيء معد و عنصر مضرو جعلنا حضنة بيته و سوّاس حرمة و جعله لنا بيتاً محجوجاً و حرماً آمناً و جعلنا حكام الناس ثم ان ابن اخي هذا محمد بن عبدالله : لا يوزن به رجل شرفاً و نبلا و فضلا وان كان في المال قلّ فان المال ظل زائل و امر حائل و عارية مستردة وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم و خطر جليل و قد خطب اليكم رغبة في كرمتمكم خديجة و قد بذل لها من الصداق كذا : و تزوج رسول الله ص منها وهو ابن خمس و عشرين وهي بنت اربعين سنة و كانت خير زوج له من بين كافة نساءه .

(٤) الزهري عن عروة عن عائشة انها قالت كان اول ما ابتداء به رسول الله

ص من الوحي الرؤيا الصادقة كانت تجيء مثل فلق الصبح ثم حبب اليه الخلاء فكان بغار حراء يتحنث فيه الليالي ذوات العدد قبل ان يرجع الى اهله ثم يرجع الى اهله فيتزود لمثلها حتى فجأه الحق فأتاه فقال يا محمد انت رسول الله قال ص فبحثوا لركبتي وانا قائم ثم زحفت ترجف بوادري ثم دخلت علي خديجة فقلت زملوني زملوني حتى ذهب عني الروع ثم اتاني فقال يا محمد انت رسول الله قال فلقد هممت ان اطرح نفسي من حالق من جبل فتبدي لي حين هممت بذلك فقال يا محمد اننا

جبرئيل وانت رسول الله ثم قال اقرأ فقلت ما اقرأ قال فاخذني فغتنني (اي عصرني عصرا شديدا) ثلاث مرات حتى بلغ بي الجهد ثم قال اقرأ باسم ربك الذي خلق فقرات فأثيت خديجة فقلت لقد اشفتت على نفسي فأخبرتها خبري فقالت ابشر فوالله لا يخزيك الله ابداً ووالله انك لتصل الرحم وتصدق في الحديث وتؤدى الامانة و تحمل الكل وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق ثم انطلقت بي الى ورقة بن نوفل بن اسد فقالت اسمع من ابن اخيك فسألني فأخبرته خبري فقال هذا الناموس الذي انزل على موسى بن عمران ليثني فيها جذع ليثني اكون حياً حين يخرجك قومك (الطبرى ج ٢ ص ٢٠٥ و ٢٠٦) اه .

وهنا يشكل جملة من اهل الفضل على جملة من محتويات هذا الفصل فيقولون (١) لاريب ان محمد بن عبد الله كان قبل بعثته من الكمل في نفسه العارفين بربه وذلك هو الذي قاده الى التجنث والاختلاء بنفسه ومع هذا كيف يصح ان يجثو لركبته من الفرع حين جاءه الحق وقال له يا محمد انت رسول الله : والجواب عن ذلك ان الفرع انما اخذه لانه قد يكون شاهد ظاهرة لم يسبق بها قط وكلف بأمر عظيم فان القيام باعباء رسالة دينية عامة فيه من المشاق ما تذهل أمامه النفس ومهما كانت حازمة عظيمة المنة .

(٢) ان الوسيط بين الله وانبياءه يجب ان يكون من الثقافة والادب والمرونة بمكان عظيم جداً وما ينقل عن جبرئيل في هذا الخبر انه قال له اقرأ ابتداء بساكن فقال له مستفهماً اقرأ فأخذه فعصره عصر أشديداً فيه من الخشونة والجفاء ما يستنكر على آحاد الناس : والحق انه اشكال في محله .

(٣) ان محمداً مع هذه السابقة كلها كيف لم يتوجه الى وظيفته و ما اريد به حتى تذهب به خديجة الى ورقة بن نوفل لتستفهم منه سر الحادثة وما هو مضمونها وهل بعد قول الوسيط لمحمد انا جبرئيل وانت رسول الله وانه اقرأه قول اقرأ باسم ربك الذي خلق وانه تابعه على هذه القراءة مقام لاستفسار واستفهام : وهذا كالسابق اشكال في محله : والذي يهون الخطبان هذه الرواية لم تستند الى النبي وانما هي عن لسان عائشة فقط .

(٥) اول مجتمع اسلامى فى الدنيا تشكل فى بيت خديجة منها و من على ابن ابى طالب وزيد بن حارثة اماهى فكانت اعظم مؤازر للنبي قبل بعثته وبعدها و اما على فقد اطبق المؤرخون على انه ربي فى حجر النبي و لم يفارقه فقد قال ابن حجر فى الاصابة انه ولد قبل البعثة بعشرين سنين على الصحيح فربى فى حجر النبي ﷺ و لم يفارقه وقال ابن كثير فى تاريخه (ج ٣ ص ٣٥) واخذ رسول الله علياً فضمه اليه فلم يزل معه حتى بعثه الله نبياً - الى غير ذلك - واما زيد بن حارثة فقد كان فى حوزة خديجة ووهبته خديجة لرسول الله عاش معها فى بيت واحد وتبناه رسول الله بمكة قبل النبوة : راجع ابن عبد البر فى ترجمة زيد : وغيره من المؤرخين .

(٦) اطبق كتاب السيرة على ان الفاصلة بين بدء النبوة و اظهار الدعوة كانت ثلاث سنين وان النبي كان قبل ان يكلف بالمجاهرة والاصحار بالدعوة يدعو الناس الى الاسلام سراً و كل من انس منه لطفاً مشى اليه وبلغه وما كان كفار قريش قبل ان ينال النبي من اصنامهم متحاملين عليه و على من اتبعه و كان المسلم و غير المسلم جميعاً يسرون مع الحياة بوضع اعتيادى و اسلم فى هذه الفاصلة كثير من الناس الا ان الوضع كان وثنياً صرفاً و الاسلام عقيدة فردية لم تراحم اية ظاهرة من مظاهر الشرك فلم يكن للدين عز و لا لشرف التوحيد جلوة :

(٧) و بعد مرور ثلاث سنين من البعثة كلف الله نبيه بانذار عشيرته الاقربين فدعاهم للاجتماع عنده فما اجتمعوا منصتين لقوله الا بعد لى فقال يا بنى عبدالمطلب انى قد جئتكم بخير الدنيا و الاخرة وقد امرنى الله ان ادعوكم اليه فايكم يوازرنى على امرى هذا ويكون اخى ووصيى و خليفتى فيكم فاحجم القوم عن ذلك و كان على احدتهم سنا فقال انا يا رسول الله اكون و زيرك عليه فأخذ برقبته ثم قال هذا اخى ووصيى و خليفتى فيكم فاسمعوا له واطيعوا فقام القوم يضحكون ويقولون لابى طالب قد امرك ان تسمع لعلى و تطيعه : راجع تفسير الخازن عند تفسيره لقوله تعالى و انذر عشيرتك الاقربين : وغيره من كتب التفسير و السيرة و التاريخ .

(٨) و ذكر اهل السيرة ان النبي بعد ذلك دعا جميع قريش بدعوة عامة وهو

قائم على الصفا وقال ان اخبرتكم ان خيلاً تخرج من سفح هذا الجبل تريد ان تغير عليكم أكنتم تكذبوني قالوا ماجر بنا عليك كذباً فقال يامعشر قريش انقذوا انفسكم من النار فاني لا اغني عنكم من الله شيئاً اني لكم نذير مبين بين يدي عذاب شديد مما ملئ و مثلكم الاكمل رجل رأى العدو فانطلق يريد اهله فخشى ان يسبقوه الى اهله فجعل يصيح يا صباحاه يا صباحاه أتيتم أتيتم : و لما ذكر رسول الله آلهمم و عابها اعظموا ذلك منه و ناكروه و اجمعوا على خلافه و عداوته و حذب على رسول الله عمه ابو طالب و منعه و قام دونه و مضى رسول الله مظهر الأمر لا يردده عنه شيء :

قال ابن اسحاق ثم ان قريشاً تأمروا بينهم على من فى القبائل منهم من اصحاب رسول الله الذين اسلموا معه فوثبت كل قبيلة على من فيهم من المسلمين يعدونهم و يفتنونهم عن دينهم و منع الله رسوله منهم بعمه ابي طالب : ثم قال ابن اسحاق فلما طال البلاء على المسلمين وارتدت كثير عن الدين باللسان لا بالقلب ولم تتمكن قريش من الوصول الى محمد لقيام عمه ابي طالب دونه اجتمعوا على ان يكتبوا بينهم و بين بنى هاشم صحيفة يتعاقدون فيها على ان لا يناكحوهم ولا يبايعوهم ولا يجالسوهم فكتبوها وعلقوها فى جوف الكعبة فلما فعلوا ذلك انحاز بنوهاشم و المطلب فدخلوا كلمهم مع ابي طالب فى الشعب فاجتمعوا اليه و خرج منهم ابولهب الى قريش فظاهاها على قومه فاقاموا فى الشعب على ذلك سنتين او ثلاثاً حتى جهدوا لا يصل اليهم شيء الا القليل سراً :

قال ابن اسحاق فلم يزل ابو طالب ثابتاً صابراً مستمراً على نصر رسول الله و حمايته و القيام دونه حتى مات فى اول السنة الحادية عشرة من بعث رسول الله فطمعت فيه قريش حينئذ و نالت منه فخرج عن مكة خائفاً يطلب احياء العرب يعرض عليهم نفسه فلم يزل كذلك حتى دخل مكة فى جوار المطعم بن عدى ثم كان من امره مع الخزرج ما كان ليلة العقبة :

(٩) قال ابن اسحاق فلما رأى رسول الله : ما يصيب اصحابه من البلاء و ما هو فيه من العافية لمكانه من الله و من عمه ابي طالب و انه لا يقدر على ان يمنعهم مما هم فيه من

البلاء قال لهم لو خر جثم الى ارض الحبشة فان فيها ملكاً لا يظلم عنده احد وهى ارض  
صدق حتى يجعل الله لكم فرجاً مما انتم فيه فخرج عند ذلك المسلمون من اصحاب  
رسول الله الى ارض الحبشة مخافة الفتنة وفراراً الى الله بدينهم فكانت اول هجرة فى  
الاسلام : وقبل الهجرة بما يقرب من ثمانية عشر شهراً أخرج برسول الله وأسرى به وافترضت  
الطهارة و الصلاة :

(١٠) العقبتان الاولى والثانية : روى ابن سعد فى الطبقات ( ج ١ ص ٢٠١  
وما بعدها) عن رجاله قالوا أقام رسول الله ﷺ بمكة ما أقام يدعو القبائل الى الله و  
يعرض نفسه عليهم كل سنة بمجنة وعكاظ ومنى أن يؤووه حتى يبلغ رسالة ربه ولهم  
الجنة فليست قبيلة من العرب تستجيب له حتى اراد الله اظهار دينه فساقه الى هذا الحى  
من الانصار فانتهى الى نفر منهم وهم يحلقون رؤسهم فجلس اليهم فدعاهم الى الله  
فاستجابوا لله ولرسوله - قالوا - ولما كان العام المقبل من العام الذى لقي فيه رسول الله  
النفر الستة لقيه اثنا عشر رجلاً بعد ذلك بعام وهى العقبة الاولى : قالوا : ولما حضر  
الحج مشى اصحاب رسول الله ﷺ الذين اسلموا بعضهم الى بعض يتواعدون المسير  
الى الحج و موافاة رسول الله و الاسلام يومئذ فاش فى المدينة فخرجوا و هم سبعون  
يزيدون رجلاً او رجلين حتى قدموا على رسول الله مكة فسلموا عليه و وعدهم منى  
وسط ايام التشريق ليلة النفر الاول اذا هدأت الرجل فخرج القوم على الموعد  
يتسللون وقد سبقهم رسول الله الى ذلك الموضع معه العباس بن عبدالمطلب ليس معه  
احد غيره فبايعوا رسول الله على نصرته والقيام دونه و اعلان دينه :

(١١) ونزل من القرآن فى مكة ما يقرب من ٩٥ سورة على خلاف فى بعضها  
واغلب محتويات هذه السور الدعوة الى التوحيد ونبذ الشركاء و ترك الاخلاق المرذولة  
والاخذ بشرائف الاخلاق و سرد قصص الانبياء السابقين مع اممهم و الاستدلال على  
اثبات الصانع والمعاد الجسماني وما يلقاه المؤمن من نعيم مقيم والكافر من عذاب مهين  
وما الى ذلك :

(١٢) ولما صدر السبعون من اهل العقبة الثانية من عند رسول الله طابت نفسه

وقد جعل الله له قوماً أهل حرب وعدة ولكن البلاء أخذ يشتد على المسلمين من المشركين فاستأذنوا رسول الله في الهجرة فقال قد أخبرت بدار هجرتكم هي يثرب فمن اراد الخروج فليخرج فجعل القوم يخرجون ويخنفون فبزلوا على الانصار في دورهم وآوهم ونصروهم وآسوهم فلما علم المشركون بذلك اجتمع رأيهم على قتل رسول الله حتى تبطل هذه الاحدوثة من اصلها فبات على فراس النبي وخرج النبي مختفياً في طريقه الى المدينة وورد اليها كأعز قادم واول عمل قام به هو أن اختط مسجداً للصلاة المسلمين يعبدون الله فيه ويذاكرهم فيه العلم ويطارحهم فيه الحديث اللازم وخطبهم اول خطبة خطبها في المدينة وآخا بينهم ليجرزهم ودتهم بعضاً لبعض فكان ما قام به با كورة اعمال جبارة : وصراف عن استقبال بيت المقدس الى الكعبة بعد مكثه ستة عشر شهراً في المدينة كما فرض بعد ذلك بقليل صوم شهر رمضان وصلاة العيد وزكوة الفطرة والجهاد فكانت غزوة بدر :

(١٣) قال الطبري ( ج ٢ ص ٢٧٢ من تاريخه ) وخرج رسول الله فيما بلغني لثلاث ليال خلون من شهر رمضان في ثلاث مائة وبضعة عشر رجلا من اصحابه - اه - وقد ابدى المسلمون في هذه الغزوة كل جلد واستبسال حتى احرزوا الفتح لانفسهم ووقعوا بقريش ايقاعاً في اعضادهم حيث قتل منهم سبعون واسر سبعون رجلا .  
وقال ابن سعد في الطبقات ( ج ٣ ص ٧٨ ) ثم غزا رسول الله احدى على رأس اثنين وثلاثين شهراً من الهجرة : اه : وكانت هذه الحرب في اولها على قريش حتى آل الامر بهم الى الهزيمة ولكن تغافل بعض المسلمين عن القيام بواجبهم في هذه الفترة اعاد كرتة المشركين عليهم فكانت هذه الواقعة في نهاية المطاف على المسلمين فحسروا فيها كل ربحهم الاول وتضرروا واضراراً واضحة : وعلى رأس سبعة وثلاثين شهراً من الهجرة أجالا النبي ﷺ بنى النضير عن مواطنهم لتآمرهم على الغدر به والغدر للميهود شيمة .  
قال الطبري ( ج ٣ ص ٤٣ من تاريخه ) وفي السنة الخامسة للهجرة كانت غزوة رسول الله الخندق - اه - وهذه الغزوة بيمين على امير المؤمنين تمت بتقع المسلمين : و بعد منصرفه من الخندق غزا بنى قريظة وكان الفتح له : وفي سنة ست غزا بنى

المصطلق ففتحهم وفي هذه السنة نفسها كانت قصة الحديدية : وفي سنة سبع كانت غزوة خيبر وتمت بنقع المسلمين : وفي سنة ثمان كانت غزوة مؤتة وخسر فيها المسلمون جعفرأ وزيدأ وعبدالله بن رواحة وجملة آخريين ولم يظفروا بالنصر وفي هذه السنة افتتح رسول الله مكة ودخلت قريش في الاسلام كرهاً وطوعاً ، وبعدها غزا النبي ﷺ حنين فاتصرا انتصاراً باهراً : وفي سنة تسع غزا النبي تبوك واقام فيها بضع عشرة ليلة ثم انصرف قافلاً من دون حرب : وفي هذه السنة تكاثرت وفود القبائل على رسول الله ايضاً : و في سنة عشر كانت حجة الوداع وفي منصرفه من مكة الى المدينة صار الى موضع بالقرب من الجحفة يقال له غدير خم لثمانى عشرة ليلة خلت من ذى الحجة وقام خطيباً واخذ بيد على بن ابي طالب فقال ألسنت اولى بالمؤمنين من انفسهم قالوا بلى يا رسول الله قال فمن كنت مولاه فعلى مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه : وتوفي النبي ﷺ في اوائل السنة الحادية عشرة للهجرة بعد سلسلة مبارزات قام بها فذك في غضونهما عروش الوثنية واخلاق الجاهلية وخلق من طريقها امة ذات حول و طول كثر فيها العالم العامل والزاهد العابد ومن الى ذلك من الاخيار :

على ذلك ، اى على بعث الله تعالى رسله الى خلقه ليستأدوهم ميثاق فطرته و يذكرهم منسى " نعمته ، نسلت القرون ، اى تعاقبت واخذ قرن بعقب قرن آخر و كذلك معنى قوله ﷺ : ومضت الدهور وسلفت الالباء و خلفت الالباء الى ان بعث الله سبحانه محمداً رسول الله ﷺ لانجاز عدته ، اى لاجل ان ينجز تعالى ما وعد به خلقه ببعثة هذا الرسول على لسان انبيائه السابقين ، وتمام نبوته ، اى تمام نبوة الله لانبيائه بمحمد خاتم الانبياء والمرسلين حيث تستجمع رسالته كل كمال يقوم بسعادة الناس على طول الأجيال ، مأخوذاً على النبيين ميثاقه ، حيث يقول الله تعالى بالنسبة الى ذلك فى الآية (٨١ من سورة آل عمران) واذا أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جائتكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه ، مشهورة سماته ، بين السابقين من الانبياء الذين عرف الله محمداً اليهم وبين معاصريه بانه الصادق الامين ، كريماً ميلاده ، فانه تولد فى اسرة عريقة فى الشرف والكمال ، واهل الارض يؤمئذ



ملل متفرقة ، من يهودى ونصرانى ومجوسى وصابئى ومعطل وعابد وثنوما الى ذلك من شتات العقائد المتوزعة بين الناس فى شرق الارض وغربها ، واهواء ، جمع هوى و هو الميل والرغبة ، منتشرة وطوائف مشتتة بين مشبه الله بخلقه ، اى بواحد من مخلوقاته الكونية ، او ملحد فى اسمه ، الالحاد هو الميلان عن الدين والحياد عنه والظعن فيه ومعنى ألحد فى اسمه انه مال عن اسمه اللائق بذاته من واجب الوجود والخالق و المعبود وما الى ذلك من الاسماء التى لاتطلق على غيره لتقصانه عنها وجاء يسميه تعالى بما تنزع اليه شهوته الجاهلة من انه الشمس والقمر او اللات والعزى ونظير ذلك مما حسبه رباً ونافعاً وضاراً ومدبراً لامور العالم ، او مشيراً الى غيره ، سبحانه بانه الرب الخالق ولو اعطى التدبر حقه لعرف ان كل ما يشير اليه مخلوق عاجز عن تدبير نفسه فضلا عن خلقته لغيره وتديره اياه ، فهدهم به من الضلالة ، اى كان محمد ﷺ واسطة فى هدايتهم من الضلالة والافالها دى الاول هو الله الذى خلق عقولهم و ذراً قواهم ، وانقذهم بمكانه ، بين اظهرهم ، من الجهالة ، التى اخلدوا اليها واغر قوا فيها ، ثم ، بعدما قضى ﷺ واجبه تجاه ربه و ارشاد عباده ، اختار سبحانه لمحمد ﷺ لقاءه ورضى له ما عنده ، من الرضوان العميم ، واكرمه عن دار الدنيا ، الملوثة بالانحرافات والمشوهة بالهفات التى خلقها الناس لانفسهم ، ورغب به ، اى استأثر به ، عن مقارنة البلوى ، المائلة لارجاء البسيط ، فقبضه اليه كريماً ، اى غير ملوث بأدران الطبيعة ، ﷺ .

ومن خطبة له ﷺ : النهج الحديدى ج ١ ص ٤٧١ . الحمد لله الذى لم تسبق له حال حالا فيكون اولا قبل ان يكون آخرا ، ويكون ظاهراً قبل ان يكون باطناً كل مسمى بالوحدة غيره قليل ، و كل عزيز غيره ذليل ، و كل قوى غيره ضعيف ، و كل مالك غيره مملوك ، و كل عالم غيره متعلم ، و كل قادر غيره يقدر ويعجز ، و كل سميع غيره يصم عن لطيف الاصوات ويصمه كبيرها ويذهب عنه ما بعد منها ، و كل بصير غيره يعمى عن خفى الالوان ولطيف الاجسام ، و كل ظاهر غيره غير باطن ، و كل باطن غيره غير ظاهر لم يخلق ما خلقه لتشديد سلطان ، ولا تخوف من عواقب

الزمان ولا استعانة على ندم ماثور ولا شريك مكاشر ولا ضد منافر ، ولكن خلافاً -ق  
مر بوبون وعباد داخرون لم يحلل في الاشياء فيقال هو فيها كائن ، ولم يناعنها فيقال  
هو منها بائن . لم يؤده خلق ما ابتدأ ولا تدبير ما ذرأ ولا وقف به عجز عما خلق ولا ولجت  
عليه شبهة فيما قضى وقدر بل قضاء متقن وعلم محكم وامر مبرم المأمول مع النعم  
المرهوب مع النعم .

الحمد لله الذي لم تسبق له حال حالا ، اى لم تكن له شؤون مما يخص ذاته  
فيكون بعض شؤونه الذاتية سابقاً في الوجود والشأن الاخر لاحقاً بل هومن الازل الى  
الابد ذات واحدة مستجمعة لصفاتهما اللازمة فهو اول لازليته و آخر بعين اوليته لو حدثه  
البسيطة المتمحضة في البساطة ولان الازلية وصف ما كان وجوده لذاته وهذا الوجود  
لا يكون الا ابدياً ولذلك تكون آخريته بعين اوليته واما افاضاته وظهور تقديراته فهما  
متدرجان في الان بعد الان حسب المصالح التي يعلمها ويجريها في مخلوقاته وهذا هو معنى  
كونه كل يوم في شأن ، فيكون ، اى لا يكون ، اولا قبل ان يكون آخراً ويكون  
ظاهراً قبل ان يكون باطناً ، بل هو ازل وابدأ اول و آخر وظاهر و باطن كل من ذلك  
في عرض الاخر وان اختلف المنشأ الداعي لوصفه بالاولية و الآخرية و الظاهرية و  
الباطنية ، كل مسمى بالوحدة غيره قليل ، اى ان الله سبحانه واحد بالوحدة الحقيقية  
التي لا يشوبها اقل تجزأ و تركيب و اما غيره فلو صدق في حقه انه واحد من كل  
جهاته فقليل اى لاقية له لضولة هويته فهو قليل الاثر او معدومه ، و كل عزيز غيره  
ذليل ، فانه ما من سلطان الا وقدر كثر سلطنته على تحببه الى جملة من الناس يحفظونه  
ويذبون عنه ويؤيدونه لعلمه انه اذا تخلى عن اولئك او امثالهم سقط هذا اذا استمر  
به زمانه سلطاناً ذاتاج وصولجان واما اذا طاحت به الظروف فلا تسل عنه ذلك وحقارة  
وكل قوى غيره ضعيف ، لان غير الله يستمد قوته من غيره من رجال ومال وسلاح  
و كراع وليس له من نفسه شيء سوى قوة اعضائه اذا كان واجداً لذلك على ان هذه  
القوة انما حصلها من طريق خلقه وخلق ما يوجب التقوية من ما كول ومشروب ،  
وكل مالك غيره مملوك ، لالمن خلقه فقط وان موته وحياته وشقائه وسعادته ليس

منها شيء إليه بل هو مملوك حتى في دنياه لكل من يحتاج إليه و كل ما يتوسل به لحفظ مالكه على ما يملك ، و كل عالم غيره متعلم ، اذ لا علم ذاتياً في الكائنات العالمة الا من طريق الكسب والنهصيل او من طريق الالهام والافاضة والجميع علم طارئ وجوده بعد عدمه مفاد لانه عين ذاته ، و كل قادر غيره يقدر و يعجز ، اى ان قدرته ليست منه و انما هي في كل الاحوال تستمد من الظروف المساعدة فاذا تخلت الظروف المؤاتية عن القادر عجز ووهن واما مبدأ الكائنات الذى صدر عنه كل ما فى الوجود من خطير وحقير فلان قدرته هذه ان لاتقاربها قدرة ، و كل سميع غيره يصم عن لطيف الاصوات ويصمه كبيرها ويذهب عنه ما بعد منها ، ذلك لان سمعه هو علمه المحيط بكل شيء واما غيره فسمعه بحاسة محدودة يشذ عنها لطيف الاصوات ويقطعها عن الحس المطلوب كبيرها ولا تكاد تدرك ما بعد عنها ، و كل بصير غيره يعمى عن خفى الالوان ولطيف الاجسام ، لان بصره تعالى كسمعه هو علمه الواسع ولا يشذ عن العلم ما خفى و لطف اما الحاسة فيشذ عنها الخفى اللطيف لمحدودية قواها الدراكة ويمثل لخفى الالوان بالهواء المذاب الى هواء مائع فان الهواء قبل ميعانه غاز فاقد للرائحة وللطعم وللون ولا يرى بالبصر و بعد الميعان يكون ماءً شفافاً ولو نه يميل الى الزرقة : ولخفى الاجسام بمثل الطاقة الذرية وما يتألف منها الى حد تنصر عنه الرؤية ، و كل ظاهر غيره غير باطن و كل باطن غيره غير ظاهر ، لان كل ما ظهر من الموجودات فهو بطبيعته لا يكون مستوراً و كل ما بطن منها فهو غير ظاهر اما ظهوره سبحانه فمن طريق تجلياته فى كائناته المألثة لكل حس واما خفاؤه فمن طريق عراقه هويته فى العظمة التى تعجز العقول والقوى الدراكة عن الاحاطة بها ، لم يخلقها لخلقها لتشديد سلطان ، اى لتقوية سلطانه كما يفعل ارباب السلطات ذلك فان تكالب الدول على اختراع القوى المتنوعة واستنماء الاموال من شتى جهاتها انما هو لتقوية سلطانها وتوقها على غيرها التحرز شهوتها من النفوذ والعظمة ، ولا تخوف من عواقب الزمان ، بأن يكون انما خلق ذلك ليدخره فى دفع النوائب والحوادث كما يفعله خز ان

السلاح والمال تحفظاً من الحوادث الطارئة ، ولا استعانة على ندمناور ، الندهو النظر  
والمناور هو الذى يتربص الوثبات على قبيله ليثور عليه حتى يضعفه او يحوز سلطانة لنفسه، ولا  
شريك مكاثر، المكاثر هو الذى يدعى انه اكثر مادة من شريكه، ولا ضد منافر، وهو الذى  
يغالب طرفه فى حسبه و محاسنه ليرفع عليه والمبدأ الاعلا فى معزل عن كل ذلك  
اذ لا شركة فى المبدأية لبساطة المبدأ الاول من جميع وجوهه كما انه لا ضد له  
يقابله لان هويته با متيازاتها الخاصة لا يكاد يتصور لها ضد خاص ، و لكن خلائق  
مر بوبون وعباد داخرون ، مر بوبون اى لهم رب فوقهم وداخرون اى خاضعون و  
المنظور انه تعالى خلقهم ونظم خلقتهم واعطاهم من القوى ما يحوز لهم السعادة لو  
اطاعوا وخضعوا للقانون ليكونوا مر بوبين لرب لا يريد منهم تشديد سلطان ولا ذخيرة  
لعواقب الزمان ولا استعانة بهم على الانداد و لامكاثرة من طريقهم على الشركاء و  
لامفاخرة على الاضداد وانما يريد خيرهم لانفسهم وسعادتهم لحياتهم وخضوعهم تجاه  
اوامر الرب ونواهيهم لمصلحتهم حتى يعيشوا وادعين راضين وينقلبوا الى ربهم مرضيين  
وهذه الغاية من اشرف الغايات ، لم يحلل فى الاشياء فيقال هو فيها كائن ، ذلك لان  
المجرد عن المادة بطبيعة حاله لا يحل فيها ولا تحل فيه ، ولم ينأ عنها ، فى تدبيره لها  
والنظارة عليها ، فيقال هو منها بائن ، لان البينونة تقطع التدبير والقيومة التامة يقال  
نأى عنه اذا بعد ، لم يؤده خلق ما ابتداء ، اى لم يعجزه خلقه الابتدائى غير المأخوذ  
عن طراح طرح لهصنعتة فنسج على منواله بل خلقه على انه ابتدائى ابداعى صدر  
عنه بلا مؤنة عليه وهذا يدل على سعة علمه وعظيم قدرته ، ولا تدبير ما ذراً ، فان جملة  
من المؤسسين يؤسسون و لكن يعجزهم التدبير على طول المسير فيجبلون به الى  
غيرهم ليكسبوا راحتهم من ناحية و يحققوا مقاصدهم من ناحية ثانية اما هو تعالى  
فمؤسس بلا مساعد ومدبر احسن تدبير بلا مؤازر اذ لا حاجة به الى كل ذلك يقال  
ذراه اذا خلقه والتدبير حسن سياسة الشئ بما يستفاد من طريقه المقصد المتوخى ،  
ولا وقف به عجز عما خلق ، على طول مسير الخلائق وكثرتها وتشعبها فى نفسها واهمية  
كل منها فى عالمه ، ولا ولجت عليه شبهة فيما قضى و قدر ، بل قضاؤه و تقديره

نتيجة علمه بمصالح عباده ومفاسدهم و كل قضاء وتقدير يكون كذلك فانه مأمون من ولوج الشبهة عليه فان الشبهة والبداء انما يعرضان لمن يدخل باب المستقبل من طريق حدسه وتخرسه وما يقوم بنظره وهذا قد يواجه في طريقه شهباً و تشكيكات بل قد تنقلب به الحال الى ندم : و اما النسخ و البداء الذى بمعناه فداعيها انما يكون مراعاة المصالح المؤقتة لامصلحة الشيء بالنظر الى ذاته ، بل قضاء متقن ، لاخلل فيه ، وعلم محكم ، لا يتبدل يطرأ عليه ، وامر مبرم ، لاناقض له من تغير رأى ، المأمول مع النقم فلا يجوز حتى للمنتقم منه ان يياس من لطف ربه به ، المرهوب مع النعم فلا يجوز للمتنعم بنعم الله ان يمضى على غلوائه ذاهلاً عن مؤاخذه ربه له اذا انحرف و انجرف مع المعاصى بل يجب عليه دائماً ان يحذر بطش ربه و يرهب سلطانه و يخاف مؤاخذته .

هذا ويليق بنا ان نذكر هنا ما يشكك به الماديون فى الحكمة الداعية الى خلقه جملة من الاشياء والى ما يراه النوع الانسانى فى مضامير حياته من ابتلاآت هى خارجة عن تسبيبه ونحن نذكر شبههم اولا ونجيب عنها بعد ذلك :

قالوا اذا كان هناك صانع وكان حكيما فى صنعته ولم يخلق ما خلق الاعن حكمة ولم يقدر شيئاً الا وهو بمصلحة من قدر عليه الشيء فما الحكمة فى خلق الصحارى الجرداء الفاقدة لكل وسائل العمران والسكنى والاسكان وما الحكمة فى خلق العقارب والحيات والحيوانات الضارية المفترسة التى لا يجىء منها غير الضرر وما الحكمة فى خلق البراكين و الاعاصير المدمرة و كيف جاز للصانع ان يثنى الوسادة على طول الزمان للحكام المتوردين والولاة المنحرفين والعمال المخربين الذين لاهم لهم سوى تعذيب مخلوقاته والاعنات بالانسان والحيوان بصورة لا يستطيع هضمها ولا التغافل عنها بل يلوح لنامن مظاهر الحياة وسير الزمان باهله ان كافة هذه المخلوقات مسيبة مهملة لا وازع يزع قويا عن ضعيفها وخبيثها عن طيبها يعيش القوى عاتياً والضعيف مخذولاً أفيكتفى من هذا وذلك أن يعاقب الله الظالم فى آخرته ويأخذ فى ذلك اليوم للمظلوم بظلامته وتكون الحياة على القسم الاوفر من الاحياء كالعبأ

الثقيل سمجاً منظرها مرّاً طعمها شديداً و قعها وقد تلجأ الحوادث المؤلمة بعض  
البؤساء الى ان يقطع على نفسه طريق حياته بالانتحار ليستريح من ويلاتها : و هذه  
النبتة خلاصة ما طالوا فيه الكلام عن هذه الشبه .

والجواب عن ذلك - اما اولاً - فانه يجب ان يعلم ان قوى البشر وعهما ضخمت  
وعظمت محدودة وماهى فى جنب كل مادب وهب وتحرك وسكن وظهرو بطن فى عالم  
علوى اوسفلى الارقم ضئيل فى قبال اعداد لاتتناهى : الفكر الذى يعجز عن تحليل  
الفراشة والذبابة وانهما كيف صارتا وبأى جهاز تجهزتا ولم كانتا ولاى مقصد طارتا  
ومن اين جائهما هذا الهدى الذى به تهتديان ومن طريقه تذهبان وتجيئان وتعملان  
لحياتهما وتوليد امثالهما الى غير ذلك من الاسرار التى يعجز اللسان والبيان عن  
سردها فضلا عن تحليلها وتفصيلها - أجدربه - ان يعجز عن الاحاطة بكل ما فى الكون وانه  
لاى شىء خلق والى اية غاية به قصد : وان يكن ادرك شيئاً من هذه الظواهر فانما  
هو استعراض لظواهر ادرك وجهها المكشوف واستعصى باطنها عن الظهور : ترى العين  
الشمس والقمر وجملة الكواكب ويفسرها العقل بانها خلقت لتنوير الكائنات و  
ما يدرينا ان لها من الخواص ما يفوت حد الحساب ونجهل القليل والكثير منها : قل لى  
بربك من وقف على كنوز الطبيعة الملقاة بين ايدينا حتى يستطيع ان يعرف البحر  
وما فيه والعالم العلوى وما يحتويه كل ذلك حتى الذبابة والفراشة من الطلاسم و  
رعونة الجاهل المركب تدفع به الى تيه مظلمة و اجواء معتمة و هومع ذلك نراه  
يتشوق ويدعى علم ما هو اجهل الناس به .

وهاته الطبيعة التى يدعى الماديون ان لها من نفسها نظاماً خاصة و نواميس  
محكمة لا يشذ عنها من مواليدها القليل والكثير كم لها من مد وجزر وافراط وتفریط  
ان تكن الطبيعة تسرى فى مواليدها من طريق الوراثة فلم لا يلتقى مولود و والد  
على نقطة واحدة فى الصور والغرائز والهويات : وان تكن الضرورات الملحة تخلق  
للمضطر حاجته كما خلقت للزرافة طولاً فى يديها وامتداداً فى عنقها - حسبما يزعمون -  
فاين آثار الاضرار فى كل ضعيف امام كل قوى وفقير مدقع تجاه متمول ثرى و ما

الى ذلك مما لا يعد ولا يحصى : وان تكن الطبيعة تنتخب اصلح الافراد للبقاء فعلام نرانا على طول الخط نلمس الشذوذ في الخلقة مستمراً مع المخلوقات منذ كانت والى ان تتلاشى وعلام نرانا نر كس في عقولنا الاجتماعية الحيوية و نندهور في اخلاقنا الانسانية من عال الى دان ومن كمال الى نقص حيث الحياة مقرونة بالعقول الاجتماعية والاخلاق الفاضلة الانسانية ولا اثر من دون ذلك للمجوامع البشرية ومهما كثرت فيها سفن الفناء ووسائل توليد الكهرباء والذرة والصواريخ الى ما سوى ذلك مما تمتاز به عقول البشر في عصر حضارتها كما يقال :

ان تكن انتجت العقول هذا الكمال لترفيه الاحياء وادامة الحياة فقد ارهقت البشرية ارهاقاً حتى جعلتها في محيط بر كاني لايزال ثائراً هائجاً ولا كهياج الحيوان المغتلم والاخر الضارى المفترس : دنيا تعج بصخبها وزعازعها قد احاط بها الاسفاف من كل مكان والاستبداد بشتى الصور والالوان والفساد الماحق والتبذل الشائن والحيونة الجافة وكل تسيب واهمال : فمن زم بالطبيعة عن انتخابها لبقاء الصالح من مواليدها ، هذا كله هذيان وهذر، واصل المقصود من كل ذلك وهذا لعلماء المادة والطبيعة هو تقطيع اوصال البشرية والقائها بين اشدق الفناء ليس غير .

وعليه فالعوالم كلها طلاس : و العقول البشرية مهما بلغ اوجها قاصرة عن حلها فمن ادراها ان الصحارى الجرداء بسطت الالغاية وان العقارب والحيات تجرى لاي نهاية وهل يجب على الصانع ان يفهمنا كل حكمة ويوقفنا على غامض اسراره وهل تحكمنا عليه بذلك يكون الزاماً له .

- واما ثانياً فهذا الانسان الذى يهوى العدالة ويحبها ويريد الخير ويطلبه ويحب الترفيه على نفسه ويريده و ينتصر للحق بلسانه فيما يدعى ما الذى دفع به الى تأييد الفراعنة حتى صار جندياً لهم يقذف بنفسه فى لهوات المنايا لبقاء سلطانهم و ما الذى دعاه ان يكذب موسى بن عمران وهو يريد للحرية وللعبودية وما الذى طحا به ان يبارز عيسى بن مريم المعلم الاخلاقى المنقطع النظير ولم قام فى وجه محمد بن عبدالله وهو يريد له العلم مكان الجهل والتواضع الصحيح بدل التجبر الفارغ والمساواة امام التبعض

الطبقاتي ولم خذل علياً هذا المثالي العظيم واتجه صوب كل مؤف مأفون : والى ما شئت من هذه المقارنات منذ بدء الخلقة الى يومنا هذا اذن فالانسان هو بلاء نفسه : نعم في اطباق بنى آدم قديوجد فى الحين بعد الحين من صدق وجدانه وارضى ضميره وايمانه وعاش قلقاً مضطرباً ولم ير لنفسه منجاة يلجأ اليها ولا ندرى بحكمة ماشاء الله له من المحنة والبلاء : كما لا ندرى بحكمة ماسوى ذلك .

هذا وقد اعترف الطبيعى الملحد بجهله لاكثر ما يعانيه من الطبيعة ونواميسها : فقال العلامة الانجليزى استوارميل كما نقله عنه الاستاذ جون لبوك : تبدوا الينا الحياة الانسانية محاطة بغوامض الاسرار فترى دائرة تجاربنا الضيقة كأنها جزيرة صغيرة ضالة فى بحر لانهاية له يرفع احساساتنا ويساعد قوتنا الخيالية بعظمه وظلامه ومما يزيد ذلك السرغموضاً ان مجال حياتنا الدنيا كيس كجزيرة فى فضاء غير متناه فقط بل فى زمان غير متناه ايضاً - اه - دائرة معارف وجدى مادة أله ص ٥٢٥ و ٥٢٦ . وقال شبلى شمىل ليس فى طاقة الطبيعى ان يعلم الحقائق والماهيات : وقال بخنر انه ليصعب اوستحيل علينا ان نعرف كم يخص كلا من هذه الاسباب ويظن دارون انا غالباً لانعرف النواميس .

وقال دارون فى اصول الانواع وكثيراً ماتستعلق دوننا وجوه الرشد فى اكتناه دستور محكم نسترشد بهديه فى ظلمات هذه الابحاث : بحكاية انوار الهدى ص ٢٦ . ومن كلمة للعلامة الفرنسى لوجيل نحن لانعلم ولا نرى الا الظواهر والقشور اما الحقيقة والعلة فتأبيان ان تنكشفنا لنا . وجدى مادة مدد ص ٥٠٦ : كما اعترف الموحد بذلك ايضاً وما احسن ما قال الفيلسوف الشهير فخر الدين الرازى .

نهاية اقدم العقول عقال واكثر سعى العالمين ضلال

ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

و فى طليعة كافة الموحدين قال امير المؤمنين على عليه السلام للرجل الذى سأله ان يصف له الله كاحد الاعيان المشهودة (خطبة الاشباح : ج ٢ ص ١٣٨ من النهج الحديدى) فانظر ايها السائل فما ذلك القرآن عليه من صفته فائتم به واستضىء بنور هدايته وما



كلفك الشيطان علمه مما ليس في الكتاب عليك فرضه ولا في سنة النبي ﷺ وأئمة الهدى اثره فكل علمه الى الله سبحانه فان ذلك منتهى حق الله عليك واعلم ان الراسخين في العلم هم الذين اغناهم عن اقتحام السدد المضروبة دون الغيوب الاقرار بجملتها ما جهلوا تفسيره من الغيب المحجوب فمدح الله اعترافهم بالعجز عن تناول ما لم يحيطوا به علماً وسمى تركهم التعمق فيما لم يكلفهم البحث عن كنهه رسوخاً فاقصر على ذلك ولا تقدر عظمة الله سبحانه على قدر عقلك فتكون من الهالكين .

و قال عليه السلام (من خطبة الاشباح : ج ٢ ص ١٤٢) في مقام الصانع عز وجل: هو القادر الذي اذا ارتمت الاوهام لتدرك منقطع قدرته و حاول الفكر المبرأ من خطرات الوسواس ان يقع عليه في عميقات غيوب ملكوته وتولت القلوب اليه لتجرى في كيفية صفاته و غمضت مداخل العقول في حيث لا تبغى الصفات لتناول علم ذاته ردعها فهي تجوب مهاوى سدف الغيوب متخلصة اليه سبحانه فرجعت اذجهت معترفة بانها لا ينال بجور الاعتساف كنه معرفته ولا تخطر ببال اولي الرويات خاطرة من تقدير جلال عزته الذي ابتدع الخلق على غير مثال امثله ولا مقدار احتذى عليه من خالق معبود كان قبله و أرانا من ملكوت قدرته و عجائب ما نطقت به آثار حكمته واعتراف الحاجة من الخلق الى أن يقيمها بمسالك قوته ما دلنا باضطرار قيام العجبة له على معرفته و ظهرت في البدائع التي أحدثها آثار صنعته و اعلام حكمته فصار كل ما خلق حجة له ودليلاً عليه و ان كان خلقاً صامتاً فحجته بالتدبير قاطعة و دلالته على المبدع قائمة .

هو القادر الذي اذا ارتمت الاوهام لتدرك منقطع قدرته ، ارتمى الوهم اذا أصدت في تفكيره وتغلغل في حقيقة الشيء ليقف على مداها ويقال ارتمى ايضاً للمفاعلة من الرمي والمنظور هنا ان الاوهام اذا تسابقت في التفكير لتبلغ نهاية قدرة الله والمنقطع هنا بزنة اسم المفعول ومعناه مكان الانقطاع و الانتهاء ، و حاول الفكر المبرأ من خطرات الوسواس ان يقع عليه في عميقات غيوب ملكوته، المحاولة هي اداة الوصول الى الغرض من بين حجبه وموانعه والفكر المبرأ هو السالم والخطرات جمع خطرة و

هى خطوط الشئ؛ فى الخاطر والوساوس هى الاعتلاجات النفسية والمراد بعميقات الغيوب هى بطون الغيب والملكوت تفخيم للملك والمنظور بالوقوع عليه هو تحصيله والعثور به ، و تولدت القلوب اليه لتجرى فى كيفية صفاته ، الوله بالتحريك شدة العشق المؤدية الى الحيرة والمنظور ان القلوب احبت من صميمها ان تجرى فى طريق يوفى بها على معرفة صفاته وانه ما معنى كونه عالماً بصير أسمى اذلياً ابدياً حياً قيوماً اذا تعرفه القلوب من السمع والبصر والحياة والقيومة فى غيره امر وراء ما يستسيغه الوجود المجرد لنفسه ووراء ما تجيزه العقول عليه لذلك لما رأت القلوب ضرورة اتصافه تعالى بهذه الاوصاف ولم تكن تعرف منها فى حقه شيئاً اخذها الوله فى تحسس الطريق الى معرفته ولو وجدت اليه سبيلا ، وغمضت مداخل العقول فى حيث لا تبلغه الصفات لتناول علم ذاته ، غمض المدخل اذا انستروجه على من يريد السير فيه فالسائر حائر: فى حيث لا تبلغه : اى فى مطلب لا تتناول من التعرف به لو تمكنت منه حصول العلم لها بذاته وانها ماهى ولا بعلمه وانه ما هو ، ردعها فهى تجوب مهاوى سدف الغيوب ، ردعها جواب اذا الشرطية فى قوله اذا ارتمت الاوهام : فاذا منعت الافكار والعقول والقلوب عن ولوج تلك المداخل الغامضة فلا تراها تتردد الا فى اودية ملتوية مظلمة معتمة ومن يكن كذلك فهيهات منه الوصول الى مقصده الذى ينوى وغايته التى يزوى : جاب المسافة قطعها والمهاوى جمع مهواة وهى المكان الذى يتردى فيه ماشيه لوجود الانخفاضات العميقة فيه كالودية والحفائر والسدف جمع سدفة وهى الظلمة ، متخلصة اليه سبحانه فرجعت اذجهت ، متخلصة حال من قوله فهى تجوب اى انها فى حال تجشمها فى المهاوى تقصد الوصول من ذلك اليه سبحانه فترجع خائبة حين تردعها المشكلات المتظاهرة عن ذلك ومعنى جهت انها ردت عن مقصدها بالتواء الطرق عليها وعدم الاهتداء الى ما تحاول الوصول اليه ، معترفة بانها لا ينال بجور الاعتساف كنه معرفته ، معترفة حال من قوله رجعت اى انها لما حاولت الوصول الى مقصدها الذى كانت تزويه وردت عنه بالقواهر المانعة آبت من سفرها معترفة بانها لا ينال من طريق التردد فى التيه المظلمة والودية الملتوية و المداخل الغامضة ما يحاول من

التدقيق في معرفته يقال جارفلان عن قصد السبيل اذا انحرف عن الجادة الشارعة والاعتساف هو التكلف ، ولا تخاطر ببال اولى الرويات ، والتأملات بعد طويل التروي والتأمل ، خاطرة من تقدير جلال عزته . اى انها فضلا عن اظهارها العجز فى مقام معرفته نراها عاجزة ايضا عن القيام بواجب تقديره و تجليله لان من يكون بهذه العظمة الخارقة لا يوجد لايفاءه حق التعظيم من مخلوقاته اى طريق سوى ما يتيسر دفعا لمحذور الجفاء ، الذى ابتدع الخلق على غير مثال امثله ، يقال امثله اذا اتخذ مثله والابتداع والاختراع بمعنى وهو الاتيان بالشىء على غير سابقة كانت له ومعنى ذلك ان كل ما خلقه فقد صدر منه عن ارتجال محض فهو لم يحتد فيه حذو غيره اذ هو اصل كل الاصول فلا مجال للغير وعلمه لا يعزب عنه حتى يحتاج الى تهيئة لائحة سابقة يتخذها طريقاً مريحاً لتطبيق ما يريد ابداعه ، ولا مقدار احتذى عليه من خالق معبود كان قبله . لانك عرفت انه لا مجال للغير فى التحدث عن مبدأ كل المبادئ ، وأرانا من ملكوت قدرته ، اى من طريق الملك الواسع الذى ملكته قدرته ، وعجائب ما نطقت به آثار حكمته ، بلسان حالها الذى هو ابلغ من لسان مقالها لو كان بها ان تنطق . واعتراف الحاجة من الخلق الى ان يقيمها بمسك قوته ، كل المخلوقات تظهر من نفسها الاحتياج فى كينونتها وفى استمرارها فى البقاء الى مسك يمسكها وقيم يشرف عليها و مباشر يقوم بملاحظتها فى اطوار تغيرها و تحولها و المسك بكسر الميم ما يمسك به ، مادلنا باضطرار قيام الحجة له على معرفته ، مادلنا مفعول لقوله وارانا اى ما ارانا من هذه البدائع و العجائب الكونية فى العوالم السفلية و العلوية قد اضطرنا من نفسه على قيام الحجة له تعالى فى لزوم معرفته وهل اقوى حجة من آثار الشىء عليه وهل هناك دليل اوفى منها فى الايصال اليه ، وظهرت فى البدائع التى أحدثها آثار صنعته و اعلام حكمته . قوله وظهرت عطف على قوله آتفاً - الذى ابتدع الخلق - نعم لاحكمة اعلا و لاصنعة ارقى مما يراه الانسان فى خلقة البعوضة فضلا عما هو اجل خلقة منها و اجمل ، فصار كل ما خلق حجة له ، على خلقه فى وجوب تقديره و تعظيمه ، و دليلا عليه ، فى طريق معرفته ، وان كان خلقاً صامتاً . بلسانه ،

فحجته بالتدبير، العظيم الذى صرف فيه، ناطقة ودلالته على المبدع قائمة، واضحة ما بأحد ان ينكرها ومهما كابر.

وقال عليه السلام من خطبة له (ج ٢ ص ٤٤٢ من النهج الحديدى).

الحمد لله الدال على وجوده بخلقه وبمحدث خلقه على ازليته و باشتباههم على أن لاشبه له لاتستلمه المشاعر ولا تحجبه السواتر لا فتراق الصانع والمصنوع والحاد والمحدود والرب والمربوب الاحد بلا تأويل عدد والخالق لا بمعنى حركة و نصب و السميع لا بآداة و البصير لا بتفريق آلة والشاهد لا بمماسة و البائن لا بتراخي مسافة و الظاهر لا برؤية والباطن لا بلطافة بان من الاشياء بالقهر لها والقدرة عليها وبانت الاشياء منه بالخضوع له والرجوع اليه من وصفه فقد حده ومن حده فقد عدده ومن عدده فقد ابطل ازله ومن قال كيف فقد استوصفه ومن قال أين فقد حيزه عالم اذ لا معلوم ورب اذ لا مربوب وقادر اذ لا مقدر .

الحمد لله الدال على وجوده بخلقه، اذ لولا هذه المخلوقات المنتشرة الظاهرة للعين الطالعة بالاسرار المهمة فيها لكل ذى بصير و نظر لما توجهت الفطن الى ان وراء هذه المشاهدات امراً له تحقق فى الوجود وعراقة فى التأصل فالوسيلة الوحيدة لدرك ذلك هى اعلام الوجود وقد اسلفنا ان بعض النفوس المتجافية عن المادة الذائبة فى القدس والطهارة قد نفذت الى ما وراء الطبيعة نفوذاً روحياً واتصلت بمعرفة المبدأ اتصالاً معنوياً فان من يقول ما عبدتك خوفاً من نارك ولا طمعاً فى جنتك ولكن رأيتك اهلاً للعبادة فعبدتك وكان فى مثاليته موضع يقين غير مشوب لا يشك فى انه عرف المبدأ من غير الطريق الذى عرفه به سائر المخلوقين ولا طريق و راء المشاهدات الحسية الا المكشفات المعنوية، وبمحدث خلقه على ازليته، لان احداث الكوائن يحتاج الى مبدأ أولى قهار و كل مبدأ لا يكون اذلياً لا يكون مبدأ لكل المبادئ اذ لا يتصور فى مبدأ الكل الا الازلية وهى الوجود بلا سبق عدم، و باشتباههم على ان لاشبهه، يقال اشتبه هذا بذاك اى حصل بينهما تشابه فان المخلوقات لاتعدم المشابهة فى العناصر الاولية و الكيفيات العمومية و ان انفرد بعض عن بعض فى الخواص

الجوهرية و التخطيطات الشكلية والصفات النفسية والاثار الطبيعية ومبدأ المبادئ في جوهرية الخاصة به لو كان له شبهه لكان احد هذه الموجودات التي احتواها الوجود اذ ليس في الوجود وراء موجوداته شيء ، و اذا كان احدها كان جامعها ما به الشبه بينهما وحيث ان مبدأ المبادئ يقتضى من نفسه لتعليل وجود الكوائن به ان يكون بعيداً عما يوجب حدوثه بعداً لم يكن وجب فيه ان لا يكون في عنصره ما يستدعى الحدوث بعد عدم الحصول و كل ما في الوجود المنتشر مستدع لذلك فلا جامع اذن ما بين الاصل وما يتأصل به و اذا انتفى وجه الشبه انتفت المشابهة - وبعبارة اخصر - ان الموجودات لما لم تجد فيما بينهما ما يجمعها به بدأها في العنصر والجوهر ولا تعرف لما سواها في الوجود وجوداً حكمت لمكونها بانه لا شبه له ما بين الموجودات واما هي فمتشابهة فيما بينها ضمن جوامع تشتمل عليها جميعاً ، لا تستلمه المشاعر ، يقال استلمه منه وتسلمه اذا تناوله فالمشاعر وهي الحواس ليس بها ان تتناوله من طريق ادراكها الظاهري بالمرّة ولامن طريق ادراكها الباطني الا بدراك مجمل ، ولا تحجبه السواتر ، عن ادراك العقول له بمقدار ما تزيج به العلة عن نفسها من مضايقة وجود هذه الكوائن لها بانه من حصلها وكونها و اوجد فيها هذه القوى الجبارة حيث لا تسبغ العقول في جواب ذلك ان تقول حصلت من دون محصل و كانت بالامكون ووجدت هذه القوى الجبارة من غير موجد ، لافتراق الصانع والمصنوع والحاد والمحدود والرب والمربوب ، هذا تعليل منه عليه السلام لقوله انه لا شبه له وان المشاعر لا تستلمه : وافتراق الصانع عن المصنوع والحاد وهو الذي يحدد الشيء ويجعل له حدوداً بها يمتاز عن غيره عن المحدود والرب وهو القيم على الشيء عن المربوب وهو الواقع تحت قيمومته من الواضحات غايته انه بين مبدأ المبادئ وسائر هذه الكوائن يكون بمرحلة اشد ، الاحد بلا تأويل عدد ، اذا المنظور بوصف الاحدية للمبدأ الاعلا ليس هو انه واحد في مقابل اثنين واكثر بل المنظور به البساطة في مقابل التركيب والتجزؤ اي ان جوهره وعنصره متمحضان في الوحدة لاتعدد فيهما ولا تركيب ولا تجزؤ ، والخالق لا بمعنى حر كة ونصب ، وتعب واجهاد نفس لان الحركة وما اليها من لوازم الاجسام ومبدأ

المبادئ بعيد عن ذلك ، والسميع لأبداة ، اى بوسيلة ، والبصير لابتفريق آلة ، و معنى تفريقها تمويجها فى شتى الجهات كما هو شأن كل ناظر بحدقة بل سمع الله وبصره علمه المحيط بكل شىء ، والشاهد ، اى الحاضر لكل مدرك اوالناظر لكل مدرك ، لا بماسة ، ناظر لمنظور او لاس لملموس بل بحضور مكاشفة ، والبائن ، اى المبتعد ، لا بتراخى مسافة ، بين المتباعد وما بعد عنه بل هو بائن بحقيقته عن سائر الحقائق جوهرأ وهوية . والظاهر لابرؤية ، تقع عليه فتكشفه بل ظهوره انما هو للعقل حيث يدركه وللنفوس المترقية حيث تكاشفه ، والباطن لابلطافة ، بل بالتجرد الخالص فان جملة من الاجسام اللطيفة يستولى عليها الخفاء اللطافتها والمبدأ الاعلا لطيف لكن بمعنى التجرد وعليه يصح أن يقال فيه انه بطن للطفاته بهذا المعنى وقد سلف فى كلام الامام ع نظيره كما عبر الله سبحانه عن نفسه بذلك حيث قال وهو اللطيف الخبير ، بان من الاشياء بالقهر لها والقدرة عليها ، لان القاهر لشىء ليس من ذلك الشىء المقهور فالذى حصل كينونة الاشياء وسبقها وجوداً والزمتنا الضرورات العلمية ان نعرفه بالتجرد والبساطة يستحيل عليه اختلاطه بها او حصول أية نسبة تقوم بينه وبينها سوى نسبة القهر لها والقدرة عليها وتدير شؤونها ، وبالملازمة باننا الاشياء منه بالخضوع له والرجوع اليه ، فى تدير شؤونها والقيومة عليها ، من وصفه ، بأوصاف زائدة على عين ذاته او مخرجة له من التجرد والبساطة ، فقد حده ، اى صير له حدوداً تقتضى خروجه الى عالم المادة ، ومن حده ، بهذا المعنى ، فقد حده ، بتجزأته اياه ، ومن حده ، باللون الآنف ، فقد ابطل ازاله ، لان ازيلته وليدة تجرده وبساطته ووجوب الوجود لذاته و كونه المبدأ الاعلا لكل شىء ، ومن قال ، فى حقه ، كيف ، هو ، فقد استوصفه ، بما يقتضيه السؤال بكيف وهى انما يسال به عن تجدد الاحوال وطروء العوارض والمبدأ الاعلى نزيه عن ذلك ، ومن قال اين فقد حيزه ، لان اين يسال به عن المكان والمجرد فى غنى عنه ، عالم اذ لا معلوم ، اى لا متعلق خارجياً لعلمه وهكذا معنى ، ورب اذ لا مر بوب ، اى خارجياً كما سلفناه ، وقادر اذ لا مقدور ، قد ظهر الى عرصة الوجود ومعنى ذلك ان علمه وصانعيته وقادرينه سبقت كل الكوائن بمعنى ان هذه الاوصاف وغيرها بالنسبة اليه تعالى

مناطقها وجود ملاكات هافيه بعين وجود ذاته

ومن كلام لعليه السلام (ج ٢ ص ٥٣٤ من النهج الحديدى) وقد سأله ذعلب اليمانى فقال هل رأيت ربك يا امير المؤمنين فقال (ع) أفاعبد ملا ارى فقال وكيف تراه :قال: لاتدر كه العيون بمشاهدة العيان .ولكن تدر كه القلوب بحقائق الايمان قريب من الاشياء غير ملامس ، بعيد عنها غير مباين ، متكلم بلا روية مريد لا بهمة ، صانع لا بجارحة ، لطيف لا يوصف بالخفاء ، كبير لا يوصف بالجفاء ، بصير لا يوصف بالحاسة ، رحيم لا يوصف بالرقه ، تعنو الوجوه لعظمته .وتجب القلوب من مخافته .

لاتدر كه العيون بمشاهدة العيان ، اى ان حقيقته لمسا كانت صرف التجرد و البساطة كانت بالنسبة الى العيون كالبعيد المتوغل فى بعده بحيث لاتدر كه الحاسة ومهما احدث النظر اليه ، ولكن تدر كه القلوب بحقائق الايمان ، اى من طريق الايمان المتحقق به فالمكاشفة من طريق الايمان به تدر كه ادراكا شريفاً لا العقل بما هو ولا الحاسة بماهى حاسة ، قريب من الاشياء ، لقيومته عليها ، غير ملامس ، لها ان قر به معنوى ليس من شأنه الملامسة ، بعيد منها ، فى هويته وهويتها ولكنه غير مباين لها ، لتديره اياها وقيامه عليها ، متكلم بلا روية ، واما غيره فانما يتكلم بعد التروى والتأمل مخافة السقطة والعثرة ، مريد لا بهمة ، اى احدث عزيمة نحو فعل الشيء فان ذلك من صفات من يفتر احيا نأويثور اخرى ويضعف حيناً ويتماسك حيناً آخر وكل هذا بعيد عن ساحة قدسه : يقال له ، صانع ، كما يطلق هذا اللفظ على غيره من الصانع لكن صانعيته تعالى ، لا بجارحة ، يستعملها كما يفعل غيره ، لطيف لا يوصف بالخفاء ، لان المنظور بلطافته هنا بساطته القائمة بالتجرد ، وغيره قدي لطف على عدم تجرده حتى يخفى عن الحواس الظاهرة فلا يرى لكنه مع ذلك لا يوصف باللفظ المطلق ولكن باللفظ الخفى وهو لا يمتنع عن ملائمة المحسوسات ، كبير ، وهو على عظمته ، لا يوصف بالجفاء ، كما يوصف به كل الكبراء الذين لا يفارقهم التكبر : بصير ، هو تعالى ولكن ، لا يوصف ، ابصاره ، بالحاسة ، بل لعلمه المحيط ، رحيم لا يوصف بالرقه ، لان الرقة والقساوة من اوصاف القلوب الحيوانية والانسانية والله رحيم

على كل حال لكل من يراه مستحقاً للرحمة، تعنو الوجوه، اى تخضع وتذل ، لعظمته ،  
وجليل مقامه ، وتجب ، اى تخفق وتضطرب ، القلوب من مخافته ، وشدة مؤاخذته على  
فصل الباطل والانحراف عن الحق .

وقال عليه السلام من خطبة له (ج ٢ ص ٢٢٧ من النهج الحديدى) كلشئ خاشع لهو  
كلشئ قائم به غنى كل فقير وعز كل ذليل وقوة كل ضعيف و مفرع كل ملهوف من  
تكلم سمع نطقه ومن سكت علم سره ومن عاش فعليه رزقه ومن مات فاليه منقلبه لم  
ترك العيون فتخبر عنك بل كنت قبل الواصفين من خلقك لم تخلق الخلق لوحشة ولا  
استعملتهم لمنفعة ولا يسبقك من طلبت ولا يفلتك من اخذت ولا ينقص سلطانك من عصاك  
ولا يزيد فى ملكك من اطاعك ولا يرد امرك من سخط قضاءك ولا يستغنى عنك من  
تولى عن امرك كل سر عندك علانية و كل غيب عندك شهادة انت الابد فلا أمداك و  
انت المنتهى فلامحيص عنك وانت الموعد فلامنجى منك الا اليك بيدك ناصية كل دابة  
واليك مصير كل نسمة سبحانك ما اعظم شأنك سبحانك ما اعظم ما نرى من خلقك وما  
اصغر عظيمه فى جنب قدرتك وما أهون ما نرى من ملكوتك وما احقر ذلك فيما غاب عنان  
سلطانك وما اسبغ نعمك فى الدنيا وما اصغرها فى نعم الآخرة .

كلشئ خاشع له ، بذاته لمخلوقيته له وان تمرد فى حر كاته و سكناته على  
وظائفه فان العقوق كثير فى جهلة البشر، و كل شئ قائم به ، بمعنى وقوعه تحت تدبيره  
وقيمومته . غنى كل فقير ، اى هو ذخر الفقير ولا يياس الفقير من تغير حاله الى الغنى  
وهو به معتقدو عليه متكل ولا يستولى عليه القنوط وهو يعتقد ان هناك رباً ينظر اليه  
ويحذب عليه طبق المصلحة اللازمة ، وعز كل ذليل وقوة كل ضعيف و مفرع كل  
ملهوف ، فان من يعتقد بوجود الله سبحانه من عباده وان الكون كله من خلقته وتحت  
تسخيره ويستمد جريانه من تدبيره كان من اللازم عليه ان يعتقد بانه ولو كان الآن ذليلاً لاق  
سخره غيره من طريق عزته اوضعيماً قد استولى عليه القوى لقوته او ملهوفاً قداعيتيه  
الحوادث منزعاً الا انه يرقب فى كل آن و آخر انفتاح باب رحمة من ربه عليه فيعز بعد  
ذلته ويقوى بعدضعفه وقلته ويطمئن الى ركن وثيق بعدلهفته وانه سيخزى من استدله



ويهن من استضعفه واستقله وكل هذه المعاني وجدانيات في المعتقدين بها يعيشون و عليها يموتون : والمفزع هو الملجأ والمهفة هي حرارة في الباطن تدفع بصاحبها الى تحقيق ما يحاول من مقصد جهد المستطاع ، من تكلم سمع نطقه ومن سكت علم سره ، لان ملاك كل ذلك بالنسبة اليه هو العلم المحيط فالسر والجهر عنده سيان و انما ندب العبد الى الدعاء بلسانه ورفع يديه وتضرعه اظهاراً لادب العبودية ، ومن عاش فعليه رزقه ، لانه هو المدير للعالم كله ومن بعض تدبيره ادرار رزقه على الاحياء ، ومن مات فاله منقلبه ، المنقلب هو المرجع فالوجودات حياها وميتها في حاجة اليه حياها لاستمداد رزقه منه وميتها بالوفود عليه والرجوع اليه ، لم ترك العيون ، هذا التفات من الغيبة الى الخطاب ، فتخبر عنك ، لان ما تسلمت به عاجز عن ان يلم بك لترفعك عن المادة والماديات بشرائها ، بل كنت قبل الواصفين من خلقك ، فأنت بمنزلة المتقدم الذي تقادم عهده وبقي في العيان أثره فان ادعى الرائي رؤيته فمن طريق بصيرته و استدلاله بالاثر على موثره وان وصفه الواصف فباعتبار ما يرى من عميم فضله وشخص اثره ومحاسنه الطالعة على وجه الوجود. لم تخلق الخلق لوحشة ، الانفراد لجلالك عن موجبات الفرح والترح واللذة والالم والانسراح و الانقباض ، ولا استعملتهم ، فيما امرت ونهيت وحذرت وبشرت ، لمنفعة ، تعود اليك ، لاستغناءك عن كل شيء و حاجة كل شيء اليك بل كل ذلك من اصل خلقتهم واستعمالهم كان لصالح انفسهم التي قدرت لها السعادة ما مشت على الجادة وركبت الصراط السوي ، ولا يسبقك من طلبت ، لان الكون وما في الكون تحت قبضتك فالهارب منك راد اليك ، ولا يفلتك ، الاصل يفلت منك لانه لازم غير متعدى وقديعدي اللازم احياناً بحذف الواسطة مثل قوله :

استغفر الله ذنباً لست محصيه

و الاصل ان يقول استغفره من ذنب و على كل حال فمثلهم وجودهم مستعمل في كلام العرب و من جملة ذلك ما استشهدنا به ، من اخذت ، اى من وقع في قبضتك يقال أفلت من يده اذا تملص منها و هرب و هذه التعبيرات قد سيقنت بأسرها لاظهار حقائق يمكن للبشر ان يدر كها من طريق المقارنة بين ما يلتمسه ويراه ويمارسه

و بين المقام الذى يتحدث عن واجب الوجود الذى لا يرتبط بذلك فى جوهره و  
شؤن ذاته فلا يتصور فى مخلوقات واجب الوجود ان تهرب منه فيطلبها فلا تعجزه  
اوانها بعد لى تقع فى قبضته ولا تستطيع الافلات منه اذ الكون و ما فيه من اول  
خلقته الى ما لانهاية له تحت قبضته بلا مجال معه لغيره ، ولا ينقص سلطانه من عصاك  
، اى ان سيطرتك و نفوذك الواسعين غير قابلين للتقلص بتمرد المتمردين و عصيان  
العصاة كما يتقلص سلطان السلاطين مرة بانتكاث امورهم بين رعاياهم ويعتدل اويتمتد  
اخرى متى عززتهم القوى وخدمتهم الجيوش ، و لا يزيد فى ملكك من اطاعتك ،  
فانت سلطان قهار على كل حال سواء اعصاك مخلوقوك و حلمت عليهم ام اطاعوك  
فلطفت بهم كل ذلك لا يؤثر فى سلطانه ضعة و لارفعة بل هو كما كان فى عظمته مستمر  
الى غير نهاية ، ولا يرد امرك ، عن نفوذه و مضيه ، من سخط قضاءك ولم يرض به لان  
تقديرك قائم على مصلحة لازمة التحقق وان جهلها المخلوقون ، ولا يستغنى عنك من  
تولى ، معرضاً ، عن امرك ، فان انفراج الامور امامه احياناً قد يغيره و يغيره ولكنه  
اذا ضايقته المهمات لم يبدأ من الرجوع اليك والاستخفاء بين يديك ، كل سر ، فيما  
بين خلقك ، هو ، عندك علانية ، اى ظاهر مكشوف ، و كل غيب ، كتموه فيما بينهم  
هو ، عندك شهادة ، لان الكون وما فى تخومه و اعماقه كالذى فى مظاهره و مجاله  
منكشف لك اتم انكشاف كيف لا وانت فاطر سره و وجهه و ظاهره و باطنه ، فانت  
الابد ، كما يقال زيد عدل اى فانت الواجد للابدية كالازلية مستمر وجودك بالابدية  
ولانهاية ، فلامد لك ، اى لانهاية لك تنتهى اليها ، وانت المنتهى ، اى غاية الجميع ،  
فلا محيص عنك ، الى ما سواك يقال حاص يحيص اذا تذبذب الانسان فى باطنه  
فاخذ يفتش له عن طريق انحياز و فرار من مكان الى آخر و من انسان الى غيره  
، وانت الموعد ، اى محل الوعد والمنظور به هنا نقطة التلاقى واجتماع المخلوقات  
لانه الخالق للجميع ، فلانجى ، بمعنى المصدر اى لانجاة منك ، الآ ، باللجوء ، اليك  
بيدك ناصية كل دابة ، الناصية هى مقدم الرأس الذى يلم عليه شعر الرأس فيكون  
القبض عليه من الانسان والحيوان كالبض على ما هو اشد من الزمام والعنان لانه

يملك الرأس والانسان والحيوان اذا ملك رأسهما بطلت حر كاتهما ووقفا مستسلمين متقادين والمنظور هنا انه لاحراك للمخلوق بيد الخالق ، واليك مصير ، اى مرجع ومعاد ، كل نسمة ، ومن يكون بهذه العظمة يليق بجلال مجده ان يقال له ، سبحانك ما أعظم شأنك سبحانك ما أعظم ما نرى من خلقك. الذى بمقدورنا ان ندركه وما يفوت عن ادراكنا ما لانعه ولا نحصيه ، و ' مع ذلك ، ما أصغر عظيمه فى جنب قدرتك ، الواسعة التى تصرف الملك والملكوت بالارادة الصرفة ' وما أهول ، يقال حاله هذا المنظر اذا استغرق تعجبه وأدهشه ، ما نرى من ملكوتك و ' مع هذا ، ما احقر ذلك فيما غاب عنا من سلطاتك وما اسبح نعمك فى الدنيا ' يقال درع سابعة اذا كانت واسعة فائضة والنعمة السابغة هى الوافية ' و ، مع ذلك. ما اصغر هافى نعم الاخرة ' اى ما اقلها مقيسة الى نعم الاخرة التى اعدت للمتقين .

ومن خطبة له عليه السلام (ج ٣ ص ١٩٤ من النهج الحديدى) الحمد لله الذى لاتدر كه الشواهد ولا تحويه المشاهد ولا تراها النواظر ولا تحجبه السواثر الدال على قدمه بحدوث خلقه و بحدوث خلقه على وجوده وباشتباهم على ان لاشبه له الذى صدق فى ميعاده وارتفع عن ظلم عباده وقام بالقسط فى خلقه و عدل عليهم فى حكمه مستشهد بحدوث الاشياء على ازيلته وبما وسمها به من العجز على قدرته وبما اضطرها اليه من القناء على دوامه واحد لا بعدد ودائم لا بامد وقائم لا بعمد تتلقاه الاذهان لا بمشاعرة و تشهد له المرائى لا بمحاضرة لم تحط به الاوهام بل تجلى لها وبها امتنع منها واليها حاكمها ليس بندى كبر امتدت به النهايات فكبرته تجسيما ولا بندى عظم تناهت به الغايات فعظمته تجسيما بل كبر شأناً وعظم سلطانا .

الحمد لله الذى لاندر كه الشواهد ، الشواهد يكون جمع شاهد وشاهدة وكلاهما هنا بمعنى واحد وهو الشهود الحسى المتأتى من طريق الحواس الظاهرية وكل ما ليس بمادى لا يدرك بالحاسة ، ولا تحويه ، اى تتضمنه ، المشاهد ، جمع مشهد وهى المحافل والمجالس التى من لزمها الطبيعى ان يشهد بعض الحاضرين بعضا والمنظور بها هنا مطلق الامكنة وما ليس بمادى لا مكنان له بل ليس من شأنه المكنان

ولاتراه النواظر، جمع ناظرة وهي الحاسة المبصرة، و، على انه ليس بمادى بل هو عريق في التجرد والبساطة واللطافة، لانحجبه السواتر، ولا الحجب والحواجز المادية عن اتصال العقول به بمقدار ما يتيسر لها، الدال على قدمه بحدوث خلقه، والمراد بالحدوث في هذه الفقرة ما يقابل القدم بماهما مفهومان متقابلان - وبحدوث خلقه على وجوده، ويراد بالحدوث هنا معنى الوجود لان الحدوث معناه الوجود بعد العدم والمنظوران وجود المعلول من الادلة القاطعة على وجود العلة فالفقرتان هذه وسابقتها مفترقتان مفاداً فالاولى تفيد الحدوث في مقابل القدم و الثانية تفيد استلزام وجود المعلول لوجود العلة، و، الدال، باشتباههم على ان لاشبهه، قد تقدم منا شرح هذه الفقرة في خطبة سالفة ومضمون ما تقدم ان الكوائن ما سواه على تشتت عناصرها لها جوامع تجمعها فتكون هي وجه الشبه بينها فلو كان هو تعالى كائناتنا مثلها لاشابهته لكنه لما كان بحكم العقل هو المبدأ الاول لكل كائن و انه سواها ذاتاً و صفة لم يكن له مع اي كائن يفرض اقل شبه فمشابهة الكوائن بعضها لبعض في اصل الكون والحدوث والاحتياج الى المكون هي التي اوجبت ان لا يكون لمكونها مشابه اذا المشابهة تدعو الى وجوب الاشتراك في شيء والامتياز في آخرو ذلك ينافي مبدأية المبدأ الاعلا لكل المبادئ و اصلته لكل الاصول و احتياج الجميع اليه واستغناؤه عن الجميع المانع من حاجته الى ما يميزه عن غيره المشارك له في جامع متأصل بينهما، الذي صدق في ميعاده، اى في اوعاده التي وعد بها انبيائه ورسله وعباده ونجزها لوقتها وانما وصفه بذلك وبما بعده لان الجميع من الصدق والعدل والتجافي عن الظلم من صفات الكمال وليس احد اولى بذلك منه تعالى، وارتفع عن ظلم عباده، اى جل وعظم عن ذلك، وقام بالتوسط، وهو العدل، في خلقه وعدل عليهم في حكمه، وان كان في جملة من احكامه التكوينية قديتر ائى لهم انه تعالى اجحف بحقهم ولم يلطف بهم ولكن ذلك كله انما اندمج في اوهامهم لعدم وقوفهم على المصالح الخفية التي اريدت بهم، مستشهد بحدوث الاشياء على ازليته، حدوث الكائن في نفسه لا يستدعي ازالة المكون الامن طريق ان مبدأ المبادئ لمالم يجز فيه الا الوجود الذاتي في مقابل الوجود المفاد لزم ان

يكون اذلياً من هذه الناحية لان الوجود الذاتى لا يلبث مع العدم السابق ولا مع امكان التلاشى وهو عبارة اخرى عن وجوب الوجود وواجب الوجود واجب ازاله وأبده ، وبما وسمها به من العجز على قدرته ، وسمه بكذا اى جعل عليه سمة وعلامة وعجز المخلوق لازم لمحدوديته والتكوين يدل على قدرة المكون واتساع الكائنات واختلاف هوياتها يدلان على واسع القدرة وعظيم البسطة والقوة ، وبما اضطرها اليه من الفناء على دوامه ، كثير من الموجودات الحية حياتها فصلية و كثير منها لا يقتضى من طريق الطبيعة تلاشيه وفناءه الاعوارض تهدمه و فى الجميع نشهد تغير الصور و تبدل الهويات وتحقق التلاشى و كل ذلك وليد امكان البقاء و الفناء فيها ذاتاً و هو يستوجب على طول الخط وجود مدبر مشرف بل قيم مباشر فالدوام من هذه الناحية تتقاضه الكائنات فى المكون واما الابدية فهى من مستدعيات وجوب الوجود كما اسلفناه ، واحد لا بعدد ، اى انه ليس فى قبال اثنين وثلاثة بل باعتبار امتيازاته الخاصة المفقودة فى كل ما سواه من وجوب الوجود وبسطة الذات الى غير ذلك و هذا معنى واحدينه اذ لا مساهم له فى ذلك ، و دائم لا بأمد ، ولاتحديد مدة بل دوامه ابدى ذاتى قائم لا بعمد ، لتجرده وبساطته وفيه ايماء الى تهجين من يعتقد ان الله قائم على عرشه وهم المجسمة من المسلمين . تتلقاه الاذهان لا بمشاعرة ، نقول تلقيت الدرس اذا فهمته وادركته اى ان الاذهان تدر كه جهد مقدورها لكن من غير طريق المشاعر والحواس بل من طريق عقلى خالص وان كان باعث الذهن الى التجول فى تفهمه هو الوجود المادى المدرك بالحواس اذن فالمشاعرة هى اعمال المشاعر ، وتشهد له المرئى ، جمع المرئى وهو ما تقع عليه الرؤية ، لا بمحاضرة ، يقال حاضره محاضرة اذا شتمل الحضور على الطرفين فمشاهد الكون اذا شهدت بوجود المكون لها فانما تشهد بذلك عن لسان حالها لا انها حاضرت مكوونها وواجهته و جهالوجه فشهدت عليه بالوجود لذلك ، لم تحط به الاوهام بل تجلى لها ، احاط بالشىء اذا وقف على تمام ما يحيط به ومعنى ذلك انه وقف على تمام هويته والاوهام بالنسبة الى مبدأ المبادئ أعجز من ذلك اذ لا طريق لها الى الغيب المتمحض بل المكون تجلى لها من نفسه من طريق

آثاره فحسب نعم اهل المكاشفة من الاولياء قد يجتلونه من طريق الفناء فيه وان كانت معرفة الاثار دافعة لهم الى ذلك ، وبها امتنع منها ، اى بوسيلة العقول التى لاتعرف طريقاً اليه الامن جبهة شخص آثاره امتنع من ان تقف عليه وقوفاً تاماً لمحدودية الطريق الذى يراد منه الايصال ، واليها حاكمها ، اى جعل العقول انفسها هى الحكم فى انها هل باستطاعتها ان تدركه كمال الادراك اولا تستطيع ذلك ، ليس بذى كبر امتدت به النهايات فكبرته تجسيماً ، اى هو تعالى يقال فى حقه انه كبير لكن ليس المنظور بذلك انه كبير لكبر النهايات التى تحتويه وتتضمنه حتى يكون كبيراً فى جسمه بل هو كبير فى معناه ، ولا بذى عظم تناهت به الغايات فعظمته تجسيدا ، اى و كذلك يقال انه عظيم وليس المنظور بعظمته انه لاتنهيه الا الغايات البعيدة والمسافات السحيقة فيكون عظيماً فى جسده بل هو عظيم فى شأنه وهو مفاد قوله ع ، بل كبرشانا وعظم سلطاناً ، وقدرة :

ومن خطبة له ع فى التوحيد (ج ٣ ص ٢٠٣ من النهج الحديدى) ما وحده من كيفه ولا حقيقته أصاب من مثله ولا اياه عنى من شبهه ولا صمده من أشار اليه و توهمه كل معروف بنفسه مصنوع و كل قائم فى سواه معلول فاعل لا باضطراب آلة مقدر لا بجول فكرة غنى لا باستفادة لاتصعبه الاوقات ولا ترفده الادوات سبق الاوقات كونه والعدم وجوده والابتداء اذله .

، ما وحده ، بالوحدة الحقيقية ، من كيفه ، فان كل مكيف فاقد للبساطة و متى فقد البساطة لم يكن واحداً حقيقياً ولا حقيقته اصاب من مثله ، فان اتيان المثال له معناه بنظر الممثل وجود مشاكلة بينه وبين غيره وواجب الوجود بخواصه المتفرد بها لا مشاكل له اذن فمن مثله لم يعرف حقيقته وانما عرف شيئاً صاعه له وهمه ليس هو الله وعين هذا المعنى يقال فى قوله ، ولا اياه عنى من شبهه ، بشيء من الاشياء بل يكون قصده مصروفا الى ما نحتة خياله وهو امر وراء حقيقة الله ، ولا صمده ، بمعنى قصده ، من اشار اليه ، بالاشارة الحسية ، و ، هكذا لم يقصده واقعاً من ، توهمه ، محاطاً بفكره فان العقول لاتحيط به لقصورها عن دركه من ناحية فقدان الطريق

اليه نعم من ناحية آثاره الشاخصة في عرصة العيان يمكن التعرف به وهذه الاثار لاتدل عليه الادلالة اجمالية ادغاية ما ينطق به لسانها هو ذلك لا اكثر ، كل معروف بنفسه مصنوع ، اى كل ما عرف من طريق الوقوف عليه نفسه و تشخيص هويته فهو مصنوع ولا يجوز عليه ان يكون صانعاً لان صانع الكون لا طريق الى معرفته من نفسه و الوقوف على هويته بل ان عرف اجمالاً فمن طريق آثاره فقط كما ورد في الاثار : كنت كنزاً مخفياً فاحببت ان اعرف فخلقت الخلق لكي اعرف ، و كل قائم في سواه معلول ليس المراد بالقائم في سواه خصوص الاعراض بالنسبة الى قيامها بالجواهر كما ادعاه بعض الشراح بل المنظور ان كل ما كان وجوده مرتباً بغيره لضعفه وقوة الغير اولعجزه و قدرة غيره وما الى ذلك فهو معدول لان الضعف والعجزو نظائرهما امارات كونه محتاجا الى من يرمم احتياجه والمحتاج لا يكون اصلاً لكافة الاصول، فاعل ، لاشك في فاعليته وصانعيته لكن ، لا باضطراب آله . بل بالارادة الصرفة ، مقدر لا بجول فكرة ، يقال قدر مقاصده يقدرها تقديراً اذا امعن النظر فيها ليراها كيف تتحقق وتأخذ نصيبها من الثبوت وهذا المعنى في غير واجب الوجود لازم الحصول لان العاقل اذا لم يقدر مقاصده يفشل لاول مرة اما الباري فلا حاطة علمه بكل شيء لا يكون في حاجة لذلك و كل من احاط علمه بحقائق الاشياء استغنى عن اجالة الفكرة في مقاصده ، غنى ، بالضرورة من ذاته ، لا باستفادة من غيره ، نظير كفاءة الاغيار فان غناهم مكتسب ولهم طريق الارث او الاتهاب ، لاتصحبه الاوقات ، بمعنى لاتؤثر فيه ولا تغيره ولا تتحدد وجوده بحدود خاصة كما تؤثر في سائر الموجودات وتحدد وجوداتها بالفواصل والحدود نظير ما يقال مر على هذا الشيء كذا سنة و كذا جيل واما واجب الوجود فلا يقال مر عليه كذا زمان و كذا جيل لانه ازل ولا تحديد للازل ، ولا ترفده الادوات ، يقال رفته بهذا الشيء اذا ساعده به والبارى تعالى في غنى عن كل اداة لانه هو خالق الادوات و كل ما توصل الاداة اليه فان الاسباب بالنظر اليه اعدادات في ايجاد المسببات والجميع مخلوق له رأساً والاداة هي الوسيلة التي يتوصل بها للوصول الى شيء آخر ، سبق الاوقات كونه ، ليس للوقت حد حتى يكون من

طريقه سابقاً او مسبقاً لكن الازل والابد لما كان مفهومهما بعيداً عن شائبة التحديد اذ كل تحديد هادم للازلية والابدية وكان وجود الباري ازلياً ابدياً صدق ان وجوده تعالى سبق كل تحديد ، والعدم وجوده ، ليس المعدم مع حفظ عنوانه حدود وفواصل حتى يصح من هذا الطريق ان يقال سبق وجود الله العدم ولكن منظور الامام عليه السلام من هذه العبارة ان خاطرة نسبة الوجود الى الباري تسبق خاطرة نسبة العدم اليه حتى في التصور لان العقل الحاكم بازليته لا يسيغ لنفسه ان يتصور له عدماً بالمرّة واذا طغى على الفكرة تصور نسبة العدم اليه سبقته نسبة الوجود اليه في هذا التصور نفسه ، و الابتداء اذله ، لان الابتداء محدود بطبيعة كونه ابتداء اما الازل فهو وراء كل حد يتصور : وحقاً ان في هذه الفقرات معاني شريفة بعيدة الغور .

بتشعيره المشاعر عرف ان لامشعر له ، وبمضادته بين الامور عرف ان لاضدله ، وبمقارنته بين الاشياء عرف أن لاقربين له ، ضاد النور بالظلمة ، و الوضوح بالبهمة ، والجمود بالبلل والحرور بالبرد ، مؤلف بين متعادياتها مقارن بين متبايناتها مقرب بين متباعداتها مفرق بين متدانياتها لا يشمل بحد ولا يحسب بعد وانما تحدد الادوات أنفسها وتشير الآلات الى نظائرها .

بتشعيره المشاعر عرف ان لامشعر له ، المشعرا سم آلة الشعور وجمعه مشاعرو هي الحواس وشعر له المشاعر بالتشديد جعلها له و المنظور ان المشاعر المجعولة من ناحيته هي التي حكمت عليه تعالى انه ليس محلا للمشاعر لبساطته اولا ولانها آلات لا استطاع من غير طريقها التعرف بالاشياء والباري غنى غير محتاج لاستجماعه من ذاته كل كمال ، وبمضادته بين الامور عرف ان لاضدله ، المضادة هي وقوع التضاد ويراد به التقابل المؤدى الى التمانع في الاجتماع عرضاً على محل واحد والعاكم الذي عرف انه لاضدله من طريق وقوفه على معنى التضاد والمتضادات هو العقل و ذلك ان العقل لما ادرك ان المتضادين يتمانعان وجوداً في عرض واحد على مورد واحد عرف ان مبدأ المبادى يستحيل عليه ان يكون ضدأ لشيء اء اوله ضد من الاشياء بالمعنى المزبور وهو التعاند العرضى في التأثير اذ لازم هذا التعاند هو انتفاء كل اثر يفرض لحصول



التمانع بين العلتين او يقال انه لاضدله بمعنى عدم المقابل له بالهوية الخاصة بحيث يكون في افقه من ناحية التقابل واما المتضادات الاخر ففى مقابلة الهويات ، وبمقارنته بين الاشياء عرف ان لاقرين له ، المقارنة بين الاشياء هى ايقاع الصحبة والالفة بينها ولا بد ان يكون ذلك من طريق تقارب اسناخها والاستحجال ايقاع الالفة بينها والعقل لما ادرك ان المقارنة بين الشيئين وليدة التقارب السنخى حكم ان لاقرين للمبدأ الاعلا لاستحالة وجود ما يساخنه : هذا وليس منظوره عليه السلام من قوله بين الامور وبين الاشياء الامور كلها والاشياء كلها اذ ليست الامور كلها متضادة ولا الاشياء كلها متقاربة ثم مثل عليه السلام لفريق المتضادات بقوله ' ضاد النور بالظلمة و الوضوح بالبهمة ' و البهمة هى السواد والظلمة يقال هذا مبهم اى غير واضح والوضوح هو الانكشاف ، والجمود ، و هو البيوسة : بالبلل ' وهو الرطوبة ، والحرور ، و هو الحرارة ' بالبرد . و هو البرودة ' مؤلف ، اى موجد للالفة ، بين متعادياتها ' والضمير يرجع للامور والاشياء ومعنى ايجاد الالفة بين المتعاديات هو جمعها فى اطار واحد وان كان كل فرد منها له مفعوله الخاص غير انه سبحانه بتعديله بين الاثار من طريق الكسر والانكسار اوجد مزاجاً واحداً لا يظهر منه اثر كل واحد من المؤثرات على حدة بل مندمجاً بغيره كاستفادة الماء الغائر من بين الحار والبارد: وقوله. مقارن بين متبائناتها مقرب بين متباعداتها ، نظير لما اسلفنا شرحه من قوله مؤلف بين متعادياتها جاء به لمزيد التوضيح و ايفاء المطلب حقه من البيان : ثم بعد ان ذكر عليه السلام قدرته الباهرة فى التأليف بين المتعاديات افاد نوعاً آخر من القدرة الشامخة فقال ، مفرق بين متدانياتها ، فان ايجاد التفرقة بعد ايجاد التدانى صعب فى صعب لكن ذلك على قدرته سهل يسير و ايجاده التفرقة بين المتدانيات هو توزيعها بقضاء الفناء عليها او تشيت عناصرها بعد اجتماعها ، لا يشمل بحد ' لغموض حقيقته فليس باستطاعة حد من الحدود ان يقوم بتحقيق ذاته ، ولا يحسب بعد ، لبساطته وخلوصه عن كل ما يوجب التركيب ، وانما تجد الادوات اى الوسائل التى يتوسل بها فى تحديد الاشياء وتحقيق هوياتها ، انفسها ' اى ما كان من قبيلها فالحيوان الناطق انما يحد الانسان لانه من قبيله وعلى مثل هذا ' وتشير الالات من حواس

ومشاعر، الى نظائرها ، فى السخية فالحواس انما تشير الى ما يقع عليه الحس لانه نظيرها فى المادة .

منعتها منذ القدمة ، وحمتها قد الازلية وجنبتها لولا التكملة بها تجلى صانعها للعقول وبها امتنع عن نظر العيون ولا يجرى عليه السكون والحر كة و كيف يجرى عليه ما هو أجراه ويعود فيه ما هو ابداه ويحدث فيه ما هو أحدثه اذا لتفاوتت ذاته و لتجزأ كنهه ولا يمنع من الازل معناه ولكان له وراء اذ وجد له امام ولانتمس التمام اذ لزمه النقصان واذا لقامت آية المصنوع فيه ولتحول دليلا بعد ان كان مدلولاً عليه وخرج بسطان الامتناع من ان يؤثر فيه ما يؤثر فى غيره .

منذ كلمة تستعمل لتحديد الزمان فيقال حدث هذا الامر منذ كذا سنة: والقدر المتيقن من معانى قد تحقيق الماضى و احتمال وقوع الامر فى المستقبل فيقال قد حدث هذا الامر بمعنى قد تحقق حصوله وقد يكون هذا الامر بمعنى قد يوجد و اضاف علماء اللغة ان قد التحقيقية وراء افادتها تحقيق الوقوع تفيد تقريبه من زمن الحال فمعنى قد قام زيد عندهم ان قيامه المتحقق فى الماضى كان قريباً من زمن التكلم: ولولا معناها امتناع أمر لوقوف أمر آخر فى طريق تحققه فيقال لولا زيد لا كرمنى عمرو: و الامام عليه السلام فى صدر هذا الفصل يريد ان يبين بعض الفوارق بين الصانع و المصنوع فقال 'منعتها، الضمير يرجع للادوات والآلات والمراد بها كل وسيلة يتذرع بها للوصول الى امر آخر كالحواس والتحديدات وما الى ذلك: كلمة. منذ، فى دخولها عليها ، القدمة 'وهى القدم لان منذ تحدد زمان حصولها ووجودها فيقال وجدت الآلة الكذائية منذ كذا سنة والموجود المحدود زمان وجوده لا يكون قديماً ذاتياً وان جاز ان يكون قديماً زمانياً اما وجود البارى فلما لم يكن محدوداً لاستحالة التحديد عليه لم يكن لدخول منذ عليه اى مجال ، وحمتها من الحماية وهى المنع كلمة ، قد الازلية ، لان الازلية معناها عدم تحديد الوجود من اوله وقد بدد دخولها على الشئ تفيد انه قريب التحقيق فى الوجود من زمان التكلم فكيف يلتم ما يفيد مدخولها مع مفهوم الازل، و جنبتها ، كلمة ، لولا ، الامتناعية فى دخولها عليها ، التكملة ، لانها تفيد النقصان و

المنوعية بالغير ومبدأ المبادئ كامل ، لانقص فيه و هو في حد ذاته اقدر القادرين فلا يمنع شئ عن تحقيق ارادته ، بها ، اى بالادوات والآلات من كونها مصنوعة ومن كونها طريقاً للإدراك ، تجلئ صانعها للعقول ، فأدركت منها ما تستطيع ادراكه ، وبها ، اى من طريق الادوات والآلات المزبورة واستلزام حصولها المبدأ أعلا ليس من المادة والماديات اذ المادى ذاتاً قاصر عن المبدأية المزبورة ، امتنع عن نظر العيون ، لان العيون لا تدرك ما ليس بمادى ، ولا يجرى عليه السكون والحركة ، لانهما من خواص الماديات فان الحركة هى انتقال الجسم من مكان الى آخر و السكون ر كوده فى مكانه الذى هو فيه و كلاهذين الامرين فى بعد شاسع عن هوية المجردات ، و كيف يجرى عليه ما هو أجراه ، اجراء المبدأ للحركة و السكون انما هو بالتبع لاجراء المادة والماديات فى الوجود اذ هما من خواصها ومضافاتهما ، ويعود فيه ما هو ابداه ويحدث فيه ما هو أحدثه ، اى كيف يرجع الحادث ويكون وصفاً للقديم وما هو مخلوق كيف يكون من شؤن الازلى ، اذ التفاوتت ذاته ، فكان قديماً واحداً ومجرداً ومادياً ومخلوقاً وخالقاً ، ولتجزأ كنهه ، الى أجزاء وهو بالضرورة يجب ان يكون بسيطاً ، ولا يمنع من الازل معناه ، لان الحدوث والازل على طرفى نقيض وقد عرفت ان ذاته ازالة وان الحركة والسكون حادثان ، ولكان له وراء اذ وجد له امام ، لان الحركة من لوازمها خلق الجهات للمتحرك فيكون ما يستقبله امامه و ما يدبر عنه وراء له وهلم جرا ، و لا تمس التمام اذ لزمه النقصان ، لان تفاوت ذاته وتجزأ كنهه يوجبان احتياجه والاحتياج نقص ومن لازم المبدأ الاعلا التمام والكمال فيكون من واجبه التماس التمام و الخروج عما يوجب النقصان والحال ان مبدأيته تامة منذ الازل والتماس التمام فى نفسه نقصان فكيف يلتئمان ، واذ قامت آية المصنوع فيه ، لان من علامة المصنوع كونه مادياً وناقصاً ومحتاجاً ، و لتحول دليلاً ، على لزوم وجود مبدأ تام العيار فى الكمال والتمام والتجرد والبساطة ، بعد أن كان مدلولاً عليه ، من طريق آثاره التى أوجدها ومصنوعاته التى صنعها ، وخرج بسلطان الامتناع ، هذا كلام مستأنف وليس تابعاً للجمل التى قبله اذ لا يلتئم معها بل له استقلاله فى الدليلية ، من أن يؤثر فيه ما

يؤثر في غيره ، من الجارة متعلقة بقوله خرج ومعنى الجملة انه سبحانه خرج عن أن  
يؤثر فيه ما يؤثر في غيره أي أثر يفرض من طريق سلطان امتناعه عن ان تنوشه الحوادث  
والمؤثرات لكونه مبدأ المبادئ وعلة العلل ومسبب الاسباب وخالق القوى .

الذي لا يحول ولا يزول ولا يجوز عليه الاقول لم يلد فيكون مولوداً ولم يولد  
فيصير محدوداً جل عن اتخاذ الابداء وطهر عن الملامسة النساء لاتناله الاوهام فتقدره ولا  
تتوهمه الفطن فتصوره ولا تدركه الحواس فتحسه ولا تلمسه الايدي فتمسه ولا يتغير  
بحال ولا يتبدل في الاحوال ولا تبليه الليالي والايام ولا يغيره الضياء والظلام .

، الذي لا يحول ، يقال حال لونه اذا تغير من حال الى حال والتغير شأن الحوادث  
لتأثرها بالطوارى وواجب الوجود نزيه عن ذلك ، ولا يزول ، اي لا يفنى وهو معنى الابدية ،  
ولا يجوز عليه الاقول ، وهو الغياب بعد الظهور ، لم يلد فيكون مولوداً ، لاتلازم عقلياً  
ولا طبيعياً بين ان يلد وبين ان يولد ولكن المنظور انه ليس من سنخ يحصل فيه التوالد  
فان المعمول في الطبائع التي تنتج الامثال ان تكون ناتجة من هذا الطريق ، ولم  
يولد ، فيكون من افراد الطبيعة ، فيصير محدوداً ، لان كل طبيعي محدود ، جل عن  
اتخاذ الابداء ، ولو من طريق التبنى وجلاله عن ذلك لان حياز كنهه عن عوالم المادة  
والماديات ولوازمها ، وطهر ، بتجرده ، عن الملامسة النساء ، وفيه ايماء ، الى ان الملامسة  
النساء بما هي لا تخلو من قذروالواقع كذلك ، لاتناله ، اي لاتستطيع الوصول اليه ،  
الاوهام فتقدره ، اي فتحيط به احاطة واقف على جميع حدود الشيء ، ولا تتوهمه  
الفطن ، بحق ، فتصوره ، نعم الاوهام الزائفة توهمته بحسبانها فصورته طبق ما توحيه  
خيالاتها ، ولا تدركه الحواس ، الظاهرة بالمرّة . فتحسه ولا تلمسه الايدي اي تصل  
اليه وتتصل به ، فتمسه ولا يتغير بحال ، من الاحوال ، ولا يتبدل في ، تصاريف ، الاحوال ،  
والاطوار كما يتغير ويتبدل غيره ، ولا تبليه الليالي والايام ، بكرها ومرها ، ولا يغيره  
الضياء والظلام ، كما تفعل هذه المؤثرات بالطبائع كلها وذلك لانه مجرد متمحض  
في التجرد وكل هذه العوامل مخلوقة له وبعيدة في كل اسناخها عنه ، ونختم بحسنا  
عن التوحيد في درسنا نهج البلاغة بفصل رائع تكون بحوثه خاتمة مسك لما سلف موزعاً

في شتات الابواب السابقة فتقول والله هو المأمول .

## - البراهين في دحض شبه الماديين -

يعيش البشر اليوم في القرن العشرين بعد ما نسلت على أسلافه احقاب وقرون تتغير مبادئها وعقائدها وفلسفاتها مع مبادئ وعقائد وفلسفات هذا القرن تغيراً محسوساً ادبى ببحوثهما الى التضاد بل التناقض في الاعم الاغلب ومن اجل كشف الجديد اغلاطاً جمة في مبادئ القديم وفلسفته لم يقر به قرار في التنديد بما كان عليه الاولون من جميع اشياءهم الحقير منها والخطير الراجع لامور الدنيا ام الدين في الاجتماع و الاقتصاد او في المادة والمعنى على الاطلاق وان الحق معه في كافة مراحلهم وشؤونهم وان الانسان قبل هذا الدور عاش وقطع عمره في ضلال وبني معلوماته على اشتباه وان كافة مبادئه واولاقل الاكثر منها لم تكن متر كزة على المنطق بل على ما يظن منطقاً وان المقاييس العلمية في الاخير برهنت على ما كان عليه من اشتباه وانحراف في عدة امور رئيسية فضلا عن شتات المطالب الجزئية .

فمنها عالم الخلقه وانه بشر اشره ابداع من خالق مجرد حتى "علم حكيم مقدر مختار ازلي ابدى وان ليس للطبيعة اثر في خلقته واخرجه وانتاجه بالمره و هذه الدعوى يصر على تكذيبها جمله من المتجددين بما أثار الشكوك و الاوهام حتى في من لم يصح لهم بالاعتراف بكل ما ذكره ونحن قبل ان نذكر مزاعمهم في هذا الباب وقبل ان نرد عليهم نمهد مقدمة تتناول درس الحيوان من حيث تركيبه واجهزته و ما هي عليه بطور ملخص ثم نفيض بعد ذلك بذكر آرائهم في الخلقه ونقد كل مزاعمهم بطور متوسط بين الایجاز والاطناب وبعرض صحيح على موازين العلم الحديث ووساطة العقل المرکز والوجدان الذي لا يستطيع احد خدشه او التعلل فيه : فنقول في المقدمة التمهيدية عن لسان علماء الطبيعة والحيوان واعترافهم .

ان الموجودات الحية مع انها تظهر للمنظر متنوعه و متوزعه في الخلقه تشترك عمرماً في خواص و مميزات تمازبها عن الموجودات الها مدة الفاقدة للحياة

والخواص الاصلية في الموجودات الحية : هي وجدانها للبنيان الخلوى : العمل الحياتى :  
 البنيان الكيمىائى المخصوص : اما البنيان الخلوى فهو ان الموجودات الحية تتشكل  
 من واحد او اكثر من الخلايا : و اما العمل الحياتى فهو ان خلاياا البدن فى طول  
 أعمارها دائماً تكون عمالة فعالة وان فعاليتها الاجتماعية تظهر فى بدن الموجود  
 الحى بصور مختلفة ولتسم هذه الظاهرات بآثار الحياة فعلى هذا يمكن ان يعبرو  
 يقال ان الاعمال الحياتية للموجودات الحية هى نتيجة فعالية الخلايا المتشكل منها بدن  
 الموجودات الموماً اليها : واهم آثار الحياة عبارة عن التغذية وقابلية التأثر و النمو  
 و توليد المثل : اذ كل موجود حى لاجل ادامة فعاليته الحيوية فى حاجة ملجئة  
 الى المواد الغذائية و الاوكسيجن ومن طريق التغذية تتحول المواد المزبورة  
 الى خلايا .

وكل موجود حى ايضاً بالنسبة الى اثر عوامل محيطه يعود متأثراً بها وهذا  
 التأثير الذى يريه من نفسه فى مقابل العوامل المزبورة من أبرز آثار حياته . كما ان  
 كل موجود حى لا يبقى على هويته الاولى بل بالتدريج ضمن التغذية الدائمة يترقى  
 وزناً وحجماً الى أن يصل الى حده النهائى وهذا ما يعبر عنه بالنمو كما ان كل موجود  
 حى فى طريق نموه وفى دورة خاصة من حياته وتحت شرائط معينة ينتج من نفسه نظيراً  
 لها وهو ما يعبر عنه بتوليد المثل .

واما البنيان الكيمىائى فى الموجودات الحية فهو لتوفر الكم والكيف فى مواد  
 والتأثيرات الناتجة عن ذلك غير قابل للضبط فى هذه السطور لاحتياج تقسيماته وتر كيباته  
 الى توسع فى البيان وتبسط فى المقال .

والخلية تعد من أصغر اجزاء بدن الموجود الحى وانها حجر واحد من احجار  
 وفيرة يتقوم منها بنيان الموجود الحى وبنيته الكلية تتكون من اقسام ثلاثة ( سيتو  
 بلاسم) او المادة الفاقدة للون اللزجة الشفافة غير المنحلة فى الماء ( النواة ) وهى  
 بصورة جسم كرى الشكل واقع وسط (السيتوبلاسم) : الغشاء وهو سجاج ظريف يحيط  
 بالخلية من خارجها : ولهذه الاقسام الثلاثة تنظيمات وتشكيلات .

شروط البقاء : الاعمال الحياتية لكل خلية ولاي نوع من انواع الموجودات الحية لابد وان تكون في محيط خاص وشروط معينة ومع ان شروط حياة ذوات الارواح بحسب الظاهر مختلفة الا ان هناك شروط عامة ومشاركة في الجميع يمكن حصرها وتقسيمها الى نوعين : الشروط الخارجية : بطور كلي تكون الموجودات الحية بلحاظ تأمين احتياج الغذاء ودفع المواد الزائدة في مبادلة دائمة مع محيطها فهي تأخذ الغذاء والاكسجين وتدفع المواد الزائدة وبما انها تقع تحت تأثير العوامل الخارجية للمحيط يلزم ان يكون محيط وجودها واحداً لشروط مساعدة للحياة : الشروط الداخلية : وهذه الشروط مربوطة ببدن الموجود الحي فيلزم في الموجود الحي ذى الخلية الواحدة ان تكون اقسام الخلية الاصلية فيها سالمة و على وضعها الطبيعي وان يكون الارتباط الكامل بين (النواة) و (السيتوبلاسم) موجوداً : و اما الموجودات الحية ذات الخلايا الكثيرة على الاخص الحيوانات العالية فيلزم فيها فضلا عن الشروط الأنفة تضامنها الاجتماعي ومعاونة بعضها لبعض في العمل هذا فضلا عن لزوم كون البنية وتركيبات المحيط كاملة وواجدة للوضع الطبيعي .

المجموعات الخلوية : تقال المجموعة الخلوية لكل طائفة منها تعمل لمنظور واحد مشخص ويكون بنائها على نمط واحد وأهم المجموعات الخلوية في بدن الانسان عبارة عن : المجموعة الغشائية : الغدية : التركيبية : الغضروفية : العظمية : الدموية : العضلانية : العصبية : الدهنية .

(١) المجموعة الغشائية : بما ان هذه المجموعة تستر سطح البدن وداخل حفر الاعضاء سميت بالغشائية ولها اقسام عديدة متنوعة .

(٢) المجموعة الغدية : وهي في الواقع مجموعة غشائية سوى انها ترشحية بمعنى ان المجموعة الغشائية تحصل فيها انخفاضات بصورة الغدد فتقوم بوظيفة الترشح وكل خلية ترشحية معمولا لاجل الترشح تأخذ موادها الاولية من الشبكة الدموية المحيطة بالغدد وبعد طي مراحل تحويلية في نفس الخلية تأتي بصورة مادة ترشحية تدفعها الخلية من نفسها : والغدد من حيث البنية وطرز الترشح تنقسم الى اقسام ثلاثة :

الغدد المفتحة : وبما ان هذا القسم ذو مجارى ترشحية الى الخارج قيل له غدد مفتحة : الغدد المطبقة : وبما ان هذا القسم فاقد للمجارى وترشحه يكون الى المحيط الداخلى وهو الدم سمي مطبقاً : ألغدد المختلطة : وبما انها ذات نوعين من الترشح الى الخارج والداخل سميت مختلطة .

(٣) المجموعة التركيبية : وهى الخلايا الرابطة التى تصل بعضاً ببعض وهى تكون باشكال نجومية ذات اذنان طريفة تربط بعضها ببعض ولها اقسام وانواع عديدة .  
(٤) المجموعة الدهنية . وهى نوع من الخلايا التركيبية تكون فى داخلها مواد دهنية و الدهن ابتداء يكون بصورة ذرات فى الخلية و بالتدريج يكثر و يتصل بعضه ببعض حتى انه بالآخرة يدفع (السيتمو پلاسم ) و ( النواة ) الى جانب ويملاء فضاء الخلية بنفسه : ومن فوائد الخلايا الدهنية انها تكون بمنزلة العائق تصون من البرد مهما اشتد .

(٥) المجموعة الغضروفية : الخلية الغضروفية كبيرة بالنسبة و كرية الشكل و بطور منفردة ومجمعة تكون فى الحفر الداخلية ولهذه الخلية اقسام وانواع .  
(٦) المجموعة العظمية : تتركز هذه الخلايا فى الحفر الداخلية وتملاء الفضاء الواقع بين هذه الحفر بمادة تدعى بالمادة العظمية وتشتمل هذه المادة على مواد وفيرة من النورة بها تكون ذات استحكام وصلابة : وهذه المجموعة ذات انواع واقسام كثيرة كسوابقها .

(٧) المجموعة الدموية : نوع من الخلايا الرابطة وهى تكون حمراً و بيضا وفاقدة للون .

(٨) المجموعة العضلانية : تتشكل هذه المجموعة من اجتماع خلايا طوال عضلانية تسمى بالاو تاد العضلانية ولها اقسام وانواع وخصائص .

(٩) المجموعة العصبية : خلايا تكون بشكل النجوم كرية هرمية وذات نواة مركزية كرية شفافة وفيها بحوث جملة .

توليد المثل : منشأ تشكيل بدن الانسان و كلية ذوات الارواح الكثيرة الخلايا



خلية واحدة اصلية تسمى بخلية البدن: وهذه الخلية كائنة عن خليتين مذكرة ومؤنثة وكل من هاتين الخليتين غير قادرة على ادامة الحيات بمفردها واتحادهما ينجر الى تشكيل خلية البذرة: والخلية المذكورة طويلة واجدة في طولها لرأس ورقبة وذنب: والمؤنثة كرية الشكل واجدة لنواة كبيرة: عمل اللقاح: تقرب الخلية المذكورة من المؤنثة وتختلط بها فينجر ذلك الى تشكيل خلية البذرة وهذا التقارب والاختلاط يقال له لقاح: مراحل اللقاح: تتحرك الخلية المذكورة الى طرف الخلية المؤنثة ومقارن هذه الحركة يحدث في الخلية المؤنثة تحذب في بعض جوانبها يجر به المذكورة اليه و بمجرد تماسهما يرد المذكور في دائرة انشاء فينقطع عنه ذنبه وبلافاصلة تأخذ الانثى بترشح مادة لزجة تسمى شامة اللقاح وهي من العوامل المانعة لورود اي مذكرة اخرى الى هذه الخلية المؤنثة: ونواة الخليتين بعد اختلاطهما تأخذان بالدنو بعضاً من بعض حتى تلتقيا وتتركبا وتوجدا من انفسهما نواة واحدة كاملة قابلة للانقسام ثم في هذا الانقسام وكيفية ترقى البذرة كلام واسع لايسعه هذا المختصر:

المحيط الطبيعي لحياة الخلية: جميع خلايا البدن تسبح في مائع مالى للفضاء المحيط بها وواحد لجميع شرائط حياتها وهذا المائع يسمى بالمائع المالى للخلايا ويحصل بترشح الدم من جدران العروق الدموية الى فضاء ما بين الخلايا وهو الرابط بينها وبين الدم والموصل اليها الغذاء والاكسيجن والأخذه منها المواد الزائدة وهذا المائع ليس بساكن بل هو دائما يجرى مع الدم ولذلك يمكن ان يقال ان خلايا البدن تعيش في مائع جارى .

الدم: له خواص فيزيائية وكيميائية اما خواصه الفيزيائية فهي ان الدم مائع احمر دائم الجريان في القلب والشرايين باستثناء البشرة والشعر والاذافر ويشتمل على جميع خلايا البدن وهو في العروق الاحمر - باستثناء العرق الاحمر الرئوى - يكون على لون احمر كاشف: وفي العروق السود - باستثناء العرق الاسود الرئوى - يكون احمر معتماً على انه في المراكز الفعالة في البدن نظير الغدد والكلا يكون في العروق السود منها احمر كاشفا .

طعم الدم مالح وله رائحة خاصة وزنه في الرجال ٦١ / ١ وفي النساء ٥٨ / ١ هو بالنظر الى التركيب الكيميائي يحتوى على ٥٠٠ غرام من الخلايا الحمراء والبيضاء و ٥٠٠ غرام من الفاقدة لثلون وفي المجموع المكور يوجد في كل لتر من الدم ٢٠٠ غرام مواد جامدة و ٨٠٠ غرام ماء : ومقدار الدم في كل انسان تقريباً  $\frac{1}{13}$  الى  $\frac{1}{10}$  بالنسبة الى وزن البدن الذي يبلغ ٦٠ كيلوا فتقرب كمية وجوده في الانسان المزبور من ٥ لترات .

الاعمال العامة للدم : الدم يشكل المحيط الداخلى للبدن كما انه من عوامل ارتباطه لانه يجرى في جميع مراكزه واجهزته و هو المحيط الطبيعى لوجود خلاياه وبوسيلة اجزائه التركيبية مساوى البيض منها يأخذ الاوكسيجن من الرئة و يبثه في المجموعات الخلوية وبتوسط البيض منها يجعل البدن قابلاً للمدافعة جراثيمه وعفوناته : الاجزاء الحمر منه خلايا بشكل العدس وتكون في الانسان بلا نواة وفي جملة من غيره ذات نواة : و حمرة الدم تكوّن من وجود مادة ملونة فيه تدعى (هيموكلوبين) ولوجود هذه المادة فيه تكون له فعالية قوية في نقل غازات التنفس معه لان الهيموكلوبين اذا جاور الاوكسيجن الكافي تركب معه بسهولة : و من خواص هذه الاجزاء الحمر انها قابلة للانقباض و الامتداد فهي تجرى في العروق الضيقة جداً و اذا عبرتها الى ما هو اوسع تجمعت وتكاثفت : والاجزاء البيض من الدم خلايا فاقدة للون شفافه كرية الشكل او غير منظمة ذات نواة واحدة او متعددة و من خواصها انها لظرافة غشائها وبوسيلة ايجاد ارجل كاذبة فيها دائمة الحركة و باتكائها على جدران العروق الدموية تقوم بالحركة ويمكن ان تضبط سرعة حركتها في الساعة الواحدة بميل متر واحد وهي بالنسبة الى المواد الكيميائية حساسة جداً لبعض المواد كترشحات الميكروبات و الاوكسيجن تجلبها اليها وبعضها نظير الكحول الالكلي تطردها عنها : وهي لاتزال ذات حملات عنيفة على الجراثيم والمواد الخارجية تحاصرها وتبتلعها وتهضمها مثلاً على اثر انغماس ابرة في البدن لو تسربت اليه عدة ميكروبات اخذت هذه الميكروبات تتغذى بالمائع المالىء لفضاء

ما بين الخلايا وبوسيلة تحررها تبعث بسمومها اليه فيحصل من ترشح السموم ورم وألم وتعفن في المزاج في هذا الموقع تمنبه الاجزاء البيض و تخرج من عروقها الضيقة لتبارز الجراثيم فهنا يحصل هجوم من الميكروبات ودفاع من الخلايا المزبورة بترشح السم من الاولى وترشح ضده من الثانية فاذا قاومت هذه الخلايا مقاومة تامة انتهت المنازعة بينها وبين الميكروبات بالقضاء على هذا العدو فتجف الجراحة و يهفت الورم و كل ما اصاب الخلايا من نقص وجهد يثرم سريعاً و اذا عجزت عن دفاعها اخذت الميكروبات يتكاثر والورم يزداد وتقرب الحالة من الخطر .

الدورة الدموية : نعلم ان المحيط الداخلى دائماً في تجدد و جريان حتى يتمكن ان يأخذ من الامعاء والرئتين المواد الغذائية والاوكسيجن ويدفع المواد الزائدة الى جهاز الدفع وبالنتيجة يحفظ تركيبه ويجعله ثابتاً : و جريان الدم دائماً منوط بضر بان القلب وعلى اساسه يندفع في الشرايين الحمر والسود والعروق الصغار .

عمل القلب : القلب في ضربانه المتعاقب يجرى الدم في الشرايين والدم له دورتان كبيرة مفصلة و صغيرة مختصرة و المفصلة تشرع من البطن اليسر للقلب و بعد طى طريق الشرايين الحمر و العروق الصغار و الشرايين السود يرد الى الدهليز الايمن من القلب توسط شرايين أسودين خشنين تحتانيين ، والمختصرة تشرع من البطن الايمن و من طريق الشريان الاحمر الرئوى تتصل بالرئتين و بتوسط اربعة شرايين سودرئوية ترجع الى الدهليز اليسر من القلب : والقلب في ضرباته المنظمة من ناحية يأخذ الدم من الشرايين السود ومن ناحية ثانية يدفع الدم بضغط في الشرايين الحمر و من هذا الطريق وبهذا اللون يوجد جريانه : والقلب له في انقباضه وانبساطه تغيرات ففي انقباضه يكشف لونه ويقل حجمه و يصير كريا و يتحرك من اليسار الى اليمين و يتصل طرفه بقفص الصدر فيوجد ضربة وفي انبساطه يحمر لونه و يكبر حجمه ويستطيل و يتحرك من اليمين الى اليسار حتى يرجع الى محله الاول : ويضرب قلب الانسان في كل دقيقة ٧٠ مرة لكنه في مختلف السنين تحصل فيه فروق ففي الطفل ذى السنة الواحدة يضرب ١٣٠ وفي ذى الثلاث سنين ١٠٠ و في العشر سنين ٩٠ و من

العشرة للخمسين سنة ٧٠ وفي سن الشيخوخة يزيد ويكثر ففى الثمانين يبلغ ٨٠ مرة وفي النساء والقصار القامات يزيد على الحد المتداول: تعداد ضربات القلب فى التمريعات العضلانية والاضطراب والوحشة والحمى يكثر ولكن فى الاستراحة والنوم يقل.

جريان الدم فى الشرايين الحمر مع ان ضربات القلب متناوبة فان الدم معمولا يجرى بسرعة فى الشرايين المزبورة وعلة اتصال جريانه فيها هى وجود الاوتار القابلة للارتجاع فى جدرانها وهذه الخاصية فيها هى التى تسهل العمل على القلب و لذلك عند انحراف المزاج تتصلب الشرايين وبالتبع تتصلب جدرانها فلا تعود قابلة للارتجاع ومن اجله يزداد شغل القلب ويكبر حجمه: وجريان الدم فى العروق الصغار دائمى وعلى نحو واحد و فيها خاصية الانقباض و الانبساط : انقباضها مربوط بسيتوپلاسم الخلايا القائمة فى جدرانها فانها هى التى تضيق العرق حتى لا يجرى فيدم كثير ولكن فى الاعمال الشاقة تنفتح هذه العروق فيسترسل فيها دم كثير : فى كبار هذه العروق نجد الخلايا الحمر الدموية متصلة بعضاً ببعض فى العبور منها و لكن فى العروق الضيقة المجرى نجدها متفردة ومتعاقبة فى العبور اما الخلايا البيضاء الدموية لا جل ان لا تتحرك فى العروق بسرعة نراها تتعلق بجدرانها وتتحرك حركة خفيفة جداً جريان الدم فى الشرايين السود دائماً يكون الى طرف القلب وهو فى جريانه متصل و على السوية و سرعة سير الدم فيها قليلة الا انها اكثر من سيره فى العروق الصغار والعامل الاصلى فى رجوع دمها الى القلب هو بقية الضغط الحاصل من البطن الايسر له فانه معين على جريان الدم فيها ومؤثر فيه .

عمل التغذية : قدمنا فى بحثنا عن الخلية والاعمال الحياتية مختصراً يرجع لعمل التغذية وعلمنا هناك ان التغذية باعثة لادامة حياة الموجودات الحية اذن فالقسم الظاهرى والمقدمانى للتغذية يشمل الاعمال التى توجد المبادلة بين الخلايا والمحيط الداخلى وهذه الاعمال شاملة لمراحل مختلفة من قبيل المضغ والهضم والجذب و جريان الدم والالياف المخاطية والتعفن و الدفع و يتحقق كل من هذه توسط جهاز مخصوص بمعنى ان عمل المضغ والهضم يجعل المواد الغذائية قابلة للورود فى المحيط

الداخلي وجريان الدم والالياف المخاطية يجددان المحيط الحيوى للخلايا والتنفس يوصل ما به الحاجة من الاوكسجين الى الداخل والدفع يخرج المواد الزائدة الى الخارج ونحن فى هذا الفصل نبحث عن الغذاء وعن جهاز المضغ والهضم : الغذاء يطلق على المواد المؤمّنة لاحتياجات البدن من توليد القوة فيه و ترميم المواد التالفة منه وتأمين النمو : والاعذية المعمولة نظير الخبز واللحم والبيض و اللبن مع انها بحسب الظاهر اغذية بسيطة لكنهما فى التجزئة والتحليل متركبة من مواد متعددة والاعذية البسيطة مشتملة على اغذية معدنية واغذية آلية والاعذية المعدنية شاملة للماء والاملاح المعدنية والماء يقوم بتشكيل  $\frac{2}{3}$  من وزن البدن والانسان معمولا فى الحر المعتدل يدفع فى اليوم من طريق الادرار والعرق والتنفس والمدفوع ما يقرب من ليترو نصف ماء وهذا المقدار يؤمنه بوسيلة شرب الماء والمشروبات المختلفة والاعذية فان فى الخبز ما يقرب من ٣٥ / ٠ ماء وفى اللحم ما يقرب من ٦٥ / ٠ وفى الفواكه ما يقرب من ٧٥ / ٠ وان للماء دخلا قويا فى تمام فعل وانفعالات داخل البدن : و الاملاح المعدنية تقوم بتشكيل ٤ / ٠ من وزن البدن : والانسان يدفع فى اليوم والليله ما يقرب من ٢٥ غرام ملح ولا بد من جبرانها ضمن الاعذية التى يتناولها فالاملاح الماء كولة تقريبا تجبر من ذلك عشرة غرامات والاعذية النباتية تجبر الباقي منه : والبحث فى تشقيق هذه الاملاح والاعذية الالية طويل لايسعه هذا المختصر : ولا يجهل لزوم الغذاء لترميم النقص وتوليد القوة لعلمنا دائما بان دفاع مواد مختلفة ضمن الادرار والعرق والصفراء ونستنجح من ترميم ما يؤخذ من الشعرو الاطافرو ما يسقط من بشرة الجلد وما ينمو به الطفل الى سنين معينة ان ذلك كله من نتائج ايراد الغذاء الى المحيط الداخلى .

المضغ والهضم : يقالان على مجموعة الاعمال التى تغير شكل المواد الغذائية وتجعلها قابلة للتصريف فى المحيط الداخلى وهذا الجهاز شامل لانبوب المضغ والهضم وغدهما : اما الانبوب فهو مفتوح الطرفين يشرع من الفم وينتهى بالمخرج وهو بالترتيب شامل : للقم : الحلق : المرى : المعدة : المعائين الضيق والواسع .

القم : هو الحفرة المحدودة من الامام بالشفاه ومن الورااء بالحلق ومن الاعلا باللمهاة ومن الاسفل بسطح القم ومن الطرفين بالعارضين ويسترد اخل القم مخاط احمر يكون في نهاية اللمهاة سجافاً باسم شراع الحنك ينتهي باللسان القصير ويوجد في داخل القم اللسان والاسنان : اما اللسان فيبحث عنه في حس الذوق واما الاسنان فهي قائمة في حفر على محاذاة الفكين الاعلا والاسفل وتنقسم الى اربعة انواع الثنايا والانياب والطواحن الكبار والطواحن الصغار ويقال للقسم الخارج عن اللثة منها - تاج - وللداخل في اللثة - جذر - وللحد الفاصل بينهما محز .

(١) الثنايا - وهي واجدة لتيجان حادة الطرف قاطعة ولجذر واحد وتعدادها اربعة في كل فك وموقعها القسم الامامى من القم .  
(٢) الانياب - وهي واجدة لتيجان محدبة حادة ولجذر واحد وتعدادها اثنان في كل فك وموقعها في طرفى الثنايا .

(٣) الطواحن الصغار : وهي واجدة لتيجان عريضة ذات حدبتين وتكون ذات جذر واحد او اثنين ويوجد منها في كل فك اربعة اعداد وموقعها في طرفى الانياب .  
(٤) الطواحن الكبار : وهي واجدة لتيجان عريضة ذات اربع حذب والطواحن الفوقية منها معمولا تكون ذات جذر ذى ثلاث شعب و السفلى منها ذات جذرين و تعدادها في كل فك ستة موقعها بعد الطواحن الصغار : فمجموع اسنان الانسان البالغ ٣٢ سنناً .

اسكلت الاسنان من العاج وفي ضخامته جارى منشعبة لتغلغل الاعصاب وتيجانها مطالة بالميناء وجذورها بالساروج ويشتمل العاج على ٧٢/٠ من النورة و ٢٨/٠ من المواد الآلية ويشتمل الساروج على ٧٠/٠ من مواد النورة و ٣٠/٠ مواد آلية ويورد الشريان الدموى الاحمر من الجذور اليها وبعد وروده يتبدل الى شبكة عروق صغيرة ويرجع خارجاً منها بصورة شريان دموى أسود وهكذا ترد الاعصاب الى الاسنان من الجذور وحدان شعابها الى الميناء .

الحلق : فضاء واقع خلف القم من ناحية شراع الحنك وهو بصورة مفترق اربعة

طرق فمن الامام الفم ومن الاعلا حفر الانف ومن الاسفل قصبه التنفس والمرى وتقع في طرفيه اللوزتان ، يستر باطن الحلق غشاء مخاطى ومن وراء هذا الغشاء عضلات بعضها طولى وبعضها حلقوى .

(٣) المرى : انبوب بطول ٢٠ الى ٣٠ سانتيمتر و يقطر ٢/٥ الى ٣ سانتيمتر وموقعه وراء قصبه التنفس و في مقابل الخرزة ١١ من فقار الظهر يرتبط بالمعدة و يحتوى جداره من الداخل الى الخارج على طبقة مخاطية و طبقة عضلية تشتمل على اوتار طولية من الخارج و اوتار حلقوية من الداخل و اكثر عضلات مبتدأ المرى مخطط و لكن باقى عضلاته مطلس و على طبقة تر كيبية و فيها تكون مجارى عروق الدم و الاعصاب .

(٤) المعدة كيس بسعة ١٢٠٠ سانتيمتر مكعب يقع في الطرف الايسر من البطن ويتكأ قسم من الكبد عليه مدخله يسمى فم المعدة و محل اتصاله بالاثنى عشر يسمى باب المعدة و في المعدة انخفاضان كبير و صغير و ضخامة جدارها ٢ الى ٣ ميل مترو من الداخل الى الخارج تشتمل على طبقات طبقة مخاطية تحتوى على غدد الهضم و غدد المخاط : طبقة عضلانية : طبقة تر كيبية و فيها تكون مجارى الدم و الاعصاب .

(٥) المعاء الضيق وهو بطول ٨ أمتار تقريباً و يقطر ٢/٥ الى ٣ سانتيمتر شروعه من باب المعدة وينتهى الى المعاء الواسع و لاجل ان يمكن وجوده في محيط البطن يكثرفيه الالتواء و التطوى و كل ما قرب الى النهاية يضيق اكثر حتى ان قطره لا يعود يساوى اكثر من ١/٥ الى ٢ سانتيمتر و هذا المعاء يحتوى على ثلاثة اقسام : الاثنى عشر بطول ١٥ الى ٢٥ سانت و موقعه بعد المعدة بلافاصلة : المعاء الاسفل وهو العمدة في المعاء الضيق و الاكثر التواء و تطوياً : المعاء الطويل وهو منتهى المعاء الضيق و يتصل بوسيلة بويب صغير بالمعاء الواسع : ويشتمل جدار المعاء الضيق من الخارج الى الداخل على طبقات : الطبقة التركيبية و فيها مجارى الدم : الطبقة العضلانية المطلسة لكن العضلات من خارجها طولية و من داخلها حلقوية : الطبقة المخاطية و تشتمل على غدد الهضم و غدد المخاط و مخاط هذا المعاء ليس بمطلس بل فيه اسنان عرضية تدعى

بطيات المعاء و هي بتعداد ٨٠٠ الى ١٠٠٠ طبقة يتضرس بها سطح المعاء المزبور و يستولى على السطح الداخلى للمعاء وحتى على السطح المنطوى منه حبيبات بارترفاع  $\frac{1}{4}$  ميل مترتدعى بالخمل ويرتقى تعدادها الى ملايين الحبيبات : وخلايا هذه الطبقة هي العامل الاصلى فى جذب الغذاء وفى طول جدران الخمل عضلات مطلسة بانقباضها وانبساطها حين الجذب تسبب تغيير حجم الخمل وفى كل خمل انشعاب للعرق الاحمر الدموى وبعد وروده يتبدل الى شبكة عروق دموية و يكون فى خروجه بصورة عرق دموى اسود .

(٦) المعاء الواسع : وهو بطول  $\frac{1}{5}$  متر تقريباً و بقطر ١٠ سانتات شروعه من بويب المعاء الضيق و انتهاؤه يكون بالمخرج ويشتمل على ثلاثة اقسام : المصران الاعور : القولون : المعاء المعتدل : المصران الاعور يشبه الكيس وفى انتهاه تكون زائدة الابانديس : القولون و هو كثير الالتواء و التعرج وتكون قسمته الصاعدة الى فوق عن يمين البطن ثم يكون بصورة افقية وفى ايسر البطن ينزل الى اسفل ويحصل فيه حينئذ انخفاض : المعاء المعتدل وهو يكون بطول ٢٥ سانت تقريباً و يتسع كل ما قرب من المخرج : ويربط بين المعاء الضيق و الواسع بويب تعبر منه المواد من الاول الى الثانى وجدران المعاء الواسع من الخارج الى الداخل تشتمل على الطبقة التركيبية والعضلانية والمخاطية وتكون الاوتار الطولية لعضلات المعاء الواسع ذات ثلاث شطوب وبما ان طولها يقل عن طول المعاء فلذلك يتسبب التعرج و الالتواء فى انبويه : ومخاط هذا المعاء فاقد للخمل .

(٧) غدد الهضم : بعض هذه الغدد واقع فى جدار انبوب الهضم وتكون صغاراً مثل غدد المعدة وغدد الامعاء وبعضها واقع خارج الانبوب وبما انها توصل ترشحاتها الى انبوب الهضم يقال لها غدد ضميمة الهضم مثل الغدد البزاقية ولوز المعدة و الغدد البزاقية ثلاثة ازواج بشكل العنقود وتوصل ترشحاتها الى الفم وهى عبارة عن الغدد الواقعة اسفل الاذن وهى بوسيلة مجراها توصل ترشحاتها من طريق الطاحن الثانى من الطواحن الكبيرة الفوقية الى الفم والغدد الواقعة تحت الفك و هى بوسيلة مجراها



توصل ترشحها من وراء المقاديم التحتية الى الفم والغدد الواقعة تحت اللسان وهي بوسيلة مجاريها المتعددة تصب ترشحها تحت اللسان .

غدد المعدة : وهي غدد صغار يتراوح تعدادها بين ٦ الى ٧ ملايين غدة وموقعها مخاط المعدة بعضها ساذج وبعضها كالاصابع وشكل الجميع انبوبي وفي كل غدة يوجد نوعان من خلايا الترشح بعضها اصلى وبعضها على حاشية الانبوب .

غدد الامعاء : وهي نوعان عنقودية ووجودها منحصر في الاثنى عشر وغدد انبوية ساذجة وقصيرة توجد في طول المعاء الضيق ويوجد قليل منها في المعاء الواسع .

غدد لوز المعدة : لوز المعدة من اهم غدد الهضم وهي غدة مستطيلة على شكل اللوزة بوزن ٧٠ غراماً وبطول ١٥ سانتاً وبضخامة سانت واحد واقعة بطور افقى تحت المعدة قسمتها العريضة واقعة على باب الاثنى عشر وطرफها الضيق يختم بالطحال وتصب ترشحاتها في الاثنى عشر .

غدة الكبد : الكبد اضخم غدة في البدن وزنه التقريبي ٢ كيلو ويقع في القسم الايمن للبطن وقراره على الامعاء سطحه الاعلا محدب و سطحه الاسفل مقعر وقسمتا وسطه وخلفه ضخمتان ويرق تدريجاً الى الطرف : في سطحه الاسفل توجد ثلاثة اخاديد اثنان منها عموديان و الثالث عرضي : و عروق دم الكبد عبارة عن العرق الاحمر الدموي الجالب وهو شعبة من العرق الاحمر الاحشائي ويجلب الى الكبد دمأ معتدل اللون غير معتم والعرق الدموي الاسود وهو يجلب الدم المعتم من المعدة والمعاء والطحال ولوز المعدة الى الكبد و العرق الاسود الدموي الآخذ و هو الذي يخرج بالدورة الدموية الى خارج الكبد .

المجارى الصفراوية للكبد : الصفراء مائع أصفر وبوسيلة مجرى يقال له المجرى الكبدي بطول ٧ الى ٨ سانتات يخرج من الكبد وفي نهايته ينشعب الى شعبتين شعبة تصب في كيس الصفراء والاخرى في الاثنى عشر : وفي الكبد وتقسيماته بحوث كثيرة لايسعها هذا المختصر .

تحليل الهضم من الناحية العلمية : اعمال الهضم الباعثة على تغيير شكل الغذاء

تشمل نوعين من الاعمال ميكانيكية وكيميائية : الاعمال الميكانيكية لجهاز الهضم حركات باعثة على نعومة الغذاء ودفعه الى الداخل واخلاء انبوب الهضم منه ويحصل هذا العمل بوسيلة العضلات الهاضمة وتوجد هذه الاعمال على طول انبوب الهضم وهي عبارة عن المضغ والبلع وحركات المعائن الضيق والواسع .

المضغ : عمل ميكانيكى للفم تتوسط الشفاه واللسان فى دفع الغذاء الى الاسنان حتى ينعم ويختلط بالمواد البزاقية ويقوم الفك الاسفل توسط العضلات بعملية المضغ . والبلع عمل ميكانيكى يحصل منه انحدار الغذاء من الفم الى المعدة وللبلع مراحل ثلاثة - مرحلة الفم - الحلق - المرى - بعد مضغ اللقمة تستقر على اللسان وطرف اللسان بانكائه على اللهاة وانسداد الفم وضغط الفك الاسفل على الاعلاو انقباض عضلات اللسان يحددها الى طرف الحلق وهذا العمل فى بدئه ارادى لكن اللقمة اذا تعدت شراع الحنك خرجت العمليات اللاحقة عن الاختيار واذا وصلت اللقمة الى الحلق انسدت الطرق الثلاثة امامها طريق الانف ، بشراع الحنك واللسان القصير وطريق الفم باللسان وطريق التنفس بارتفاع الحنجرة ووردت الى المرى و اذا استرسلت انفتحت الطرق الثلاثة الأنفة الذكر وباعتبار ان جدران المرى ذات عضلات طولية وحلقوية فهى بانقباضها المتواصل تسوق اللقمة الى طرف المعدة .

العمل الميكانيكى للمعدة : انقباض الانواع الثلاثة العضلانية القائمة فى جدار المعدة حين الهضم يغير شكل المعدة : المعدة الخالية معمولا تكون بطور قائم وفاقدة للحركة وفى موقع ورود الغذاء اليها يتورم وسط المعدة وينحدر الغذاء الى الاسفل ومعمولا بعد عشرين دقيقة من الاكل تشرع جدران المعدة بالحركة وهذه الانقباضات تكون بطور اخايد حلقوية تشرع متوجهة الى الاسفل وبتبعتها تنحدر المواد الغذائية من أعلا الى اسفل و من نتيجة هذه الحركات يختلط الغذاء بترشحات المعدة .

العمل الميكانيكى للمعاء الضيق : اولا تختلط المواد الغذائية بترشحات هذا المعاء وثانيا تنحدر منه الى المعاء الواسع وتشخص فى المعاء الضيق حين ورود الغذاء

فيه ثلاثة انواع من الحركة : حركة تحصل على اثر انقباض العضلات الطولية يعنى على اثر انقباض هذه العضلات يحصل فى طرف من المعاء انخفاض وانحناء وهذا العمل يحصل متناوباً على طول المعاء و يوجد تغييراً فى قطره : وحركة تحصل بسبب انقباض العضلات الحلقوية و تسبب حلقات متواصلة من الانخفاض على طول المعاء حيث تصير المعاء بصورة فقرات الظهر وخرزات السبحة : وحركة تحصل بسبب انقباض العضلات الطولية والحلقوية فتوجد اولا حلقة من الانخفاض على عرض دورة المعاء ثم يكون هذا الانخفاض بصورة موجم الى للمعاء كله و كل نقطة يمر بها هذا الموج تطول وتضيق و بعد تعديده منها تعرض وتتسع وسرعة حركة الغذاء فى هذا المعاء فى كل ساعة متر واحدو مدة توقف الغذاء فيه تستغرق ٦ ساعات .

العمل الميكانيكى للمعاء الواسع : على اثر وصول الموج فى المعاء الضيق الى منتهاه ينفتح البويب الفاصل بينه وبين المعاء الواسع فيتسرب منه بعض الغذاء اليه ومع ان المعاء الواسع على طوله واجد للارتعاشات التوجيهية فهو فى اوائله يعنى فى القولون الصاعد الى فوق والقولون الاقوى تنصدم فيه ارتعاشات متعاكسة و بسبب هذا التعاكس تتوقف المواد فى المصران الاعور فتعطى من نفسها كمية من الماء وعلى اثر توالى المدفوع يعود المصران الاعور والقولون الصاعد والاقوى مكتنصاً به فتتحدرد قسمة من المدفوع فى القولون الصاعد والاقوى الى القولون الاسفل وتتوقف فيه واذا وصلت اليه مواد مائية بحد معين استرسل الى المعاء المعتدل وحرك مخاط المخرج فاذا حصلت منه اجابة خرج والا رجع الى القولون الاسفل و توقف خروجه الى وقت آخر .

الاعمال الكيمائية لجهاز الهضم : العمل الكيمائى المضم يحصل من اثر البزاق يترشح البزاق فى اليوم والليلة بطور عادى قريباً من ٨٠٠ غرام ويشتمل على ٥/١٠ مواد جامدة و ٩٥/١٠ مواد مائية و مركز ترشح البزاق هو بصل النخاع و حصواه يكون بطريقة انعكاسية - ذلك - ان الغذاء اذاورد الى الفم حرك مخاطه ومخاط اللسان و هذا التحريك بوسيلة اعصاب الحس يتصل بمركز الترشح والمركز المزبور بوسيلة

الاعصاب المحركة يحرك الغدد البزاقية بالترشح ويحصل الترشح بصورتين-الأولى- تناول الغذاء -الثانية- بصورة روحية بمعنى ان رائحة الغذاء اورؤيته او سماع اسمه وتخييله قد تبعث ترشح البزاق .

الاعمال الكيميائية للمعدة :الهضم الكيميائي للمعدة يحصل تحت اثر سوائل المعدة وتترشح هذه السوائل من غددها لمجاورة بعض مواد الغذاء لمخاط المعدة في اليوم والليله بمقدار لترين وسائل المعدة مائع فاقد للون فيه شيء من اللزوجة وحالة اسيدية و توقف الغذاء في المعدة يختلف باختلاف مواده فالماء مكثه قليل والحليب بقاءه لمدة ساعة اما المواد الدسمة فبقاؤها طويل يعوق الهضم واذا انتهى وقت هضم المعدة اعطت محتوياتها بصورة مائع حامض يسمى بالكيموس المعدى و اذا وصلت الحالة الاسيدية الى حد معين بحصول انقباضات موجية يفتح باب المعدة الى الاثنى عشر .

الاعمال الكيميائية للمعاء: العمل الكيميائي لهضم المعاء له اهمية خارجة عن المعتاد لان المعاء فضلاء عن سوائله تصب فيه سوائل الصفراء وسوائل لوز المعدة: وسائل المعاء مائع يوجد من اثر ترشح غدده ومقدار ترشحه في اليوم والليله يقرب من لتر واحد وهو يحصل من مجاورة المواد الغذائية لمخاط المعاء .

خواص الكبد و لوز المعدة بالنظر الى هضم المعدة: سبق ان بينا ان الصفراء وسائل لوز المعدة يصبان في المعاء وتأثيرهما يكون في هضم المواد الغذائية والصفراء مائع لزج قابل للامتداد مرهوع اصفر اللون اذا كان في كيسه فاذا جاور الهواء مال لونه الى الخضرة وترشحه في اليوم والليله يكون بمقدار ٨٠٠ الى ١٠٠٠ غرام ويوجد في الصفراء حالة ترشحها ٢٥ بالالف مواد جامدة والباقي ماء: لكنها اذا تجمعت في كيسها ترتقى المواد الجامدة فيها الى ١٥٠ بالالف واكثر اهمية الصفراء يكون من ناحية الهضم والجذب للمواد الدسمة ومن ناحية تحريكها للتموجات العمومية في المعاء لحصول الهضم ومن اسقاطها للخلايا الفانية المتحطمة عن جدران المعاء و من ايجادها لضد العفونات في محيط المعاء ومقاومتها للورود والتعفنات :وسعة كيس الصفراء

٥٠ سانت مكعباً : اما سوائل لوزالمعدة فهي تكون من طريق خلاياه العنقودية وهذه السوائل من اهم سوائل الهضم لتأثيرها في كل غذاء : وترشحها في اليوم والليله يكون بمقدار ١٢٠٠ غرام وهي مائع فاقد للون قابل للامتداد قليلا يشتمل على ١٥ بالالف مواد جامدة والباقي ماء.

الجذب : المواد التي تصل لخلايا البدن لا بد وان تنهي مراحل ثلاثه - ١ - عبورها من وراء غشاء سطح البدن او السطح الداخلي لانبوب الهضم - ٢ - توزعها في المحيط الداخلي وفي جميع نواحي البدن - ٣ - نفوذها الى داخل سيتوبلاسم الخلايا ومع ان الجذب يحصل من طريق الرءة ومن طريق غشاء البدن والمخاط وتحتدر ضمن هذا الجذب مواد كيميائية وطبيه لكن اهم بحثنا عن جذب الغذاء من طريق انبوب الهضم ومع ان جهاز الهضم كثير الاقسام فان الفم يجذب جمله من المواد الدوائية و المعدة تجذب جمله من الالكلات والسموم الا ان القسمة المهمة في الجذب لانبوب الهضم هي الامعاء على الاخص المعاء الضيق منها فان القسم الاعظم من الغذاء المنهضم يجذب فيه لان مخاط هذا المعاء ساذج فيكون عبور الغذاء فيه اسهل من غيره و لوجود التعرج الكثير و الخمل فيه تكون مجاورته للغذاء اطول من غيره و لتعدد حر كات هذا المعاء و حر كات خمله تكون قدرته على الجذب اكثر و لان المواد الغذائية فيه تصل الى حدها النهائي في التجزئة و التحليل يكون جذبه لها اوفر و لان الغذاء يتوقف فيه فلطول هذا التوقف يطول الجذب و زمانه - و بالنتيجة - بمناسبة وجود التعرجات الكثيرة في هذا المعاء و الخمل الزائد جداً حيث يكون تعداده في كل سانت مربع من ٥٠٠ الى ٣٠٠٠ يوجد للجذب سطح واسع جداً يتجاوز عن ٤٣ متراً مربعاً بل يمكن ان يقال ان محيط الجذب منحصره : وفي الجذب و تحولاته و مجاريه بحوث قيمة لايسعها هذا المختصر.

عمل التنفس : من شرائط حياة كل موجود حي ووجود الاوكسيجن في المحيط الحيوي العايش فيه لان الموجودات الحية في حاجة الى ذلك : و المواد الغذائية بوسيلة المحيط الداخلي ووقوعها تحت اختيار الخلايا يحصل في داخلها فعل وانفعال

كيميائي مخصوص من بعضها ما يسمى ( الاكسيد اسيون ) ومن هذه الجهة نرى الموجودات الحية تتطلب الاوكسيجن ومن طريق الاكسيد اسيون فضلاء حصول قوة وحرارة في الموجود الحي تحصل مواد زائدة تسمى بغاز الكربونيك تلوث المحيط الداخلي لهذا دائماً تكون حاجة ماسة الى استيراد الاوكسيجن الى الداخل ودفع غاز الكربونيك الى الخارج ومن دخول الاوكسيجن وخروج غاز الكربونيك يحصل التنفس .

تنفس الحي ذى الخلية الواحدة يحصل من طريق غشائه وفي الحي ذى الخلايا الكثيرة يحصل من طريق جهاز يسمى جهاز التنفس : جهاز تنفس الانسان شامل لمجاري التنفس والرئتين ومجاري التنفس تشمل الانف والحلق والحنجرة وقصبة التنفس والقصبات المشعبة والقصبات التي دونها : حفر الانف : يبحث عن هذه الحفر ضمن البحث عن الشامة والحلق قد سبق مفصل القول فيه : اما الحنجرة فهي جهاز توليد الصوت والمجاري الثلاثة الانف والحلق والحنجرة طريق ورود وخروج الهواء مضافاً الى تصنيفها له وتسخينها اياه : تقع قصبة التنفس بعد الحنجرة والقصبة المزبورة انبوب اسطواني قسمته الخلفية في تمام طولها مسطحة طول القصبة ١٢ سانتاً وقطرها ٢ سانت وموقعها بطور عمودي في امتداد العنق ومقدم المري وتقسم القصبة المزبورة في قفص الصدر مقابل الفقرة الرابعة من فقرات الظهر الى قصبتين وفي طول القصبة توجد ١٥ الى ٢٠ انصاف حلقات غضروفية : انصاف الحلقات الغضروفية متراكبة بعضاً على بعض ولا جل وجود هذه الحلقات الغضروفية نرى فم القصبة مفتوحاً دائماً المقطع العرضي للقصبة يشتمل من الخارج الى الداخل على الطبقة التركيبية القابلة للارتجاع - اولاً - وعلى الطبقة الغضروفية : ثانياً : وعلى الطبقة المخاطية ثالثاً .

القصبتان هما شعبتا قصبة التنفس و كل واحدة منهما بضميمة عروق الدم والاعصاب ترد الى واحدة من الرئتين وبنيتهما التركيبية كبنية اصل قصبة التنفس الا ان حلقاتها الغضروفية تامة لانصاف حلقات وكل قصبة من هاتين القصبتين تنشعب الى

قصبيات اصغر منها وتنتهي كل واحدة من هاتاه القصبيات الى كيس او اكياس صغار تسمى حباب الرءة او الاكياس الهوائية والبنية الكلية للرءة وللأكياس الهوائية مادة شبيهة الاسفنج قابلة للارتجاع و موقعها الصدر ولونها في الاشخاص المسنين رمادى وفي الاطفال والشبان وردى يحد الرءتين من الورا عموود الظهر ومن الامام والجنبين الاضلاع وعضلاتها الواقعة بينها: و كل رئة بشكل الهرم ورأسها الى فوق وزن الرءتين في الرجال ١٢٠٠ غرام وفي النساء ٩٠٠ غرام والرءة اليمنى اكبر من اليسرى وفي سطحها الخارجى يوجد اخدودان يقسمانها الى ثلاث وجنات لكن اليسرى فيها اخدود واحد ووجنتان وهى من ناحيتها الداخلية مقعرة ومكان القلب فى هذا التقرع: و كل وجنة من وجنات الرءة تنقسم الى وجنات اصغر منها وحجم كل واحدة من هاتاه الوجنات الصغيرة سانت واحد وبنيتها هرمية الشكل قاعدتها سطح الرءة ورأسها الى الداخل وقاعدتها هذه تكون بصورة كثير الاضلاع بقطر ١٠ الى ١٥ ميل متروهى من سطوحها الجانبية بعضها متكىء على بعض وعند تسرب القصبات بين الوجنات يسترسل لكل واحدة منها اشعاب من القصبات المزبورة وهكذا تسترسل هذه الانشعابات الى شعب اصغر حتى تنتهى الى الاكياس الهوائية ومع كل وجنة من الوجنات المذكورة اشعاب من العروق الدموية الحمر كما تنشعب من هذه العروق الكبار شبكة عروق دموية صغار تصب فى نهاية مطافها فى عرق دموى اسود يخرج من الوجنات .

والاكياس الهوائية اصغر تقسيمات الرءة وتعدادها فى الرءتين يقرب من مليونين و قطر كل واحد منها فى حدود  $\frac{1}{4}$  ميل مترو سطح كل حباب منها متعرج متطوى وهذه التطويات يقال لها بيوت الرءة وتعدادها تقريباً يبلغ ١٧٠٠ مليون بيت و هو رقم واسع ووجود هذه البيوت هو الذى يوسع سطح تبادلات الغازات حتى ان سطح التبادل فى مجموع الرءتين قد يصل الى ١٥٠ بل الى ٢٠٠ متر مربع وهذا هو الذى يجعل مركزية بيوت الرءتين مهماً عظيماً - وبالنتيجة فأصغر اجزاء الرءة الحباب الرئوى ويقال لمجموعته وجينات الرءة واجتماع الوجنيات يشكل الوجنات والوجنات تشكل اصل الرءة ويتصل بكل تقسيم من هذه التقسيمات انبوب هوائى بتناسبه .

والحركات التنفسية هي في الواقع الاعمال الميكانيكية للتنفس و نتيجة هذه الحركات استيراد الهواء الى الرئتين و اخراجه منهما في حالة استيراد الهواء ينفث قفص الصدر والرئتان فيرد الهواء اليهما وفي مقام اخراجه يندمج قفص الصدر و تنهافت الرئتان فيخرج الهواء ومع ان الرئتين تنقبضان وتنسبطان فان الفعالية ليست لهما بل فعاليتهما مربوطة بانفتاح وانقباض قفص الصدر اذن فلاستيراد الهواء و اخراجه ثلاثة عوامل : حركات قفص الصدر : خاصية ارتجاع الرئتين : متابعتها لحركات قفص الصدر : تعداد حركات التنفس في الرجال ١٦ وفي النساء ١٨ دفعة في الدقيقة الواحدة ويختلف هذا التعداد زيادة ونقصاناً بحسب السنين و حالات البدن ففي اول التولد ٤٤ وفي الخمس سنين ٢٦ وفي ١٥ سنة الى ٢٠ سنة ٢٠ وفي ٢٠ الى ٢٥ سنة ١٨ وفي ٢٥ الى ٣٠ سنة ١٦ وفي ٤٠ سنة ١٨ مرة في الدقيقة الواحدة : وفي وقت العمل و التعب يزيد تعداد التنفس وفي الاستراحة والنوم ينقص كما يزيد في الحر : وفي كل تنفس عادي يدخل الى الرئة نصف ليتر هواء ويخرج مثله وتسع الرئتان بطور طبيعي ٣ لترات هواء : وفي مبحث التنفس فصول ذات قيمة في اهميتها .

جهاز دفع الادرار يقال الادرار للمواد التي تؤخذ من المحيط الداخلي بوسيلة الكليتين وتدفع الى الخارج : جهاز دفع الادرار شامل للكليتين ولمجاري الادرار و مجارى الادرار شاملة للطشيت وللحالب وللمثانة ومجرى الخروج .

البنية الكلية لجهاز الادرار وتحليلها بالدقة : الكلا مواد بشكل الغدد قهوائية اللون تميل الى الحمرة على شكل اللوبياء تقع وراء الامعاء في طرفي الفقار من ناحية الخاصرة و كل من الكليتين يقع في مكان يسمى محل الكلية مملوء بالشحم و الكلية اليمنى ينخفض مقرها عن محل الكلية اليسرى قليلا و كل كلية تزن ١٢٠ الى ١٥٠ غراماً بقطر ٣ الى ٤ سانتات و جانبها الخارجى محدب والداخلى مقعر وفي وسط هذا التقعر اخدود عمودى عريض باسم سررة الكلية تتسرب من هذه السررة العروق الدموية والاعصاب الى الداخل : وفي عمق السررة حفرة بعمق ٣ سانتات باسم (السينوس) توجد في وسطها الداخلي نواتىء و فوق كل كلية غدة مطبقة باسم (غدة فوق الكلية)



حيث لا ارتباط لها بالكلية اصلاً.

و يحيط بكل كلية من الخارج غشاء ليفي محكم ابيض اللون لا انشعاب له الى الداخل و ينزع عن الكلية بسهولة : و في المقطع العرضي لكل كلية تستبين الاقسام التالية .

(١) المنطقة المركزية او منطقة الاهرام وهي مخططة ، ولونها أحمر وتشتمل هذه المنطقة على ١٠ الى ١٢ هرمًا قاعدة الاهرام الى طرف الخارج و امارؤسها مفتوحة الى مركز (السينوس) و في كل ناتئ من نواتئ السينوس يوجد ١١ الى ٢٠ منفذاً مخصوصاً بدفع الادرار .

(٢) المنطقة القشرية او منطقة الحبيبات تكون بضخامة ٣ الى ٦ ميليمترات واقعة تحت الغشاء الليفي تحتوى هذه المنطقة على حبيبات حمر كثيرة و الانابيب المتلوية في المنطقة القشرية لها نفوز بين الاهرام و تكون بصورة امواج شعاعية و عند ملاحظة المنطقة القشرية تشخص منطقتان : منطقة الاهرام وهي وراء تلك الاهرام و دونها و تشتمل على اهرام صغيرة يبلغ تعدادها في قاعدة كل هرم كبير من ٣٠٠ الى ٥٠٠ هرم و الاهرام الكبيرة تتكون من اجتماع انايب كثيرة (٣) و المنطقة الفضائية الهرمية الشكل المنتهية قواعدها الى الغشاء الليفي للكلية .

و تشكل كل كلية من اجتماع و جنات متعددة الا انه لا جدران تحجز بينها و الوجنة المزبورة هي مجموعة هرم كبير و من المنطقة القشرية التي فوقه و التي تحيط بها شبكة دموية .

و يبلغ تعداد الوجنات المزبورة في كلية الانسان من ١٠ الى ١٢ وجنة : و اذا وضعنا انايب الادرار تحت المجهر لاحظنا فيها اعداداً ضخمة قد احتوتها شبكة تركيبية ملتوية و أحاطت بها شبكة مثلها من العروق الدموية : و توجد في انايب الادرار تقسيمات كثيرة مهمة يخرج البحث فيها عن حوصلة هذا الموجز :

مجارى الادرار : الطشيت مخزن مخروطي الشكل بعرض ٢ و ارتفاع ٢ الى ٣ سانتات قاعدته الى داخل الكلية : العالب انبوب بطول ٢٥ سانتاً و بقطر ٥ ميل

مترات ويشرع من الطشيت وينحدر الى طرف المئانة واكل ضغط يحصل فى المئانة  
يوجب انسداد الحالب ويمنع من صعود الادرار اليه وجدار الحالب ذواوتار طولية  
وحلقوية من العضلات المطلسة : المئانة كيس بسعة ٦٠ سانتاً مكعباً موقعه طشت  
الخاصرة وجدار المئانة قابل للانساع كثيراً وضخامته بعد النخلة تبلغ من ١٠ الى  
١٦ ميل متراً لكنه عند الامتلاء الكامل تنقل ضخامته من ١٤ الى ٢ سانت :  
ومجرى خروج الادرار انبوب ضيق ياخذ الادرار من المئانة الى الخارج :  
والادرار مايع اصفر اللون مالح الطعم ذورائحة خاصة و يدفع الانسان فى كل ٢٤  
ساعة مقدار ١٢٠٠ غرام الى ١٥٠٠ غرام بول وليس هذا المقدار ثابتاً على حالة  
واحدة بل فى الحر يقل وفى البرد يكثر كما يكثر فى مواقع الوحشة والاضطراب  
والاعمال الفكرية والهيجانات الروحية وتناول المشروبات المختلفة : و انابيب  
الادرار فى الحقيقة هى التى ترشح به تاخذ مواده من الشبكات الدموية المحيطة بها  
توقعها فى الجريان والادرار بعد أن يتشكل فى انابيبه يتسرب من منافذ الحبيبات الى الطشيت  
ومنه توسط انبوبي الحالب ينصب فى المئانة ويحرف فيها : وعبور الادرار من الحالب  
يحصل من ضغط الادرار على الادراز السابق من ناحية و بانقباض العضلات الجدارية  
من ناحية ثانية حتى يصبه فى المئانة وفى كل ٢٢ ثانية ترد المئانة قطرة واحدة من  
الادرار : وفى جهاز الادرار كلام واسع كثير الاهمية لامجال لذكره هنا سوى انناشير  
الى تعداد انابيب الادرار فى كلية الانسان فقد ذكروا انها تبلغ من المليونين الى  
الاربعة ملايين انبوب دقاق و هو رقم واسع جداً و منه يعلم ان هذه الانابيب لاجل  
تصفية الدم تعمل فى محيط واسع .

الاعمال الارتباطية: مع ان تقسيم الاعمال فى البدن اوجب امتياز الاجهزة بعضا  
عن بعض الا انها فى الحقيقة مرتبطة متواصلة والكلام فى خواص ارتباطها جهازاً  
وعضواً عضواً مما يطيل البحث ويخرج عن حوصلة هذه التذكرة : لكننا نخص الكلام عن الغدد  
الترشحية المطبقة وما لها من عمل ارتباطى والغدد الترشحية المطبقة عبارة عن : التيروئيد  
مسامير التيروئيد : التيموس : غدد فوق الكلية : الهيبوفيز : لوز المعدة : الكبد :  
غدد التناسل .

(١) التيروئيد . غدة على شكل الفراشة رمادية اللون مائلة الى الحمرة بوزن ٢٥ الى ٣٠ غراماً موقعها امام العنق تشمل هذه الغدة على وجنتين يمنى ويسرى يربط بينهما رابط ضئيل له زائدة صاعدة الى فوق متمائلة الى الوجنة اليسرى : البنية الداخلية للتيروئيد : يحيط بهذه الغدة غشاء كبسولى وداخلها حفر مطبقة كبيرة وفي فواصل هذه الحفر الياف تر كيميية ذات عروق دموية واعصاب وفيرة والسطح الداخلى للحفر مفروش بطبقة خلايا ترشحية بعضها مكعب وبعضها اسطوانى من اهمية سوائل التيروئيدان هذه الغدة اذا فصلت عن الانسان فى سننى رشده كان من اثرها توقف نمو البدن والغدد التناسلية وضعف قوى العضلات و تقليل فعاليات الدماغ فمن هنا نفهم ان سائل التيروئيد له دخالة فى رشد البدن وعمل الغضاريف المولدة للعظام ونمو غدد التناسل وان قلة ترشحه يوجب قصر القامة والاختلالات الدماغية وقلة الفطنة والحافظة الى غير ذلك من العوارض المسجلة فى الموسوعات .

(٢) مسامير التيروئيد : غدد على شكل رؤس المسامير ذات لون اصفر يميل الى الحمرة وهى زوجان زوج منها يقع فى اعلا السطح الخلفى للتيروئيد و الزوج الثانى يقع فى اسفله و يحيط بكل غدة منها غلاف تر كيبى و فى داخلها شبكة من الخلايا وقد تجمعت هذه الخلايا حول عرق دموى صغير : و من اهمية سوائل هذه الغدة ان فصلها من الانسان يولد بعد ٤٨ ساعة ارتفاع درجة الحرارة واختلال ضربان القلب وكثرة ترشح البزاق وتشنج العضلات وبعد مرور اسبوع واحد ينجر ذلك الى الموت و التشنجات المزبورة مر بوطه بتقلل كلسيوم الدم حتى ان تزريق املاح الكلسيوم فى هذه الحالة يوجب انخفاضاً فى التشنجات : فعمل هذه الغدد حفظ ميزان الكلسيوم فى الدم وتثبيت املاح الكلسيوم فى الالياف العظمية .

(٣) غدد التيموس : وهى غدد منفردة طويلة واقعة امام العنق فى محل اشعاب قصبى التنفس وتكون فى سننى الطفولة والرشدا كبر منها فى سننى الشبيبة و الكهولة حتى ان و زنها فى السنين الثلاث الا ولى من العمر يبلغ مقدار ٣٨ غراماً و ينقل فى السنة ٣٥ الى ٣ غرامات العمل المهم لهذه الغدة قبل التولد وبعده انتاج

الاجزاء الدموية البيض : سوائل هذه الغدد لها تأثير في رشد ونمو الاطفال والغدد التناسلية حتى ان فصلها يوجب تاخر النمو .

(٤) غدد فوق الكلية : وهما غدتان على كل كلية غدة صغيرة حمراء مائلة الى الصفرة وقرارهما فوق الكليتين و تكون كل واحدة بوزن ٦ الى ٨ غرامات يحيط بها غشاء ليفي على شكل الكبسول في مقطع كل غدة توجد منطقتان متميزتان المنطقة القشرية بضخامة ١ الى ٢ ميل متر تكسوها صفرة معتممة ذات تخاطيـط و خلاياها الترشحية طوال : المنطقة المركزية لونها ابيض مشوب بحمرة يوجد في سيتوبلاسم خلاياها الترشحية حبيبات بصورة موج اشعة محيطة بالعرق الدموي الاسود : فصل المنطقة القشرية من الحيوانات ينجر الى الموت بعد مرور كم ساعة وفصل المنطقة المركزية يوجد اختلالات وفيرة وتحليل اعمالها يطول به البحث .

(٥) غدة الهيبوفيز : وهي غدة منفردة بقدر البندقة وموقعها اسفل المخ وهي ذات قسمتين قدامية وخلفية يفصل بينهما حاجز ضئيل : القدامية غدة صفراء اللون هلالية الشكل ذات حجم نسبي بطول ٥ ميل مترات وضخامة ٤ ميل مترات والخلفية غدة بيضاء اصغر من القدامية : والحاجز الفاصل بصورة ورقة خفيفة : عمل الهيبوفيز يحصل من طريق سوائله المترشحة من جميع اقسامه : سوائل القسمة القدامية مؤثرة في نمو العظام حتى انها اذا فصلت من الانسان اوجبت قطع نموها : وقلـة ترشحها في دور الطفولة تؤثر قصر القامة وفضلا عن ذلك فان سوائل هذه القسمة لها الاثر الواسع في تحريك سائر الغدد من التيروئيد ومسامير التيروئيد و لوز المعدة وغدد الكلية والغدد التناسلية والكبد : ومن اثر سوائل القسمة الخلفية تشديداً انقباض العضلات في الرحم وزيادة ضغط العرق الدموي الاحمر و انقباض العضلات المطلسة وتنظيم مقدار ترشح الادرار في الكلية .

(٦) غدة لوز المعدة : اثرها الداخلي المهم ترشح سوائلها في الدم حتى ان قطع هذا الغدة من الحيوانات يولد فيها مرضاً شديداً ويوجب الجوع الزائد والعطش المفرط والادرار الكثير وظهور السكر فيه وزيادته في الدم وينجر بالآخرة الى ضعف العضلات

والى الاغماء واخيراً الى الموت .

(٧) الكبد : من لحاظ ترشحاتها الداخلية ودخالة هذه الترشحات فى تركيب الدم عدت من الغدد الترشحية المطبقة ذات الاهمية الواسعة .

(٨) غدد التناسل : وهى البيضتان فى الذكور وكيس البذرة فى الاناث وفضلا عن توليدها للخلايا البذرة فان لها سوائل ترشح فى الدم من اثرها رشد ونمو الحيوان ودخلتها فى بروز الصفات الثانوية الجنسية والمراد بهذه الصفات موجبات التمايز بين جنسى الذكران والاناث نظير نبات اللحية ونمو الحنجرة وغير ذلك فى الرجال :

الجهاز الارتباطى : بما ان الحيوان دائماً لاجل تهيئة الغذاء والتغذية والانفلات من العوامل غير المساعدة محتاج الى التنقل والحركة لهذا فهو دائماً يعمل اجهزته الارتباطية المختلفة حتى يتيسر له التحرك : واعضاء الحس تجعل الانسان ذاخبرة باوضاع محيطه كما تسوق حديث العوامل الخارجية الى مراكز العصب ومراكز العصب باصدار الاوامر اللازمة الى العضلات تجعل العضلات باتكائها على العظام ودفع بعض منها وتقريب بعض آخر مسببة لحركة الحيوان اذن فالحركة هى عكس عمل من الحيوان فى مقابل العوامل الخارجية والداخلية ولجل قيام الجهازين الحس والعضلات بعمل مشترك يتوسط جهاز العصب فيدرك عوامل المحيط وينتج من الجميع ارتباط الحيوان بمحيطه الحيوى : والاسكلت العظمى هى المتمكئة الوحيدة لانقباض العضلات وتوليد الحركات : والعضلات باتكائها على العظام تسبب الحركة : واعضاء الحس ومراكز العصب بعد تأثرها بالآثار الخارجية تصدر الاوامر اللازمة بايجاد الحركة المناسبة .

الاسكلت العظمى : مركب من ٢٠٨ عظام وهى تقوم من وزن الانسان البالغ ب ١٧/٠ بالمائة : الاسكلت العظمى فضلائع كونه المسند الوحيد للعضلات والاعضاء والالياف فانه مخزن كلسيوم البدن بمعنى ان العظام تكون باعثة لثبات الكلسيوم واعتداله فعلى هذا لايجوز حساب الاسكلت العظمى فى عداد الاجهزة الهامة بل هو من الالياف القوية الرئيسية ذات الحياة وتقوم بتشكيل مجموعات من الخلايا فى حفرها وترتبط هذه الخلايا بوسيلة استطالات رابطة بعضها ببعض : ويوجد فى الاسكلت

العظمى ثلاث فواصل من العظام : عظام عراض : وقصار : وطوال : ويغشى العظام كلها الاسطوح المفاصل منها غشاء يسمى بالضريع وتحت غشاء الضريع من العظام العراض والقصار توجد طبقة عظمية متراكمة وقد ملائت اوساطها بعظام اسفنجية وتوجد فى سطوح العظام حذب وزوائد بها تتصل العضلات كما يملأ وسط مجارى العظام مخ اصفر وتوجد فى السطوح الخارجية للعظام منافذ للتغذية ومنها تعبر عروق الدم وليس انشعابها مختصاً بالمخ ومجاريه بل انشعاباتها متغلغلة حتى فى نفس الاسكلت لاجل تغذية خلاياه وتتركب العظام كيميائياً من مادتين آليه ومعدينية واملأحه المعدنية هى التى تسبب صلابته : ومنشأ تمام عظام البدن الياف تر كيبية غايته ان العظام العراض من قبيل الجمجمة وعظام الوجه مستقيماً تتبدل من الالياف الى العظام وتسمى هذه العظام العظام الغشائية او الجلدية : اما العظام الطوال التى هى فى الغالب داخلية فانها تتبدل من الالياف الى الغضاريف ومنها الى العظام : ومن هذه الجهة يقال لها العظام الغضروفية : وليس العظم بعد تشكله مما يبقى على حالة واحدة بل كما يتناقص من داخله تحدث مكانه خلايا عظمية جديدة فهو دائماً بين انهيار وترميم نعم ينتهى النمو الطولى للعظام الى حدود معينة ولكن النمو القطرى يبقى مع العمر بطرز خاص .

وتمتاز الحيوانات الفقرية عن غيرها بان اسكلت الفقريات شامل لمحور باسم العمود الفقرى يقع فى ناحية الظهر ويتركب من قطع عظمية مترابطة يمر وسطها نخاع الشوكى وتنشعب من هذا العمود على طول انشعابات عظمية كثيرة وان جهازها العصبى بصورة جبل طويل يقع فى ناحية الظهر وقسمته منه تتركب داخل الجمجمة (وهى المخ) وقسمه اخرى منه تتركب وسط العمود الفقرى وتسمى النخاع .

اهمية مخ العظام فى تهيئة الاجزاء الدموية : تتحصل الاجزاء الحمر الدموية فى الانسان البالغ من طريق عظامه وطريقة تحصلها بهذا اللون وهوان الخلايا الكبيرة ذات النواة القائمة بمخ العظام على اثر انقسامها الى خلايا اصغر وانقسام هذه الخلايا الى ما هو اصغر ايضاً بالتدريج تعطى نواتها من يدها و تصير محصلة للموگلوبين و بالآخرة تتبدل الى الاجزاء الدموية الحمر : وبما ان الطحال جهاز صانع للاجزاء

الدموية الحمراء ينبغي ان تتكلم عنه .

الطحال : يكون بصورة غدة بيضية الشكل بوزن ٢٠٠ غرام موقعه ايسر البطن و المعدة ولا ربط له بجهاز الهضم ويتغذى بصفاق البطن اكثره : والشريان الاحمر الطحالي شعبة من الشريان الاحمر الاحشائي يرد فيه و يخرج منه بصورة شريان دموى اسود .

البنية الداخلية للطحال : يحيط بالطحال من خارج غلاف تراكيبى وتنحصر من انشعاباته داخل الطحال سبع اوثمان حجرة وتقسم كل حجرة غلافات رقيقة الى حفر متعددة : الجدران التراكيبية فى داخل الطحال تشمل على اوتار قابلة للارتجاع و اوتار غضروفية مطلسة على اثر انقباض الاوتار الغضروفية وانبساط الاوتار الارتجاعية يتغير حجم الطحال الى ما هو قابل للملاحظة حتى انه يستطيع بانبساطه ان يجمع داخله من الدم عشرين ضعفاً لوزنه و يستطيع ان ينقبض شديداً فيخرج من داخله مقداراً كافياً من الدم.

و اعمال الطحال : هى انه يوجد الاجزاء الحمراء الدموية و يكون عمله هذا غالباً فى الدور الجنينى حتى ان الطحال بوسعه على اثر نزيف دموى كثير ان يقوم بتداركه : و الطحال ايضاً مخزن مهم للاجزاء الدموية الحمراء و فى موقع الاحتياج بانقباضه الشديديقوم بأيرادها فى الدم : كما انه بانقباضه و انبساطه يؤثر فى ضغط دم البدن فعند ارتفاع ميزانية الدم ينبسط الطحال فيأخذ الى داخله مقداراً يخفف به من الضغط .

عمل الارتباطات العصبية : الموجودات الحية ذات الخلايا الكثيرة لاجل ادامة الحياة هى فى حاجة دائمية الى الفعالية المشتركة بين اجهزتها : مثلاً ماكنة بدن الانسان مع انها متشكلة من اجهزة مختلفة ولكل جهاز عمل خاص الا ان الجميع يعمل لمنظور واحد وهو ادامة الحياة الا ترى ان العضلات حين تستخدم للقيام بعمل مهم فتبدى من نفسها فعالية شديدة نرى القلب والرئتين والغدد تشاركنها فى نفس العمل لتدارك الغذاء والاكسيجن اللازمين فى هذه المهمة ووضعهما تحت اختيار

العضلات لنستفيد منها ما يقوم بمهمتها فاذا جاءت نوبة استراحة العضلات ولم تكن حاجة الى تدارك الغذاء والاوكسيجن انسحب القلب والرئة والغدد عن الفعالية السابقة وعادت لوضعها العادى : وهذا الارتباط المشترك السعى بين الجهازات يقع تحت مديريةية تنظيم الاعصاب فالوامر اللازمة تصدر من مراكز العصب وبوسيلة اعصاب الحركة تنصل ببقية الجهازات علاوة على هذا فان فى البدن اجهزة مخصصة لكسب الاطلاعات بعضها سطحية مثل الجلد والبصر والسمع وغيرها وبعضها داخلية فى الدم والعضلات وغيرها فالاطلاعات المكتسبة بوسيلة الاجهزة الموصلة اليها تنصل بمراكز العصب من طريق الاعصاب اذن فسلسلة الاعصاب دائماً تحفظ الارتباط العمومى فى الموجود الحى .

الجهاز العصبى فى الانسان شامل لقسمين جهاز المخ والنخاع وجهاز السمباتيك : المخ والنخاع محلها الجمجمة والعمود الفقرى واتصالها باجهزة الحس والعضلات المخططة والغدد وهى القائمة بارتباط البدن والرابطة له بالمحيط الخارجى : واما جهاز السمباتيك : فهو شامل لعقد واعصاب مخصصة ولها ارتباط بالمحور العصبى و مأموريتها كل ما يقوم بالتغذية : اذا لاحظنا طرز تشكيل سلسلة الاعصاب من المرحلة الجنينية وجدناها بهذا اللون ابتداء يحصل فى الناحية الخلفية للجنين اخذودضعف وعلى مرور الايام يتصل جانباه فيتكون انبوب عصبى بنية هذا الانبوب العصبى فى الابتداء تكون ذات شكل واحد وبالمرور تتورم قسمته القدامية ويكون مقرها الجمجمة ويتكون منها المخ اما القسم الباقية فبقى على ضعفها آخذة مقرها فى العمود الفقرى مكونة للنخاع والقسم المتورمة القدامية بالمرور تتوزع الى خمس حذب وهى الاقسام الخمسة المخية فى الدماغ : فى بنية المركز العصبى توجد مادتان بيضاء ورمادية ولكن وضع قرارهما مختلف فى المراكز وفى المخ والمخيخ تكون المادة الرمادية من خارجهما والمادة البيضاء فى الداخل واما فى بصل النخاع ونفس النخاع فتكون المادة البيضاء من خارج والرمادية من داخل : والمحور العصبى شامل لمراكز المخ والنخاع ولاعصاب المخ والنخاع .



والنخاع في الأشخاص البالغين يكون بصورة حبل ابيض بطول ٤٥ سانت تقريباً وبقطر سانت واحد و بوزن ٣٠ غراماً محله داخل العمود الفقري ويوجد في طول النخاع حديتان احدهما في ناحية العنق وهي محل خروج اعصاب اليدين والثانية في ناحية الخواصر وهي محل خروج اعصاب الرجلين كما يوجد في السطح القدامى للنخاع اخدود واسع قليل العمق وفي السطح الخلفى اخدود ضيق عميق ويخرج من النخاع ٣١ زوجاً من العصب النخاعي : وفي النخاع كما اسلفنا مادة رمادية تكون فيه بشكل X وتحيط بفراغها على طول النخاع مادته البيضاء .

وتقال الاعصاب النخاعية للاعصاب التي تنشأ من النخاع وتسرّب الى الخارج من بين الفقرات وتعدادها كما سلف ٣١ زوجاً ٨ ازواج من ناحية العنق و ١٢ زوجاً من ناحية الظهر و ٥ ازواج من ناحية الخواصر و ٦ ازواج من الناحية الاخيرة للعمود .

بصل النخاع : محذب بطول ثلاث سانتات و بوزن ٨ غرامات موقعه اعلا النخاع ويربط النخاع بسائر قسمتات العصب : و المخيخ : يكون بوزن ١٤٠ غراما موقعه فوق ووراء بصل النخاع : اما المخ : فوزنه في الرجال تقريباً ١١٦٠ غراما وفي النساء ١٠٠٠ غرام ويتشكل من نصفى كرة ايمن وايسرو يفصل بينهما سياج يميزهما الى نصفى كرة تماما ويتشخص في كل نصف كرة سطوح ثلاثة سطح جانبي و سطح أسفل و سطح جوفى وتعداد اعصاب المخ ١٢ زوجا تخرج من مختلف جوانبه وتربط جميع نقاط البدن المختلفة به: وهي عصبتان للشم توصل احساسات الروائح الى المخ وعصبتان للبصر توصل احساس المبصرات اليه : وعصبتان مشتركتان في تحريك عضلات العين ماسوى العضلتين الموربتين : وعصبتان مختصتان بتحريك العضلتين الموربتين الكبيرتين للعين : وعصبتان ذاتا ثلاث شعب الشعبة العليا تبعث احساس الجبين وداخل حفر الانف و كرة العين والاجفان والشعبة المتوسطة تتسرب الى اللثة العليا فتبعث احساس العارض والشفة والاسنان العليا والشعبة السفلى تتسرب الى اللثة السفلى و تتصل باللسان ايضا وتبعث احساس العضلات و جلد اذنه والشفة السفلى وتحرك عضلات المضغ والشقيقة لتحريك اللثة السفلى وعصبتان محركتان للعضلات الخارجية

للعين : وعصبتان محر كتان عضلات الوجه و باعثنان احساس مخاط وسط الاذن و المجارى السمعية وشرع الحنك وعصبتان للسمع تأخذان الاحساسات السمعية وتعادل البدن من داخل الاذن وتوصلانه للمخ : وعصبتان للسان والحلق توصلان احساسات اللمس والذوق الى المخ وتحر كان عضلات الحلق حين بلع اللقمة : وعصبتان متصلتان بالقلب والرءتين والكبدو المعدة وسائر اجهزة التغذية وتعدان من اهم اعصاب المخ : وعصبتان كماتديران عضلات الحنجرة تبعثان عضلات أعمال التنفس لعملها : و عصبتان تبعثان عضلات ماتحت اللسان للقيام بعملها اللازم : وللعصب خاصيتان اصليتان احدهما قابلية التحرك والثانية هداية جريان الحركة : يقع العصب تحت تأثير المحركات المختلفة فيخرج من حالة الاستراحة الى حالة العمل و المحركات المومأ اليها هي المحرك الالكترىكى وهوشبه الذاتى فى العصب والمحرك الميكانيكى و هو ضغط العصب بضاغطما ! المحرك الفيزيائى مثل الحرارة : المحرك الكيمياءى مثل الاسيد : واذا حر كت نقطة من العصب لايعود التحريك باقياً فى نقطة الاثر فقط بل يجرى فى طول العصب وهذا مايقال له هداية جريان الحركة .

عمل النخاع : النخاع بطور كلى واجد لعملين هداية جريان الحركة وعمل الانعكاس يتقبل النخاع تحريكات مختلفة من قبيل الحر والبرد وغيرهما من طريق جذوره الخلفية وبوسيلة اضماماته البيض يهدى جريانها الى المراكز العليا فنحدر الاوامر اللازمة من المراكز العلوية اليه وبوسيلة جذوره القدامية ينقل هذه الاوامر الى الجهات الاخرى فى النخاع مراكز لتسريع حر كات القلب وضبط قصبىات التنفس والتعريق و انقباض و انبساط العروق وضبط و دفع المدفوع والاد رار .

اما بصل النخاع فهو مر كز انعكاس كثير من اعمال التغذية حتى ان ايقاع الضرر به يسبب اختلالات شديدة وتخرىب بصل النخاع يسبب الموت وهو مر كز انعكاسات متعددة : مر كز التنفس وتخرىب هذا المر كز باعث للتوقف السريع فى حر كات التنفس : مر كز تقليل حر كات القلب و بطؤها : مر كز تغيير قطر الشرايين الحمر : مر كز تنظيم السكر : وهكذا فيه مر كزية لاعمال الهضم من قبيل المضغ والبلع وترشح

عدد البزاق والمعدة .

عمل المخيخ : المخيخ له الدخل في تعادل البدن وتنظيم العضلات و يؤثر قطعه في الحيوانات اختلال تعادل ابد انها في حال ان كل اعمال التغذية تبقى بطورها العادي فالمخيخ على هذا فاقد لاعمال الحس والالهامات الغريزية والتغذية و اذا فصلنا المخيخ من الطير فقد هذا الحيوان تعادله في الوقوف وحرم من الطيران فاذا انتمت على قفاه لم يستطع ان ينقلب واذا رميت به في الهواء سقط من حينه سقوط الاجسام الثقيلة وفصله من الكلب يسبب عدم استطاعته للموقوف على رجليه و تكون كل حر كاته فاقدة للتعادل وتقل قوى عضلاته وفصل نصف كرة المخيخ يوجد خلافا في عضلات ذلك الطرف الذي فصل منه .

عمل المخ : المخ مركز الفطنة والفهم والحفاظة وهو واجد لثلاثة اعمال رئيسية (١) درك الاحساسات توسط المراکز الحساسة (٢) ايجاد عكس العمل المناسب في مقابل الاحساسات المختلفة توسط مراکز الحركة (٣) جمع الاحساسات الملتقطة من مراکز الارتباط : و اذا فصل المخ من حيوان لم يؤثر ذلك في حياته و لكن يعطى من يده قوة الارادة والحفاظة والشعور ولا يكون واجداً الا للاعمال الانعكاسية مثلاً الطير الفاقد للمخ يبقى فاقداً للحركة ولا يدرك شيئاً من عوامل محيطه ومع وجود الحب امامه يموت جوعاً لكن اذا وضع الحب في فمه بلعه لان البلع عمل انعكاسي يقوم بمرکز غير المخ : كلب فصل منه المخ فعاش ١٨ شهراً لكنه كان فاقداً للالهام والحفاظة والغضب والخوف وغير ذلك : و ضائعات قشر المخ في الانسان تسبب نقصان الفهم : وتوقف نموه او حدوث ضائعات فيه يكون باعناً للحماقة والجنون .

المراکز التي يمكن تشخيصها في انصاف كرة المخ عبارة عن مراکز الحس و مراکز الحركة و مراکز الخواطر و مراکز التكلم والكتابة و مراکز الارتباط و مراکز الانعكاسات المخصوصة : مراکز الحس تكون في المناطق المختلفة للقشر المخي الرمادي واليها تنتهي الاحساسات المتحصلة من الاجهزة المرتبطة وهي السمع والبصر والذوق والشم واللمس : مراکز الحركة و موقعها يكون امام اخدود في

المخ يفصل بينه وبين مركز اللمس وفي هذا المرکز تلتقي انشعابات الرأس والعنق والبدن والايدي والارجل : مراكز الخواطر يقع كل مركز من هذه المراكز في مجاورة كل ذي خاطرة منها فمركز الخواطر المحركة يجاور مراكز الحركة ومركز خاطرة اللمس يجاور مركز اللمس ومركز خاطرة البصر يجاور مركزه وهلم جراً : اذن فمركز الخاطرة بالنسبة الى ذبيها يكون بمنزلة حافظ وضابط لصوره التي يلتقطها من الخارج : مركز التكلم والكتابة وهو شامل لاربعة مناطق : منطقة فهم معاني الكلمات المسموعة : منطقة فهم معاني الكلمات المكتوبة : منطقة التكلم : منطقة الحركات المخصوصة للكتابة : المراكز الارتباطية وهي تشكل العمدة من القشر المخي الرمادي عمل هذه المراكز يقع الربط بين الخواطر الملتقطة بالحواس المختلفة المحفوظة كلاً في مركزه الخاص مثلاً من سماع صوت الكلب ومن لمس بدن الكلب ومن النظر الى الكلب تنضبط خواطر كل خاطرة في مركزها فاذا سمع عواء الكلب فوراً يتجسم هذا الحيوان في نظر السامع لان سماع سوته يحرك خاطرة السمع وتوسط المراكز الارتباطية ترتبط هذه الخاطرة بمراكز بقية الخواطر من خاطرة اللمس وخاطرة البصر وغير ذلك فارتباط مجموع هذه المراكز للخواطر يسبب تصور وتجسم الكلب : مراكز الانعكاسات المخصوصة : اسلفنا ان ترشح البزاق تارة يكون بتناول الغذاء واخرى يكون بسماع اسمه او رؤيته او استشمامه من دون تناوله فالترشح الحاصل بالسماع او الرؤية او الاستشمام يكون داعيه من مركز الانعكاسات في المخ .

اجهزة الحس : يقال جهاز الحس لمحل اجتماع خلايا مخصصة وهذه الخلايا لاجل قبولها تحريك المحرك الخاص تجد حالة تخصصية والخلية الحسية التي تقع تحت تأثير محرك خاص تبعث التحريك المزبور بصورة جريان عصبى الى مراكز اخرى تتوسط بينها وبين منطقة الحس الواقعة في القشر المخي الرمادي والمراكز المتوسطة هي التي تهدي الحركة الى منطقة الحس وفي هذه المنطقة يكون الدرك .

(١) حس الالامسة : الجلد هو جهاز حس اللمس وفي مقطعه تشخص طبقتان طبقة

البشرة وطبقة الجلد والحد الفاصل بينهما سطح كثير التعاريج والبشرة هي أظهر الطبقات الجلدية للعيان وتشكل من ألياف غشائية ويقال للخلايا التي تحتها خلايا مولدة وهذه الخلايا دائماً تكون في حالة تكثير ومتكثراتها التي تمشى نحو سطح البشرة يقال لها الخلايا المخاطية وهذه كلما تقرب من سطح البشرة تعرض وتمسح وتكثر موادها الدسمة وإذا تالشت خلفتها طبقة أخرى من الخلايا المخاطية وهلم دوايك .

وفي السطح الخارجى للبشرة يوجد نوعان من الاخايد نوع يكون عميقاً بصورة خطوط الكف وهذه هي التي تقع في فواصل العضلات الجلدية وكثرتها تكون في نواحي المفاصل والنوع الثانى يكون اقل عمقاً بصورة خطوط منحنية وما بين هذه الاخايد تكون حذب كثيرة تقع بين منحنياتها وتتكثر هذه الاخايد الاخيرة فى بطن الكف والرجل والاصابع ومن الغرائب ان آثار هذه الخطوط فى الاصابع متفاوتة افحش التفاوت حتى انه لا يتحد اثنان من الناس فى آثار اصابعهما : ويقال الجلد للطبقة العميقة للجلد وموقعها تحت البشرة وتشكيلها من الياف تر كيبية شاملة لاوتار تر كيبية وارتجاعية كثيرة والجلد ايضاً ذو طبقتين طبقة سطحية وهى تشكل من الياف تر كيبية قوية ذات اوتار ارتجاعية وفيرة والحد الذى يفصلها عن البشرة سطح ذو تعاريج كثيرة بحيث يبلغ تعدادها فى كل ميل متر مائة تعريج : وطبقة عميقة وهى تشكل من الياف تر كيبية رخوة يوجد فى السطح الاسفل لهذه الطبقة خلايا دهنية كثيرة وهذه الطبقة الدهنية فى الحيوانات الضخمة تقوم بمدافعة البرد عنها وتوجد فى قسمة الجلد عروق دموية كثيرة يتصل تماسها الى الحد الفاصل بين البشرة والجلد وهى التى تقوم بتغذية الخلايا المولدة : وفى الجلد وجود منتشر لاعصاب الحس والحركة .

ويوجد فى الجلد الشعر والاذافر والغدد الدهنية والغدد المولدة للعرق وتسمى هذه العناصر بضمائم الجلد : يتحصل الشعر من تضخم الطبقة المخاطية ونباته فى الجلد بطور مائل و منبته فى حفر التعاريج الفاصلة بين البشرة و الجلد وكل شعرة شاملة لقسمين ساق وجذر و يوجد فى قاعدة الجذر تعريج ترد اليه العروق الدموية لتغذية خلايا الشعر وتوجد فى الخلايا الصانعة للشعر مادة لونية مخصوصة منها يستمد الشعر لونه وعلّة بياض الشعر تخريب لونه من طريق الاجزاء الدموية البيض ودخول

الجباب الهوائي في الشعرو توجد في قاعدة كل شعرة شبكة عضلانية بانقباضها غير الارادى بسبب الخوف او البرد يقوم شعر البدن وتنعجج البشرة بصورة حيوب مترابكة منتشرة على طولها : و في التعاريج اسفل الشعير يد انشعاب العصب الحسى وتكون في ناحية كل شعرة غدة دهنية تترشح دائماً وتسقى الشعر بدسومتها والقسمة الخارجية للانظافر تستمد من نمو جذورها اما جذورها فهي داخل الجلد وتحيط بها عروق دموية كثيرة .

اعمال ووظائف الجلد : الجلد عضو محافظ لداخل البدن لان ضخامة الطبقة السطحية للبشرة تحول بين ضربات الخارج وبين الداخل و بما ان بنية الخلايا في القسمة الخارجية من الالياف القوية فهي تمنع من ورود الجراثيم الى الداخل وعند تساقط ظاهر البشرة بصورة وسخ و دنس تنساقط الميكروبات معها وبما ان الدسومة تحت الجلد تعوق الحرارة عن الخروج فهي تحسب درقة قوية في مقاومة البرد : و الجلد عضو دافع ايضاً فانه بوسيلة الغدد المولدة للعرق يدفع العرق الى الخارج وبوسيلة الغدد الدهنية يدفع الدسومة الى الخارج كذلك : غدد العرق مقرها عمق الجلد وقسمتها الاصلية بصورة طاقة تحيط بها الشباك الدموية و تعداد هذه الغدد في كل سانت مربع يبلغ ١٢٠ غدة وفي بعض نقاط البدن مثل الابط و بطن الكف والرجل يتصاعد الى ٣٠٠ غدة وتعدادها في تمام جلد البدن يجمع على مليونين الى ٣ ملايين : والعرق مائع فاقد للون سيال مالح فيه حالة اسيدية مقدار ترشحه في كل ساعة يرتقى الى ٣٠ والى ٤٠ غراماً وفي اليوم والليله يبلغ ترشحه الى ٦٠٠ بل الى ٩٠٠ غرام وقد يرتقى هذا المقدار بارتفاع حرارة المحيط وتناول المشروبات الكثيرة ويشتمل كل ١٠٠٠ غرام منه على ١٠ غرامات مواد جامدة و ٩٩٠ غرام ماء .

والجلد ايضاً جهاز اللمس واللمس من اهم اعمال الجلد و يأخذ الجلد احساسات مختلفة من قبيل اللمس وحس الحرارة وحس الالم وغير ذلك : اللمس يحصل بوسيلة تحريكات ميكانيكية من طريق التماس بالمواد الجامدة او المائعة او الغازات : وفي تمام طول البدن يوجد ما يقرب من ٥٠٠/٠٠٠ نقطة لاقطة لللمس واغلب وجودها في مجاورة

الشعروفى الجبهة والمواضع والانف والعارضين : والفصائل الحسية الواقعة خلف النخاع هى التى تهدى الاحساسات اللمسية الى المخ : حس الحرارة: يقولون لوان ابرة ذات ٤٦ درجة من الحرارة مر بها على البدن لا تعود تحس حرارتها فى كل مكان بل انما تحس فى نقاط مخصوصة وهكذا يقولون فى الابرة الباردة وان النقاط الجلدية اللاقطة للبرودة اكثر فى البدن من النقاط اللاقطة للحرارة حيث تبلغ نقاط البرودة ٢٥٠/٠٠٠ نقطة فى حال ان النقاط اللاقطة للحرارة تكون فى حدود ٣٠/٠٠٠ نقطة فقط : وبعض الفصائل البيض الجانبية للنخاع وهكذا المادة الرمادية النخاعية هى التى تهدى احساسات الحرارة الى المخ .

حس الالم : وهو يحصل من الامور الحادة او المحرقة او غيرها و بوسيلة امرار الاشواك النباتية على البدن يمكن تشخيص نقاط الالم فيه و يبلغ تعداد النقاط اللاقطة للالم مقدار ٥٠٠ / ٣ نقطة بل اكثر فعلى هذا يوجد فى كل سانت مربع من الجلد ما يقرب من ١٧٠ نقطة لاقطة : والمادة الرمادية النخاعية هى التى تهدى احساسات الالم الى المخ: الاحساسات العميقة : علاوة على الاحساسات السطحية التى تنهياً من طريق الجلد هناك احساسات عميقة تنهياً من طريق الاجهزة الداخلية كالعضلات : وللجلد اعمال آخر كجذب المواد والنور والتنفس من طريق منافذه .

( ٢ : الذائقة ) جهاز حس الذائقة هو اللسان وبتوسطه يتميز الحس المزبور طعم المواد واللسان مجموعة عضلانية طويلة بيضى الشكل متصل فى نهايته بسطح الفم و طرفه الامامى مطلق يغطى سطحه الاعلا الياف مخاطية توجد فيها حبيبات التذوق ويوجد فى سطحه الاسفل وتر خفيف عمودى وتشكل العمدة من جرم اللسان عضلاته: يضخم مخاط اللسان فى سطحه الاعلا : ويخف فى السطح الاسفل وتوجد فى السطح الاعلا اربعة انواع من النواتى وهذه النواتى بعضها ذوقى وبعضها لمسى ويكون بعضها على شكل شحمة الارض ووجودها فى تمام سطح اللسان يقدر بـ ١٥٠ الى ٢٠٠ ناتىء : وبعضها بشكل الشراع وتعدادها فى اللسان يبلغ ٥٠٠ ناتىء وبعضها بشكل الكمامة وتعدادها فى اللسان كثير نسبة وبعضها بشكل طاسة وهى اكبر من السوابق بتعداد ٨

الى ١٢ ناتيء: وفي اللسان اعصاب حس و اعصاب حر كة : اعصاب الحس هـى  
 الاعصاب اللسانية التى بها يحصل اللمس والذوق وتنتشر فى القسمة الخلفية للسان : و  
 اعصاب الحركة هى الاعصاب الواقعة تحت اللسان الباءة لحر كة عضلاته و قطعها  
 يسبب فلج اللسان واختلال عمل المضغ والبلع والتكلم و المنطقة الامامية للسان  
 فى الاكثر لمسية والقسم الخلقى منه فى الاكثر يكون ذوقياً اذن فاللسان فضلا عن  
 عمل المضغ والبلع والتكلم محل احساس الطعوم وذوق الاغذية : والطعوم الاصلية  
 فى درك اللسان هى المرورة والملوحة والحلاوة والحموضة ولاجل ان تدرك طعوم  
 الاغذية يجب ان يكون الغذاء بصورة محمول وأن لا تكون درجة حرارته راقية وان يوضع  
 فوق اللسان بضغط حتى يحس بطعمه جلياً .

(٣ - حس الشم) جهاز الشم هى حفر الانف وبتوسطها تحس الروائح ولواقط  
 الشم مقرها فى القسم الاعلا من حفر الانف : والانف بشكل هرم مثلث القاعدة طرفه  
 يكون الى اعلا وقاعدته الى اسفل ويرتبط بالخارج بوسيلة منغذنين هما مدخل الهواء  
 الخارجى اليه ويرتبط الانف من خلفه بالحلق : ويشكل القسمة العليا لحفر الانف  
 حاجز وسطى عظمى و كذلك القسمة السفلى منها الحاجز الوسطى الانفى وهذه العظام  
 هى التى تقسم الانف الى حفرتين وعلى الجدران الخارجية لكل حفرة توجد ثلاث حذب  
 باسم العظام الصدفية : الصدف الاعلا الصدف المتوسط الصدف الاسفل : وتوجد بينها  
 افضية علوية ووسطية وسفلية لها ارتباط بسينوس الجبين واللثة العليا و داخل حجر  
 الحاجز المتوسط وبذلك تسبب حرارة هواء التنفس : تركيب مخاط الانف : يستر  
 المخاط جميع السطح الداخلى للانف لكن مخاط القسمة العليا يختلف عن مخاط  
 القسمة السفلى فمخاط القسمة العليا يسمى بالمخاط الاصفر الشمى ومخاط القسمة  
 السفلى يسمى بالمخاط الاحمر التنفسى يستر هذا المخاط الافضية السفلية وقاعدة  
 الفضاء المتوسط وبسبب عبور شبكة متراكمة من العروق الدموية يرى هذا المخاط  
 احمر فى النظر وتوجد فى هذا المخاط عدد مخاطية كثيرة بها يترطب هواء التنفس  
 وهذا المخاط كانه لا دخالة له فى الشم والمخاط الاصفر يستر الفضاء العلوى والقسمة



العليا للفضاء المتوسط : العروق الدموية والغدد المخاطية في هذا المخاط قليلة لكن فيه اوتاراً شمعية كثيرة في فواصل خلايا سطح المخاط : والهواء التنفسي ضمن عبوره من حفر الانف يترطب ويسخن وذرات المواد الروائية المحمولة معه بمروره تجاور مخاط الشم وتنحل في المائع المخاطي فتتحرك حبيبات الشم ولاجل تحقق الشم لا بد من ان يكون ذو الرائحة بصورة غاز او ذرات رقيقة جداً او منحلا في المائع المخاطي و ان يكون جريان الهواء بشدة معينة و ان لا يكون مخاط الشم يابساً و لازائد الرطوبة لهذا في ابتداء الزكام الذي يبس معه المخاط لاتشم الروائح الابشدة و هكذا في طي دورة الزكام بعلة كثرة الترشح يكون حس الشم ضعيفاً .

(٤ - حس السمع) الاذن جهاز السمع وحفظ تعادل البدن وتتركب من ثلاث قسامات اصلية : الاذن الخارجية الاذن الوسطى الاذن الداخلية : الاذن الخارجية شاملة للالهالة ومجرى السمع الخارجى والهالة غضروف متعرج فيه اربع حذب وثلاثة اخايد بوضع مخصوص وتستره قشرة البدن وفي انتهائه شحمة الاذن و المجرى الخارجى انبوب بطول ٣ سانتات وفيه تحذب الى الطرف الاعلاثلثة الاولى غضروفى وباقيه عظمى ومخاطه الداخلى واجد للشعرو جهة نموه الى طرف الخارج والمخاط المزبور واجد لغدد العرق والغدد الدهنية وترشحات مخاطها تكون بصورة مائع لزج اصفر مرسمى وهو مانع لورود الغبار والحشرات الى الداخل وهذا المائع بعديسه بوسيلة حركات الفك الاسفل يتساقط الى الخارج : الاذن الوسطى محوطة ذات تعاريج تسمى بصندوق الصماخ وهذه المحوطة تكون بارترفاع ١/٥ سانت وفيها عظامان حجريان محفوران يجزء آن صندوق الصماخ عن الاذن الخارجية بوسيلة سجاجف الصماخ وعن الاذن الداخلية بوسيلة كوتين بيضيتين وبوسيلة بوق السمع وحفر عظم الشقيقة يتصل صندوق الصماخ بالحفر الخلفية للانف . الجدار الخارجى لصندوق الصماخ وهو القسمة الواقعة في مجرى السمع شامل لمنطقتين علوية وهى محل استقرار عظام الاذن الوسطى وسفلية تشكل سجاجف الصماخ : الاذن الداخلية هى القسمة الاصلية لجهاز السمع و يوجد فيها ثلاث مناطق الدهليز المجارى الناقصة التدوير الحلزون : الدهليز

مر كب من كيسين صغيرين يوصل بينهما مجرى ضعيف احد الكيسين ينحجز عن الاذن الوسطى بوسيلة الكوة البيضية ويتصل بداخل المجارى الناقصة التدوير واما الكيس الثانى فهو يفتح الى الحلزون: المجارى الناقصة التدوير شاملة لثلاثة انايب معوجة كل واحد منها بشكل نصف دائرة احدها قائم بموازاة الجبهة والآخر مستقر عليه بطور عمودى والثالث مستقر عليهما بطور افقى .

الحلزون : العظمى بصورة انبوب كثير التعاريج و الحلزون العشائى واقع فى جوفه : تحليل وآثار هذه الاجهزة : هالة الاذن وتعريجها يجمعان الاصوات و يشخصانها فلوانا ملاءنا حفر الهالة بشمع ونحوه بحيث صار سطحها الخارجى متساويا وجدنا من أثره عدم تشخيصنا لجهة الصوت ونتائج الاذن الوسطى انها من ناحية تنقل الارتعاشات من الاذن الخارجية الى الاذن الداخلية ومن ناحية ثانية تشدد الارتعاشات فيرتعش سجاجف الصماخ بالاصوات وسجاجف الصماخ لاجل ان يعمل بدقة يلزمه ان يتعادل الضغط فى طرفيه والذى يؤمن هذا المعنى هو بوق السمع ومع ان فم البوق مسدود الا انه يفتح فى مقام البلع فياخذ الى داخله مقداراً من الهواء ويرسله الى طرف السجاجف وليس المنظور بالبلع هو البلع وقت الغذاء فقط بل ان ارتعاشات سجاجف الصماخ تسبب تحريك او تار الصماخ فتتصل حر كتها ببصل النخاع فيسبب هذا المركز ترشح الغدد الفكبية فاذا تجمع البزاق فى الفم تعقبه عمل البلع فيفتح بوق السمع فيورد مقداراً من الهواء فى الاذن الوسطى ويوجد تعادل الضغط فى طرفى سجاجف الصماخ .

اما الاذن الوسطى فانها تقوى الارتعاشات الواصلة اليها من جهة ان سطح السجاجف البيضى يصغر عن سطح سجاجف الصماخ بعشرين مرة فالارتعاشات المنتقلة اليه تكون مترامكة وبضغط وافر تتصل بالكوة البيضية ومن جهة ان عظام الاذن وقت العمل ينقر طرفها المحدد على طرفها السندالى وهذه النقرة تولد رجة قوية ومن فائدة الكوة المدورة انها تتقف امام الضغط الوارد على الكوة البيضية فالعوامل المذكورة آنفاً فائدتها انتقال وتشديد الارتعاشات الواردة .

واما العضو الاصلى للسمع فهو الاذن الداخلية ومجراها الحلزوني مخصوص لعمل السمع واما الدهليز والمجارى الناقصة التدوير فهي تتمتع بعمل تعادل البدن : حفظ تعادل البدن واوزاعه المختلفة مقرون بقسمة الدهليز والمجارى الناقصة التدوير والمخيخ وذلك ان احساسات التعادل من طريق الدهليز تتصل بالمخيخ و المخيخ بوسيلة المخ يصدر او امره اللازمة الى العضلات المربوطة بحفظ التعادل اما عمل الحلزون فهو فى الارتعاشات الصوتية وتبديلها الى الجريانات العصبية التى تتأدى الى المخ بوسيلة اعصاب السمع يعنى ان الارتعاشات الصوتية تنتقل من الكوة البيضية فتعبر من مجرى الدهليز وتنتهى الى آخر الحلزون الصماخى وبالآخرة تصل الضربانات الواردة الى الكوة المدورة ومن هذا الطريق مجدداً تنتقل الى صندوق الصماخ : هذا وفى مباحث السمع كثيرة ووفور من عدة جهات اعرضنا عن ذكرها مخافة الاطالة بالنسبة الى وضع الرسالة .

(٥ - حس البصر) جهاز البصر هو العين وبوسيلتها تشخص الالوان والابعاد والمقادير و الفواصل النسبية للاشياء وهى شاملة لقسمتين كرة العين وجهاز ضمائم العين وهى عبارة عن الحدقة و الاجفان و غدد الدموع و العضلات المديرة للعين والعروق والاعصاب : الحدقة حفرة عظمية بشكل هرم ذى اربعة وجوه قاعدته الى الامام ورأسه متوجه الى الخلف وهى بوسيلة سجاجف مقعر تنقسم الى قسمتين امامية وخلفية المنطقة الامامية مكان كرة العين وتنسربوسيلة الاجفان وفى المنطقة الخلفية عصب الابصار والعضلات المديرة لكرة العين واعصاب الحس و الحركة و العروق الدموية والقضاء الذى بينها تملأه مادة دسمة قريبة من الميعان .

والحواسب تحول بين العرق وبين نفوذه الى داخل العين اما الاجفان فكل واحد منها مؤلف من نسيج عضلانى و او تار قابلة للارتجاع ويغطيها جلد البدن والسطح الداخلى للجفن يستتره نسيج تراكيبى شفاف باسم الملتحمة وعضلات الجفن بعضها ترفعه الى اعلا وبعضها تجمعها ويحيط بطرفه شعر قصير باسم الهدب وفى القسمة النهائية لطرف الجفن توجد منافذ من طريقها تدفع الغدد الدهنية بترشحاتها الى ماتحت

الاجفان: وتوجد غددا الدموع في القسمة العلوية الخارجية من كل حدقة في مجاورة السطح الامامى من كرة العين وترشح الدمع دائماً لاجل ترطيب سطح مجاورة الاجفان لكرة العين والزائد على ذلك من طريق انبويى الدمع يصب في كيسه الذى هو كالمخزن ومنه بتوسط مجرى الدمع يسترسل تحت العظم الصدفي الاسفل الى حفر الانف وعلى اثر تبخيره يترطب هواء النفس .

والعضلات المديرة للعين بانقباضها تدير كرة العين الى جهات مختلفة حتى انه من دون حر كة الرأس يستطاع مع ادارة العين ان تبصر النقاط المختلفة واعصاب العين عبارة عن اعصاب الحر كة وفائدتها تحريك عضلات العين واعصاب الحس واعصاب الابصار : بنية كرة العين : كرة العين العضو الاصلى للابصار وهى بصورة كرة غير منظمة وتشتمل من الخارج الى الداخل على طبقات الصلبة والمشيمية والشبكية: الصلبة سجاجاف ابيض قوى كدر من جنس الالياف المحكمة وهى تشكل الطبقة المحافظة على العين وفى الجهة الخلفية للصلبة منافذ تتسرب من خلالها اعصاب الابصار . المشيمية سجاجاف رقيق اسود اللون واقع تحت الصلبة ويحيل داخل العين الى حجرة مظلمة وفى داخله عروق دموية كثيرة فالمشيمية على هذا هى القائمة بتغذية العين : والشبكية هى السجاجاف الحساس لكرة العين : و على اثر امواج النور تتحرك طبقة الخلايا الحسية للابصار : ويقال المحيط الشفاف لكرة العين على قسماتها التى تبعث الانوار وتقوم بتقاربها و عكسها على الشبكية وهى عبارة عن القرنية و الزلاية و العدسية و الزجاجية .

تحليل جهاز العين : العين شاملة لتقسيمين قسم يقوم بعمل التصوير وقسم من طريق العصب يبعث بجريانه الى المخ وكما ان آلة التصوير تعطى تصويراً حقيقياً و آخر معكوساً كذلك العين بوسيلة محيطها الشفاف تأخذ الاشعة وتقاربها وتعكسها على الشبكية : مدة بقاء تأثير النور فى العين تتراوح بين  $\frac{1}{10}$  الى  $\frac{1}{5}$  من الثانية وهذا التفاوت

مر بوط بشدة التور فكلاما اشد النور كثر دوامه وعلى هذا الاساس لو اديرت مجمرة بسرعة اوجدت في العين دائرة نورية وذلك من اثر بقاء النور في العين : و في بحث حس البصر كلام واسع لايسعه هذا المختصر .

العضلات : وهي من الاعضاء الاصلية للمحرك لانها بانقباضها وانبساطها تسبب تنقل العظام عن محالها وهكذا الاعضاء المتكئة عليها : وللعضلات خواص منها قابلية الارتجاع فأنا اذا مططنا العضلة بملائمة ثم ارسلناها عادت لحالها من نفسها ومنها قبول التحرك فانها اذا وقعت تحت تاثير المحرك خرجت من حالة استراحتها الى دور فعاليتها ومنها قابلية الانقباض فان عكس العمل الصادر منها في قبال المحرك الخارجى هو الانقباض و منشأ التعب فى الحيوان هو الانقباض العضلانى المتواصل : و فى العضلات ايضا بحوث مهمة طويناعنها كشحأعلى ان مالم نذكره من البحوث الكيمائية والفيزيائية وغيرها مما هو مر بوط بعلم معرفة الحيوان فى كافة الفصول السابقة اكثر مما ذكرناه وانما فعلنا ذلك روماً للاختصار بعد ان كان القصد من تحرير هذه الشروح هو تمهيد مقدمة يستطلع منها على النتيجة المقصودة .

اذن فهل من المعقول ان يتحصل الوجود الحيوانى وبخاصة الانسانى منه بصرف الصدقة والاتفاق : اننا لو قارنا اعظم ما كنة مخترعة للعصور الحاضرة بأدنى حيوان لوجدنا فى هذا الحيوان آلافاً من الموجودات الحية العاملة لصنوف الاعمال والقائمة بشتى الافعال والمنتجة لمتفاوت الاشغال بما تعود الما كنة بالنسبة اليه حقيرة جداً فكيف يلزم الاعتراف للما كنة المزبورة بان لها صناعاً قد كدّ وجدفكره وأعمل قواه واتلف حياته وساعده على مقصوده وسائل وعمال واجهزة واموال حتى اطلعها بالوضع الذى اطلعها به واستهدف بها منذ البدء هدفاً عقلائياً تكبره عليه عقلاء البشر وينال من جرائه اعطر الثناء واعظم الالقاب والاسماء ويتغير من اجله محيط الحياة و بهذا امتازت القرون الاخيرة على القرون الاولى والوسطى حتى عدت هذه القرون وما قبلها من ازمان التوحش البشرى : ان المتجدد الذى يعترف بان تحت بشرة الانسان فى جميع اعماقه ملايين الملايين من الخلايا المتنوعة وانها كلها ذوات حياة وان كل

فصيلة منها تعمل عملاً خاصاً وتقوم بمهمة مستقلة بحيث لو شخصت خلايا البدن الى الوجود المكشوف كل خلية بصورة انسان لزادت ارقامها على المجموعة البشرية الشاغلة لمحبب الكرة الارضية اضعافاً مضاعفة كيف يعود مع الاعتراف يدعى الصدفة والاتفاق في وجودها وانها حصلت لالهدف وای هدف اعلا وارقي واثمن واملاء للعين والفكر من الاهداف التي ترمى اليها الاجهزة المارة الذكرم من اجهزه المخ والمخيخ وبصل النخاع والنخاع وحس البصر والسمع والذوق والشم واللمس وجهاز المضغ والبلع والهضم والدفع والادرار والتناسل والقلب والرئة والكلية والكبد والطحال والشرايين الحمر والسود والعروق الدموية والغدد على اقسامها وانواعها وتأثيراتها و الاعصاب والعضلات والعظام فانك قد قرأت فيما سلف من الدقائق عن اعمال هذه الاجهزة وآلاف سواها ما يثير اعجاب العقول ووحيرة البصائر والافكار حيث يصلح كل جهاز منها لرقابة أعظم آلة ميكانيكية من خلقة القرن العشرين ويذها بفوارق جملة و خواص مهمة من احدها خاصية الحياة المفقودة في الميكانيكيات على طولها .

اننا لو فككنا اعضاء واجزاء اعظم مضخة بما يمت اليها من وسائل وآلات وانايب لما بلغ مجموع متفرقاتها واحداً من الف مما احتوى عليه جهاز الادرار من انايب فقط فانهم يذكرون في تعداد انايب الادرار للانسان انها تتراوح بين المليونين الى الاربعة ملايين انبوب .

وهكذا لو قسنا اعظم طابعة في الدنيا وميزنا جميع اعضاءها واجزائها بالاكياس الهوائية في الرئة لما بلغ مجموع متفرقاتها واحداً من مليون من مجموع رقم الاكياس المزبورة فانهم ذكروا في تعدادها ما يقرب من ١٧٠٠ مليون كيس هوائى حيث يبلغ سطح تبادلها في الرئة مقدار ١٥٠ الى ٢٠٠ متر مربع .

وهكذا لو قسنا اكبر واهم طائرة في الدنيا وفككنا جميع اجزائها بالخمل المفروش في المعاء الضيق لما بلغت نسبتها الى تعداده الأنسبة الواحد للعشرة آلاف فانهم ذكروا في تعداد الحذب المتر كزة في السطح الداخلي للمعاء الضيق وفي سطوح تعاريجها انها تبلغ عدة ملايين وهى من العوازل الاصلية في الجذب وفيها من العضلات

والعروق الدموية لشيء الكثير .

وإذا قسنا أعظم باخرة في دنيا اليوم وفككتنا جميع اوصالها حتى المسامير الصغار منها بالغدد المولدة للعرق في بدن الانسان لما وصل مجموع ارقامها الى ما يدكرونه في تعداد الغدد المزبورة فانهم يرونها في تمام جلد البدن تتراوح بين المليونين والثلاثة ملايين غدة وكلها ذات فعالية وعمل مستمر وانتاجات مهمة .

وهكذا لو قسنا اكبر سيارة وميزنا اجزاءها الصغار والكبار بالحيبيبات اللاقطة لللمس في بدن الانسان لما بلغ مجموع ارقامها ما يدكرونه للحيبيبات المزبورة من رقم وهو اكثر من ٥٠٠/١٠٠٠ نقطة وهي كلها ذات حياة وجهاز .

وهكذا لو قسنا ذلك بما يدكرونه للنقاط اللاقطة للحرارة في البدن من رقم ٣٠ / ١٠٠٠ وما يدكرونه للنقاط اللاقطة للبرد فيه من رقم ٢٥٠ ر ٣٠٠٠ لما بلغ مجموع اعضاء السيارة المزبورة اليه قطعاً : واما ما يدكرونه من النقاط اللاقطة للالام في البدن فهو رقم ضخم حيث يتجاوز عن مقدار ٣ / ٥٠٠ / ١٠٠٠ نقطة .

ولانظيل عليك ففي نوع اجهزة البدن ارقام حساسة للموجودات الحية الفعالة القائمة باشغال مهمة تحارلها البصائر والابصار اذن فدعوى ان ذلك كله من اثر الصدفة وانه لم يؤت به لغاية من المهازل التي ينبوعنها السمع ويطردها عن نفسه العقل من اول مرة بل يحكم حكماً صارماً قاطعاً بعظمة هاته المخلوقات - اولاً - واهمية الحكمة المتشعبة فيها - ثانياً - وبضمن الهدف المسوقة اليه من حيث الحياة وادامة البقاء - ثالثاً - وبعظيم قدرة صانعها - رابعاً - وانه فضلاء عن القدرة في اقصى مراتب العلم والحذاقة والمعرفة حيث لا يصل الى مقام قدرته وعلمه وحذقه ومعرفته اى مقام يفرض .

وما عرضناه واحد من ملايين الامثلة فان في عوالم النمل و زنايب العسل و الارضة والخشاشيف وملايين غيرهما من شتات انواع الحيوانات والنباتات والمعادن والجبال والبحار والمجرات والمنظومات العلوية من العجائب والغرائب و موجبات البهر والنحير ما لا تقوم به آلاف الكتب وذلك فقط فيما تمكنت من الاستطلاع عليه قوى البشر واما مجهولات ذلك فهي السلسلة المهمة من حلقات الخلقة .

فهذا كله مالا كلام فيه انما الكلام كله حول الحكمة في تسيير هذه المخلوقات باللون الذي يعاينه انسان كل عصر في عصره فان جانب الاهمية انما هو في هذه النقطة المهمة المبهمة التي قهرت العقول وضايقت الافكار وسترت على الاحساسات القوية وجه التخلص من رموزها وأسرارها ولنبحث عن جملة منها لنرى مصير البحث الى اى جهة يكون .

اهم الاشكالات التي تواجه العقل في مقابل كون الصانع حكيماً في تسيير مخلوقاته اثر الاهمال الذي يلوح على كافة جوانب البشر فضلاً عن بقية الحيوانات من حيث السير الحيوى الاجتماعى فان الانسان الحساس النزيه الناشئ في طبقة ضعيفة من الناس بمرور زمان عليه من عمره حيث يرى في خلاله حالات واطواراً نراه تتجمع عنده دينام من الاحساسات الحادة الجارحة المخرجة عن دائرة التصبر والتحمل ذلك حيث يرى قوة القوى كيف تعبت بالناس وترهق الضعاف وكيف تضايق الابرياء وترخى للجناة وكيف تتحكم في الاموال والنواميس وتحتقر الطبقات النازلة النزينة وتستخدمها في ميولها الجنونية الشهوية وكيف تملأ منها السجون عند ادنى مطالبة بحقها المشروعة وكيف تكرسها دون غيرها جنوداً في الحروب فتكون هي الدريئة للسيوف وحيث يرى المتنفذين والمتزعمين واهل الثراء على سنن ذلك وحيث يرى الجوع والعري وفقدان المسكن وعدم الوسائل الحيوية محيطة بالضعفاء من البدء الى النهاية .

وحيث يرى الضعاف من سكنة البوادي محاطين بانواع البلايا من حيوانات كاسرة وحشار لاسعة قاتلة وهجوم غارات وكثرة لصوص وسراق وتحكم رؤسائهم في انفسهم واموالهم وحيثياتهم وحيث يرى السود مجلوبين للبيض كالوحش الهامل يباعون ويشترون ويستخدم عليهم ولاحق لهم من الحياة الا اسئار مواليتهم من ركد الماء وفئات الطعام وسمل الثياب واطراف المنازل : وحيث يرى الجملة الوافرة من الزواني انما يتعاطين ذلك لفقدهما يرتفقن به من وسائل المعيشة مع العفة : وحيث يرى في بنى آدم الرقم الواسع من امثال زياد ويزيد ومسرف بن عقبة والحجاج ابن يوسف وچنگيز و تيمور تتعاور سلاسلهم الحاكمة على الناس ازهاقاً وازهاقاً واعنائاً



ونهباً وسلباً وتخريباً وحبساً وتبعيداً وتشريداً وابتداءً واعداماً : وحيث يرى الناس - الامن شد - متكالبين في فرض حقوقهم على الغير وتهوين حقوق الغير على انفسهم : وحيث يرى الحروب يسببها واحد او جماعة ويموت من اجلها من لا يد له فيها : وحيث يرى الطواغين تمحق و الصواعق تزقق و الزلازل تتمخض و البراكين تنفجر و الطوافين تجتاح و الاغصير تدمر : وحيث يرى البرد المهلك و الحر المتلف و القحط والجذب و المجاعات وحيث يرى الصراع المزعج و المطاردة العنيفة على طول خط البشرية من الزمان و يرى من خلال ذلك كله ابتلاء الابرياء و الضعفاء من الناس و من لا ذنب له و لاجرم حصل منه و لامعصية توجب طرفاً من ذلك فضلاً عنه جميعاً . . .

ولا يكون خلق الحي الحساس العاقل الا لغاية شريفة قطعاً و حد الاقل منها قطعة للحياة مؤمن الاحتياج الضروري لبقاءه من غير ان يزاحم غيره به وهذا ما لا يراه في اى انسان يفرض الا في طرف من الافراط او التفريط الموجبين لاختلال النظام الحيوى فبينما يرى المتمولين يعبثون بالمال عبثاً جنوبياً يحار له الفكر يرى فى طبقات البشر الملايين يعوزهم العيش الضرورى الدنيء : مثلاً نرى فى عصرنا الحاضر و فى بلادنا التى نسكنها - على انها بلاد شرقية تافهة ان عدة من اهالى العاصمة الاعزاء احصى خرجهم السنوى على السينما آت فقط بمبلغ ٥٠٠ مليون ريال فى حال انه يوجد فى جنوبى هذه البلاد اراضى شبيهة بالمستنقعات يسكنها ٢٥٠٠٠ نسمة بمعدل كل ٧٠ انسان منهم فى مساحة ٦٠ متراً مربعاً : فكم الشقة بين ذاك الافراط وهذا التفريط : و تذكر الصحف ان قرب : كمبريج : من مدن انكلترا توجد قرية مخصوصة بتربية القطط و بيعها تملك ٨ قطط منها ملايين من الليرات الذهبية فى حال ان ملايين من الناس يعيشون على هامش الحياة : و تذكر الصحف ايضاً ان الولايات المتحدة الامريكية تصرف فى عصرها الحاضر كل يوم ١٥ مليون دولار فى سبيل اتصالها بكرة القمر و الحال ان ملايين من اهل كره الارض يموتون من الجوع فى كل سنة : و لامجال لنا فى الاطالة بهذه الامور لكثرتها الهائلة عند ارادة التعرض لها و التوسع فيها . . .

وليس هذا الافراط والتفريط مقصوداً على الفقر والغنى والثروة والاملاق بل هو سيال في كل شيء حتى في المشاريع العامة التي تقوم بها الدول ظاهراً للعموم بل حتى في الدوائر الرسمية المعدة لقضاء اشغال الافراد فليس للضعيف حظ في المستشفيات العامة في حال ان انظف وانظم اسرتها للمتعبين الاجلاء كما ليس في دوائر العدل ووجه للضعيف والحال ان قضاتها جميعاً طوع ارادة الاقوياء وهلم دوايك: وفي النتيجة ان انرى دنيا الحيوانات وبنى آدم جميعاً دنياها نتيجة مزعجة مر تبكة كثيرة التعاريج طويلة الذيل في التناقضات واعظم ضرباتها على الابرياء والضعفاء والمتدينين المتورعين والمثاليين الاتقياء وطرف منه لا يلائم الحكمة فضلاً عنه كله هذا خلاصة ما يقال في تحرير الاشكال على حكمة الصانع في تسيير مخلوقاته واقترانها بالحياة.

ولا بد ان يعلم ان احد سلاح يملكه الانسان في تشريح حقائق الكون هو العقل فقط وان العقل الانساني مهما فرض توسعه بالشحن والتدريب والتجربة والتمرين فانه محدود الدرك يعترف بذلك كل من القائل بما وراء الطبيعة والمادى الصرف فلا يتوقع من العقل البشرى ان يحيط بدرك كل ما يتصوره ويستعرضه در كاناضجاً: ثم ان حياة بنى آدم المادية لا يستطاع تمشيتها على مدرجة الكون مع الانفلات من كل قيد بل لا بد ان تشفع بشيء من الفضائل النفسية كالحياء والوفاء والصدق والرفق والعفاف والكفاف والتحمل والتحمل والورع والتقوى والايمان بالمبدأ الصحيح والعمل به من طوع النفس فاذا تخلفت هذه النزعات عن النفس عادت بهيمية ذات ضراوة واندفاع ولازم ذلك هو هذا التكالب الذي يشهده كافة بنى آدم في نوع طبقاتهم مما أدى بهم ويؤدى الى اسوأ الحالات واقذر احوال الحياة: وهذا المعنى مما قامت به الشرائع السماوية والمثاليون والاخلاقيون من بنى آدم خير قيام علماً وعملاً لكن زافة الناس لما لم تترى في درك منوياتها بل اخذت تندفع وراء الوهم والخيال ملاءت الدنيا زعيقاً ونعيقاً وارتبا كما هو حاجا بصورة يحارفيها الناظر المتشوف ويقول في نفسه ما الهؤلاء الناس اعطوا كل غرائزهم الصحيحة من ايديهم فترى الزعيم والوزير والامير ومن الى ذلك يبذلون كل وسعهم وما أوتوا من حول وطول في سبيل السخائف والترهات ولذلك انحط مقام العقول وسفلت

الانفس وامتهنت النواميس وردت الارواح وعدت الفضائل النفسية من سقط المتاع وراجت الرذائل رواجاً قل نظيره حتى اصبح الزنا واللواط وشرب المسكرات والصفق والرقص والتعري والتهنك وانتهاج الرشا واستلاب الحقوق من شيم الناس باسم التنور والثقافة وحتى عاد الاتزان والوقار والورع والاحتياط والحياء والوفاء والنجاسة والعفة والصدق والامانة من العار باسم الرجعية السوداء : وحتى عد الساقط الممتهن متنوراً أو الشريف الصحيح الشرف رجعيّاً .

فهذا كله ما لا يربطه بالصانع بعدما حذر منه ونهى عنه وتوعد عليه نعم يبقى شيء من حزاة هذا الوضع الساقط وهو اندماج الابرياء الاعفاء فيه فان الوضع السائد اذا شوّم وسخف تعدى الفاجر الى البر والمسيء الى المحسن والخبيث الى الطيب وان كان الاطياب المحسنون قليلين في كل زمان لكنهم مع قلتهم يجب ان يصانوا من جانب الحق حتى لا تندهر حياتهم بالمرّة وتعود الدنيا كما بوساً ثقيل على عواقبهم: هذا وان جملة من هؤلاء المحسنين الاجلاء والمثاليين الاتقياء نراهم يعدون بلاء الله عليهم من توجهه اليهم وان من ازداد بلاء منهم ازداد قرباً لكن هذا المعنى مخصوص بالمهذبين الذين راضوا انفسهم رياضة تامة ولا يعود يشمل الابرياء الضعفاء من غمار الناس وهم الرقم الواسع من هذا الفريق فهل يصح ان يكتفى هؤلاء في مقابل ما يروونه في الحياة من شدائد وآفات وبلايا ومصائب ان لهم سعادة مضمونة في عالم آخر : اما عقولنا وعقولنا الرائية لاتصح ذلك لما فيهم من لوعة يقل عنها تحمل السائرين من الناس فهو اذن من الطالسم التي لا نستطيع حلها وما اكثر الطالسم المعماة في بطون هذه الحياة .

واما ابتلاء الناس بالقوى الجائرة على طول اشواط الزمان فهو في الاعمال الاغلب مسبب عن اكثرية الافراد فان نوع الناس يزفون وراء الوعد بالطمع والامل بالغنيمة فضلا عن الاجرة المنقودة ويفرون عن الحاكم العادل مخافة ان يضبط عليهم الامور وهم يهونون التركاض بالامانع ولا مزاحم وقل دليل عليه ان اربنا الناس اجتماعاً على معاوية وتسلوا عن علي مع علم الجميع وفي طليعتهم معاوية نفسه ان علياً لا يشبهه انسان من معاصريه في كافة الفضائل النفسية قريب الى الحق جهداً يستطيع بعيد عن الباطل

جهد المقدور: ولا يصح ان يقال ان نوع الناس كانوا يريدون امارته كما يريدون سعادة انفسهم ويحبون حكومته كما يحبون الترفيه على ارواحهم وانه لم يتخلف عنه الاعفاريات الافرادواخبارهم الذين يحاولون الترفع على القانون: وانما لا يصح ذلك: لان الاكثريه من الناس في كل دور اذا تصافقوا على شيء استحال ان لا يكون ذلك الشيء لان الاقلية محكومة بالاندحار دائماً واذ اقليل كم من فئة قليلة غلب فئة كثيرة فذلك لصدق الاقلية وتخاذل الاكثريه: قطعاً: والاكثريه الساحقة فضلاء عن لزوم انتصارها في تلك الادوار التي ما كانت تعرف السلاح في غير السيوف والرماح وكان ذلك ميسوراً للاعم الاغلب من الناس يتحتم انتصارها ايضا في عصر الصواريخ والذرة فان عنوان الاكثريه كما يراد به فريق البقالين والعطارين ومن اليهم يراد به سائر الطبقات ايضا من كيميائي وفيزيائي وجندي وضابط وطيار وغواص فان هؤلاء من الناس لانهم صنف خارج فمتى تشكلت الاكثريه من كافة الطبقات كان الحكم لها قطعاً: وهذا المعنى لم يحصل في دنيا البشرية الا في انقلابات معدودة. *فانما انفسهم ما كانوا يريدون امارته* فالناس دائماً يتمكنون ان يحكموا انفسهم بأنفسهم وان لا يجعلوا للذل عليهم طريقاً لكنهم يتخاذلون عن احقاق الحق الراجع لهم بحسب امتياز فريق منهم على من سواه ونيله لضعاف ما يستحق و بالتخاذل فريق آخر منهم حباً لسلامته فيما يظن و تأميناً لما في يده وهو لا يشعرون ان غير حكومة الحق لا تبقى على سلامته ولا على ما في يده جميعاً وبتطبيع فريق مذنب بالاعاد فضلاً عن الرشوة المنقودة واذ افلت الجبل من ايدي هؤلاء جميعاً عادوا بعد رده من الزمن اذل من الارنب في نظر السلطان الذي حكموه عليهم فيعود فرد واحد لا يملك من القوة الاسيفه عند الحقيقة حاكماً مستبداً على مئات الملايين لالسبب معقول سوى اتخاذ كل واحد منهم عن حق نفسه. *فانما انفسهم ما كانوا يريدون امارته*

اذن فهذا البلاء ليس مرجعه الى الصانع بالمره نعم يكون في غمار هذه الانشعاعات اناس احرار صادقون لا يصيخون للباطل ولا يعطون بأيديهم الى الهوان لكن لا تعود تنفعهم حريرتهم ولا اخلاصهم في قبال سلطان مسيطر قد تابعته الكثرات بشتى انواع المتابعة ولهذا نراه ينحى عليهم بشتى اساليب التحقير والتوهين والتشريد والتبعيد ان

لم يأت عليهم ازهاقاً لارواحهم كما حصل كل هذا باحرار بنى آدم المخلصين وهنا يجيء الاشكال بان الصانع كيف خلق بينهم وبين اولئك الطواغيت وكيف لم يحرسهم ولم يدفع عنهم وهذا من الطلاسم التي لا تحل ايضاً .

وكل ما سلف الاشكال به من المجاعات العامة والطواغين الجارفة والطواغين المجتاحة والاعاصير المزعزعة والبراكين المتفجرة والزلازل المتمخضة والصواعق المدمرة فهو غير متوجه الا من حيث اندماج الابرياء فيه وانغمار الزبيبه وما اقل الزبيبه والبريء في دنيا الناس قديماً وحديثاً لكنه اشكال متوجه في هولاء وليس بمقدور العقل حله فهو من الطلاسم ايضاً : لكن الذى يهون الخطب اجمالاً على المبدأى والمادى جميعاً اعتراف المادى نفسه بان العقول قاصرة عن ادراك ما فى الوجود كله وان كل ما ادرك بمشاريط العلم فهو غيب من فيض على ان الجهل بالشىء امر وانكاره امر آخر ولا يجوز جعل الجهل طريقاً الى الانكار فى كل الاشياء .

وبعد هذا فلا بد من التوجه الى ذكر جملة من مزاعم الجدد كما وعدنا بذلك آنفاً من ان تكون فى تعلييل اصل الخلقة ام فى التحكمات الباردة على حقائق الاشياء وتعرض من ذلك لعدة نظريات

منها : ان العلامة (اوسيد) لما كتب قوله ان الكون محكوم بحكمة اذلية تظهر لنا آثارها بواسطة القوانين الثابتة فى الطبيعة لم يرق قوله هذا فى عين الدكتور (بخنر) فكتب يرد عليه انه لا يمكن ان يتصور احدان تتفق حكمه اذلية مع نواميس طبيعية ثابتة فاما ان تكون النواميس هى الحاكمة واما ان تكون الحاكمة هى تلك الحكمة الازلية فاذا كانت الحكمة الازلية هى الحاكمة فللازوم لقوانين الطبيعة و اذا كان الامر بالعكس وكانت النواميس الطبيعية هى الحاكمة فان ذلك ينقى كل تدخل سماوى: وهذا اشتباه واضح من بخنر فان خالق الطبيعة ومكيفها خالق لنواميسها فالانسان المخلوق على الكيفية المار ذكرها تفصيلاً قد خلقت طبيعته فى عرض خلقة اجهزته وما اراد بها فالتنفس الذى هو ناموس طبيعى لاستمرار حياة الانسان من اللوازم القهرية لخلقة جهازه فى عرض الاجهزة الباقية القائمة بالتركيب الانسانى وليس الناموس

الطبيعي مجلوباً له من خارج بعد خلقته حتى تكون للنواميس الطبيعية حكومة وراء حكومة اصل الخلقة وسيجيء في شتات بحوث هذا الكتاب ان النواميس الطبيعية كلمة فارغة من المعنى الصحيح وان الطبيعة اعداد خالص لفعل ما وراء الطبيعة .

وقال (ديموكريت) وهو فيلسوف يوناني قديم ويعتبر شيخ الماديين عن خلق الكون بل بعبارة اوفق بميله عن تكون الكون وتنوع الانواع المبتوثة فيه: بدوران ذرات الاجسام حول نفسها في الفراغ في آماذ طويلة لاتدخل تحت حسابان تكونت كل هذه الكائنات على اختلاف انواعها واشكالها .

لكن ارسال العبارات المهملة لاينتج فلسفة ولايجل مشكلة فان دوران ذرات الاجسام حول نفسها مع الغرض عن منشأ هذه الذرات وانها كيف كانت ومن اين جاءت لايستطاع تعقله الا بفرض قوة مديرة للقصور الذاتي في المواد فلايتحرك الساكن الا بمحرك والدوران نسبة قائمة بين مديرومدار فمن المدير: نفرض الذرات تحركت فلم كانت حركتها دورية لاطولية: فرضنا دورية: فهل الحركات الدورية للذرات تنتج النبات والحيوان والانسان وكلها مدمتحررك: اما انها طفرات لاتعقل المناسبة بينها ولاالسنخية في انتاجاتها: واذا كان التحرك الدورى للذرات و انتاجها لهذه الكثرات بكيفياتها التي هي عليها من ذاتياتها كان ذلك مغنياً عن التلاقح و التوالد والاستنماء بل لا يكون لهذه الامور موضوع بالمره وهو خلاف الواقع المكشوف: و يقول الماديون في وجه انكار كون الانسان مخلوقاً مستقلاً في خلقته وانه نوع خاص مبدء ومعاداً ان في بنيته الفعلية زوائد اثرية كالعصص في جميع الافراد و الاثناء في الرجال مما لافائدة فيه بل بعضه دليل على تحول هذا العنصر من عنصر آخر من ذوات الازناب وان الاستغناء عن الذنب بعد التحول هو الذي حذفه لعدم الحاجة اليه وبقى منه اثره فقط .

لكن هذه المزاعم تافهة لدرجة بعيدة فان الاستغناء عن الشيء انما يوجب اهماله والاهمال يستلزم عدم التربية والنمو لأزيد فما اكثر من عطلت بعض اعضاءه بالفالج وغيره فبقيت مهملة معه عشرات السنين لا يستفيد منها بالمره ولكنها لم تنحذف

منه واذا انحذفت الاذئاب عن نوع الانسان عند تحوله لاستغناءه عنها فلم لم ينحذف العصص معها فان ملاك الاستغناء عنه كما حذف منه الذيل كان من لازمه ان يحذف العصص منه ايضاً فلم كان الانسان منذشهد نفسه ذاعصص بلا ذنب واستمر على هذه الصفة وما الداعي لهذا التفكيك بين هذه الزوائد : وكون الثدى فى الظاهر وسيلة للارضاع لا يستنبط منه بالقطع زيادة كل ثدى لا يتوسل به لذلك فانه تخرص محض ومن احاط بدقائق الموجودات و فوائدها حتى يبرم حكمه فى ذى الفائدة منها وما لا فائدة فيه و للاخر لاتزال الموجودات كثيرة المجهول فيها قليلة المعلوم منها على رغم توسع العلم .

ولا يقف الناشئة المتعبدة بآراء الغربيين واقوالهم وكلمات الماديين و ميولهم على اعتراف مراجعهم بالعجز عن معرفة كل ما فى الكون من اسرار نذ كر ما يلى .  
يقول الفيلسوف (اجوست سباتيه) فى كتابه فلسفة الاديان : ان العلماء اول المعترفين فى كل فرع من فروع العلم انهم لم يدركوا منه الاجزاء محدوداً وان اكثرهم تواضعاً اكثرهم علماً على ان كلهم يعترفون بان ما حصلوه للان من الاكتشافات وما درسوه من هذا الجزء من الطبيعة ليس الاعدماً بالنسبة لما يجهلونه فهم مستعدون لتنقيح القوانين التى قرروها وتوسيع الفروض التى فرضوها وضم كل ما يشاهدونه من المشاهدات الصحيحة الى ما لديهم منها نعم انه يوجد من بين هذه المشاهدات ما يدهشهم ويشوش أفكارهم كما تراه كل يوم ولكنك لو تلاحظ موقف العالم الحق امام هذه الظواهر الجديدة تراه لا يشك فى انها تابعة لنواميس مجهولة ولكنها حقيقية وموجودة وتراه لا يأس من امكان عزوها الى تلك القوانين : دائرة معارف وجدى مادة اله ص ٥١٣ .  
وقال العلامة (بيو) فى كتابه (شذرات علمية وادبية) بقدر ما اتدبر فى نظام هذا الوجود وسعته وفى جميع عجائبه اعجب من هذا الابداع المدهش وارانى فى حالة عجز عن تفسيرها وتعليلها وانى لأتجاسر بان اقول انى جربت ذلك بنفسى فان تلك التفسيرات الناقصة والتعليلات الكاذبة او المبهمة التى يريدان يقنعنا بها بعض الكتاب العصريين بصفة مدركات سامية لا تظهر مجحفة وتافهة الا اذا قورنت بالطبيعة نفسها وان الذين

تشرّفوا بمعرفة بعض جمال الطبيعة واحسوا بها وجدوا أنفسهم مرغمين لان يعتبروا الذين يريدون ان يشوهوا هذا الجمال بتدليسهم القبيح كفاراً ملحدين فان كل الكائنات العضوية متمتعة بوسائل حياتها الذاتية المتنوعة في اختلاف أجهزتها مثل تنوع الكواكب والزهرة في القبة الزرقاء زيادة على هذا فاننا لانشاهد الا ما يظهر لنا من ذلك في الخارج وقد حجب عنا ما هو اعجب وأغرب بعيشك قل لي من هذا الذي استطاع ان يفهم الاعمال الكيميائية الخاصة بالاعضاء الحية لهذه الكائنات والتي هي السبب في حررتها الارادية وغير الارادية - ماذا اقول - من هذا الذي استطاع ان يفهم سر طيران الذبابة وسر الاغيب الفراش : اذا وصل بنا ادراكنا الى معرفة القابليات الخارجية لهذه التراكيب الجسمانية والى تحديد العلائق المقصودة الموجودة بين الاجزاء التي تتألف هي منها قلنا اذا وصل ادراكنا الى هذا ثم عمينا عن رؤية الحكمة التي امرت بها ونظمتها وعشينا عن تنورها في صميم هذا المجموع نكون قدنا قضا ضائراً منا مناقضة تامة : اما انا فأريد على الاقل ان اتعلم من هذا المشهد العظيم بأني جاهل لا ادري شيئاً (وجدى مادة أله ص ٥٢٥)

وقال العلامة الانجليزى (استوارميل) تبدوا لنا الحياة الانسانية محاطة بغوامض الاسرار فترى دائرة تجاربنا الضيقة كأنها جزيرة صغيرة ضالة في بحر لانها ية له ومما يزيد ذلك السر غموضاً ان مجال حياتنا الدنيا ليس كجزيرة في فضاء غير متناه فقط بل في زمان غير متناه ايضاً (وجدى مادة اله ص ٥٢٥ و ص ٥٢٦).

وقال الدكتور شبلى شميل في مجموعته ان مجرى فكر الانسان سيكشف له اسراراً كثيرة في الطبيعة ليس المعلوم منها اليوم الا النزر اليسير : وقال فيها ايضاً : لعدم امكان الانسان ان يحيط علماً بكل شيء (انوار الهدى ص ١٣) وقال ايضاً ليس في طاقة الطبيعي ان يعلم الحقائق والماهيات : وقال بخبرانه ليصعب او يستحيل علينا ان نعرف كم يخص كلا من هذه الاسباب ويظن دارون انا غالباً لانعرف النواميس : و كثيراً ما تستغلق دوننا وجوه الرشد في اكنهه دستور محكم نسترد بهديه في ظلمات هذه الابحاث : انوار الهدى ص ٢٦ : وقال العلامة الفرنسى (لوجيل) نحن لانعلم ولا نرى الا الظواهر والقشور اما الحقيقة والعلة فتأبى ان تنكشف لنا : وجدى مادة مدد ص ٥٠٦.



وقال طمسن بالنسبة الى تكون طبقات الارض بعد ان لم تكن : ان يبس قشرة الارض لا يمكن ان يكون قد تم في اقل من عشرين مليون ولا اكثر من اربعمائة مليون سنة وانه يقتضى ان يكون بين ثمانية وتسعين مليون سنة وبين مائة مليون سنة: نقد فلسفة دارون ج ١ ص ٢٠٤ .

ولوان احد الخواصين فاه بمثل هذه الكلمات المتفككة الاطراف جداً كنسبة العشرين الى الاربعمئة : حيث يقول في خرص مزرعة مثلاً ان نتاجها يتراوح بين العشرين كيلواً والاربعمئة كيلواً لعد مجنواً بالجنون الحاد اذ لا رابطة بالمرة بين العشرين والاربعمئة : ولا بين العشرين والثمانية والتسعين ولا بينها وبين المائتين لكن صاحبنا الغربي بانتسابه للغرب وللمتمدن الحديث والفلسفة الجديدة تمكن ان يقول ذلك بكل هدوء من اعصابه وان يعد بمقاله هذا في جملة الفلاسفة الطبيعيين وان تذكر اقواله في ضمن الحجج التي يستدل بها العصر الحاضر على تركيز الحقائق الكونية .

وحسنا ما قاله دارون نفسه في ملاحظته على هذا الكلام : ان الفرق بين هذه الحدود يدلنا كم هي الادلة الضعيفة (نقد فلسفة دارون ج ١ ص ٢٠٤ و ٢٠٥) بل يدلنا على مبلغ الضعف الذي اناخ على هذه الفلسفات التي تشاد بمثل هذه الادلة ولكن دارون احب ان يفر عن هذه المؤاخذات التي اعتورت طمسن فأوهنته وعن نظيرها الى رأى جديد يشرح به كيفية التحول من المبدأ الاولى الذي اعتبروه - حركة الجواهر الزوبعية في الخلاء : او غيرها : فقال يمكن ان الارض كانت في اطوارها الاولى معرضة في احوال الطبيعة لتغيرات اسرع وواشد مما هي الآن فحصلت تغييرات اسرع كذلك في الاحياء التي كانت تغطي سطحها في تلك الازمان البعيدة : نقد فلسفة دارون ج ١ ص ٢٠٥ .

ولكنه وقع في ورطة بشكل آخر وهي ان الامكان وحده ليس دليلاً لا لاثبات المطالب التي يرام اثباتها في فلسفة جديدة بل ليس دليلاً لا لاثبات بالمرة : ثم ما هو الذي اثار خاطرة تصور هذا الامكان للاطوار الاولى خلافاً للاطوار التي بعدها فانه محض القول بالتشبهى انصافاً : نعم الذي اثار خاطرة تصور الامكان باللون الانسف للاطوار الاولى خلافاً للاطوار التالية ان تلك الادوار و الاطوار

بعيدة عن يد المتناول و عن حسه فلم يفهمها احد ولذلك لا تكون في الاحالة عليها مؤاخذة الاحالة على القريب تناول المشهود للوجدان كما يقال في خرافيات القصص ان حبة الحنطة كانت في العصور القديمة بقدر الحمصة ولكن المعاصي الفاشية في الخلق هي التي اهزلها الى القدر المشهود في حال انالانعهد انساناً ادعى روية ذلك في كافة الادوار والقاص لا يعدم الالتفات نسبة فاذا قيل له لم نرماتقوله كما لم يدعه آباؤنا ولا اجدادنا اجاب لا هذا الموضوع كان قبل ذلك بكثير عندما كانت الحيوانات تتكلم ففيلسوفنا المزبور اخوالقاص المذكور يرمى بحوائته الى حيث لا دار ولا ديار حتى يواجهه بتكذيب مزاعمه على ان معرف شرح بخنرال دكتور شبلى يقول في هذا المقام : والحق يقال ان مذهب الانتقال وان كان تعقل به اشياء كثيرة لا تفهم بدونه لكن لا ينكر انه ناقص كما بسطه دارون : و لخصوم هؤلاء معهم مجال واسع في المناظرة حتى التجأ بعض هؤلاء المنفيين - فراراً عن المؤاخذة - الى القول بالتحول الفجائي ولم يبعد عنه : وقال (كروبتكن) في تضعيف دارون انه لم تبق آراؤه على ما كانت عليه بل تساهل فيها عندما اخذ يبحث في تنوع النبات والحيوان بحثاً مسهباً وارتاب في كفاية الانتخاب الطبيعي .

وقال (كروبتكن) في موضع آخر ما هو ادهى من ذلك و هو ان دارون لم يكن يعتقد بالانتخاب الطبيعي و انما اراد ان يسد به باب القصد على القائلين به يعنى المؤمنين وهذا لفظه : راي دارون ان (لامرك) ذهب الى ان في الاحياء ميلا الى التقدم من نفسها وان عند الحيوانات شيئاً من الارادة يساعد على الارتقاء فخشى ان يفتح بذلك باباً للقائلين بالقصد فيقفوا في سبيل العلم (نقد ج ١ ص ٢٠٦) ومن هنا يظهر ان من اهم دواعي القوم الى الالحاد هو هناك حجاب العفة وتدمير الشرف الانساني و قذف الانسان الى ابعدهم من هوات الحيوان النازل الفاقد لشوب الشرف والفضيلة .

وصراحة شبلى شميل في كلامه هذا : ولا خصلة محمودة الاحب الذات ولا سعادة الالتمتع بالشهوات و ما الناس جميعاً الا بنوا الارض فجميع ما فيها مشاع للكل و

الملكية الشخصية والاختصاص ببعض المنافع ضرب من الاستبداد وما غيرة الانسان على محارمه الامن البخل والحسد الى آخر ما قال : كافية في الاصحاح بمنوياتهم وانهم يريدون من وراء هذه الفلسفات اموراً انتهائية لانه تحرير حقائق واقعية او نظام اجتماعي . ذلك انهم رأوا من المستحيل عليهم الانفلات من قيود الانسانية الى صحراء الخلاء والاستهتار والعبث بحقوق الاغيار الابد أن ينددوا بالدين و مبادئه و ينقضوا بناءه من بين الناس حجراً حجراً ليخلولهم كل ميدان من قلوب الناس و ادمغتهم وليشبعوا اذهان الجميع بان الانسان كواحد من هذه القردة التي يقفز بعض منها على بعض في الشوارع والمشارع من دون قيد ولا حرجة وان كل المفاهيم الاخلاقية والقيم المعنوية مزورة مكذوبة وان الجميع من وادي الشعوذات والاساطير : فصالوا وجالوا وساعدتهم على ذلك كل من يحب التأمير على الناس بلا مؤاخدة والسيطرة عليهم بالامسؤولية ونهب حقوقهم بالاخوف والاغارة على شؤونهم بالاخذ وبلغ هذا التفكك الاخلاقي البغيض مبلغاً اجتراف في طريقه نفائس علوم الاخلاق وتهذيب النفوس و انحى على كل مثالي بار .

نعم لم تحاول الفلسفة الالامبدئية بعد سحقها للمبادئ الفاضلة الاسحق الانسانية بالمرّة وان يعيش الناس هملاً لانظام لهم ولا راعي يرعاهم وان الحكومة للشهوة والقوة كنان من طريق عصر الحرية والتمدن نحسب ان زمن الارهاق قد انصرم وانا نحن الى عصر قد سلم من تلك الهنات التي واجهها اجدادنا لكننا وجدنا ان التاريخ يعيد نفسه فاذا فقدنا النسخة الاصلية لاولئك المرددة ومشوهي منظره الحياة فهاهي نسختها الثانية دثارنا والشعار .

نحن حتى لو صرفنا النظر عما وراء الطبيعة وما عليه الاد بان الصحيحة من فضائل نفسية وقيم معنوية لانجد عذراً لعقلاء الجوامع بما انهم موجودات ذات حياة واحساس قوى به تميزوا مضارهم من منافعهم واسباب تقدمهم وانحطاطهم حيث اخلد الكل منهم للسكوت امام هذه النوازل الفاضحة والبلايا الجارحة بل اين مدونوا منشور حقوق البشر وضمناء اجراء عن هذه الانتهاكات التي اقامت قيامة الدنيا و

أعدتها فهل المنظور بهذا المنشور خبره وورقه اذن فكم له من نظير قدماء الرؤوف  
وخزائن الكتب بل انما يريد الاجتماع العاقل عملاً ايجابياً يكسر من شر هذه المفاسد  
ويقوم بقمع هذه الضلالات.

أليس من الغريب جداً ان اقرأ في صفحات العرفان مقالا لا حد المسلمين  
المصريين ينعي فيه على مصونات المسلمات في ليبيا و يهنأ فيه بهن و يعدهن من  
بقايا الوحوش للقرون الوسطى و يعتبر ان الاسلام وراء ما هن عليه من التخدر  
والعفة وانه يدعوا الى تحطيم الحجاب و خلع الثياب وانا لا اعرف الاسلام الذى يعنيه  
أهو فى القرآن حيث يقول الله تعالى : قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم و يحفظوا  
فروجهم ذلك ازكى لهم : وقل للمؤمنات يغضن من ابصارهن و يحفظن فروجهن و  
لا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها وليضرن بخمرهن على جيوبهن و لا يبدين زينتهن الا  
لبعولتهن - الى آخر الاية - حيث يقول فيها - ولا يضربن بارجلهن ليعلم ما يخفين  
من زينتهن - سورة النور - ويقول ايضا فى آخر هذه السورة : والقواعد من النساء  
اللاتى لا يرجون نكاحاً فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة و  
ان يستعففن خير لهن : الى غير ذلك وهو كثير.

ام فى السنة عن نبى الاسلام حيث روى مسلم و الترمذى و ابو داود والنسائى  
عن جرير قال سألت النبى عن نظر الفجأة فقال اصرف بصرك : وحيث روى ابو داود  
والترمذى عن على عن النبى انه قال يا على لا تتبع النظرة النظرة فان لك الا ولى  
وليست لك الاخرة : وحيث روى ابو هريرة ان زنا العينين النظر الى غير ذلك وهو من  
الوفور بمكان .

ام فى شريعة الاجتماع الصحيح والنظام الفاضل الذى فيه احترام الحقوق وحفظ  
الحيثيات ومصونية النواميس ولازيب ان التبرج قرين الخلاعة وهتك الصون اخو  
الميوعة و خلع الثياب رائد الشر و اذا قال احمد شوقى .

نظرة فابتسامة فسلام  
فكلام فموعد فلقاء  
فقد عبر عن امر عادى وتلازم طبيعى ونحن اذا حذفنا الحلال والحرام والمشروع

وغير المشروع من برنامج البحث وقصرناه على حفظ النظام وضبط النسل و مصونية العوائل رأينا من واجبه أيضاً ايجاب التحفظ ولزوم الاحتياط وايجاد الحدود فلا يجوز اختلاط العنصرين وليس بوسعنا التحدث فعلاً عما اباح الاختلاط بينهما من اعراض وفنك بنواميس واسقط من أجنة ولاغرابة في ذلك بعد ان انتجت الاديرة المعدة للترهب نظيراً لما نحدثنا عنه : ام في شريعة الطبيعة التسي فاوتت بين العنصرين بما جعلت كل عنصر غير الآخر في الشكليات والجوهريات جميعاً وبرهنت على ان خلقة الانثى في جميع اشياءها غير خلقة الذكر في جميع اشياءه : وستقوم في فصل نستقبله بالبحث بتوضيح هذه المطالب توضيحاً علمياً ان شاء الله : وهذا الذي امليناه لا يكاد يتردد فيه عاقل غايته ان صبغة العالم صارت جنونية وقد تسرب هذا الجنون الى عموم الطبقات فلا يكون الوقوف أمامه من قلائل المثاليين واهل الهمم العالية والعقلاء الكبار الا كالوقوف امام السيل الجارف الذي لا يطاق و كذلك فعل التمدن الحاضر فانه ضرب ضربته القوية على كل دين و مبدأ وعنصر عقلي لامغمز فيه واصبح التهنك و الخلاعة و الميوعة والاستهتار من الصفات التي ان همزت بشيء لا يعود يؤثر فيها الهمز والغمز .

واما ما ذكره شبلى شمیل من ان الملكية الشخصية والاختصاص ببعض المنافع ضرب من الاستبداد فهو باطل من طريق الطبيعة الساذجة التي بنى عليها الشرع الاسلامي قاعدته في الملك الشخصي ولا نمط الحجج في جواب الاشتراكيين بل تقتصر على ذكر دليل واحد بسيط وهو انا اذا زوينا الانسان عن كل شيء يحيط به فلا نستطيع ان نزويه عن جهوده واتعابه و كد يمينه و عرق جبينه فهذا العامل المالك لاتعابه ربما أجهد قواه في العمل الذي تسمن اجرته فاقتصد في صرف شيء منها على ضروراته واستبقى الباقي في مدخراته حتى اجتمع عنده من فاضل اجوره مبلغ يعتد به وعلى مرور السنين ربما يتوزم هذا المبلغ الى مادة قوية من طريق صحيح فاي عاقل يقول ان هذا المال ليس ملكه وای انسان تحدته نفسه من طريق معقول ان يزاحم هذا العامل على ماتحت قبضته وان يشترك معه فيه ولو كان بائساً لاقصى درجة وكم من هذا الرديف : فادعاء

الشركة في مثل هذه النتائج ادعاء ساقط مآله الى الغصب المفتضح والتلصص المكشوف والاسلام لا يمضى التمول الناشئ عن الربا وعن الغش والتدليس والاحتكار والغبن غير المتسامح فيه وعن المعاملات السفهية والمكاسب المحرمة على اطلاقها والجملة الوافرة من المتمولين في دنيا اليوم وأمس انما جمعوا اجل اموالهم من هذه الطرق غير النزينة وليس لهم منها الا النزر القليل فالاسلام والمنطق جميعاً بعيدان عن تايدهم هؤلاء وتصحيح اعمالهم.

فصل : وبما ان الطرق التي حاول الماديون الاتصال منها لربط كافة الانواع الكونية على تشتتها بعضاً ببعض حتى يجتمع الجميع في اصل طبيعي واحد كطرق النشوء والارتقاء وتنازع البقاء والانتخاب الطبيعي ونظائرها لم تقم بالواجب الذي اريد منها بل ولا ببعض يعتد به مال كثير من الطبيعيين الى الاعتراف بجهلهم بالطرق التي درجت منها الكائنات العالمية الى الوجود بهوياتها المشهودة فعلا .

فقد اعترف (ليل) بان تولد الانواع حتى العليا منها كان - رأساً - تولداً ذاتياً في كل الادوار بطرق غير معروفة من طرق الطبيعة (نقد ج ص ١٠) لكنهم مؤاخذاشد المؤاخذة بقوله بطرق غير معروفة من طرق الطبيعة فانه اذا كان يعترف بجهله بالطرق التي مشت بمواليد العالم الى الوجود فمن اين جاءه ان هذه الطرق المجهولة لديه طرق طبيعية : هذا وقد برهن باستور حسناً وتجربة ان الموجود الحي لا يكون الامن حتى ولهذا وقع الطبيعيون في مأزق حرج لم يهتدوا فيه الى تعليل الكائنات الحية من الطرق الطبيعية التي تنهيمهم الى اصلهم الاول و هو حكمة الجواهر الفردة فسي الخلاء حر كة لولبية ولاجل ذلك جاءت اقوالهم لاتواجه الا بالهزاء العلمى فقد قال (طمسن) بمجىء بذوراتها من كرات اخرى محمولة على ظهور النيازك والشهب (نقد ج ص ٢١٦) اقرأ واضحك ملاء فيك : وقال ( اغاسنر ) انه يظهر من احافير الدور الاول ان انواع الحيوان كانها ظهرت كلها في برهة وجيزة لان تلك الطبقة دقيقة لم يقنض تكونها زمناً طويلاً (نقد ج ص ٢١٧) وطالما تعلل الطبيعيون بالاحافير واستندوا الى هذا الرمز في كل شيء تعيينهم الحجج الصادقة مذهباً فيه في حال انهم يدفعون بالوجود الكونى الى ما قبل ملايين الملايين من السنين ونحن لانرى لमितنا السدى

نحترمه في دفنه واختيار المكان الجيد لحفظه بعد مرور عشرات السنين عيناً و لا اثراً وان يوجد منه في بعض عظيمات محطمة لا يستدل منها على شيء فكيف استطاع هؤلاء ان يجدوا في الاحافير حيوانا ينسبون وجوده الى ما قبل ملايين السنين ثم يفيضوا في اوصافه الدقيقة بنحو لا يستطيع المشرح للجنة التي توجد امامه ان يفيض بمثل ما دققوا فيه وغاية ما يدعمهم في قدم الوجود هو تحجر بعض الاجسام الا ان هذا التحجر كما لا يستطيع ان يؤرخ زمان المتحجر لا يستطيع ان يحتفظ بكل خصوصيات الموجود الحي الحافظ لكافة جهازاته وسماته اذن فكل ما يدعون انه من طريق هذه المتحجرات مجازفات لا يبرها منطق .

ثم من المستحيل ادعاء ان البشر سبق لوجوده آلاف الملايين من السنين وسيبقى الى ما لا نهاية لفان المشاهدات الحسية برهنت على ان البشر يزداد على مرور السنين المحدودة زيادات مهولة فالامة ذات المائة مليون نسمة بمرور مائة سنة عليها قاربت ان تبلغ خمسمائة مليون انسان وهانحن انفسنا نعرف آباء في العشائر وفي البيوت العلمية لم يمر على موتهم اكثر من مائة سنة ومواليدهم اليوم يعدون بالالوف على ما سبق هذه الفترة من تناوب الطوائف المبيدة وكثرة موجبات الفناء بالطبيعة من حروب وغارات وامراض : وان مرور مليون واحد من السنين على التوالد البشري كاف في ان يملأه من كافة الكرة الارضية بلاغراق .

ومن طراز المجازفات الآتفة المذكور قول (هويت الامريكى) ان انواع النبات ظهرت دفعة واحدة في العصر الكربوني (نقد ج ١ ص ٢١٧) أءا يخجل هؤلاء من ارسال هذه المزاعم الحاكمة على اهلها بالتهور في الافتراض والوقاحة في التحكم والصلاح في ابتداع البدع : ثم العجب من حال هؤلاء فيبينما ترى الرجل منهم يرسل الكليات المبهمة جداً زاعماً وضوحها لديه ارسال المسلمات اذابه يظهر التلدد والتردد في عين ما زعم وضوحه لديه قال (بخنر) اذا تذكرنا بان ثلثي الارض او ثلاثة أخماسها تحجبها البحار وان قسماً كبيراً من الثلث الباقي تغطيه الجبال الشاهقة علمنا انه تمنعنا عن الابحاث العلمية مواع طبيعية (نقد ج ١ ص ٢١٨) وقال بعض العلماء الذين يعترف لهم الدكتور

شبهى شميل بالفضل فى شأن هولاء الماديين : انهم يوردون من الحقائق ما يؤيد رأيهم بحسب الظاهر ويتعاضون عما يفتيه ويتخذون المفروض كمر مثبت ويفسرون الحقائق على ما يوافق آرائهم : وقال ايضاً : ان التسليم بمذهب النشوء يقضى ايماناً بصحته اعظم جداً من الايمان الذى يقتضيه الدين والحق ان اهل هذا المذهب يعتقدون انه بالتسليم لباليقين كانهم عاثشون بالايمان لبالعيان (نقد ج ١ ص ٢٢٠ و ٢٢١) .

وزعم العالم (مايه) من كبار علماء القرن التاسع عشر ان البحراصل كل الكائنات الارضية على اختلاف انواعها واجناسها : قال : ان البحر قد عم سطح الكثرة الارضية فى عصر من العصور الخالية وبهذه الوساطة انتقلت المخلوقات التى فيه الى الارض و عاشت فيها وعلى هذا فكلما يشاهد على الارض من أحقر خلية نباتية الى اكمل حيوان وهو الانسان اصله البحر اى انهم كانوا حيوانات بحرية : قال : ولا يوجد فى الارض حيوان سواء أكان ماشياً على قدميه ام طائراً بجناحيه ام متسحباً على بطنه الا فى البحر انواع مشابهة له او قريبة منه وان انتقال هذه المخلوقات من الماء الى الهواء ليس انه ممكن فقط بل هو امر ثابت بجملة ادلة ونحن هنا لانريد ان نتكلم فقط على الحيوانات البرية او البحرية او الثعابين والسلاحف و كلاب الماء والاجناس المختلفة من نوع كلاب البحر ولا على الحيوانات العديدة التى تعيش فى الماء والهواء على حد سواء او تارة فى البحر وتارة فى البر ولكننا سنتكلم على الحيوانات التى لا تستطيع ان تعيش الا فى الهواء فنقول اننا نعلم ان الحيوانات البحرية تنقسم الى قسمين حيوانات سابحة فى بطن الماء وعائمة فيه تسرح وتضطاد وحيوانات اخرى تمشى على بطنها فى القاع لا تنفصل عنه او تنفصل نادراً ولا استعداد لها على العوم وبناء على هذا فمن الذى يستطيع ان يشك فى ان طيورنا التى تسبح فى الهواء لم تأت من نوع السمك الطيار او فى ان حيواناتنا الارضية التى لا استعداد لها على الطيران و لم تقدر على العلو عن سطح الارض لم يكن أصلها تلك الحيوانات البحرية - ٥١ : و جدى مادة أله ص ٥٢٧ .

اقول التشبهات فى كل شىء غير محدودة فان اشتبهى هذا الانسان ان يرى كائنات



الارض قد انتقلت اليها من البحر بافراض ان مائه عم سطح الكرة الارضية في عصر من العصور الخالية فنحن نشتهي ان نعكس هذه الدعوى بكافة اجزائها ونقول ان كائنات البحر قد تسربت اليه من الارض في عصر من العصور الخالية ايضاً وعاشت فيه فان طالبنا بمدرك هذه القضية طالبناه بعين ماطلبه منا وهو فاقد لكل مدرك سوى الادعاء المجرد ونحن مثله فان كل ما ذكره مجموعة مدعيات مفترضة لقيمة لها اصلا بل انه خيال يطفح مرة ويرسب أخرى .

وقال الاستاذ تليامد : يوجد في البحر اسماك تشبه اشكالها كل شكل من اشكال الحيوانات الارضية حتى العصافير ويوجد في البحر نباتات وازهار واثمار وان الورد والقرنفل والشمام والعنب لها في البحر امثال (وجدى مادة أله ٥٢٨) .

وكما أشعرنا أننا ان مجرد وجود المتشابهات - على فرض تسليمها - في محيطين لا يستلزم اولاً ان يكون احدهما منشئاً للآخر كما لا يستلزم ثانياً ان يكون احداً المتشابهين بخصوصه كحيوان البحر منشئاً للثاني بخصوصه كحيوان البر ومدعى ذلك مجازف . وذكروا جدى عقيب تلك النقول التي حكيناها عن دائرة معارفه معبراً الوجوه التي استدلوها بها على مزاعمهم فقال ان دهشت من هذا الامر واظهرت استبعادك لحصول الانتقال من البحر الى البر لتباين الطبيعتين واختلاف البيئتين قالوا لك هو ان عليك وثق ان هذا الانتقال لا يجافي العلوم الطبيعية في شيء فان الهواء الذي يحيط بالكرة الارضية يحتوى على كثير من الجزئيات المائية وليس الماء الا هواء فيه جزئيات مائية اكبر حجماً واكثر رطوبة فهو اذن اثقل من هذا السيل العلوى الذى الصقنا به اسم الهواء : اه .

اقول اذا تم فرض ان ليس الهواء الاماء وان ليس الماء الا هواء فمن الغلط تصدير المطلب بقوله لتباين الطبيعتين و اختلاف البيئتين فان هذا الفرض الذى زعموه انتج في الواقع اتحاد الطبيعتين واتفاق البيئتين واصبح تصوير انتقال الحيوان من البحر الى البر كتصوير سفر الانسان من بلد الى بلد آخر سهلاً يسيراً : ولكن هذا الفرض يكذبه الحس وان البر والبحر من هويتين و ان حياة اكثر الاحياء في

البيئتين تنعدم في الانتقال من احدهما الى الاخرى بمهلة طفيفة .  
ثم قال وجدى ويضيفون الى ذلك : اى الى ما ذكره من المقربات لتثبيت  
مزاعمهم : ان الضرورة نفسها لها اليد الطولى فى تسويغ هذا الانتقال فقد يحتمل  
ان طائفة من هذه الحيوانات كانت فى قاع بحيرة من البحيرات فاخذماء هذه البحيرة  
يجف شيئاً فشيئاً فوجدت هذه الكائنات نفسها مجبورة على المعيشة فى الجواهوائى  
ويحتمل ان تكون قد حاولت القفز من تلك البحيرة الى البحر المجاور هرباً من  
حيوان مفترس فسقطت فى غابة اودغل من القصب فهمت بالرجوع الى مستقرها الاول  
فاجهدت نفسها فى القفز فلم تستطع ان تدركه ولكنها تحصلت بهذه المحاولة على  
خاصية الطيران .

اقول اذا كانت الضرورة المقترنة بالمضطر تسبغ له الانتقال من حال الى  
حال وتخلق له طريقاً يتخلص به من الاضطرار الذى هدد حياته بالا نزاعات  
والاحتياجات الملحة فما اكثر المضطرين فى العالم ضرورة واقعية بحيث ربما اعجزت  
بعضهم فانتحر خلاصاً من اذيتها المقلقة و لم نجد للضرورة اقل مساعدة لمثل هذا  
البأس الشقى : ثم ما بال الضرورة اعرضت بكشجها عن هذه الاسماك التى نراها  
تقفز من الماء احياناً باختيارها فتقع على الارض ويعجزها العود الى مستقرها فتموت  
بعد بضع دقائق فهلا خلقت لها اجنحة او مكنتها من المعيشة فى الجواهوائى : ولم  
كانت هذه الضرورات تفعل الافعال المحيرة للعقول فى العصور الخالية ثم نراها  
هدأت عن كل حركة بعد ما طلع نوع البشر على محيط الارض انها لعمر ك الصلافة  
فى ارتجال الاقوال .

ثم قال عقيب ذلك وفى هذه الحالة : اى حالة القفز التى تحصلت بسببها على  
خاصية الطيران - تشققت عواماتها من الجفاف الذى احقق بها لفقد الماء ثم انها  
وجدت فى تلك الغابة ما يغذيها من المواد فلم تمت بل بقيت حية ولكن الا نابيب  
المحر كة لعواماتها انفصلت بعضاً عن بعض واستطالت واكتسبت ريشاً وبعبارة اوضح  
تحولت جدرانها التى كانت متلاصقة الى حالة اخرى ثم اكتست اجسامها بريش

دقيق ملون بالوانها الاصلية فكبير هذا الريش شيئاً فشيئاً حتى استحال الى اجنحة :  
 اما الاجنحة الصغيرة التي كانت تحت بطونها والتي كانت تساعد على السباحة في  
 البحر فقد استحالت الى اقدام سمحت لها بالمشي على الارض و حصل ايضاً تغيير  
 غير ما سبق في سائر اجزاء أجسامها و بذلك ظهرت بهذا المظهر الذي عليه الطيور  
 كلها الآن .

اقول هنا نقطة ينبغي التريث عندها اولاً ويلزم تحليلها ثانياً - اما اولاً - فان  
 (مايه وتليامد) زعما ان كل ما في الارض من حيوان سواء أ كان ماشياً على قدميه  
 ام طائراً بجناحيه ام متسحباً على بطنه الا وفي البحر انواع مشابهة له او قريبة منه  
 وهذا الزعم ان ثبت اغنى عن هذه الفلسفة الباردة : انها اجهدت نفسها بالقفز لمالم  
 تستطع العودة الى مقرها الاصلى فنحصلت بهذه المحاولة على خاصية الطيران فخلقت لها  
 الضرورة الملحة اجنحة وريشاً وارجلاً : فان المشابهة التي يدعونها بين حيوانات  
 البر والبحر تكون اشبه شيء بما يقال ان انسان الحبشة يشبه انسان العراق فاذا ساءت  
 الضرورة انسان الحبشة الى سكنى العراق اجبرته فقط على تغيير بعض الرسوم والعادات  
 ولم تزد على ذلك لان انسان الحبشة يملك ما يملكه انسان العراق من اجهزة واعضاء وليس  
 بحاجة الى عضو جديد يفقده انسان الحبشة ويتمتع به انسان العراق حتى تخلق له  
 الضرورة عضو أمثله : واذا كذب هذا الزعم من هؤلاء القوم و كان هدفهم تعليل كيفية  
 تحول السمكة الى طير يطير في الفضاء فذلك فيه من المؤاخذات ما لا يأتى عليه حساب  
 اما اولاً فليس كل ما يهرب من حيوان مفترس يقع في غابة تحميه منه فان وجود  
 الغابات ليس لازماً لكل هارب وفرض صدفة عثوره هذه الاسماك بالغابات فرض مجرد  
 تحكمت به القرية : هذا والاسماك غاية ما تستطيع ان تقفز مترين او ثلاثة امتاراً شيئاً يقارب  
 ذلك لانها تستطيع القفز مسافة بعيدة وهانحن نشاهد السمكة تقفز من الماء فتقع على  
 جرف النهر بمسافة امتار معدودة فتعجز عن العودة الى الماء ولا ترى لنفسها حيلة  
 الا التسليم لداعى المنية في حال ان على حافات اكثر هذه الشطوط والا نهار كثيراً  
 من الاشجار الملتفة والغابات الواسعة ومع ذلك لانراها تقفز اليها او انها تكثر من القفز

حتى تحصل بهذه المحاولة على خاصية الطيران وكم بودها ذلك ولكن قصور طبيعتها يقعد بها دون الاقل من هذا المرام .

و ( ماويه وتليامد ) يعترفان بهذه المشاهدات التي نلمسها بحواسنا للاسماك ولكنهما اشتها ان يفرضا بعض خيالاتهما على العالم فيقولان جملة من الاسماك ملئت من بقائها في البحر فرفعت امرها الى الضرورة فسرعان ما حولتها طيوراً ذات اجنحة وريش ورجلين وحواصل وقوانص وصياصي وغير ذلك مما في الطيور من اعضاء لا يعرفها نوع السمك وليست هي من اجهزته اصلا .

واما ثانياً فليس القفز مما تترتب عليه خاصية الطيران و الالطارت حيوانات كثيرة لا تبارح القفز في طول حياتها . واما ثالثاً فلم تشققت عواماتها من الجفاف الذي أحرق بها الققد الماء فان اجبت لعدم الحاجة اليها حينئذ قلنا فلم لا يقولون ذلك في اثناء الرجال و العصص الموجود في كافة الناس فانهم يدعون ان اثناء الرجال اعضاء اثرية حدثت فيه عندما كان الرجل يشارك المرأة في ارضاع اطفالها و ان العصص بقية ذنب القرد الذي تحول عنه الانسان فمسلا استحال اثناء الرجال بعد بطلان الحاجة منها الى اعضاء اخرى يحتاجها الرجال و هلاستحال العصص ايضاً الى عضو عامل يستغاد منه : واما رابعاً فان القفزان يكن حصل لها خاصية الطيران لتخلص من مطاردة الحيوانات المفترسة فلم كسى انايها المحركة لعواماتها بعد ما انفصل بعضها عن بعض واستطالت بصورة اجنحة ريشا دقيقا ملونا فان الطيران لا يلزم ان يكون بريش فان الخفاش يطير من غير ريش و اذا كان المنظور من القفز هو تحصيل خاصية الطيران طلبا للسلامة فما الداعي الى التغييرات الكلية الموجودة في الطيور المفقودة في الاسماك مما لا يربط له بعالم الطيران اصلا كالقوانص و الحواصل و الصياصي وغير ذلك بصورة مباينة تمام التباين لما يجده هذان العنصران فهل هذا كله نتيجة القفز المحصل على خاصية الطيران هرباً من الكواسر .

ولقد اجاد العلامة ( كوفيه ) حيث قال في حق هؤلاء ان بعض الماديين من اصحاب المبادئ المادية قدر ضوابان يكون النصر المقلدين لنظر ( ماويه ) وذلك

انهم لمارأوا ان كثرة استعمال عضو واهماله يزيد او يقلل من قوته و حجمه توهموا ان العادات والمؤثرات الخارجية يمكنها ان تغير تدرجاً اشكال الحيوانات لدرجة انها اوصلتها على التعاقب لما نراه الان في انواعها المختلفة و هذه نظرية اكثر بعداً عن الحقيقة من كل النظريات التي خضناها آنفاً انهم يتوهمون ان الاجسام المتعضونة تشبه كتلة من العجين وتقبل التشكل بين الاصابع : بمجرد ان ابتداء هؤلاء العلماء بالدخول في تفصيل نظريتهم جلبوا على انفسهم السخرية و الاستهزاء بان الذى يستطيع ان يتجاسر على القول بان السمكة بمحاولتها واجتهادها لان تعيش في الجفاف ترى اصداها تتشقق وتستحيل الى ريش فتصير عصفورة او ان حيواناً من ذوات الاربع لشدة ميله للمرور من طريق ضيق ينقلب الى ثعبان قلنا ان الذى يستطيع ان يتجاسر على هذا القول لا تكون نتيجة علمه الا الدلالة على جهله المطلق بعلم التشريح- اه ووجدى مادة الهـص ٥٣٠ . اقول ما قاله هذا الرجل فضلا عنه و ارداتم ورود على نظريات هؤلاء قليل في ردهم زهيد في حقهم : هذا ما لزم تحريره في تهية هذه الرسالة .

## ( ٢ - نهج البلاغة و تعريفه للإسلام )

ومقدمة نقول : من اللؤم ان يقصر الانسان نظره على نفسه والاعتداد بما يمت اليه ولا يسمح لنفسه ان تنظر في مصالح المجتمع الذى هو بعض من ابعاضه كما تنظر الى خاص شؤنه : ومن الغريب ان نرى هذا اللؤم الذى نتحدث عنه مستشريا بين عموم العناصر والطبقات متسرباً الى كافة الافراد ولم ينبج من هذه البلية الامن نشأ على المثالية واخذ اليها وما اقل عدده فنحن على طول الزمان لانزال نرى الغربى في مغازة عن الشرقى والابيض بعيداً عن الاسود والعربى مترفعاً على الفارسى بل وحتى تصل النوبة بعدهم سافة ساحقة من هذه المقارنات الى اعتزاز ساكن البلدة ببلد سكناه وانحطاط ما سواها في نظره واعتداده ببيته الخاص فى قبال كل ما خلق الله واعتناؤه بنفسه حتى كأن عامة المخلوقات لاتعيش الا على الهامش وانه هو وحده الاصل الاصيل فى مادة الكون . وليس هذا الابتلاء قائماً بالعوام ولا بالسذج البسطاء ولا بقليلى المعرفة بل هو داء تخلص

حتى الى المعروفين بالفضيلة وتغلغل حتى فى احشاء الفلاسفة و مضى يغذ حتى فى اشباه المثاليين والدليل على كل هذا وذاك قديماً وحديثاً فى العهد الحجري والعصر الذهبي ما نراه من مغالبة الغربى للشرقى الى آخر الحديث الذى اسلفناه على حساب الانانية وحب الذات واعتزاز كل انسان بنفسه واحتقاره لغيره لاعن داع معقول ولو كان هناك بعض الحاجة الى ان يفترس الفرد منأخاه لضرورة تدعوه لكان له بعض العذر بان الانسان حيوان يغالب فى سبيل احتياجاته كل من يتمكن عليه .

غير ان القضية وراء ذلك بمراحل ووراء ما يقال من تنازع البقاء لنيل حاجة القوى من الضعيف و ان اهم بواعثها الشره المحض و التعدى الممقوت و كلاهذين الباعثين ليسامن نتائج الاحتياج وانما هما حرص وطمع وانانية لايشوبهاشئ من المنطق والعمدة من بين كافة هذه الدواعى هى الانانية النافهة الى ابعدهد والا فما محصول البيض من احتقار السود وتعدى الغربى مع ما هو عليه من نعيم و سعادة على الشرقى البائس كما لامحصول ايضاً من ازدراء الفارسى للربى وبالعكس وهلم الى آخر سلسلة المنافسات السمجة التى اشرنا اليها .

ومن الغريب جداً ان يجيء العصر الحاضر على ما فيه من عقول واجهت الواقع وجها لوجه وعرفت غث الكون والكونيات من سمينها وحذفت عن الدنيا اغلب فضولها الذى كان يعد من سنن الكون ومن جملة الحقائق حتى فى نظر فريق من علماء الماضى مؤيداً- فكرة الانحياز والعنصرية فيرى العربى انه يجب ان يكون عربياً قبل اى شئ آخر من لوازم الروح والجسد وهكذا التركى والفارسى الى آخر ما خلق الله ويرى العقائد والاخلاق امرين تابعين للمزاج العنصرى لانهما متبوعان و هذا من غلط التفكير بمكان لعلم الجميع ان البشر ومهما كان فى بدء نشوءه فهو بالآخرة يتصاعد الى سلالة واحدة ويملك اجهزة متماثلة فى الانتاج فالحامى و السامى فرعان من اصل واحد و عقول الشرقيين والغربيين من واهب فذلّم يفاوت بين واحد وآخر فى مادة الهبة ولايكاد يؤثر على هذا المعنى تجزء هذه الكليات الى افراد منتشرة فى طول الكون وعرضه وليس الماء والتراب بماهما ماء وتراب من المؤثرات على صميم

الحقيقة قطعاً: غايته ان جودة المناخ وردائه تعدان من جملة الاقتران التي تقترن بحياة الكائن الحي فربما ساعدته على تقدمه ونضجه واغباطه وربما تقهقرت به عن اصل الاعتدال الذي فطر عليه وهذا كله عرض لايمس بجوهر الحقيقة .

اذن فعالم العقائد والاخلاق عالم بحياله يتصل بالعقول بماهى عقول فالمبدأ العلمى والخلق الفاضل لايفاوتان فى مادتهما بين الابيض والاسود والغربى والشرقى والعربى والفارسى اذلاعرض لهما فى هذا التحيزو ليس هو من شأنهما بالمره والى هذا دعت الاديان السماوية فانها استهدفت الجميع بالدعوة الى رمز العدالة واحقاق الحقوق والتضامن الاجتماعى وكل خلق فاضل وذلك الرمز هو - الله - محور دعوة الرسل والانبياء والمثاليين .

واما تحزب الاسرائيليين لموسى وحده والغربيين لعيسى فقط وجهلة المسلمين لمحمد دون غيره من الانبياء فهو مخلوق عواظفهم ولا تمت الى الواقع بصله كما ان تنديد كل ديانة بقبيلها تنديد فارغ منشؤه حب الامتياز لا الاصحاح بالحقيقة حتى انك لترى مالك احد الاناثين من مصنع واحد ومادة واحدة يفتش على مزايا و لو وهمية لانه حتى يميزه على الاناء الاخر: وقدأصحح القرآن الكريم من بين كافة الكتب المنسوبة للسماء الموجودة اليوم بالنص الذى عبرنا عنه فقال (الاية ٢٨٥ من سورة البقرة) آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا تفرق بين احدهم رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير .

وهذا المعنى من حسنات دين الاسلام بما لا يوجد فى دين سواه : ولا يريد بالاسلام كلا من نزعات المنتسبين اليه بل اريد به الدين الذى كان على عهد مشرعه ديناً له ولاتباعه . ونحن الان بصدد تركيز هذا المبدأ على قواعد المنطق ليكون فريضة على العقول كلها وليكون دين الحياة والاحياء باسره فقول كليات دين الاسلام هى ما يدور على محور .

(١) التوحيد .

(٢) والاعتراف بالعدل والقيام به .

(٣) ومساواة الجميع امام القانون .

(٤) ونزع القشر الطبقاتى وتوحيد العناصر امام الدعوة والغاء فوارق الانساب

والالوان .

(٥) وتساوى الحقوق بين الافراد

(٦) والقضاء على الفقر والخنوع .

(٧) وتحديد المكاسب ونتائجها وتعديل الثروة من طريقها .

(٨) واحترام العلاقات المشروعة .

(٩) والزجر عن المفساد والتشديد فى اقامة الحد عليها .

(١٠) والغاء التوسيط فى اتجاه العبد نحو المعبود .

(١١) وترويج العلم الى أبعد حد .

(١٢) والدعوة الى الاعتدال فى كل شىء على الاخص فى القصد المعيشى .

(١٣) وتحريم الظلم والانحياز الى الظالم .

وفى أطار هذه الكليات تنطوى مضامين نفيسة لها قيمتها فى تسيير المجتمع على

الخطة العادلة بما لا وجود له فى كافة الاديان السماوية والقوانين الارضية بالشرح التالى .

## (١ - التوحيد بالمبدأ)

ويراد به لزوم الاعتراف بكون مبدأ جميع الكائنات واحداً وهو اصلها الاصيل

وباعت حلقاتها الى الوجود وهذا على اجماله اصل لا ينكره ذوشعور فى الكون وان

تفاوتت الآراء فى تفسيره فمقصر منحرف يراه الاثير المزعوم و متوسع الى أبعد

حدود الشذوذ كما يراه ابن تيمية وأصحابه لكن الحق لا هذا ولا ذلك : واما انه

الشمس والقمر والكوكب او النار او النور او ما الى ذلك من شتات الكونيات فهو

جهل عارم وانحطاط فى العقل يرثى له واحسن معبر عن المبدأ الصحيح ما جاء فى جملة

من آى الكتاب العزيز بصريحاً فى مضمونه ظاهراً فى معناه مقبولاً للمعقول الناضجة

والموازن العلمية نظير هذه المقتطفات (من الآيات ٩٥ وما بعدها من سورة الانعام) .



ان الله فالق الحب والنوى يخرح الحى من الميت ومخرج الميت من الحى ، فالق الاصباح وجعل الليل سكناً والشمس والقمر حسباناً ، وهو الذى جعل لكم النجوم لتبهتوا بها فى ظلمات البر والبحر ، وهو الذى أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع ، وهو الذى انزل من السماء ماء فاخرجنا به نبات كل شىء فاخرجنا منه خضراً نخرج منه حباً متراكباً ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من اعناب والزيتون والرمان مشتبهاً وغير متشابه ، وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون ، بديع السموات والارض انى يكون له ولد ، ذلكم الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شىء فاعبدوه ، لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير : هذا نموذج قليل مما فى القرآن وفى السنة طوائف مهمة لتثبيت هذا الاصل من طريق العقل .

واما الرب الذى شوهته الديانات الاخرى الموجودة اليوم فليس هو الرب الذى دعا اليه الانبياء واعترفت به العقول واضطر الى قبوله العيان الصريح ، وفى القرآن دليل واضح وتنديد فاضح لما يقوله معاصروا نزوله من المنتسبين للدين السماوى يهوداً كانوا ام نصارى ام غير هذين الفريقين : ونظرة الى قوله تعالى (الاية ١٧٠ و ١٧١ من سورة النساء) يا اهل الكتاب لاتغلو فى دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم انما الله واحد سبحانه ان يكون له ولد : لن يستنكف المسيح ان يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون ، والى قوله تعالى (الاية ٢٠ من المائدة) وقالت اليهود والنصارى نحن ابناؤه واحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل انتم بشر ممن خلق : تكفى فى طرد مزاعم القوم وتصحر بجلاء ان الاسلام دين الفطرة ولا منقذ للانانيات فيه .

والتوحيد بلونه الآنف فى القرآن وفى دين الاسلام طارد للشرك بجميع اقسامه كما ان التوحيد فى العقيدة يرمز فى هذا الدين الى التوحيد والتكاتف فى العمل وقد اُعربت عنه نصوص جملة فى القرآن منها قوله (الآية ٣/١٠٣) واعتصموا بحبل الله

جميعاً ولا تفرقوا ، ولا ريب ان المطاف اذا كان واحداً و المحور فذاً جاء المجتمع كتلة واحدة يطوفون حول هدف واحد ولا ينقسمون على أنفسهم الا اذا تعاكست الجهات وتعدد المحور الذى يدورون حواليه: وفي الانقسام ما فيه.

## (٢- العدل)

واما العدل وتأصله فى دين الاسلام فهو الاعتقاد بان المبدأ الفياض الذى صدر عنه شتات ما فى الكون لاتحيز فيه الى طرف من الكونيات دون طرف فهو فى كل نوع من انواع المخلوقات أفادما وهبه اياه هبة متساوية الحصص فى افراده متمثلة النتائج فى الانتاج ، والشذوذ فى الخلقة احياناً لا يهدم الكلية المتحدث عنها : و فى القرآن آيات تنص على هذا المعنى : منها (الآية ٨ من سورة الروم) اولم يتفكروا فى انفسهم ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق (والآية ٧ من سورة السجدة) الذى احسن كل شىء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين (والآية ٣٨ و ٣٩ من سورة الدخان) وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعين : ما خلقناهما الا بالحق (والآية ٢٠ و ٢١ من سورة الجاثية) ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا و عملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون : وخلق الله السموات والارض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون : الى غير ذلك مما هو كثير .

والعدل اصولاً قوام طبيعة اى شىء يفرض لان الانحراف عن نقطته يفضى الى واحد من طرفى الافراط والتفريط : ونتيجة كل منهما الانهيار المحتم ولذلك شامت منظرة الانسان فى دنياه لما انجرف وضعه عن الوسط فى كل ما يمت اليه وتذبذب الى واحد من جانبي التقصير والاسفاف ، ومن الغريب ان كل فرد من افراد الكون ذاق وبال امره من هذا التلوى المزعج ، ومع ذلك نراه اذا اراد الانتقال عنه لم ينتقل الا الى الطرف المعوج الآخر : و كم سأم المتهتك من تهتكه واسترذل نفسه من اجله و احب ان يرى شخصه متيناً وقوراً فها بت به غريزته الانحرافية الى التزمت و البيوسة فلم يقلع من ذنب حتى وقع فى ذنب يجاذيه فى انتاج السوء .

وقد ألهب الإسلام في أفراد روح العدل والانصاف والاتزان والاعتدال جهد مستطاع القول والعمل فأثر في البيئات الاسلامية اثراً له قيمته وثمرته وعززت وقعه تعاليم اهل البيت عليهم السلام فكان يوجد في كل قطر وجيل افراد مرموقون في حلية التخلق باخلاق الله وعباده المخلصين .

ولم ينهدم ما بقى قائماً من هذه المعالم العالية الا بعد أن ضاقت المادية و الالحاد الجاف ابناء الدنيا و سيقوا الى الكفر بكل المبادئ الفاضلة سوفاً اجبارياً بعوامل شتى ادت بالخلق الفاضل ان يعود اضحوكة بين الناس يسخرون منه وينددون به و يهرجون وراء صاحبه صياحاً و نعيقاً حتى ادى به توحش الوضع ان ينجحرفى بيته و ينكمش فى زوايا الخمول ، و ان يحتسب وجوده و حياته عند الله فيموت تأثراً و لا يعود يخلفه فى طريقته من شاهد هذه الظاهرة الكالحة و الطلعة الشوهاء ، اما اقوال الاسلام فى ذلك فأيات و روايات لها حظها من التجليل و التبجيل منها قوله تعالى (الاية ٣ من سورة النساء) فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى و ثلاث و رباع فان خفتم ان لاتعدلوا فواحدة : و قوله (الاية ٢٨ من السورة المزبورة) يا ايها الذين آمنوا لاتأكلوا اموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة عن تراض منكم : و قوله (الاية ٥٧ من السورة الانفة) ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها و اذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل : الى غير ذلك وهو كثير .

و اما اعمال الاسلام القائمة بالعدل المطلق فنظرة استعراضية لا فعال النبى صلى الله عليه و آله و سلم و على (ع) و الاجلة من تلاميذ مكتبتهما توقفك على ما لا يحصى كتاب من مجالى الخير و المعروف و العدل و الانصاف بل و الايثار و ما بهذا المختصر ان يقوم بقليل من ذلك فضلا عن كثيره .

### (٣ - المساواة امام القانون)

صرح القرآن وفقاً للطبيعة بان السنخية البشرية من نوع واحد لعنصر واحد (هو الذى خلقكم من طين : ٦/٢) وهو الذى انشأكم من نفس واحدة : ٦/٩٨ :

يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكروا نثى : ٤٩/١٣ : ومن لازم ذلك ان يكون القانون للجميع واحداً وان الناس فى قبالة سواسية لا يفترون : وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس والعين بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن والجروح قصاص : ٥/٤٨ : و لم يتعظم على وحدة القانون نبى ولا وصى بل كانا فى ذلك للسائرين قدوة كما قال تعالى : لكم فى رسول الله اسوة : ٣٣/٢١ : واما مبهرجات الغلاة فبدع خلقتها الحماقة او السياسة للغرض من مكانة الدين وتفريق اهله شيعاً : وما محمد الارسل : ٣/٤٤ : قل انما انا بشر مثلكم : ١٨/١١١ : والكرامة الاخرية على ميزان الجهود المبذولة فى سبيل الله وصالح عباده امروراء القانون التشريعى لاقامة النظام : قال على عليه السلام لعبدالله بن زمعة ان هذا المال ليس لى ولالك و انما هو فىء للمسلمين وجلب اسيا فيهم فان شر كنهم فى حربهم كان لك مثل حظهم والافجناة ايديهم لا تكون لغير افواهم : وقال على عليه السلام ايضاً فى فصل آخر : ان حكمه فى اهل السماء والارض لواحد وما بين الله وبين احد من خلقه هوادة فى اباحة حمى حرمة على العالمين : وعن النبى صلى الله عليه وآله : انه قال انا و امرءة سفعاء الخدين كهاتين يوم القيامة و اوماً بالوسطى و السبابة : وفى المجازات النبوية المسلمون تتكافؤ دماؤهم ويسعى بذمتهم ادناهم : وقد اشعر الله نبيه صلى الله عليه وآله ان يصحر للناس عن هويته فى المجتمع حتى لا يغتر بعظمة مقامه الافراد فقال : قل لا اقول لكم عندى خزائن الله و لا اعلم الغيب و لا اقول لكم انى ملك ان اتبع الا ما يوحى الى ٦/٥٠ .

#### (٤ - نزع القشر الطبقاتى)

واما نزع القشر الطبقاتى وتوحيد العناصر امام الدعوة والغاء فوارق الانساب والالوان فقد ألمع الى جماع ذلك كله قوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيراً منهم ولانساء من نساء عسى ان يكن خيراً منهن : ٤٩/١١) و : يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكروا نثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم : ٤٩/١٣ : انما المؤمنون اخوة : ٤٩/١٠ : وخطب النبى (ص) الناس

يوم فتح مكة فقال يا ايها الناس ان الله قد اذهب عنكم عبية ( ١ ) الجاهليه وتعاضمها  
بآبائها فالناس رجالان برتقى " كريم على الله وفاجر شقى هين على الله والناس بنو آدم  
وخلق الله آدم من تراب : وقال ﷺ المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً  
وشبك بين اصابعه : وقال ﷺ كلمكم ابناؤ آدم طف الصاع لم تملؤه لافضل لعربي  
على عجمي الا بالتقوى :

هذا كله و الذى سبق عليه من سنن الطبيعة و كنوز العقول الموهوبة و ليس  
الاسلام بمبتدع امرأ وراء ذلك و لكن فضله فيه كفضل من فلا الطبيعة و توغل في اسرارها  
فجاء بالعجب العجاب كشفاً و اختراعاً و الا فالجميع كائن و حاصل و المرحلة الاولى  
اشد خفاء و اليق بالاحتفاء من المرحلة الاخرى فان طلسم تفاوت الطبقات و الانساب  
و الالوان بقى كما هو حتى عندمكتشفى الذرة و نافثى الصاروخ و مرسلى السفينة الى  
القضاء لمانراه من احتقار بيضهم لسودهم و امتياز الاشراف بانفسهم عن سواهم و هلم  
دو اليك في كافة شؤون الامتيازات الطبقاتية الدارجة في اجد عهد للمحضارة .

اما الاسلام فقد كانت اولى نزعاته تحطيم هذه المباني الظالمة و لقد حظى في  
دولته الاحلاف و الموالى و الجالون و من يسميهم الناس عبيداً من طريق الكمال المعنوى  
بأقصى ما يحاول انسان ذو آباء و امهات و غطرسة ببياضه و جماله و ماله و عشائره و ذخائره  
و اعداده المادى فسمى سلمان المجهول المستعبد الجالى سلمان المحمدى و سلم ان  
الخير و سلمان منا اهل البيت و انه احد السباق الاربعة و هكذا فعل بصهيب الرومى  
و عمار حليف مخزوم و بلال الحبشى و بمقدار ما شاد من أقدارهم حط من كيان طواغيت  
القبائل المعتزين باعراض واهية و صور شكلية فاقدة لشوب الجوهريات .

هذا عصر النور و عصر التمدن و عصر الذهب و الذرة و الصاروخ و السفينة الفضائية  
و عصر جامعة الملل و منشور حقوق البشر و ارقى عهود الحرية فيما يقال و عصر الكلبيات  
و الجامعات للساعة التى نحن فيها لم يستطع ان يسخف فكرة اللون فهو يرى البيض  
فوق السود و فوق اى لون آخر و لافكرة ابن الحاضرة و البادية و ان المدينة لافضل  
لها على القرية اذا كان منتوج الاثنين شيئاً واحداً و لافكرة الاشراف و طبقة العمال

وان الفريق الاول اذالم يجلب الشرف الى نفسه بالكمال الروحي فهو انما يز يدعى الثاني ببراقعه الشفافة وثيابه الحريرية الرفافة وقصره الشامخ البنيان ولافكرة المتمول على غير المتمول ولاصاحب الرتب الحكومية على فاقدها وباجملة هو يدعى الحرية ولاوجود لها عنده الا بشبح ضئيل لا يشف عن خير وراءه .

ولا يوجد على ظهر الكرة من يدعى المساواة بين شعوبه الا المرام الشيوعي و نظامه والاحرية المتبسطة الانوع دول الغرب الكبار الحامية لنفسها والقائمة بشؤون التمدن لافرادها وكلا الفريقين منحرف ضال ومنافق دجال .

اما المرام الشيوعي فاقصى ما يعرفه السلب والاغارة و خنق الاصوات و كبت العواطف وحكومة الارهاب واشهار السيوف الحمر و الاستبداد الماحق . واما الدول الرأسمالية المتحررة فيوجد فيها من حرية التصرف الشيء الكثير الا ان عيوب التفاوت الطبقاتي وامتيازات العناصر ووزنة الشرف بميزان الاعراض التافهة فيها اكثر وقضية السود والبيض فيها لا تنكرو فيها من الهمجية والوحشية ما لا يعدو لايحصر .

اما الاسلام ففي حذفه لهذه الزوائد الانحرافية علماً وتحقيقه عملاً ما هو فيه من المقارنات الزمانية والمكانية و الاحتفافات الاخر فقد ابدع الى حدود الاعجاز يقيناً فان الدار التي تحقق فيها الغاء هذه الفوارق والامتيازات هي جزيرة العرب مهبط الانانيات والتفاخر و التكاثر حتى بالتوافه فضلا عن الكماليات التي قد يعترف لها بشيء من القيمة ومسقط رأس حب الذات والتعاليات الفارغة والكبرياء الممقوت وما جززت الحروب اهلها جزر الغنم الاعلى حساب هذه المكاثرة والمهاترة .

والزمان الذي ولدت فيه هذه الفكرة كان زماناً اكثر اتجاره باسترقاق البيض للسود وبيعهم في الاسواق بيع الحمير وكان فيه التفاوت الطبقاتي على حساب الآباء و الامهات والاموال والسلاح والكراع بالغاً اقصى غايته .

و الخلق الذي انبثقت فيه هذه الفكرة هو الوحش الضارى الذي لا يعرف للمعنويات اى ثمن ولا يعتبر امثال هذه الفكر الاجنواً مطبقاً ويعد الاصحار بها من هذيان المجانين .

والباعث لهذه الفكرة انسان من هؤلاء في محيطهم وزمانهم وفصائلهم العشائرية ولم يك انساناً خارجاً عنهم في ذلك جالياً عليهم من امة اخرى او ارض منقطعة عن ارضهم كما لم يك عالماً في نفسه ولا متعلماً من انسان سواه اذ لا حظنة للتعليم والتعلم في ارض اهلها بالمائة مائة عاميون لم تتسرب اليهم من خارج محيطهم فكرة ولا صنعة : و الدليل عليه ان مكة ام القرى هي اعرف بلد في بلدانهم واقدس مكان في زمانهم بل هي الصفة في كل شىء من اشياءهم وهي هذه التي نتحدث عنها - اقامت قيامة الانكار في وجه النبي محمد ﷺ واذته جهده المستطاع ونفته الى الشعب عدة سنين و طارده مطاردة عنيفة لم تبق عليه ولم تذر ولم تؤمن بفكرته الا عام الفتح خوفاً من انتقاص قواه عليهم وذلك بعد واحد وعشرين سنة من نهضته بدعوته وبعده حروب شعواء شنوها عليه مرة بعد مرة اكلت منهم ومنه ارواحاً لا يستهان بها .

بعث بهذه الفكرة لسانا و قام بها عملا جاهراً فكان يندد بالصنم و عابده و بشرف المال وصاحبه و بالاباء و الامهات الفارغين الا من قعقة الالفاظ و بفوارق الانساب و العناصر و الالوان فهرع اليه المستضعفون من بنى آدم و قاومه الطغاة ولكنه مع فقدة لكافة الوسائل المادية قام بفكرته و قاوم بالعزم الراسخ والتصميم الجدى كل مقاومة و ووجه بكل اذية فقبل سلمان الفارسي و صهيباً الرومى و بلا لا الحبشى و عماراً حليف مخزوم قبل ان يقبل غيرهم من اهل العناوين و الالقاب و عد هؤلاء المنقطعين المستعبدين سبباً قافاً الى الاسلام من عناصرهم و ممثلى الالوان و القوميات المنشعنة على ظهر الكرة يومذاك : و جعل في طليعتهم علياً ذاك الشاب المقتبل العمر فقال السباق اربعة على من العرب و سلمان من الفرس و صهيب من الروم و بلال من الحبشة : و لم يكتف بهذا القول حتى سوّد علياً لسابقته و ذبه عن الاسلام على بنى عبد المطلب و اخيراً جعله ابا لهذه الامة : و قرب سلمان حتى غبطه اجلة الصحابة على مقامه من نبى الاسلام : و اختص بلال مؤذناً حتى عرف بانه مؤذن رسول الله : و بهذه الموازين شخص عمار و ابوذر و خباب و مقداد و نظراؤهم و قد كان هذا الفريق من النكران و ضئالة السمعة بمكان سحيق ولكنهم جاؤا بوسيلة هذا الداعى العظيم صدوراً فى الامة

لهم كيانهم ومقامهم .

فهذا العمل الجبار قام به انسان منقطع لا يملك اهبة سوى عزمه الراسخ و تصميمه القاطع قبل اربعة عشر قرنا و حققه فى الخارج قبل ان يموت بسنين و لم يكن عمر دعوته الا ثلاثاً و عشرين عاماً ذهب اكثرها ضحية النفى و التشريد و الازعاج والمطاردة .

وهذه الامم الجبارة اليوم على ما فيها من جوامع عالية و اساتذة كبار و حرية مرموقة و قوى هائلة لم تستطع ان تحقق لهذه المفاهيم العظيمة الشان اقل رسم و لا اسم بل نراها زادت فى طنبور الجاهلية نغمات فاخذت تعد الوثبة على الضعيف لتستعبده نفساً و تستثمره مالا و تسعى السعى كله لتنهجمها و تحكمها و تخريبها و تدميرها و افسادها للمخلقة باسرها و اضاءة الاخلاق الحسنة كلها حتى احوالت دنيا البشرية الى بر كان صارخ يتموج بشروبه و اشراره و رذائله و ضلالاته و صاحت بالمجامع صيحة مشعرة بالتلف و الانهيار العام .

## (٥- التساوى فى الحقوق)

و اما تساوى الحقوق بين الافراد : ويراد به الاسهام للمسلمين فما يعود عليهم من نفع : فان الاسلام فى هذا الشأن ركز نظامه على مركز الحياة فاعتبر ان الحياة ذات وجهتين وجهة مادية تقوم بتجهيز الموجود الحى ليقطع اشواط عمره باستقامة و اعتدال و وجهة معنوية تعتبر المادة أعداداً لتحصيل الفضل و الكمال و ان الهدف و الغاية من نشأة الانسان و جهته المعنوية لا المادية لكن المادة وقعت فى طريق المعنى فكانت لزماً من اجل ذلك : و مهما كان الطريق متسعاً معبداً فانه يكون اقرب فى الايصال الى المقصد و من اجل هذا منع الاسلام عن الرهبانية لانها امانة للسعى و العمل و انجحار عن الفكر و الاعتبار و انزواء لا يثمر سوى الر كود و الخمود و طبعاً ليس المقصود من خلقة الانسان هو ذلك لانه خلاف المنطق .

كما حرم التكالب على تحصيل الحطام و التفانى فى سبيل الشهوات لانه يخلق



فى الانسان ضراوة يعود معها حيواناً محضاً لا يعرف خيراً ولا شراً ولا فضيلةً ولا رذيلةً وهذه الضراوة تحطم الاجتماع و تحيله الى بر كان صارخ بحوادثه و خطوبه و قد برهنت دنيا المادة فى جميع ادوارها على ذلك عملاً ومن جملتها هذه العصور والشوهار وعلى هذا الاساس فقد جزأ الاسلام ثمن سعى المسلم الى عدة اجزاء ، خدمة النفس والعقيدة ، والاجر الاخرى ، والمال المتقود ، فهو بخدمته لنفسه و عقيدة يرضى ضميره ، و بخدمته للدين العام القائم بالمصلحة العامة يرضى ربه ، و بأخذه بسهمه من المال يقيم صلبه ويعد حياته للسعى المتواصل فى المستقبل .

وعلى هذه القاعدة المتركة لم يمش الاسلام فى توزيعه المال بين افراده مشى من رأى ان المرء وايمانه، المرء وسابقته، المرء وبلاءه، المرء ونتاجه، وان التسهم يكون على حساب هذه القابليات : بل رأى ان المشى على حساب القابليات امر مقبول بل لامعنى للانحراف عنه فى بادئ النظر الا ان تحقيق المطلب وراء ذلك لعلل جمة .

(١) ان الفضيلة متى لوحظ بها المال والوجهة المادية عادت متاجرة لا كسب كمال فى اذن ليست قرينة للمادة وعن هذا الداعى قال تعالى ورضوان من الله اكبر .

(٢) ان الضرر الاقتصادى الذى يتوجه من مراعاة القابليات فى التسهم اكثر من

النفع الملحوظ فى ايجاد التوازن بين مقام ذى المصلحة وسهمه فاذا كانت عليا الطبقات تأخذ مقررهما فى الشهر مثل اثنتى عشر الف درهم و دنياها تأخذ مقررهما فى الشهر خمسمائة درهم او ما هو على هذا الملاك حيث يقال فلان يعد بالف رجل فان ذلك ينجر بعد مرور زمان الى تكدس الثروة فى اما كن خاصة وشيوع الفقر المدقع فى اكثر الافراد . بتوضيح ان آخذ الاثنى عشر الفاً انما يتناول منها بلغته فى الخرج وهى لانزىد

على ربع مقرر او ثلثه و الباقى يفضل ذخيرة عنده اما صاحب الخمسمائة فهو حتى لو اقتصد لا يعود مكنتياً بها فيلتجأ الى الاستدانة ليحبر قصور حاضره من حقوق مستقبله فلا يمر عليه من المستقبل شهور ثلاثة او اربعة الا وقد استنفد جميع ما يستحقه فى الشهر القادم قبل ان يدخل الشهر القادم فالطبقة الدنيا وهى الاكثر لا يعود مشيها مع الحياة الاتقهرقياً والطبقة العليا وهى الاقل تعود من خزان الاموال و كنوز الثروات الهائلة :

وهنا يحصل التفاوت الطبقتي الفاحش: كما حصل في الزبير بن العوام وطلحة ونظيرهما من الذين كانوا يختزنون اموال المسلمين من طريق السابقة بشتى العناوين حتى أثروا اثرها هائلًا وفي المسلمين يومذاك من كان في بؤس ماحق ومشقة مؤلمة في حياته.

والتسليم على حساب القابليات اسسه عمر بن الخطاب وبعد مرور عدة سنين من هذا التأسيس التفت الى غفلته فيه حيث رأى من اوعزنا اليهم قدا تسعت دائرة تملكهم اتساعاً مدهشاً ورأى الطبقات الدنيا من المسلمين صغرا لا كف معوزين من كل شيء فصمم على تغيير خطته لكن اجله لم يمهل: وجاءت نوبة عثمان بن عفان وفيها كان الخطب الفادح في التبويض والتفاوت ومن هذه الفجوة اخذ وقتل .

ولما جاء دور علي عليه السلام ابطل كل هذا وذاك وقسم الحقوق بالسوية واحال اهل السوابق والفضائل الى ما عده الله للمتقين : ومن بعض مقاله (ع) في ذلك : أأمر وني ان اطلب النصر بالجور فيمن وليت عليه والله لا اطوره ما سمر سمر وما ام نجم في السماء نجماً ولو كان المال لي لسويت بينهم فكيف وانما المال مال الله : وانما ذهب على ضحية هذه المساواة المشروعة التي لم ترق في عين طلحة والزبير ومئات نظائرهم بعد ما اكلوا الدنيا بخافقها فقاموا في وجهه يثيرون القلاقل عليه حتى امتلأت حياة علي عليه السلام بالحوادث السود ولولا انه بطل من اعظم ابطال الوجود لتهافت في اوائل ايامه ولكن استمرت سنينه الخمس لبطولته واجتماع اشده .

(٣) ان توقع صاحب الفضيلة من المال اذا كان بميزان فضيلته فقد هدم الدين الذي يسعى لتأييده وابطل وسائل ترقيه ووقف في سبيل تقدمه لان غمار الناس لا يزنون الحياة والمعنويات الا بميزان المادة لنبوهم عن معرفة غيرها فاذا تكدس المال في اصحاب السوابق والفضائل شغل الجانب الاخر وبقى على بعده عن الدين من كان بعيداً : ومن هنا شرع رسول الله مسألة التأليف وجعل للمؤلفة قلوبهم سهماً وافرأفى اموال المسلمين ليكسر من شرهم على الدين واهله ويقلل من شر استهم ويقرب بهم الى منطقة الحق والانضمام الى حوزته : ودونك الحديث التالي .

قال ابن سعد في الطبقات . وهو يتحدث عن اموال هوازن وغنائمها - واعطى المؤلف

قلوبهم اول الناس فأعطى اباسفيان بن حرب اربعين اوقية ومائة من الابل قال ابني يزيد قال اعطوه اربعين اوقية ومائة من الابل قال ابني معاوية قال اعطوه اربعين اوقية ومائة من الابل واعطى حكيم بن حزام مائة من الابل ثم سأله مائة اخرى فأعطاه اياها واعطى نصير بن كلدة مائة من الابل واعطى اسيد بن جارية الثقفي مائة من الابل واعطى العلاء بن حارثة الثقفي خمسين بعيراً واعطى مخرمة بن نوفل خمسين بعيراً واعطى الحارث بن هشام مائة من الابل واعطى سعيد بن يربوع خمسين من الابل واعطى صفوان بن أمية مائة من الابل واعطى قيس بن عمرو مائة من الابل واعطى حويطب بن عبد العزى مائة من الابل واعطى هشام بن عمرو والعامري خمسين من الابل واعطى الاقرع بن حابس التميمي مائة من الابل واعطى عيينة بن حصن مائة من الابل واعطى مالك بن عوف مائة من الابل ويقال خمسين - الى ان يقول هو وغيره - ان قائلاً قال لرسول الله ص من اصحابه يا رسول الله اعطيت عيينة بن حصن والاقرع بن حابس مائة مائة وتركت جعيل بن سراقه الضمري فقال رسول الله ص اما والذي نفس محمد بيده لجعيل بن سراقه خير من طلاع (١) الارض كلهم مثل عيينة بن حصن والاقرع بن حابس ولكنني تألفتها ليسلما ووكلت جعيل بن سراقه الى اسلامه .

و عن ابى سعيد الخدرى قال لما اعطى رسول الله (ص) ما اعطى من تلك العطايا فى قريش وفى قبائل العرب ولم يكن فى الانصار منها شيء وجد هذا الحى من الانصار فى انفسهم حتى كثرت منهم القالة وحتى قال قائلهم لقد لقي رسول الله قومه فدخل عليه سعد بن عباد فقال يا رسول الله ان هذا الحى من الانصار قد وجدوا عليك فى انفسهم لما صنعت فى هذا الفى الذى اصبحت قسمت فى قومك واعطيت عطايا فى قبائل العرب ولم يك فى هذا الحى من الانصار منها شيء قال فأين انت من ذلك يا سعد قال يا رسول الله ما لنا الامن قومى قال فاجمع لى قومك فى هذه الحظيرة قال فخرج سعد فجمع الانصار فى تلك الحظيرة فلما اجتمعوا له اتاه سعد فقال قد اجتمع لك هذا الحى من الانصار فاتاهم رسول الله ﷺ فحمد الله واشنى عليه بما هو اهله ثم قال يا معشر الانصار

(١) طلاع الارض ما يملؤها ويطفح عليها .

ما قاله بلغتنى عنكم وموجدة وجدتموها على فى انفسكم الم آنكم ضللا فهداكم الله  
وعالة فأغناكم الله واعداء فألف الله بين قلوبكم قالوا بلى الله ورسوله أمن وأفضل ثم قال  
الاتجيبوننى يا معشر الانصار قالوا بماذا نجيبك يا رسول الله لرسوله المن والفضل  
قال ﷺ اما والله لو شئتم لقلتم ولصدقتم وصدقتم اتيتنا مكذبا فصدقناك ومخذولا  
فصرناك وطريدا فأويناك وعاءلا فأسيناك أوجدتم يا معشر الانصار فى انفسكم فى  
لعاعة (١) من الدنيا تألفت بها قوماً ليسلموا ووكلتكم الى اسلامكم الاترضون يا معشر  
الانصار ان يذهب الناس بالشاء والبعير وترجعوا برسول الله الى رحالكم فوالذى نفس  
محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرء من الانصار ولوسلك الناس شعباً وسلكت الانصار  
شعباً لسلكت شعب الانصار اللهم ارحم الانصار وابناء الانصار وابناء ابناء الانصار قال  
فبكى القوم حتى اخضلو الحاهم وقالوا رضينا برسول الله قسماً وحظاً .

### (٦- القضاء على الفقر والخنوع)

واما القضاء على الفقر والخنوع فقد أعد الإسلام له اهتبه من عدة نواحي [ا]  
ففرض الزكوة على اهم محاصيل الناس [ب] والخمس من الغنائم عند كافة المسلمين و  
على الغوص والكنوز والمعادن وما زاد على مؤنة السنة من ارباح المكاسب عند الخاصة  
بالخصوص [ج] والكفارات على تعدد مواضعها [د] و ردود المظالم [هـ] واللقطات  
المجهولة المالك فى بعض شقوقها [و] وكل مجهول المالك من اى شىء يفرض [ز]  
والصدقات المندوبة التى لاهمية ما ورد فيها من صاحب الشرع كاد يكون المتخلف  
مسؤلاً عنها لربه [ح] وزكوة الابدان يوم عيد الفطر : وموارد سوى ذلك كثيرة وللإستشهاد  
على بعض ذلك نذكر ما يلى .

قال تعالى (الاية ٢ من سورة البقرة) فى وصف المتقين : ومما رزقناهم ينفقون  
(الاية ١٧٧ من سورة البقرة) من جملتها : وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى  
والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب واقام الصلاة وآتى الزكوة : (الاية

٢٥٤ من سورة البقرة ) يا ايها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة : (والاية ٢٦١ و ٢٦٢ من السورة المزبورة ) مثل الذين يتفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء : الذين يتفقون اموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا منها ولا اذى لهم اجرهم عند ربهم : و في القرآن الكريم مئات من امثال هذه الآيات وفي السنة اضاعاف ذلك فلا نظيل .

### (٧- تحديد المكاسب)

واما تحديد المكاسب ونتائجها وتعديل الثروة من طريقها فقد اهتم به الاسلام غاية الاهتمام ورتب له عناوين منفرزة وفصولا منحاذة ذكر فيها المشروع من غيره وحبب الكسب المشروع لاهله غاية التحبيب حتى انه جعل الكد من عرق الجبين افضل من كل كسب يفرض وندد بغير المشروع تنديداً ما عليه مزيد : ولم يحرم الاسلام من المكاسب الا ما فيه غائلة اخلاقية تفسد الاجتماع وتخل بميزان النظام وقد عقد فقهاء الاسلام للمكاسب المحللة والمحرمة كتباً بحيالها بسطوا فيها القول غاية البسط ولا يحتمل هذا المختصر الاجمال القول في الجميع .

فالاسلام يحرم كل استثمار يجيء من طريق الكسب بالنياحة الباطلة والهجاء والغناء والرقص وعموم المهويات والغش والتدليس والخيانة وتطفيف المكايل والموازن والربا والسحر والشعبذة والعمل للمظالم والرشوة والاجرة على الواجبات والزنا واللواط والمساحقة والقيادة ومن طريق الخمر وكل مسكرومن بيع العذرات والميتات وسائر الاعيان النجسة - الاما استثنى - والاصنام والصليبان وما الى ذلك وما فيه اعانة على اثم وعدوان وبيع السلاح على اعداء الدين وزمرة مناوئيه بما يوجب الوهن بالحق والترفيه عن الباطل وبيع كل ما يوجب الضلال والاضلال واخذ جوائز السلطان الجائر في جملة من صوره والكهانة والقيافة والتنجيم وامور سوى ذلك لا مجال لتفصيلها الان وملاكها اهم ما يوجب الفتنة والفساد والخلل في النظام والهضم من حقوق المستحقين واكل المال بالسفه والباطل .

والحلال عنده ما سوى ذلك مما يقوم بأمور معاش الناس وحفظ تعادلهم في البقاء ولا تثرى في حلاله ما يوجب الحيف والاجحاف والاحتكار والاستثمار غير المشروع ولم تتكسد الثروات في بني آدم قديماً وحديثاً الا من طرقها غير المشروعة اذ المشروع لا منقذ فيه لضخامة المال بالحد الذي يرى في اكثر الخزائن : واما الملكية الفردية التي تنازع فيها الناس فمثبت وناق فلا بد من الاعتراف بها لبداهة تقررهما في العقول من طريق المنطق الصائب . وذاك - هوان اوضح نقطة تصور في تجردها عن كل شبهة هي نقطة اتعاب الانسان نفسه اذ لا يسترىب احد في ان اتعاب الانسان ومواهبه الفكرية واعماله الجسمية ملك خالص له لا تجوز مزاحمته عليه فكل مادة تستثمرها اتعاب الانسان بالعمل ومواهبه الفكرية بالفن فهي حق لكاسبها بلا مماراة فلو استخدمت هذه المادة في دجن الحيوانات وتنميتها والاستفادة من عوائدها وانتاجها او الخدمة عليها بر كوب وحرث ونحو ذلك او استخدمت في الزرع والغرس او في جهة اخرى من جهات الكسب الصحيح لكان ذلك عملاً مشروعاً - اولاً - ونما آتة ملكاً خالصاً لمستثمرها - ثانياً - والجملة المهمة من رؤس اموال الناس انما تكونت من الطريق الانف نعم انما يعتريها الرب في دائرة توسعها وعدم مراعاة القانون الصحيح فيها فلوروعى في جريانها القانون لكانت كل الاموال خالصة من شوب الغصب والحرام وصدفة ان الشرع الاسلامي لا يعد المال الحلال المختلط بالحرام حلالاً بلكله وله فيه احكام خاصة تتبع عناوينها من الغصب ومجهول المالك وما الى ذلك فالفكرة التي عليها الشيوعيون فكره خاطئة وانما نفذوها بحرارة السيف ليمثلوا خزائنهم من اتعاب الناس ويصرفوها في مشترياتهم الخاصة وحفظ حكوماتهم المستبدة .

### (٨- احترام العلائق المشروعة)

واما احترام العلائق المشروعة فيعده الاسلام من اعظم مقدساته ويعتبر صاحب العلاقة المشروعة سلطناً على ماتحت يده ولذلك قال - الناس مسلطون على اموالهم - و - لا يحل مال امرىء مسلم الا عن طيب نفسه - و من قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه

سلطاناً - و - الطلاق بيد من اخذ بالساق - و - على اليد ما اخذت حتى تؤدي : الى غير ذلك وهو كثير .

## (٩- الزجر عن المفساد)

واما الزجر عن المفساد والتشدد في اقامة الحد عليها فالاسلام فيه بلغ الغاية القصوى في حفظ حقوق الناس وحدودهم وحيثياتهم وحررياتهم ونواميسهم واعراضهم و بالاخرة بلغ الغاية في تطبيق النظام العام في حق العموم فحرم الزنا واللواط والسحق والقيادة والقمار وشرب الخمر والاطلاع على عورات الناس والسرقة وقطع الطريق والغيبة والبهتان والتجسس والنميمة والقاء الفتن والقذف والشتيم وكل ما يستلزم تعدياً على حقوق الاغيار و سلباً لحريةهم وتشويشاً في سبلهم واجتماعاتهم وما الى ذلك .

فقال تعالى ( الاية ٢ من سورة النور ) الزانية و الزاني فاجلدوا اكل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين .

وقال ( الاية ٤ من السورة المز يورة ) والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا باربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة ابداً و اولئك هم الفاسقون .

وقال ( الاية ٢٧ من السورة السابقة ) يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأذنوا وتسلموا على اهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون (٢٨) فان لم تجدوا فيها احداً فارجعوا هو اذكى لكم والله بما تعملون عليم .

وقال ( الاية ٣٠ وما بعدها من سورة النور ايضاً ) قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم و يحفظوا فروجهم ذلك اذكى لهم : وقل للمؤمنات يغضن من ابصارهن و يحفظن فروجهن ولا يبدن زينتهن الا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن - الى ان يقول تعالى - ولا يضربن بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن .

وقال ( الآية ٥٩ من سورة النور ) وإذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستأذنوا  
كما استأذن الذين من قبلهم كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم .  
وقال ( الآية ٣٢ من سورة الاسراء ) ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء  
سبيلا وقال ( الآية ٤١ من سورة المائدة ) والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جزاء  
بما كسبا نكالا من الله .

وقال ( الآية ٣٦ من السورة المزبورة ) انما جزاء الذين يحاربون الله و  
رسوله و يسعون فى الارض فساداً ان يقتلوا او يصلبوا او تقطع ايديهم و ارجلهم  
من خلاف او ينفوا من الارض ذلك لهم خزي فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم .  
وقال ( الآية ١١ وما بعدها من سورة الحجرات ) و لاتنازروا بالا لقاب بئس  
الاسم الفسوق بعد الايمان : يا ايها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن ان بعض  
الظن اثم و لا تجسسوا و لا يغتب بعضكم بعضاً أوجب احدكم ان يأكل لحم اخيه  
مبتأ فكرهتموه .

وقال ( الآية ١ من سورة الهمزة ) ويل لكل همزة لمزة : وقال ( الآية ١٠ و١١  
من سورة القلم ) ولاتطع كل حلاف مهين هما زمشاء بنميم : وقال ( الآية ١٩١ من سورة  
البقرة ) والفتنة اشد من القتل .

وقال ( الآية ٣٥ من سورة المائدة ) : من اجل ذلك كتبنا على بنى اسرائيل  
انه من قتل نفساً بغير نفس او فساد فى الارض فكانما قتل الناس جميعاً ومن احياها  
فكانما احياى الناس جميعاً : وآيات الكتاب و احاديث السنة فى هذه الابواب  
كثيرة لا تحصى .

## ١٥ - حذف الوسائط فى توجه العبد الى المعبود

واما ان العبد فى توجهه الى ربه لا يحتاج الى توسط احد من عباده فهو من  
صميم الاسلام و ما الوسائط الا عباد مخلوقون نظير الباقين و محتاجون الى المبدأ  
احتياج السائرين والذي يكون من الانسان اقرب اليه من حبل وريده لا يكون معه



مجال للغير وحديث الوساطة خلقه الغلو في كافة الأديان والمذاهب على الأخص في دين النصرانية الذي بلغ في التوسيط أن جعل الله في طرف سحيق عن عباده وعلى العبد أن يطوى مراحل شاسعة من الخورى والشماس والقسيس الى غير هؤلاء حتى يحتمل في حقه أن يتصل بربه الذى خلقه كل ذلك للحيازة على المنصب والجاه واستغلال المال. واما نبى الاسلام والاعاظم من اهل بيته والاجلة من اصحابه فقد أصحروا قولا و عملا صارماً بلزوم الفناء فى الله مهما امكن من طريق العبادات الصادقة و التوجهات الخاصة و جاؤا فى الخفاء والعلانية من اعبد خلق الله و ازهدهم فى حطام الدنيا ولم يدعو ايوماً من ايام الله بانهم وسائط بين العبد والمعبود لا ينال القرب من الله الا بتوسطهم ولا يمكن الوصلة به الا من طريقهم :

واما حديث الشفاعة فانه مقبول فى حدود خاصة و تحت شرائط معينة لا على ارساله كما عليه نوع العوام وقد جاء فى القرآن تكذيب ما هم عليه و نقضه بصورة لا مدخل فيها للاحتمال.

فقال تعالى (الآية ١٦ من سورة ق) ولقد خلقنا الانسان و نعلم ما توسوس به نفسه ونحن اقرب اليه من حبل الوريد: وقال (الآية ١٨٦ من سورة البقرة) واذ اسألك عبادى عنى فانى قريب اجيب دعوة الداعى اذا دعانى : وقال (الآية ٢٥٥ من سورة البقرة) من ذا الذى يشفع عنده الا بأذنه : و(الآية ٣/١٠) يدبر الامر ما من شفيع الا من بعد اذنه : و(الآية ١٨/٤٠) مال للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع : و(الآية ٤٤/٣٩) قل لله الشفاعة جميعاً : و (الآية ٤٨/٢) واتقوا يوماً لا تجزى نفس عن نفس شيئاً ولا يقبل منها شفاعة : و(الآية ٢٥٤/٢) من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة : و (الآية ١٩/٨٨) لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الله عهداً : الى غير ذلك وهو كثير صريح فى مفاده واما الذى اتخذ عند الله عهداً فلا نعرفه بشخصه والملاك الذى يعقل معه اتخاذ العهد لامصداق له فى الخارج الايمن يعرفه الله نفسه بالاستحقاق و اللياقة على ان هذا المصداق لا تكون منه الشفاعة الا حيث يرضاها الله منه فكم فى ذلك من حدود ضيقة وشروط صعبة وملاكات لم تتضح لنا تفصيلاً : وعلى كل حال فهى ليست كما يلو كها العوام

ويمانون انفسهم بها الاستلزام ذلك ابطال اصل التكليف.

## ( ١١ - ترويح العلم الى ابعده حد )

واما ترويح العلم الى ابعده حد فالاسلام فيه هدم كل الحواجز التي نصبها الدجالون ليستغلوا من وراء جهل الجاهل وجوده و كل ما ينطوى عليه : فقال تعالى ( الآية ٩ / ٣٩ ) قل هل يستوى الذين يعلمون و الذين لا يعلمون انما يتذكروا لولا الابواب : و ( الآية ٢٨ / ٣٥ ) انما يخشى الله من عباده العلماء : و ( الآية ٤٣ / ٢٩ ) وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون : الى غير ذلك وهو كثير في الكتاب والسنة والاسلام هو الذي خلق من الامم العامة الرامية في الجهل الى ابعده حد يتصور المحدثين والمفسرين والفقهاء والمتكلمين الى سائر ما للعلوم من شعب بصورة مدهشة وان المعاجم الكبرى لتعجز عن ضبط اسمائهم وانواع معارفهم ومؤلفاتهم والحرارة العلمية التي قاموا بها والمدارس التي بنوها والخزائن التي ملؤها باسفار العلم والحكمة والتأثيرات التي اثرها على المحيط في كل زمان ومكان : هذا هو كله من بعض نتائج الاسلام في ترويح العلم واهله .

## ( ١٢ - الدعوة الى الاعتدال )

واما الدعوة الى الاعتدال في كل شيء خصوصاً في القصد المعيشي فقد اهداب بها الاسلام ليكسر من شره التغطرس والتكبر والاندفاع الى الافراط الماحق والتفريط الشائن في كل شيء على الاخص عالم المعيشة التي تدور على محورها الحياة : فقال ( الآية ٣٧ / ١٧ ) ولا تمش في الارض مرحاً انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا : و ( الآية ١٨ و ١٩ / ٣١ ) ولا تصعرك للناس ولا تمش في الارض مرحاً ان الله لا يحب كل مختال فخور : واقصد في مشيك واغضض من صوتك : و ( الآية ٢٩ / ١٧ ) ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقده ملوماً محسوراً : الى ما سوى ذلك وهو كثير .

## (١٣) - تحريم الظلم والانحياز الى الظالم

واما تحريم الظلم والانحياز الى الظالم ووجوب قطع الصلة به فللإسلام فيه مواقف تكبرها الإنسانية و عموم بنى الانسان فكل انواع الظلم الفردى والاجتماعى حرام فى دين الاسلام قلّ أم كثر ظهرا مبطن مع الانسان او الحيوان بل كل ما تجاوز حدود المنطق فهو عبث و سفه عنده يفند عليه و يؤخذ به ويلام على فعله و لو كان طرف الانسان تراباً او حجارة .

وادب الاسلام ذويه بهذا الادب الراقى حتى انتجت مدرسته امثال على (ع) حين يقول والله لمن أبيت على حسك السعدان مسهدا أو أجر في الأغلال مصفداً أحب الى من ان القى الله ورسوله يوم القيامة ظالماً لبعض العباد وغاصباً لشيء من العظام : و ابى عبدالله الصادق حين يقول لبعض الشيعة و قد سأله فقال له اصلحك الله انه ربما اصاب الرجل منا الضيق او الشدة فيدعى الى البناء بينه والنهر يكرهه او المسناة يصلحها فما تقول فى ذلك فقال ابو عبدالله ما أحب انى عقدت لهم - يعنى امراء الجور - عقدة او وكيت لهم و كاء وان لى ما بين لابتيتها لاو الامدة بقلم ان اعوان الظلمة يوم القيامة فى سراق من نار حتى يحكم الله بين العباد : والاصل فى هذا الانتاج قول الله فى كتابه (الاية ١٠/٥٤) ولو ان لكل نفس ظلمت ما فى الارض لافتدت به و اسروا الندامة لما رأوا العذاب وقضى بينهم بالقسط وهم لا يظلمون (والاية ٣٩/٤٧) ولو ان للذين ظلموا ما فى الارض جميعاً ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة وبداهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون (والاية ١١/١١٤) ولا تتركوا الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من اولياء ثم لا تنصرون .

ولا بدع اذا قال الله و قال اولياؤه بذلك فان العدل كرسى الحياة و مع الظلم تعود الحياة وبالاعلى الاحياء ويكون الموت خيراً منها يقيناً والفرق بين الحياة المنظمة والحياة التى يتمنى معها الموت شىء كثير جداً : هذا وما اشعرنا به آتفاً هو كلييات الدين الاسلامى تتبعها نقاط مهمة يجب ان نلم بها لانها اصبحت ما بين الدينين والمتمدين

نقطة نزاع فنقول تحت عنوان : قالوا ونقول .

من المهازل انصافاً ما يقوله اعداء الاسلام في حقه وحق نبيه انهر كثر نفسه بالسيف ودعا الى الاعداد من القوة جهد المستطاع وهو خلاف ما توحى به العقول الصحيحة وما تدعوه اليه من السلام العام .

وهي دعوى بالاراحيف اشبه منها بالنظر الواقعي فان دين الاسلام لم يك من بدء حياة زعيمه الى نهايتها رامياً الى التغلب والتحكم على الناس ونيل السيادة فيهم والنفوذ عليهم وانما كان دعوة حرة من ناهض حر استنكف للانسانية مما عليه الانسان من روح متطرسة ونفس منحطة وضمير منافق وباطن متجهج وحر كات رعناء شوهت منظره الحياة و ارخست سوق الاحياء واطلعت من الانسان حيواناً ضارياً تشمئز النفوس من منظره و تنقبض القلوب من ممارسته ولم يقعد في كسر بيته قابلاً بالخموم يصبص الى ما يجري في الكون من انحراف هائل وتذبذب باهت من دون أن يبدى امامه استنكاراً ومن معارفه البناءة نوراً يغمر به ذاك الحلك الدامس و الجهل العارم فهو لقا بلياته الجبارة هذه بل لتفانيه في سبيل الحق واحساسه من نفسه النبوغ الرامى الى ابعداغاية تتصور اهاب بالكون حتى مـاج على جنباته وصاح فيه صيحة نذير مشفق ومبشر غير مأیوس وعالج بمفرده دنيا من الاندفاعات المدمرة فقاومها كما يقاوم الجبل الراسخ زعازع الصراصر ولم يعدد لذلك من قوة سوى تصميمه الذى لا يتشظى بالعوامل المخيفة وايمان به بمعارفه ومبادئه و حبه للانسان والانسانية وللخلق الفاضل والشيم الراقية وبيانه الثجاج الذى غالب به كافة الناس فغلبهم بقوة المنطق وهيمنة الحججة وتحدى الدنيا بأسرها فلم يستطع ان يقارعه انسان و كان الانانيون من كافة العناصر والمذاهب يترصدون به نقطة الضعف فلا يجدونها وبكتابه المناقضة والمقابلة فلا يستطيعونها ولو وجدوا واستطاعوا القالوا وأطالوا ولكن العجز قعد بهم كما قعد المأجورون المرموزون من متفريقي هذا الزمان لعجزهم امامه .

ان يكن قرآن محمد ( ص ) من تلقيقه و ليس بوحى اوحى به اليه فهو من اول ايامه دعا الناس الى أن يأتوا بسورة من مثله ومعنى التحدى ازعاج للظرف فلم

انخذل عن المعارضة كل بنى آدم منذ ذلك اليوم الى هذا اليوم فما الذى أعيا  
البا با والكردينال والقسيس وما الذى اعجز الخطباء المصاقع والعرب المتشدقين وما  
الذى اسكت نامّة الكتاب المرموقين والشعراء المجيدين وما الذى أخدم اساتذة  
الجامعات وشيوخ اهل الادب فان ميدان المعارضة كان ولا يزال واسعاً ان كان هناك  
من يجيدها .

وهانحن ننزل بالاعتراف لكل طاعن يريد فصل محمد عن السماء و نقول له  
هب ان محمداً كان يقرأ ويكتب وفوق ذلك انه ما انفصل ساعة عن ممارسة الفلاسفة و  
المتحنيين وعن دراسة الكتب سماويها وارضيتها وعن ملازمة الدير والرهبان والقسس  
وعن كل مظنة تعطى فائدة وتأتى بعائدة وانه لذلك استطاع من طريق اختلافه  
فى غار حراء ان يؤلف القرآن ويخرجه الى الناس بوضعه الفعلى وبزته الحاضرة و  
لكن كيف قعد عن تحديه الفلاسفة واهل الكتاب والرهبان والقسس وكيف انقطع عنه  
الدكاترة فى الادب واللغة وكيف أخرس عن جوابه اللسنون المتشدقون نعم أقعدهم  
وقطعهم وأخرسهم بالعيان المكشوف ومن شاء فليتقدم وهذا هو الاعجاز فى حال ان  
عوالم البشرية لا اعجاز فيها من نفسها بضرورة العيان .

فكم فيلسوف بارى فيلسوفاً فساواه او غلبه وكم خطيب جاول خطيباً فمائله او  
زاد عليه وكم شاعر نازل شاعراً فجاء بمثل شعره او اربى عليه وهلم دوايك اذن فيكفى  
صدق محمد ﷺ فى دعواه اعجازه للبشرية كلها على انه بضرورة التاريخ ما كان  
يقرأ ولا يكتب ولا التقى بفيلسوف ولا تلمذ على قسيس ولا دخل ديراً ولا عرف الرهبنة  
الى غير ذلك من هذا ونظيره .

ولكن المبدأ اختار محمداً لتبليغ رسالة السماء لمانظوى عليه محمد ﷺ  
من نبوغ قهار وتصميم قاطع وهمة عالية وضمير طاهر وروح اقوى من الحديد و جلد  
يطيح بصم الجبال ولا يتشظى وعن هذه الروح تحدى الدنيا كلها من صادقوه من عاداه  
بكلامته الوحيدة : والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى شمالى لمانقطعت عما  
اناراصد ولا انثيت عن هدفى الذى اليه أهداف ومقصدى الذى اليه أقصد : و مثل هذا

التصميم يمزق جلود النمر ولا يتمزق وتنكهم له حدود السيوف ولا ينثلم ولولا هذا وذاك لما اجترأ ان يتحرك من مكانه قيد شعرة لانه يفقد كل جهاز به يثور الثائر فلا قوة سلاح ولا خزائن مال ولا اعمام ولا احوال يساندونه ويدعمون صرخته ولا اتباع بهم ان يشيدوه او يمدوه الا قليل ليس به تأمين مقصد ولا توطيد أساس محكم كل هذا بضرورة العيان لم يكن والكائن منه كما اشرنا اليه طفيف في قبال غايته العظمى وهدفه الاسمى فهو صلى الله عليه وسلم لما اعذر الى الخلق زماناً طويلاً لا يقل عن ثلاثة عشر عاماً ولم يحصل منه على اقل طائل وجد كما يجد كل محق لزوم احقاق الحق وابطال الباطل بالقوة الهدامة البناء متى استطاع اليها سبيلاً .

ولاغرابة في كل ذلك فان الطعام والوحوش بعد ان تسدى اليهم يد الرحمة ما هو واجبها من اللطف والعطف ولا يعود يؤثر ذلك اقل اثر بل يزداد الجاهل على مديد الدعوة عنواً وطغياناً وتمرداً وعصياناً واخلاداً الى الباطل لا يكون بد من قمع تغطره وتفرغ رأسه من هوى الكبر والعتو والطغيان لاصلاحه اولا ولحفظ الانسانية من تعدياته ثانياً ولتعديل جنات الكون لاجل كل كائن له حق الحياة فيه ثالثاً و كل ذلك بدافع اقامة العدل والمعروف وازالة الباطل والمنكر عن مجامع الحياة الاحياء رابعاً .

نعم لما استطاع محمد الى القوة سبيلاً من طريق المخلصين له المتفانين في نشر دعوته وفي طليعتهم البطل المؤمن الذي تربى في حجره وتلمذ عليه تلميذاً اختصاصياً امير المؤمنين على بن ابي طالب جرد السيف وجعل الجنة تحت اقدام الشهداء وحث على الجهاد بكل ترغيب صادق ورفع لوائه الخفاق وتقدم في صدر كتائبه لم يفرو ولم يتقاعس قط وعنه اخذ البطولة ابطاله المرهوقون حتى ان بطل الاجيال علياً كان يقول كلما أشد البأس لذنا برسول الله - فعل كل ذلك ولم يتحاش عنه لان الحق من دون قوة تسنده او هن بين الناس من بيت العنكبوت و اقل شاهد لذلك أنه صلى الله عليه وسلم رأى بعينه كيف تغتصب المرأة الجميلة في حرم الله بالعسف والقهر لان حمايتها يضعفون عن مقاومة الجبارين وكيف تؤ كل الحقوق بالباطل علناً في الحرم الذى يأمن فيه الطير ولا يستطيع صاحب

الحق ان يدفع عن نفسه ورأى كيف يغلب الاحرار على انفسهم ويتخذون عبيداً فى بيوت الاقوياء ومتى شأوا باعوهم بئمن بخس ازهد ما يكونون بهم : رأى ﷺ ذلك واضعافاً مثله كما رأى غيره الاضعاف المضاعفة مما هو اشد وانكى فلا جرم اذا صح من دون مغالاة قول القائل .

لا يسلّم الشرف الرفيع من الاذى حتى يراق على جوانبه الدم  
ان العقوبات حادها وخفيها لا بد من تطبيقها على مواقع الجريمة حتى لا يثقل  
كابوس الحياة على الضعفاء : اذن فمحمد ان سل سيفه فلتر كيز العدالة الاجتماعية  
بين الناس ولتحكيم المباني الفاضلة فى المجامع البشرية ولم يحاول بذلك غطرسة  
ولا اثرة والالما قال هاضماً لنفسه انما انا ابن امرءة من العرب كانت تأكل القديد انا  
واحد منكم لولا النبوة - وددت ان اكون واحداً منكم لولا الهجرة - يقول ذلك  
للانصار - ولمامات عن لاشيء ولما عاش وهو يعد حجر المجاعة لبطنه : هذا هو محمد بن  
عبدالله وليس هو بخت نصر ولا الاسكندر المقدونى ولا جنكيز ولا تيمور ولا نين ولا هتلر .  
هو ابو الفضائل والفواضل ابو الرحمة والعاطفة ابو الانسانية والبشرية جمعاء  
صدق كلمة الرسل قبله ودعا الى الحق الذى يدعو اليه وتمنى للانسان كل خير وسعادة :  
ولو ان الاسلام الذى جاء به محمد ص وتدرع به الصحابة الذين خلق فيهم روح النشاط  
والفتوة والايمان والعلم والحكمة والعدالة والمعروف والانسانية مشى به المسلمون  
كما جاء وكمطبق عمالسين عديدة فى كل عصورهم لآكلوا الدنيا بخافقيها راضين  
مرضيين ولخضع لهم عقل كل عاقل وقلب كل ذى قلب .

ولكن يا للأسف على الاهواء المردية والميول المغوية والنزعات الفاسدة  
والمقاصد الشخصية والانذفاعات النفسية كيف جاءت بعد موته ص تخفف من حدتهم  
وتفكك بين جماعتهم وتقلل من ايمانهم حتى ذابوا فى القرن العشرين بالمرّة فجاءوا  
من حيث القوة أو هن من بيت العنكبوت ومن حيث التشتت اضيع من قوم سباً ومن جهة  
الايمان المبدأى اشد الحاداً بالدين من هواة دارون ومن جهة الشرف اهون من لاشيء  
زعيمهم عميل ورئيسهم اجير وهم فى طريقهم الى التلاشى بالاريب الآن يشاء الله خلاف ذلك .

وينبذ الجدد الدين الاسلامى بانه جوز الرق من طريق الغنيمة فى حال ان البشرية تعتبر ذلك مقياساً اعلامن الوحشية لكنه انتقاد باهت ودجل مفتضح نعم جوز الاسلام الرق من طريق الغنيمة فى المعارك التى تقوم للقضاء على الشرك والوثنية و بعبارة اخصر للتنديد بالحيونة الجافة والمادية السوداء فان كل مبارز للحق ناهض عليه هادم لمباني الانسانية مصر على انهيار الجامعة مؤيد لحكومة الباطل راغب فى تمشية المفاسد مقيم لسوق الرذائل مطيح بالفضائل والفواضل لاقيمة لدمه اصلا فضلا عن استرقاقه ومن هذا الطريق حكم الشرع الاسلامى بنجاسة المشركين طرداً لهم عن الاجتماع المرکز على التقوى والفضيلة القائمتين بالدين فقط فان فاقد المبدأ لا يفرق عن البهيمة الضارية فى انه الى اين امتدت يده ووضعها عليه ولو كان محطة شهواته امه فى النواميس وحق اخيه الشقيق فى الاموال والحقوق وهلم دوايك .

نعم يبقى الاشكال فى سراية الرق فى اعقابه اذا طواعوا الحق و مالوا اليه و عملوا به وفى المسترق ايضاً اذا اعتدل وتاب ودان للحق واناب وهذا قد نذب الشارع المقدس الاسلامى الى تحريره فى مواطن عديدة وصور كثيرة وجعل اعناق الرقاب من افضل الاعمال وخص لشرائه واعتاقه زاوية كبيرة من بيت مال المسلمين و مراجعة ابواب الفقه فى شتات فصوله تغنيانا عن الاسهاب فى هذا الباب : يقول المتجدد هذا وارقى افراده يبارز السود لسوادهم والضعفاء لضعفهم ويلح عليهم بالاستعمار الماحق والاذلال المرهق والعبث بمصالحهم والعيث فى كافة شؤونهم ولا اصدق من العيان شاهد على ذلك فان تحكم الامم الراقية فى الضعاف من بنى آدم اليوم مما اثار عاطفة كل انسان غيور فقام يناهض بيدنه العارى اسراب الصواريخ المبيدة جزعاً من حياته واحرازاً لحرية ان استطاع اليها سبيلا والاسلام فضلاء عن ندبه المسلمين لتحرير الارقاء بشتى اساليب الدعوة الى عتقهم لم يتسفل بهم ولم يحتقرهم فجعل العبد كالمولى فى اهم معالى الحياة ومجالى العيش الصحيح وصف الجميع فى صف واحد و بما فضل العبد بتقائه على سيده و مولاه و كم حكم السود والعبيد فى الدول الاسلامية حتى وصل بعضهم الى درجة السلطنة فان هذا مما عليه التجدد والمتجددون .



وينبذ الجدد الدين الاسلامى ايضاً بانه فاوت بين الرجل والمرأة و اوجب عليها التصون وهو يرى ان ذلك من الاغراق فى الوحشية ونحن قبل كل شىء نعرض كلمة الاسلام الراهنة فى حق المرأة ونقول قال الاسلام فى زمان توءد فيه البنات - الجنة تحت اقدام الامهات - وهى كلمة قد ضربت مقياسها الاعلا فى الفضيلة وتقديم المرأة الصالحة التى هى ام الاجتماع البشرى على من سواها تلك المرأة التى عرفت صلاحيتها وقامت بوظيفتها الملقاة على عاتقها من طريق الطبيعة فضلا عن الدين و بعبارة أخصر تلك الام التى انجبت اولادها وربت افراخها تربية ناجعة لمستقبل الجميع لان تلك التى اخذت تخفبها النزوات وهى طفلة غريرة واتخذت هذا الالتواء فى السير طريقة لها حتى شبت ثم أيست وقعدت ثم شاخت وهرمت فكانت نقمة على ابويها و بلاءاً افتتن به الشبان والكهول والشيوخ و بالآخر كانت، و ذرة متعفنة فى الهيكل البشرى : ان الاسلام و كل عاقل لا يعرف هاتمه المستخفات الاعاراً على الوجود و دنسا فى ثوب الانسانيه النقى .

ان الطبيعة التى يحترم المتجددون نوا ميسها فى كل ماهب و دب هى التى فاضلت بين الصنفين فخصصت كل صنف بموايز لا توجد فى الآخر ولهذا الامتيازات فى الخلقة خواص طبيعية ليس بالمقدور حذفها او ترتيب اضدادها مكانها فكل من حدثك بلزوم المساواة بينهما فقد حدثك لوشعرت بايقاع المقارنة بين طبيعتين منفردتين وهذا المعنى يجب ان يججده الطبيعيون قبل رجال الدين لان رجال الدين يزنون الجنبه الاجتماعيه قبل كل جنبه سواها اما الطبيعيون وهم اولئك الذى ميزوا بين العناصر حتى الخفيف الطفيف منها وسجلوا لكل منها احوالا وشؤناً خاصة فكما حكموا على كل فضيلة من فضائل الخلايا القائمة ببنيان الجسم الطبيعى باحكام خاصة اوحث بها الطبيعة نفسها فليحكموا على الاناث التى امتازت بمجموعاتها الخلوية عن الذكران بما فى محوطة اجسامهم من خلايا خاصة هى غير خلايا الاناث بالاحكام الطبيعىة الخاصة و كلها مسطورة فى الابحاث الفيزيولوجية الحيوانية بسطاً مسهباً وهكذا فليحكم علماء النفس الجدد و علماء التشريح وغيرهم من العلماء الطبيعيين والرياضيين باحكامهم التى دونوها

للأشياء على ميزان الطبيعة التي هم مقيدون بها أكثر من غيرهم .  
ولنلو عن الفن جانباً ونقبل على وجداننا الذي لا يفارقنا لحظة واحدة فهل ترى  
المرءة نفسها غير ربحانة طرية قد أعدت للاستشمام والاستمتاع قطعاً لا تعرف نفسها بغير  
هذه المعرفة ولذلك تصرف همتها في كل أوقاتها لمطالعة الأزياء الجديدة و الأقمشة  
المستحدثة وانواع الزينة الجالبة وكل ما يقوم بتطرية البدن وتحسين الوجه وتلطيف  
الحركات والسكنات وهواية عرض ذلك على كل احد و هذه الروح المندلعة على  
شراش وجودها مبعوثة عن اعماق نفسها الطبيعية وليس ما وصفناه شعار واحدة او اثنتين  
من النساء بل شعار كل امرءة في الدنيا حتى العجائز : وليست هذه الروح بمجلوبة الى  
هذا الصنف بالتصنع ولكنها روح طبيعية تفعل فعلها القهار من دون مخايرة .

اذن فالمرءة ربحانة وليست بقهرمانة بحكم الطبيعة وهذا الشذوذ الذي تواجهه  
الطبيعة من مواليدها ليس باول شذوذ شاهده منهن فقد حكمت الطبيعة ان الافيون سم  
ما حق وبرهن الوجود الخارجي عملا عليه ومع ذلك نرى ابناء الطبيعة يتهافتون على  
تناول هذه السموم وهلم دوايك نظير ذلك وما اكثره :

فيجب على المنجد الاعتراف بانه شاذ فيما دعا اليه لانه عالم اجتماع فيما قال  
او عالم نفس ومربي جيل : هذا وكل ما واجهته المرءة في دنياها من اعنات الرجال  
بها آناً وحاضراً في بعض الاصقاع فهو خلاف الدين خلاف الحق خلاف الطبيعة  
والانصاف : اما الدين فكما اعتبر المرءة ربحانة في طبيعتها فقد حكم لها بما هو من شأن  
الرياحين من حسن المعاهدة وطيب المعاشرة ونزاهة الاستمتاع وما الى ذلك ولم يفرض  
عليها حتى ارضاع ولدها لو اربت ارضاعه ووجب لها النفقة بما يليق بشأنها كائناً من  
كان الزوج في فقره وغناه .

نعم لما جاء الطبيعي عملاً كافراً حتى بالطبيعة جاء يغالط مجتمعه الذي تولى  
تثقيفه وتأديبه فتراه في الصف يحاضر في علوم النفس و الاجتماع والسياسة الشريفة  
والعدالة الاجتماعية وما يوجب حفظ البشرية ويؤمن لها حقوقها اللازمة ويقوم بسعادتها  
النامة ولكنه لا يبارح موقفه من مواجهة التلاميذ حال التعليم الى خارج هذا الحد

الاجراء المفسد الهاتك لحيثية المجتمع الما حق للحق والعدل الاجتماعى فلم يكثر اللواط والزنا والسحق والقيادة وعب المسكرات وتناول سموم الافيون وانتشار الربا وخنق الحقوق وشيوع الرشا وتعدى القوى على الضيف الامن طريقه وعلى يده وليس وراء العيان الذى لمسه كافة سكان الارض شاهد على ما قرءنا بعضاً منه وسكتنا عن الباقي تأدباً .

اذن فالدين لم يخص الرجل بمميزات حذفها من المرأة الا لصالحها فقد اوجب الاسلام الجهاد على الرجال المجتمعى الاشد واعفى النساء منه لان القابلية الجسمية والغرائز الروحية فى الرجل تمضغ هذه الوظيفة بقوة الساعد والعضلات والنشاط العصبى وغريزة الجرأة والمقاومة والشجاعة فيه نوعاً واما المرأة فهى فى غالبها لا تملك من هذه الاعدادات لاقليلا ولا كثيراً .

ولم يخص الرجل بالنقر الى طلب العلم الا لانه لامزاحم له على ناموسه فى الاعم الاغلب والمرء مظنة المزاحمات الناموسية فى كل زمان ومكان: واما اللواتى يسافرن حيث اردن اليوم فيجلبهن لا يعرف للناموس معنى ولا للعفة مفهوماً بعد ان اباح وجود المرأة للعاب والمستطرق بلا عقد ولا شرط : واما انه جعل سهم الرجل ضعف الانثى فى المواريث فلان المرأة غالباً تعيش الى جنب من يعول بها من آب او زوج او ولد والرجل فى الاعم هو العائل فمن الحق ان يسمن سهمه ويوفر عليه حقه وهاته المطالب من مسلمات العقول والمناقش فيها هازل لا يؤمن قلبه بما يقول لسانه .

اذن فمحاولة ايقاع التعادل بين الصنفين فى جميع وجوهه كمحاولة ايقاع المساواة فى اللوازم الطبيعية بينهما غلط واضح ومن المستحيل ان ينتج القياس الفاسد نتيجة صحيحة لهذا ولذا نجد الحيونة ضاربة اطنا بها على محيط البشرية ونرى كل انسان متفلاً على حده الذى هو له فلم تصبح المرأة ربة بيت ولا اما الطفل ولا عميدة اسرة كما لم يصبح الرجل اباً ولا زوجاً ولا مستشاراً يرجع الى رايه بل جاء الناس اوزاعاً لاناظم لهم ولا يعرفون سوى تأمين الشهوة وافراغها من اى طريق آمن لهم ذلك وهذه ظاهرة العنصر الحاضر الذى كفر بكل شىء حتى بالمحسوسات والوجدانيات :

اما الدين فقد ادب اهله بأداب عادت عليهم بالبركات التي لاتعد ولا تحصى فقد كان الانسان المتدين يخاف من خاطرة الزنا اذا جالت في ذهنه و من خيال اللواط اذا توهمه و من شبح الخطيئة اذا انتصب لفكره فكان الجيل المؤمن راضياً مغتبطاً بما هو فيه وهذا الادب الراقى مستحيل الحصول من طريق التجدد وما يسمى بالثقافة الزمنية .

ان لهيمنة الايمان على النفوس اثرأ قهارأ فى توجيه الانسان المؤمن فى حال انا نرى فاقد الايمان ومهما حصل على شهادات راقية من جوامع الدنيا جلفأ او قريبأ منه مستهترأ او مستخفاً لصأ او شبيه لص جاهل الحركات قليل الاناة : و لم تجر اقلامنا بفرض فرضناه وانما هى انعكاسات اعطاها الواقع الملموس من نفسه فصورناها على رقعة القرطاس كماهى .

واما ان الاسلام اسند الامامة والقيام بشؤون الناس الى الرجال فلان المرأة تفل عن ذلك بطبيعتها ونحن يكفيننا عن الاطالة بيانأ ما نراه عيانأ .

واما انه اوجب عليها التصون فلان تعرى المرأة قرين تبدلها وهو بابها الذى يفضى بها الى الانجراف ونحن نحيل بالترجمة عن هذا الموضوع الى ما يعبر عنه الخارج نفسه نعم خفف كل هذه الحركات النابية و ازاح العار عنها تعارف الناس فى عصر الحضارات- كما يقال - لها بل اعتقادهم بوجود نيل الوطرن اى باب افضى اليه فلا قبح عندهم فى كل ما يقال له قبيح لافى الاعراض وحدها بل فى كل صفات النفس وعندهم ان كل ما قاله الاخلاقيون ويقولوه المثاليون سفسطة تنقف امام الميول النفسية لاعن داع معقول فى نظرهم : اذن فهم والانسان على طرفى تقيض فى المبادئ و المفاهيم والقيم المعنوية : هذا من ناحية المنطق العام .

واما القرآن فقد حدد موقف المؤمنين والمؤمنات بقوله (الاية ٣٠ وما بعدها من سورة النور ) قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم و يحفظوا فروجهم ذلك ازكى لهم : وقل للمؤمنات يغضن من ابصارهن و يحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها و ليضربن بخمرهن على جيوبهن - حتى يقول - و لا يضربن بارجلهن

ليعلم ما يخفين من زينتهن: واما السنة فيكفي منها قول الحجة : ان زنى العينين النظر: ولا يستكثر على الاقلام المأجورة من متجددى المسلمين أن يطيحوا بكرامة المرأة المسلمة بعد ان شارطوا الاجانب على الاطاحة بكرامة الاسلام نفسه لكن هلم الخطب فيمن نصب نفسه لتمثيل الاسلام ثم جاء يساند هؤلاء المـأجورين زاعماً ان الاسلام دين انطلاق حتى في هذه الموارد مجتهداً في قبال نص صريح : نعم ان الزمان دار دورته ونال بغيته حيث أهيت الموازين العلمية بيد اهلها واندر الواعيين وبن بدثور امسهم الغابر .

واما انه اجاز تعدد الأزواج للزوج الواحد وجعل حق الطلاق بيده فللقضية بيان وشرائط وليست هي على ارسالها. اما تعدد الأزواج للرجل الواحد فجوازه في الاسلام مبيتن على شروط .

(١) ان تكون عند الرجل قدرة مادية يتمكن بهامن القيام بحقوقهن طبق شؤونهن

(٢) ان يعدل بينهن وان خاف ان لا يعدل فواحدة .

(٣) رضاء كل زوجة في حينها بالازدراج منه فالزوجة الثانية ومن بعدها برضاء منهن اقدمن على الاقتران به واما الاولى فما يمنعها عن الاصاخة بعد ان توضع في حقلها اللازم لها وتستوفى حقوقها كاملة فان المرأة كما اسلفنا ربحانة وحقها على الزوج حق الرياحين على غارسها من السهر على صالحها والقيام بواجبها واما نخوة الاستبداد والاستئثار فلاقيمة لها في سوق المنطق : وكل ما اشكل به المشكلون على جواز التعدد ناشيء عما يرونه من تخلف الكثيرين عن القيام بالوظيفة المحتمة وهذا الاشكال لا يختص بتحقيقاً بهذا الفريق بل يعم اغلب الافراد في نوع شؤونهم الاجتماعية فانه قل أن يوجد قائم بوظيفته فاعل لواجبه مطيع للامر المتعلق به معط للمحق من نفسه بالاتفاوت في هذا الملاك بين الملك والسوقة في جميع شؤون الحياة : اذن فلا اشكال على القانون في حد ذاته ولاعلى مقنن القانون مع تلك المقدمات المأخوذة. اما الدواعى التي تهيب بالرجل ان يتزوج اكثر من واحدة فهو تصور في امور: الغلطة الجنسية فيه بحيث لا تقوم الواحدة ببلغته : كون زوجته فروكاً لاتحب مباشرة

الرجل : ابتلاؤها بمرض مزمن او نحافة جسم يزغان عن مباشرتها : وما الى ذلك : وهذه الدواعي معقولة عند المتجددين وانما يقبحون بزعمهم التعدد للتنوع بالشهوة الجنسية والتفكه بذلك وما استبحوه ليس بقبيح فان جملة من اللاتي يرضين بالشرك يحاولن من وراء ارضاء النفس تيسر المعيشة المفقودة لديهن فيقدمن على الشرك لذلك كما تقدم الشابة المعوزة على التزوج بكبير السن الذى يقوم بواجبها المادى وهو امر معقول لاحزاة فيه .

اما المتجدد الذى ينعى على المتدينين هذه الخطة فهو ان ضم فى بيته زوجة واحدة فقد اطلق سراح نفسه قبل زواجه وبعده الى فضاء من نيل أوطاره غير مضبوط الحدود ولوان تطرقاته غير المشروعة تحصى عليه لزادت على المئات وهى التى تهيب بزوجته ايضاً ان تطارد الشبان نظير مطاردة زوجها للشواب وهذه العائلة مفقودة بالمرّة بين المتدينين وقد رتب الاسلام عليها اشد العقوبات .

واصولا ان دعاة التحريم باللون الذى صبغوه به انما حاولوا من وراء نيل ذلك بغيتهم كما يشتهون بلا عقد ولا شرط وما هذه الفواحش الخارجة عن حدود الاحصاء اليوم الا نتيجة هذه الاغواءات يفنك بهن الشباب من طريق المغازلة وادعاء العشق بادئاً فاذا قضوا منهن وطراً سيبوهن الى هذا الاهمال المحزن فهذه الخطط العوجاء عند المتجدد من الثقافة فيما يراه : اما تعدد الأزواج للزوج الواحد بشرطه السالف فمحدور كبير عنده .

واما العلة فى اصل تشريع الطلاق فهى لمراعاة الحوادث التى تقترب بعد الازدواج بحياة الزوجين بما تجبرهما على المفارقة لامحالة ولولا شريعة الطلاق لعاشا معلقين لا المرأة ذات بعل ولا الرجل ذا زوجة وهو اضرار كبير لا يتحمل .

ومن الغلط محاولة جعل الطلاق بيد الزوجة او برضاء الطرفين وبدون ذلك لا يشرع كما يقولون فان عين الاشكال الذى يوردونه على جعل الطلاق بيد الزوج وارد على تصويرهم هذا عند جعلهم الطلاق حقاً بيد الزوجة فكما ان الميول تدفع ذاك الى ان يطلق اعتباراً تدفع هذه الى ذلك ايضاً : واما احراز رضاء الطرفين فى صحته فهو

بالاخير حاصل ذلك لان الزوج اذا اجنوى الزوجة لاي داع يفرض وهكذا اذا اجتوت الزوجة زوجها كان من المستحيل بقاء عقدتهما على ما انعقدت عليه اولافان العواطف اذا لم تتبادل بين الطرفين عز بقاء الالفه بينهما ومتى حدث ذلك انتفت الزوجية اساساً وايجاد العلقه الواقعية ليس من الامور الاختيارية حتى يفرض عليه بالنفى والاثبات اذن فالطلاق ليس امراً تشريعياً مجعولاً بالافتراض وانما هو منجمل بالذات تبعاً لارتفاع الوثام اولعدم حصوله من اول الامر .

واما انه جعل الطلاق بيد من اخذ بالساق فقد جعل الاله من بيد المرء وهو عقد الزواج فقد جعل البالغة الرشيدة حرة في تزويج نفسها بمن تريد على ان دخالة اوليائها في ذلك لصالحها وتأمين مستقبلها حتى لا يعثب بها الدجالون الذين يدسون السم في العسل مضافاً الى ان سلطان الرجل في الطلاق ليس تاماً له في كافة الصور بل له محدوديات ان تمرد عليها قام الشرع مقامه اما الزواج الذي هو حق المرء وبيدها فليس كذلك .

هذا والطلاق له مراتب في نظر الشرع فالطلاق المقصود به الاضرار بالزوجة حرام ودون ذلك مكروه مبغوض وانه لاشىء ابغض الى الله منه وفي الكتاب والسنة طوائف من الآيات البيّنات والروايات المفصلات قامت بتحليل هذه المواضع التي تكلمنا عنها ولا مجال للإطالة بعد تحقيق اصل الموضوع .

واما دين التجدد فهو في الحقيقة فوضى لا محدودية معها وهانحن بشر القرن العشرين نلمس بكافة حواسنا ما عليه البشرية جمعاء من تهافت وتناقض على رغم تدوين منشور حقوق البشر وادعاء التنور الفائق فما نحن الا بين قوى متمرد وضعيف خانع وفاقد للوسيلة خاضع وختاماً بما ان عالم الروحانية هو الممثل الوحيد لعالم الاسلام وجب علينا ان نذيل الفصل الذي اسلفناه بالفصل الذي تلاحظ تالياً بعنوان : روحانية اليوم وامس وكيف يجب ان تكون غداً : فنقول :

(١) ماهي الروحانية .

(٢) وما هو مورد لزومها في المجتمعات البشرية .

- (٣) بدء نشوءها .
- (٤) ما المقصود بها ومن هم رجالها .
- (٥) مادعوتها وكيف كان الدعاة إليها .
- (٦) مشيهم بأنفسهم آنفاً وحاضراً .
- (٧) مشى الزمان وبنى الانسان معهم سابقاً ولاحقاً .
- (٨) تأثيرهم في الدعوة وآثارهم في المجتمع .
- (٩) الروحانية في الماضي .
- (١٠) الروحانية في الحاضر .
- (١١) كيف يجب ان تكون في المستقبل .

(١ - ماهى الروحانية)

الروحانية كلمة قيلت وتقال على ما هو خارج المادة واشتقاقها من الروح العاقلة ف مجالها الذى تتهادى فيه هو عالم العقول والافكار و الضمائر ولا تمت الى المادة السوداء باية صلة .

(٢ - ماهو مورد لزومها فى المجتمعات البشرية )

مورد لزومها فى الحياة العامة هو القيام بضبط الاحياء عموماً بجهد المستطاع ليتصل كل موجود بحقه اللازم له ولا يرتفع النزاع بين الاحياء على حساب التغالب المادى و لترتاض النفوس العاقلة رياضة تتجاذب اليها المحاسن و تتباعد عنها الرذائل ليحصل من ذلك اعتدال الحياة فى عالم الاحياء الذى يدور محوره على الانسان .

(٣ - بدء نشوئها )

نشأت الروحانية العامة على محذب الكرة الارضية منذ نشأ الانسان عليها و كوّن له مجتمعاتاً ولم يعهد دور بشرى خلت ازماته من وجود روحى يقوم بنشرها بين الافراد جهد مستطاعه و تسلسلت مع الاجيالها بطة مرة و عالية اخرى حسب الملبسات الزمنية و امارو حانية الملائكة فهى على ما نطقت به الشرائع عريقة الى ما لا يعرف له حد .

(٤ - ما المقصود بها ومن هم رجالها)

المقصود بها حذف فضول الحيوان و الكسر من شرته و تقويم بنية هداة الغريزى



و تعزيز جانب العقل وتقوية ما يوحى به الضمير حتى لا تنقل الحياة على الاحياء ولا تستشرى ويلايتها المتعاضدة على حساب تنازع البقاء مرة وعلى حساب العنجهيات المحضة مرة اخرى وحتى يعود كل شيء مطابقاً للصورة التي يستطاع تمشيته عليها بما ينفع ولا يضر : واما رجالها فهم الانبياء المعظمون والعلماء العاملون والمثاليون الزهويون وكل من انتجته مدرسة هؤلاء المقدسين .

#### (٥ - مادعوتها وكيف كان الدعاة اليها)

جماع دعوتها رياضة النفوس على الطريقة المثلى والاخلاق الحسنى حتى يبنى الجميع لسعادة انفسهم مدينتهم الفاضلة ويعيشوا فى كنفها آمنين مطمئنين لا يشكون من اوضاعهم قليلاً ولا كثيراً : وقد أطال الكتاب والسنة القول فى تشقيق هذا العنوان وعلى مضمارهما استن الفقيه والاخلاقى فكتبوا الكتب المبسوطة الحافلة بكل ما يقوم بمعاش الانسان ومعاده على آخر طرز حررته العقول الناضجة والافكار السديدة والضماير المؤمنة وطردت عن ساحتها البدع والاهواء والدسائس والرموز التى خلقها للمجتمع من اراد ان يعيش من طريق الانحراف والدجل والتدليس : وليس بوسعنا فى هذه العجالة أن نسوق حتى النماذج عن وحى الشرائع فان المسلمين قاطبة بل وغيرهم ممن دعاه لبه الى التعرف بالحقائق لا يجهلون ما احتفى به القرآن بين دفتيه من تعاليم لها وزنها فى العلوم التربوية والاجتماعية فضلا عن العقلية الفلسفية فممن سورة ولا آية لم تأخذ حظها البليغ من لغات النظر وطرح الصور الى ما فيه سعادة الفرد والمجتمع : وما اسف به مخربوا الاجتماع من المسائل الماحقة التى نهبت الاعمار وراء الاموال وأطاحت بالقيم المعنوية وراء العناوين المادية فأمر لم يدع اليه علم ناجع ولا نظر صائب بل السر فى الدعوة اليه هو افلات الناس من كل قيد و لا ريب ان الافلات عين التوحش ولا يستسيغ عاقل من الناس ان يعود بعد انسانيته وحشاً هاملاً يسرح لا الى مقصد و يندفع لا الى غاية .

وهلم القول فيما صح عن نبي الاسلام واهل بيته الاطياب من حديث وسنة فان الناظر اللبيب لا يجد نفسه بين مجتمع هاتيك الحقائق الا كما يجدها فى احفل روضة

قد ضمت الورد والريحان والنبع الطرى في احضانها فلا ترى العين منها الا كل جميل ولا يستاف الانف منها الا عطر شميم ولا يلمس منها الا كل عطف ولين وعلى مثل هذا :  
واما ما يوجد من الاسفاف والخرافات النابية في بعض مدونات الحديث فليس ذلك من الشريعة ولا من شارعها ولا من اهل بيته الذين عرفهم الدهر بكل فضيلة عالية وانما هو تزوير واختلاق دسهما اعداء الحقيقة للإطاحة بها وباهلها وكيف تأتلف الدر مع البعرة والسمين مع الهزيل ام كيف يختلط الحق بالباطل فان ما يقف عليه من جزالة الحديث النبوى الصحيح وفخامة السنة الواردة عن اهل البيت لا يشك معه في تزوير الهنات التى دسها الدجالون فى الكتب الحديثية .

ولا ريب ان ما اشرنا اليه من تيك الصور العالية لو طبقت على الحياة كما هي ملتقطة عن الواقع لرأى الناس الزمان والمكان والانسان بل وحتى الحيوان على غير ما يرونه الان من تبلبل وانحراف وسماجة ولرأوا كل ما يرونه بمرائيه البهية التى يعلق بها كل ناظر اليها ولمشت الحياة بالاحياء مشياً سجعاً لا تعثر فيه : لكن : يا للأسف لم يكن فى الخارج من ذلك شيء وان كان جميعه لمصلحة الجميع فان التحيزات الجنوبية والانتهازات المرهوزة اخذت تتحيز بالفرد تلوا الفرد لنيل رغبة ملعوننة لومشى بها صاحبها على الجادة لحصلها من طريق صحيح ولما اضر بالآخرين غير ان الانسان لم يتح له ان يعرف معنى نفسه وانه وجود ممتاز يستطيع بسهولة ان يحقق له مصيراً غير مصير الحيوانات الهاملة الرامية الى الضلال البعيد : كما يستطيع : ومهما كانت عقيدته فى الخلقة : ان يرى نفسه بالفعل انسانا اى موجوداً لاربط له بخواصه بل بذاتيته وغرائزه بأى موجود سواه لكنه على الاخص لما شككه المشككون فى اصله وهويته راح لا يجد بينه وبين الحيوان الضارى اقل فارق وانه هو الذئب مثلاً فى مسالخ آخرو اخذت هذه العقيدة تأخذ منه ما خذها القوى فبينما تراه من ترقى مواهبه الصناعية جاء معجزة القرون تراه فى اخلاقه ساقطاً لدرجة مردولاً لأبعد غاية متسغلاً بنفسه لالى نهاية بعيداً عن كل خير قريباً من كل شر وعاد لا يفترق فى هذه الروية الرعاء فليسوف وعامى ومملك وسوقة بل حتى سرت هذه الروح الموبوءة الى جملة

من الانتهازيين وان طلعا بسيماء الروحانيين فأخذوا يساندون كل جلف جاف ومخرب مدمروياً كلون - كما يقولون - الخبز بسعروفته حتى في العقائد والآراء الفلسفية المتأصلة - فكانوا رداء للظلمة واعواناً للخونقوش كافي الجريمة على مخلوقات الله.

وهكذا جال الدهر جولته فخلقت الرموز نمرود لابراهيم و فرعون لموسى واليهود لعيسى ووحوش الجاهلية لمحمد و معادية لعلى و يزيد للحسين و هلم مشياً على حلقات الزمان حتى يومنا الحاضر وللمستقبل صورة تشاطر بمعناها ما سبقها من الصور التي عايناها ولمسناها : تيك هي دعوة الروحانية .

واما ما كان عليه دعائها فقد كانوا طاهرين من كل لوث بريئين من كل عاهة سالمين من كل مرض مخلصين اشد الاخلاص لله ولعباده لم تعلق بهم المطامع و لم تنشب بهم مخالب الرموز قاوموا كل عنف وعنيف حتى غلبوه بالصبر والمقاومة وبارزوا الباطل و المبطلين الى ابعد حد ممكن حتى نجحوا في نهاية المطاف و ابدوا من البسالة ما لا يوجد حتى في المستميتين و بذلك فرضوا انفسهم على الوجود فرضاً لا يستطيع التشكك فيه حتى الملحد الحاد في الحاده : و لقد قص الله في كتابه قصصاً على سيرتهم العالية وانهم كيف ضحوا بانفسهم في سبيل المصلحة العامة .

و لقد ترصد علماءنا الاخير المشى على هذه الخطط فكانوا فيها من اشد المثاليين : فقد كان الشيخ مرتضى الانصاري قدس سره على نياله لمقام المرجعية العليا وفيها من القدرة ما شهدته كل انسان في مرجع عصره الوحيد من ازهد الناس واورعهم واثقاهم لا يأخذ لنفسه من جزيل المال الملقى بين يديه الا ما يتبلغ به لضرورة رفقته و يصرف الجميع في مصارفة الحق حتى مات عن لاشيء بالضبط : وهكذا كان العلامة المقدس الشيخ محمد حسين الكاظمي فقد كان على جلالة قدره متقشفاً لأبعد حد مواسة لافقر الناس وعلى هذا المنوال درج العلامة المقدس الشيخ محمد طه نجف والحاج آقارضا الهمداني صاحب مصباح الفقيه وغيرهما :

و يعسر علينا تحقيقاً لم هذه الصور البارعة و تحلية هذا السفر بها والحق ان الرياضة التي ارتاض بها هذا الفريق المؤمن من اطول الشقق في الجهاد النفسى

ومغالبة الشهوات وكبت الميول : وقد جاء القرن العشرون : عصر التمدن والمعرفة و التنور فيما يقال عنه : نسخة معكوسة فيها الجرائم الشوهاء والاستئثار البغيض و الاستبداد الشائن والحيونة الساقطة حتى صار حديث اولئك الامائل فيه من اعاجيب القصص التي تروى .

(٦- مشى الدعاة بانفسهم آنفاً وحاضراً)

اسلفنا ان الروحانية اقترن وجودها بوجود جامعة البشر لليوم لها بقاء ودعاة غيران بين لوني الدعاية و سنخية الدعاة في الغابرو الحاضر فروعاً جمّة كانت سبباً لقوتها أمس ووهنهما اليوم وتلك الفروق هي ان النخبة الصالحة من رجال الدين في امسنا الدابر كانوا على درجة من المفاداة في طريق الحق -

لا تقلّ عما يصحى به الابي الغيور الشجاع في مقابل من يروم عرضه وناموسه وحيثيته وشرفه بسوء فكما أتت هذه المناهضات على الاباة بالمآتى المرة كذلك اتت مناهضات المتدينين على خصوم الدين بمآتى مرة على رجاله وزمرة أبطاله فقدعانوا لتمسكهم بالحق وانغماسهم فيه مرارة كل شيء .

والذى يستعرض الواقع يرى من هذه الولايات والمآسى الشيء الكثير ومع ذلك فقد هضمه رجال الدين هضماً عن رضاء بقضاء الله وأساغة عن رحابة نفس علماء منهم ان ذاك تحقيق للميثاق الذى أخذ عليهم فى قبيل تحملهم لابعاء هذه الرسائل فما استكانوا ولا وهنوا وكذلك فعل الاحرار قبلهم من انبياء عظام و اوصياء كرام فكانوا لهم اسوة .

اما وقد أجب القرن العشرون بخيله وخيلائه وداروينيته وماركسيته وشهواته ورغباته وناهض شأن بقية العصور كل دين و متدين فهناك رأينا باحدنا كيف تذوّبت تيك الصبابة الباقية من الجيل الماضى فجاء اخلافهم بين من طفر من الميدان طفرة واحدة القى فيها ببزته وروحيته فجاء عارياً فى ظاهره وباطنه وبين من داهن و دلس فلم يربأساً وهو من دعاة الدين كما يدعى ان ينضوى تحت راية ماركس ويشفع ذلك بصلافة ووقاحة قائلاً ان من الوظيفة المحتممة على كل عاقل فى كل زمان ومكان ان

يأكل الخبز يسعروقتة فهو اسان ينيط مقاييس العلم وموازن الاخلاق والمبادئ الصحيحة والقيم المعنوية بما توزن به اللحوم وتباع به الشحوم وتعتبر به كمية الخبز ويرى ان الالتحاق بحزب الملاحدة على حساب تشويش الوضع لا يمانع البقاء على دين محمد بن عبدالله وان العمل بآراء مار كس لا يناقض النظام الذى شرعه الاسلام وهذا ان الاخلاق الدينية مع الاعتراف بصحتها ولزوم تطبيقها على المجتمع لا تصادم هذا التبذل الخلاعى والاسترسال فى ميادين اللاأبالية وبالآخرة هو يرى ان الجمع بين النقيضين والعمل بكلا الضدين فى عرض واحد امر ممكن و واقع .

الى مثل هذه الخطة الرعناء انجر امر الدين وعلى هذا المهاد القلق تربع الدجالون من المنتسبين اليه فماترى يكون الوضع بين هذا وذاك ولولا أن فى اطباق هذه الثمالة من رجال الروح بقية صالحة تحددت الوضع بالصبر الجميل لكفر الناس بأسرهم بكل مبدأ لما يرون من شذاذ هذا الفريق من هنات موجعة لا تقبل الهضم .

على ان زافة العصور اخذت تتسرب الى الالحاد افواجا فأفواجا لآلأنها وجدت فى الزندقة بلاغاً لارواحها بل لانها وجدت المقام على الدين طارداً لها عن الاجتماع والتمتع بمزاياه المطردة : فنحن نعيش اليوم فى دنيا ملأى بالمخازى طويلة الذيل بالجرائم وهذا كله نتيجة تقلص ظل الروح الصحيحة عن دنيا بنى آدم فالناس على الاطلاق من ناحية حيوانيتهم سواسية لافرق بين قديم وجديد ولا فى زمان دون زمان .  
(٧- مشى الزمان وبنى الانسان معهم سابقاً ولا حقاً)

الروحانية لما كانت دعوة الى الروح دعوة الى الخلق الفاضل دعوة الى نزع قشور المادة والاتصال بلب المعنى لاجرم كان هواتها على فضلها قليلين بالنسبة الى جفاتها الكثيرين : فمنذ الاول كان اشياح الانبياء فى الاقلية و منازعهم فى طرف اكثرية حتى هيمنت دعوتهم على هؤلاء فخضعوا لها اذ لا بد من الخضوع لجهات حيوية تدعو الى الاستسلام : وفى درس ما لاقاه نوح من قومه وهود من امته وصالح من مجتمعه ولوط من معاصريه وابراهيم من الوسط الذى قام بهدايته وموسى من جيله وعيسى من اهل زمانه ومحمد من الجاهليين كفاية للتدليل على الدعوى التى آنفهاها : وقد

كان الالحداد على تغلغله في طبقات البشر في كل زمان ومكان غير عصى المبارزة على من يريد مبارزته من نبي ووصى وعالم رباني لانه لم يكن متر كزاً الا على استبعدادات عامية لاتقاوم الموازين العلمية : اما الالحداد في عصوره الاخيرة فقد اخذ حظه من التركيز في اعماق القلوب لما اقيم عليه من ادلة وان كانت مبتورة في واقع البرهان الا انها ذات روعة في مظاهرها الفتانة فمشت تغذ في ارواح الناشئين و ساعدتهم عليهما يرونه من انحطاط الوضع العام في كل يوم درجة بما يأتلف مع الزندقة و لا يلتئم مع الايمان فكان هذا الجرى مورد اعتراض لهم بأن الدين ان كان حقاً ومبدء مستنداً الى ما وراء الطبيعة فاين مكان الاعتزاز به والتدرج به من خفض الى عال و اين امدادات الغيب له و كيف ازرى به وبرجاله الخنوع والذلة الى امثال هذه الاعتراضات التي لها وقعها الظاهري .

لهذا ولذا كان مشى الزمان مع دعاة الايمان سابقاً ولاحقاً على طرفي نقيض فقد كان في سابقه يزاحم الدين و يناقض رجاله لالتر كيز الالحداد مكانه بل لنيل الرغبات من طريق اضعافه وتقليل نفوذه اما اليوم فهو يزاحمه و يبارز الدعاة اليه من عدة جهات اساسية :

(١) تر كيز اصل الالحداد باعتباره من النقاط الفلسفية التي يجب تر كيزها لانها حقيقة من حقائق الكون والفلسفة من شأنها ذلك .

(٢) القضاء على الدين والدعاة اليه اطلاقاً لكافة البشر من كل قيد فلا يعود ذوالنهمة من كافة الطبقات محدود التر كاض بنزعاته و اراداته بل يصحر بها طبق ابحاث الزمن آمناً لا يخاف من احد كائناً من كان .

(٣) توسيع مدار المادة واستنزافها من اهلها ولو كانوا عجزة بؤساء من طريق ماخور المومسة و حانة الخمار و رقص الراقصة و غناء المغنية و تمثيل الممثلة الى عشرات من شعب هذه الرذائل في جوهرها المطاردة من طريق الدين و رجاله المباحة في شرع الالحداد اباحة غلت في تبذرها واستشرائها حتى عادت جليلات النساء لا يأنفن من الانتساب الى تيك الاعمال الساقطة : والنقطة النهائية التي فقدتها خصوم

الدين سابقاً ووجدتها أعداؤه لاحقاً هي الوسائل الفعالة التي لا تحتاج في استخدامها إلى جلبة رجال وإيدي أبطال كما لا تنحرج عن الإبادة والاهلاك ومهما كان طرفها فلا بدع إذا تقلص ظل الدين عن وجه البسيط وقل رجاله و أخذ يتذوب شيئاً فشيئاً و يأتي من الانتساب له إلا الطبقة النازلة من الناس أو الذين لا وسيلة لهم في الانتباز عنه إلى غيره : ذلك وهذا مشى الزمان وبنى الإنسان مع الدين و رجاله سابقاً ولاحقاً .

### (٨ - تأثيرهم في الدعوة وآثارهم في المجامع)

لومشت البشرية في تمام ادوارها غافلة عن فطرتها بعيدة عن شعورها منتحية عن مداركها في جانب عن معارفها الكامنة فيها وعزلة عن روحها المبنية في شراشر وجودها لما رأيت الدنيا على طول عمرها في يوم من أيام الله حافلة بانسان واحد ولوجدت كل مادب عليها وهب حيواناً ضارياً قد اعد برائته وحدد مخالفه للاطاحة بكل ما يقدر عليه هذا هو الانسان في تجرده عن لباس المعرفة وبعده عن مستوى الاخلاق الفاضلة : فان سمعت او وجدت انساناً عرف المعروف وعمل به وتميز الخلق الفاضل من المرذول فأخذ بالاول وترك الاخر وشخص ان الانسان موجود بحياله مرتين بفضل و كماله موزون بحيائه ووفائه وصدقه ورفقه وعدله وفضله و احسانه و امانه وورعه و ايمانه و صفائه و تقائه و مواساته للضعفاء و حذبه على البؤساء و تنكبه عن موارد الشرائع الخيرية : فمما ذلك : الا من نتيجة دعوة الرسل و تبليغ احرار المبلغين و علماء المثاليين و من ثمراته انتشار المقدسين و البررة الطاهرين بين حدى الماضى والحاضر و في طول سلاسل الانسان .

واكبر برهان على ذلك ان جيلنا الحاضر على ما احتوى عليه من تمدن و حضارة و توسع في الكماليات و ابداع في الظواهر الفعالة لما فقد الخلق الفاضل و اعوزه العلم بالمعروف و العمل به اخذ يتسفل الى الوحشية تسفلاً زاد فيه على عهد الانسان الحجري فانك ترى اليوم امهات مدن الحضارة و الامم المتحضرة قد ارتكست في شرور يعجز عن توصيفها اللسان و مديد البيان بيضها تعبت بسودها و غنيها بفقيرها و

قويها بضعيفها وحاكمها بمحكومها والتمايز الطبقاتي الفاحش من طريق اللون والعنصر والمقام والجاه والقدرة والنقوذ ضارب بجرائه على حالة بشعة جداً تمتعض منها اقل النفوس دركاً وابطؤها امتعاضاً والتهتك والاستهتار والخلاعة من اجلا مظاهر الانسانية اليوم فلا ترفع طرفك اوتضعه الا وتجد الفسق والفجور وملاء الشوارع والمشارع وفي كل مكان حتى اصبح التعفف عاراً على الرجل والمرءة - وبالجملة - لا يرى المتشوف اليوم المستشرف على هذا العالم الاحياء هائجة صاحبة عابسة كثيرة الويلات مستشرية السيآت بعيدة عن الرحمة قريبة من القسوة كابوساً ثقيلاً على الاحياء وهذا كله من نتيجة الانحراف عن مناهج الرسل و طرائق الاختيار الابرار من الروحانيين وان يوجد في ذوايا الخمول حيي وفي صديق رفيق محسن مواسي محب للخير مبغض للشرفما هو الامن بقية السلف الذين انتجت مدارسهم كل بر طاهر ونزيه مؤمن .

#### (٩- الروحانية في الماضي)

ونعني بالماضي طول الزمان الى اوائل القرن العشرين فالقسمة الاولى كلها فصل واحد والقرن العشرون في فصل مقابل : الروحانية في الماضي كانت تدور على محورين اصولي وفروعى ونريد بالاصولى ما يتكفل البحث عن العقائد وان المكلف لا بد وأن تشبع روحه من مقاييسها العامة وهى لا تتجاوز الاعتقاد بوجود ما وراء الطبيعة وانه حى عالم عادل قادر مختار بيده مقدرات الكون وان ارساله للرسل و توظيفه الدعاة الى دينه حق وحاصل وان وراء هذه النشأة نشأة أخرى يجازى فيها المحسن على احسانه والمسيء على اسائه: ونعنى بالفروع ما يتكفل النظام العام لحياة الانسان وغير الانسان ووضع كل شىء فى نصابه اللائق به ويتبع ذلك ادب المعاشرة والمجالسة والبحث عن الفضائل والرذائل هذا جماع ما كانت تدور حواليه روحانية امس وهذا المقدار متسالم عليه مقبول للعقول والاعتبارات الصحيحة .

وهذا العلم الصحيح الذى ورثناه عن ماضينا سواء فى الاعتقادات ام فى الفروع جدّ جزيل وبه قوام الحياة الصحيحة وقد سهرت عليه عيون وافكار وانامل لا تؤخذ عليها بادرة دجل وتدليس او جهل وخداع انصافاً وقد ازدهر كل قرن من قرون الزمن الماضي



بفحول أفذاذ كرسوا حياتهم لخدمة المجتمع جهداً المستطاع ولم يألوا في تنميته وترقيه حتى آل الأمر بكثير منهم ان يبارز الطغيان مبارزة عنيفة و من طريق هذه المبارزات استطاع الدين ان يحتفظ برمقه من قضاء فراعنة الدهر عليه.

نعم نحن نوجه من اللوم على مدرسة الماضي ما يعود على تشكيلات دروسه و محاضراته وطريقة التدريس فيه بما اصبح التفهم لواحد من فنونه المطروقة عسراً جداً مع استلزامه لعمر مديد وهذا المعنى هو الذي ار كس معارف العهود الماضية في قبال خطط المستحدثين واخذ يزويها عن الوجود شيئاً فشيئاً حتى يؤل الامر بها الى الذوبان مرة واحدة : لكنه في الواقع ان يقض فانما يقضى على القشور اللغزية واما بدائع الاراء ومنتجات الافكار فهي لاتزال موضع تقديس و اكرام لما فيها من دقائق عالية وحقائق ناصعة : ونظرة عميقة في علوم الفقه والاصول والفلسفة والكلام والحديث والرجال والبلاغة والنحو والصرف و اللغة تكفي للاستدلال على ما قلناه و كل هذا من تراث القديم والجديد فيه متطفل محض انما يعيش على فتات مائدته فحسب .

(١٠ - الروحانية في الحاضر)

مع ان العصر الجديد لم يدون لنفسه سوى ما بذل له من عنايته الخاصة كثير أمن النقيب والتمحيص كعلوم الفيزياء والكيمياء والهيئة والهندسة والحساب والطبيعات والجغرافيا ونقد التاريخ ولم يكن له في علوم اللغة والبلاغة والفقه والاصول والفلسفة والكلام والحديث والرجال والتفسير وما الى ذلك الا الاخذ من الماضي غير انه فيما دون رتب وهذب ووضح وصرح وجاء بصور تقبل عليها النفوس لانسلا كما مع الطبيعة وخفتها على الروح ومن هنا سميت كتبه كتباً كلاسيكية واقبل الجمهور عليها ما كتفين بها على انها لاتقوم بالكفاية الا فيما تخصصت له وبقي الجانب الآخر الذي لم يتخصصوا له على حاله من الصورة القديمة في الاطالة و الغموض و التشويش الذي لا يقف معه الطالب على محصل الابدع معاناة شديدة تنبوعنها النفس ويكل عنها الذهن .

ولم تتأثر بقية السلف من الروحيين بمثل هذا التجديد الصحيح فتهذب كتبها وتنقح بحوثها وتبوب مطالبها و توضح مقاصدها و تجدد لكم وكيف دراستها حدوداً

منطقية كما حدد المتجددون ادوار دراستهم بالادوار الابتدائية والثانوية والجامعية و اعطوا لكل دور برامج خاصة وشهادات تتفق مع ميزانية التحصيل فيه فكان المحصل قبل وروده في اصل الدراسة يعرف الادوار التي يريدان يطويها والمالك الذي يريد ان يحصله في نهاية كل دور كما يعرف الغاية التي يتوخاها لكل نوع من انواع التخصص اما الدراسة الروحية فانك تجدها اليوم كما كانت قبل اربعة عشر قرناً عند ما كان الحسن البصرى او ابن سيرين يستند الى سارية من سوارى المسجد و يلتقى على حاضريه كل "ماسنح بباله وفوق كل هذا ان حياة المحصل الدينى اليوم كلها تسيب واهمال فلا بدع اذا جاء عاراً على نفسه يتخطفه العابرون و المستطرقون بل والطريقون والاسقاط من الناس من كل جانب ومكان .

واللطيف انه مع هذا وذاك نراه ماضياً على طريقته الاولى غير مكثرت به - هذه الحوادث الجارحة ولا معتد بنفسه ولا بالغاية التي يرمى اليها حساباً ان هذه الادوار من فترات الزمان وانه سيعود بعدلأى الى الوضع الذى كان يسيطر عليه الحسن البصرى وابن سيرين فحقاً اذا قيل ان الجنون فنون : لكن السير الطبيعى الحثيث على ما فيه من غثائفة آخذ بالتقدم طالولهاؤلاء المستضعفين طى "السجل للكذب ولا ريب ان خطتهم هذه اذا بقيت على ما هي عليه ستكون هامة اليوم او غد وسوف تفوز عليها حتى البدع و الضلالات والمذاهب الساقطة كانهم لا يدرون عفا الله عنهم ان الالحاد ضرب ضربته القاضية وان الانتهاز تحين بهم الفرص حتى اوردهم الى هذه الموارد الوبيلة وان ابنائهم اصبحوا من اعدائهم فكيف بالاجانب والايثار .

( ١١ - كيف يجب ان تكون فى المستقبل )

نحن فى هذا الفصل مصورون فقط لاننا على رجاء اكيمن تغير الحال و تحسن الوضع وأن ابناء الروح سيلتفتون الى مستقبلهم كالتفات كل حى "حساس اخفق فى مساعى ماضيه فهو يعد العدة لادامة حياته بالتشبث بكل ما يوجب بقاءه ويضمن له مستقبله : والتصوير الذى نحاوله ينحل الى مواجهتنا لثلاث طوائف بما يلزم كل طائفة منها .

( ١ - رجيل الناس والسواد الاعظم ) وهؤلاء يجب ان يعلموا كما وجب على

غيرهم في ماضيه أن يعلم ان حياة البشر منذ انتشروا على محذب الكرة حياة مضطربة لان الاحياء منهم في كل دور لم يحاولوا ان يعيشوا على ضوء المنطق حتى تطرد الحياة امامهم محفوفة بالهناء والراحة بل حاولوا وراء تامين الحياة ان يجمعوا بين اضدادها ومتناقضاتها: حاولوا البقاء لانه منية كل حي وحاولوا معه مغالبة الاحياء على أعمارهم ونفائسهم ونواميسهم بالترأس عليهم والسير معهم بكل سيريوحى به الهوى النفسى ولو كان جنوناً والغرض الشخصى ولو كان جهلاً ولا ريب ان هاتين المحاولتين محاولة لتحقيق ضدّين متعاندين في عرض واحد ونقيضين يستحيل عليهما ان يجتمعا في عرصة الوجود ابدأ ولهذا رأى الاحياء دنياهم مائجة ها ئجة لابقاء فيها ولاراحة : ولاجل الوقوف امام هذا التيار المزعج بعثت الروحانية من مرقدتها لتحدد موقف الجميع لسعادة الجميع ولهذا السرزهدت الانغماس في الدنيا المادية صوتاً للاحياء عن التلف اذالتف والانغماس فيها مقرونان في قرن فعينت الوظائف لكافة الناس من دون ان تستثنى منهم احداً ووحدت القانون لمصلحة الجميع كما وحدت الجميع امام القانون ولم تعرف العظمة في الجاه والمال والنفوذ المادى حتى لا تفتح للشرا بواباً او صدها العقل وسدها المنطق في وجوه الناس بل عرفتها في البر والاحسان والعدل والايمان ومزاولة الفضائل ومجانبة الرذائل ولقد اصحح القرآن في كثير من آيه وسوره عن هذه النزعة اصحاراً ما عليه مزيد وعرف الناس بانهم عبيد الله بالخلقة وانهم في عرض ذلك احرار في انفسهم تجاه اى احد يفرض وانه لاسبيل لاحد على احد الا بالحق وعلى هذا الاساس حرمت الظلم ولعنّت لظالم ومنعت من الركون اليه والتعاون معه لان الظلم رأس كل فساد ولان الظالم لاجل تركيز نفسه وتمهيد الطريق لظلمه لا يبالي من ارتكاب اية سيئة تفرض ذلك لان الظلم توأم مع الكذب والنفاق والارشاء والارتشاء وسحق المقدسات والقضاء على جامعة الفضائل والافاضل وهو ابو الدسائس والرموز واعدى اعداء الحق والحقيقة .

فمن هنا كان لزاماً على كل انسان يحب ان يعيش بهناء غير حامل لوزر او مشترك في جريمة ان لا يآتمن ظالم على اقل شيء من اشياء الحياة ولا يصدقه اذا حدثه بحديث

ولا يركن الى وعوده اذا وعده .

( ٢ - طائفة المراجع الدينيين )

وهؤلاء من وظيفتهم ان يصمدوا للحق صموداً يكون جزاء للعظمة التي ينوشونها من طريقه وباسمه وان لا يكون همهم توسيع نطاق رياستهم الا لمصلحة العموم و معنى صمودهم للحق تحريمهم لكل مظنة يتقدم بها الدين والمتدينون فلا يفتحوا أبواب مدارسهم في وجه من لا يعرفونه وان لا يكتفوا من الطالب بصرف الانتساب الى مدرستهم بل تجب محاسبته على كافة اوضاعه ومراقبته في حر كاته وسكناته .

وبالاحرى يجب ان تكون حاشية الزعيم الروحي من الطبقة المثلى المأمونين فلا يخلد الزعيم الى لصوص المادة القابعين بشباب التملق والخنوع للقطع بان هؤلاء يتاجرون بخضوعهم واستخذائهم و يموهون بتصاغرهم وانقيادهم ولا يرصدون لسوى جعل الزعيم الحافين بهقنطرة لتنفيذ ميولهم كما حصل ذلك في جملة من رؤساء الدين الذين شخصوا وتسنموا عرش الرياسة العظمى : ويجب على الزعيم ايضاً ان يواكب الزمن بالاعداد اللائق و السلاح النافع فيعدل التعديلات المهمة في كتب الدراسة وطريقة التدريس ولون الدروس وحذف واطافة ما يلزم حذفه واطافته في البرنامج الدراسي كما يجب تحديد ادوار الدراسة واعطاء الشهادات على حسب الكفاآت وتعيين مصير كل طالب منتهى وبذل الوجوه الشرعية في مصارفها الحققة حتى يخرج معطى الحق وموزعه وآخذه من مسؤولية الله .

( ٣ - طائفة المحصلين )

ان الشبيبة التي تتوارد على الحوزات العلمية الدينية في ابان صفائها وسلامتها من دخائل النفوس من اطهر ما خلق الله نفساً وعاطفة و قدسية ضمير و من هذا المنشأ نراها تجمع قواها للقيام بالوظيفة فلا يصلى الطالب صلاته الاجماعية ويكثر من تلاوة القرآن والاذكار الماثورة وينتجع حوزة الدرس اينما تكون ويشمر للتحصيل جهده مستطاعه وهكذا يمشى ويمضى توتاً غير مبال بالفقر و الاعواز ولا يعير طرفه للشهوة و اية كانت : لكن تعثر طريقه في الدراسة وارتباك وضعه في السير الدراسي و الهنات التي تتوالت

امام عينيه الواحدة تلوا الاخرى مما يقلل من حماسه ويضعف من نشاطه حتى اذا توسط ميدان عمره وحياته وتلبس بالحياة العائلية ورأى الانهيار والتشويش والاضطراب في كل شأنه دب اليه السأم والملل واعتكرت به خواطر جمّة تتضارب به نحو اليمين مرة والشمال اخرى : اذن يا طالب العلم الدينى من مصلحتك قبل كل شىء ان تتعرف بمصيرك قبل حلوله فأما ان ترى نفسك خاضعة للحق ولومزقت حياتها في سبيله كل ممزق فمن اللازم عليك حينئذ استمراك في المسير الى منتهى غايتك و أية كانت نهايتك في علم الله واما ان تنصرف قبل كل شىء الى ماتراه ضامناً لسعادتك من المشاغل التى تقوم بواجب معيشتك .

ونختم هذا الفصل بالمقارنة الاجمالية بين دين الاسلام وسائر الاديان فنقول :  
الاديان السماوية كلها دين الله منذ ابتهت الله اول نبي من انبيائه الى ان ختمهم بنبي الاسلام والمبدأ الاعلى سبحانه فى تشريعه لاي دين منها لم يكن متحيزاً الى طرف دون آخر حتى يكون نسخ الاول بالثانى من ناحيته كاشفاً عن عدم عنايته بالمنسوخ منهما : غايته ان مراعاة قابليات الاجيال والاقترانات المختلفة باهل كل زمان والمصالح الوقتية لتسير المجامع كانت منظورة لديه فانه تعالى وان كان قادراً على تحوير كل شىء بالارادة الحاسمة الا ان فى ذلك خروجاً عن مدار سير الاسباب والمسببات وعن مشى الطبيعة بموايدها باللون الذى تقرؤه قريباً ولولم يكن لهذا السير اثر عنده لعجن فى طينة كل انسان روح الايمان بالمبادئ الفاضلة ومنع حتى الحيوان عن التجاوز والتعدى فلا يعوذي يرى الانسان دنياه الا كما يرى الروضة الحافلة بشتى الرياحين و الورود من دون ان يعترىها أفرول او ذبول ولكنه شاء ان يبسط الطبيعة كماهى وان يتبارى فيها الافراد على حساب الحقيقة الملموسة لعقولهم لاعلى حساب الميول النفسية القائمة بأوامهم ولذلك جعل الديناميدان نضال وكفاح بين الميول النفسية والعقول وارتبهن السعادة بالعقول والشقاء بالميول وأصحر عن ذلك بتكرار واستمرار على لسان انبيائه وممثليه بين خلقه فكانت سعة دائرة النبوة وضيقها بحسب المحيط والزمان والبيئة الدراجة حين تشريع الشريعة وارسال الرسول : فرب زمان بمقتضى اقتراناته يدعو

الى اختصار الدعوة ولمها في برامج محدودة وزمان آخر لاتساع عقول أهلهم ومساعدة  
 الوضع فيه يقضى بلزوم التوسع في التشريع وتفصيله .  
 وما عر بنا عنه سنة كونية جارية في تشكيل الدول وسن القوانين وعالم الدراسة  
 والتبليغ وما الى ذلك : والنبوات في فرضها على الجوامع لاتعدو هذا المقياس فلا بدع  
 اذا كانت نبوة نوح بلون غير ما كانت عليه نبوة هود وما كان عليه هود غير ما كان عليه  
 صالح وبمثل هذه المقارنة يقال في نبوة ابراهيم وموسى وعيسى وما بينهم من سلاسل انبياء  
 مؤسسين : وقد أصحح القرآن بجملة مما كان عليه الامم من الرذائل في عهد كل امة  
 ونبيها فمرى القرآن عندما يذكر لوطا ير كز دعوته في الغالب على التنزه من فعل  
 اللواط وتقنيد قومه على ارتكابهم لهذه الرذيلة الشنعاء ويلوح لنا من ذلك انها من ابرز  
 الظاهرات المرذولة التي كانت بينهم : ونراه عند ما يذكر شعيباً ير كز دعوته في الغالب  
 ايضاً على النهي عن تطفيف المكايل والموازين حتى كأن هذا الخلق الفاسد كان شارة لهم  
 يعرفون بها بين الامم والاقوام الى غير ذلك مما يقف عليه فاحص آيات الذكر الحكيم  
 في هذا الشأن .

ثم ليعلم ان الله الذي صنع الطبيعة لم ينزل بسلطانه عنها لاقية ومومة ولا مباشرة في  
 التأثير المستمر ذلك ان انرى بالعيان المكشوف لنا ان عوالم الاحياء وبخاصة فصيلة  
 الانسان منها لم تتمش في مواليدها على سنن طبيعية ونظم كونية خاصة فهذا الانسان الذي  
 نلحظ كافة مجاريه بحواسنا لانراه في توليد امثاله الااءاداً خالصاً ونرى كافة مواليده  
 كلاً بهوية خاصة فلا الشكل متحدأوالا التخطيط الهندسي متماثلاً ولا الغرائز والادراكات  
 فذة بل ولا الاجهزة متوازبة فيولد من الابيضين الاسمر ومن الطويلين المتناهي في القصر  
 ومن الوسيمين الدميم ومن الولودين العقيم ومن الشجاعين الجبان ومن المؤمنين الغريق  
 في العصيان ولا نطيل عليك بسر هذه الامثال بعد ان برهن العيان جلياً على انشعاب كافة  
 المواليد حيث لاترى انساناً وآخر متشابهين في كل شيء : كما ان العلوم الطبيعية  
 اثبتت ذلك بالفحص الدقيق واصحرت على ان من معجزات الخلقة عدم توارد اثنين من  
 كافة البشر في خطوط الاصابع ولذلك اعتبرت دوائر الكشف ان اثر الاصبع لا يعادله

شئ في تعيين الشخص المراد تشخيصه : وهكذا اصحرت العلوم الطبيعية بانه لا توجد ورقتان من عصف واحد متماثلتين في الخطوط الهندسية ونظائر هذا وذلك في الانسان والحيوان والنبات ما لا تحصى .

فلو كانت هذه الانتاجات طبيعية محضة ولا دخالة لقوة وراء ذلك فيها لاستحال ان ينتج تأثيرها هذه الانشعاعات غير القابلة للجمع واللمم اذن فالطبيعة لانظام لها في انتاجها و يستحيل ان تأتي هذه الكثرات المتفاوتة لا عن علل قامت بتوجيهها هذا التوجيه الذي نلمسه حيث لا يلتقى فيه فرد بفرد آخر الا في ظواهر عامة لا قيمة لها امام الانشعاعات المستشرية في الطرفين من صورية وجوهرية و لا علة بعد الطبيعة الا ما وراء الطبيعة : فهذا نوع من الدخالة المستقيمة لعلل العلل في الطبائع .

ثم اننا نرى لجملة من حصص الطبيعة نظاماً سيالاً واثراً مستمراً نظير حصول الارتواء عقيب شرب الماء والشبع بعد تناول الغذاء ثم نرى لما وراء الطبيعة لداعي الاعجاز احياناً تعقيماً لهذه المؤثرات مرة كجعل النار برداً على ابراهيم خليل الله و احالة لهويتها مرة اخرى كاستحالة ماء النيل دفعة دماً بحقيقة الدم في فم القبطي مع بقاءه على رسله ماء في فم الاسرائيلي .

ولله تعالى دخالة في التكاليفيات ايضاً وذلك امداده للعبد باللطف الخفي في طريق عبوديته لان اهمال العبد منه الى نفسه حتى مع تقرير برامج لحياته و نظم خاصة لحر كاته وسكناته يطيقه في معثور المشكلات الكونية امام امداده باللطف بما يسد عنه جملة من ابواب المفساد فانه يعود في راحة من كثير من الموهنات و مثل هذا اللطف لا الجاء معه اولا و و ارد في نص القرآن ثانياً : انهم فنية آمنوا بربههم و زدنا هم هدى : الاية ١٣ من سورة الكهف : و نظيره في العرفيات انشمار الانسان باهله و اولاده من سكنى المدن التي تكثرت فيها المغريات الى الاماكن المصونة منها سداً لابواب الفساد في وجه من يعز عليه للعلم بان النصيحة والارشاد لا يؤتيان نتائجهما المرادة في محيط فاسد تواجهه الحواس منه ما يوجب الانجراف والفساد بخلاف المحيط الآمن فان النصيحة فيه لا تواجه معاكساً ولا صارفاً .

وقد وردت الرواية ان سائلا سأل ابا الحسن الرضا في مجلس المأمون فقال يا ابا الحسن الخلق مجبورون قال ان الله اعدل من ان يجبر ثم يعذب قال فمطلقون قال الله تعالى احكم من ان يهمل عبده ويكله الى نفسه : كما انه تعالى يطبع على قلوب المتمردين المغرقيين في المعصية المتجافين عنه البعيدين كل البعد منه حتى بعد الانذار والاطار وقد وردت في ذلك عدة نصوص قرآنية منها (الاية ١٠٠ من سورة الاعراف) تلك القرى نقص عليك من انبائها ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين : و العقل يؤبد هذا المنطق تمام التأيد فان اولياء النعم من العقلاء مهما بلغت بهم الشفقة والعاطفة اذا وقفوا على تمرد من ينعمون عليه و اغراقه في المعصية و انحرافه باستمرار عن الطاعة التي هي بمصلحته ومعيار ادبه و نظام حر كاته و سكناته و اعلانه بالخلاف و المعاندة نراهم لاتجيز لهم عقولهم و وجداناتهم مسائرة مثل هذا المنحرف بالمعروف بل يجدون من اللازم تأديبه و مطاردته حتى لايسرى داؤه الى غيره و حتى يصل الى جزائه من كفران النعمة و المجاهرة بالمعصية .

وليعلم ان كل مشرع احاط علمه بالمصالح و المفساد الواقعية و كان في تمام الاستغناء من كل جهة عن كافة الخلق و كان في أعلام مراتب الحكمة حيث يضع الهناء مواضع الثقب يستحيل عليه ان يغش او يدلس او يشرع غير الواقع الصريح و الحقائق الراهنة الا ان يرى من المصلحة المؤقتة تشريع ما هو بدل الواقع لامد محدود او تشريع اعتبارات عقلائية و ان لم تكن من سنخ الحقائق الراهنة لان الاجتماع بعقلياته السائرة يحترمها و لامزاحمة فيها لحق ثابت او واقع رهن و ذلك نظير ما ورد في الشريعة في تشاح ائمة الجماعة من تقديم الاقرأ فالافقه فالاقدم هجرة فالاسن فالاصبح و جهأ في حال ان صباحة الوجه و ان كانت في نفسها كما لا الا انها لاتستطيع ان تكسب صاحبها فضيلة واقعية يحمد من أجلها و يمدح عليها لانها ليست من الامور الكسبية غير ان النفوس البشرية تندفع لاحترام صبيح الوجه و لاتكون بهذه الحالة في مقابل غيره و الشارع لم يخالف الناس في امثال هذه الموارد لعدم الاجفاف في تقريرها بحق احد



من اهل الفضائل الكسبية ولذلك قدم الاقرأ فالافقه فالاقدم هجرة فالاسن لما فى السن من البعد عن الهوى النفسى والقرب من التقوى.

ثم ان الحقيقة لاقديم فيها ولاجديد والخلق الفاضل كالرذيلة المنفورة لايفترق فيهما زمان وزمان والعقول السليمة متناصرة منذ خلقها الله على تحسين الحسن وتقييح القبيح اذن فالحقائق الراهنة لاتنسخ ولما كانت الاديان السماوية والشرائع الالهية قائمة على الواقع الصريح ناهضة بأعباء الحقيقة لانها من الله والى عباده و الله سبحانه اجل من ان يغش او يدلس او يفاوت فى دعوة الافراد الى الحق الذى هو جادته وسبيله لم يعقل فيها ان تنسخ شريعته او يبدلها وان تكذب الدعوة الثانية منها الدعوة الاولى : نعم لما جرى فى ناموس العقل جواز اتخاذ خطط وقتية لرفع حاجة وقتية حتى يتسع المجال لرسم خطة واسعة واقعية قد علمت هويتها لغير ان الظروف لم تساعد على فرضها الا فى ظرف خاص جاز تشريع حكم خاص قائم بمصلحة وقتية تناسب الظرف الذى شرعت فيه وترفع الحاجة المرادة وتسد الفجوة الشاغرة حتى اذا تمهدت المقدمات اللازمة كشط هذا اللون المؤقت لتثبيت صبغ دائم ونظيره فى الماديات اقامة الجسور المؤقتة لرفع الضرورة الفعلية ثم تبديلها بجسور حصينة ثابتة للاستفادة الدائمة : اذن فالنسخ فى مادته صحيح ولا يستدل منه على ان الناسخ لتبدل جهله بالعلم نسخ ما شرعه او لا بماقننه ثانياً بل القانون المتأصل ثابت فى علمه من الاول ولكن منع عن تشريعه وتطبيقه ظرف غير مساعد .

فما يراه المكلف من تطوير و تغيير فى الشرائع بعضها بالنسبة الى بعض وفى الشريعة الواحدة فى زمان بالنسبة الى زمان آخر هو من هذا القليل الذى تحدثنا عنه : وبما انه ليس لدينا معلومات صادقة عن الاديان السابقة لم يكن لنا طريق للموازنة بين بعض منها وبعض وبين دين الاسلام والكتب المنسوبة الى السماء الموجودة اليوم لايجوز التعويل عليها لكثرة الغث الموجود فيها المقطوع بعدم صدوره عن الله خصوصاً فى نسبتها الى الانبياء النسب المفتوحة والاكاذيب المشوهة :

ولما كانت شريعة الاسلام ببركة القرآن والسنن المتواترة القطعية الصدور

والسير المتسالم عليها حاوية لكل ما يعزز جانب الانسان في نشأته قائمة بجميع ما يتصل به مادة ومعنى في اصولها العقائدية ووظائفها الفرعية و اخلاقها الاجتماعية كما يستطيع ان يتعرف على ذلك من نصب نفسه لفحص آيات الذكر الحكيم والسنن المأثورة عن النبي الكريم واهل بيته عدل الكتاب وخلفاء الرسول المنزلين بمنزلة سفينة نوح وهكذا الكتب الفقهية المقتبسة من ذلك و الجوامع الاخلاقية المركزة على اقوال وافعال اولئك الصفاة والتقواعد العامة الثرية بموازينها العادلة الصادرة عن زمرة التشريع السماوى - لاجرم - كانت كافية لتسيير جماع البشرية على انطلاقها مع الزمان لكن مع المحافظة على وزنها العقلى وسيرها العلمى .

واما قول من يقول كان الزمان يمضغ حجاب المرءة والتجافى عن اللهو واللعب والترفع عن مزاولة الفجور والخمور فكانت شريعة الاسلام فيه ضرورة لازب : اما اليوم حيث تحرر سكان الكرة من كل قيد فلا مجال للشريعة المزبورة : ماذا تفعل البشرية فى قبال تموجات الراديو و اشاعات شاشة التلفزيون والكمان والكمنجة وافلام السينما آت وما هو موقفها امام هذا الجمال البارع المطرز بانواع الملابس الغرارة والاصايغ الفاتنة : فهو اسفاف : ساقط لا يوزن من المنطق بشيء فان النفوس الحيوانية منذ كانت والى ان تتلاشى واحدة لهذه الارواح المغتلمة بالافرق فيها بين قديم وجديد : وما قامت الشرائع السماوية ولا انتدب المثاليون لتمويج اصواتهم فى دنيا بنى آدم مبشرين و منذرين الاللو قوف امام الجهل العارم والانحراف المشوه والاستهتار المستهجن : وما ثورة العصر الحاضر على المثل المقدسة بدع بين الاجيال فكم لعبت البشرية ادواراً فى هذه المرا كض القذرة وعبت من المفا سداً تفسخت له اعضاءها واستردلت اخلاقها .  
واما موقف الجيل الحاضر امام الراديو و التلفزيون والسينما فكم وقفه امام درهمه حيث يستطيع وضعه فى شراء سم قاتل او شراب نافع فكما تمثل الشاشات والافلام رقص الراقصة العارية تمثل الرواية الاخلاقية الشريفة التى تضمن سعادة المجتمع بتربية اولاده على التربية الصحيحة القائمة على الايمان بالمبادئ الفاضلة : اذن فلان منطق للجدد غايته انهم يستدلون بانتشار الفحشاء على ان لامفهوم للغة وبكثرة الاراجيف

على ان لا وزن للمقاييس العلمية وبشروع التهتك على ان لا ميدان للوقار والمستانة وبخروج الظلم والتعدى عن مدارهما القابل للهضم والتحمل على ان لا مجال للعدالة والانصاف وهلم دواليك واستدلالمهم هداما يزيدفى ظهور جهلمهم والجهل ذو مراتب : ومن مراتبه ان انرى فى دنيا البشرية اليوم عقولا وافية وحواس قوية قد استخدمها اهلها فى مجالين لم يقصد بأحدهما الادك البشرية وقتل الانسانية وبالآخر الاستطلاع على ماهو زهيد فى قبال امر خطير .

اما الذى قصد به ذلك البشرية وقتل الانسانية فهو الاستمرار فى اختراع الاسلحة الفتاكة والمواد المخربة والآلات الهدامة وتغالّب الدول وعقلاء اممها على الاكثار من ذلك والتنوع فيه وهذا مما يدل على سقوط البشرية روحاً وارتكاسها عقلاً و تنزل ضامئها الى اخص ما عليه الحيوان الضارى الذى لا يعرف عنه غير الافساد : واما الآخر الذى قصد به الاستطلاع على ماهو زهيد فى قبال امر خطير فهو تخصص اساتذة لهم وزنهم فى التبحر والتفكر لرصد الكواكب والنجوم والكرات الاخرى حيث لا طائل وراء ذلك للحياة البشرية فى قبال هذه الجهود المبذولة فى هذا السبيل : وليس هذا العلم بهذا النوسع وهكذا غيره من العلوم التى أفنيت على حسابها أعمار و اتلفت اوقات و صرفت اموال غزار مما يتصل مباشرة بحياة الانسان بل هو دائماً على الهامش منها كما هو مشهود محسوس .

اذ لا يسترىب عقل بشرى ان الحياة البشرية العامة قائمة على دعامتين الدعامة الاولى تأمين الحياة المادية عن الانهيار والتلف والدعامة الثانية حفظ حقوق الانسان واستقلاله بخاصة شأنه ولا تقوم الدعامة الاولى الا بتقويم الثانية لها اذ مع انهيار الوضع الحقوقى تنهار الحياة المادية قطعاً لفقدان المؤمن و كلمتاها تين المرحتين لا تقومان بعلم النجوم ولا بعلم الحساب ولا بأمثالهما وان تكن اليهما حاجة فبنمط قليل او متوسط : نعم لا تقومان الا بالشرائع الصحيحة القائمة على تحديد حر كات الانسان فى كل المجالى المقربة له من الخير المطلق والسعادة العامة والمبعدة له عن كل شر وبوس وشقاء الباذلة كل عناياتها فى فرض المثل الراقية بين الافراد والمطبقة لذلك عملا كل التطبيق .

فلوان تيك العقول الجبارة التي تصامدت في صنعة الآليات المدمرة و الاخرى المغربية و قفت صفاً واحداً لهداية الانسان من الضلال الى الكمال و هكذا تيك الافكار الضخمة التي صرفت قواها في رصد العوالم العلوية اوالمطالب القليلة النفع في الحياة البشرية من مسائل حسابية وهندسية وفيزيائية و كيميائية وما الى ذلك لوصفت الشطر الوافر من جهودها العظيمة في مصالح الانسان الاخلاقية والتربوية لرأيت جامعة الافراد اليوم بصورة اخرى غير ماتطفح لعينيك ولوجدت الصدق والرفق والحياء والوفاء والايمان والاحسان والانصاف والعفاف والمواساة والمساواة وغير ذلك من الاخلاق الشريفة التي بها قوام الحياة البشرية الفاضلة ضاربة اطناها على ساحة الكون حيث ترى كل شىء فى نصابه و كل انسان راضياً بنصيبه .

وما هذه الدنيا الزاخرة اليوم بويلاتها الطافحة بسيئاتها البعيدة عن العقل والفضل القريبة من الوحشية والجهل الانتيجة انصراف عقلائها عن تربيتها : وما عبرنا عنه نسخة طبق الاصل لما يراه كل انسان عاقل من نفسه التي بين جنبيه ومن محيطه الذى يدرج عليه : وان يكن لهذا التصوير الذى صورناه محقق فى الخارج فهو الاسلام الذى استكمل كل مؤهلات التقدم بمعتقديه لواطعوه ومشوا على ضوءه ولكن من سوء الحظ انهم لم يرابطوا موقفهم منه ولذلك خارت بهم الحياة .

هذا ولنفض فيما جاء عن امير المؤمنين عليه السلام فى تعريفه للإسلام وثنائه على نبيه صلى الله عليه وآله وتجليله لكتابه : قال عليه السلام من خطبة له ( ج ٢ ص ٥٦٥ من النهج الحديدى ) ثم ان هذا الاسلام دين الله الذى اصطفاه لنفسه ، واصطنعه على عينه ، واصفاه خيرة خلقه واقام دعائه على محبته ، اذل الاديان بعزته ، ووضع الملل برفعه ، واهان اعدائه بكرامته ، وخذل مجاديه بنصره ، وهدم اركان الضلالة بركنه ، وسقى من عطش من حياضه ، وأتاق الحياض بمواتحه ، ثم جعله لانقسام لعروته ، ولافك لحلقته ، ولا انهدام لاساسه ، ولازوال لدعائه ، ولاانقلاع لشجرته ، ولا انقطاع لمدته ، ولا عفاء لشرائه ولاجد لفروعه ، ولاضنك لطرقة ، ولاوعوثة لسهولته ، ولاسواد لوضوحه ، ولاعوج لانتصابه ، ولاعصل فى عوده ، ولاوعث لفتحجه ، ولاانطفاء لمصايحه ، ولامرارة

لحلاوته : فهو دعائم اساخ في الحق أسناخها ، و ثبت لها أساسها ، و ينابيع غزرت عيونها ، ومصايح شبت نيرانها ، و منار اقتدى بهاسفارها ، و اعلام قصد بها فجاجها ، و مناهل روى بها ورادها ، جعل الله فيه منتهى رضوانه ، و ذروة دعائمه ، و سنام طاعته ، فهو عند الله وثيق الاركان رفيع البنيان منير البرهان مضيء النيران عزيز السلطان مشرف المنار معوذ المثار فشر فوه واتبعوه وادوا اليه حقه وضعوه مواضعه .

ثم ان هذا الاسلام ، اشار عليه السلام بهذا الى النظام الدينى الذى كان مخيماً فى عهده على اهم ارباع الكرة وعلى اكثر اهلها والاسلام مصدر اسلم وسلم وجهه و نفسه اذ افوض بهما والتفويض هنا للعقيدة الخاصة التى وظف الله بتر كينها ونشرها بين عباده نبيه محمد بن عبد الله ، دين الله ، فى هذه الاضافة نوع خصوصية لدين الاسلام فى انتسابه الى الله من بين سائر الاديان ذلك لان الاديان السماوية و ان كان كل منها فى وقته ديناً خالصاً لله لاشوب لاحديه لكن موقفها من الاجتماع تحددت بمجرد ان صدع الشارع الاسلامى بدينه فلم يبق لها استمرار معه هذا على ما اصابها من تحريف وتشويه بعد رحلة دعائها المرسلين صلوات الله عليهم اجمعين وعلى هذا الاساس قال تعالى فى القرآن (٣/١٩) ان الدين عند الله الاسلام (٣/٨٥) ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه : ثم ان الاسلام انما يصح ان يقال فى حقه انه ناسخ لجميع الاديان قبله فى الفروع القابلة للنسخ باعتبار تغير المصالح المؤقتة ليس غير : واما الاصول المركزية فى جميع الديانات من التوحيد والعدل والنبوة والمعاد الجسماني وهكذا الفروع المتسالم عليها بين العقلاء من تحسين الحسن وتقييح القبيح ومامت الى هذه العناوين فهى ليست من مقولة النسخ فالاسلام بشرائعه قرر كل ذلك ولم ينسخ الا ما انتهت مصلحته المؤقتة وجاء بما يستمر بقاءه مع الاجيال والادوار ونظرة مطمئنة الى المقدمة التى اسلفناها تكفيها عن الاستدلال لما قلناه فى حق الاسلام ، الذى اصطفاه لنفسه ، اى اختاره من بين الاديان فان قيل ان الاديان الاخرى هو الذى اختارها ايضاً اذ لا دين يوظف به المكلف من سوى الله قلنا ليس المنظور من ذلك انها كانت اوهى الآن زائفة بل كلها محترم وصادر من عنده غايته انها روعى بها فى وقتها مصالح مؤقتة لم

يكن من المصلحة الوضعية مراعاة ما هو اعلامنها تشريعاً لقصور آفاق تلك الاوقات عن التشريعات العالية فلا بدع اذا اقتضت المصالح بعد ذلك ما هو أعلا تشريعاً واطول عمراً ومعنى لنفسه هو النسبة المجردة والافاللة تعالى في غنى عن الدين يكون لنفسه ، واصطنعه على عينه ، اصطنعه وصنعه هنا بمعنى واحد وهو ما يعطيه اللفظ من الصنعة ويقال اصنعه على عيني في مقام التأكيد على الصانع بحسن الصنعة حتى كان المصنوع له حاضر لديه من اول عمله الى آخره فكما ان الصانع يلاحظ جانب المستأجر عند حضوره لديه فيجيد صنعته ويتقنها كذلك يريد منه الموصى بحسن الصنعة حينما يقول له اصنعه على عيني والمنظور من هذه الفقرة انه تعالى بذل من عناياته في تشريعات دين الاسلام ما لم يبذله في غيره من الاديان للعللة التي اومأنا اليها آنفاً ، وأصفاه خيرة خلقه ، أصفاه بالشيء اذا خصه به والخيرة من الشيء او القوم الافضل فيجوز ان يراد من خيرة الخلق نبي الاسلام ويكون المراد انه تعالى خصه بتبليغ هذا الدين من دون كافة الناس كما يجوز ان يكون المراد الامة المسلمة و يستأنس له بقوله تعالى (٣/١١٠) كنتم خیرامة اخرجت للناس : باعتبار ما يؤل اليه امرهم بعد الاسلام لاحين البعثة و اول ازمة الدعوة ولاريب ان الامة المسلمة بمجموع ما انتجت من صالح ومصلح و عالم و متعلم و واعظ و متعظ و مواس و محسن خير من كافة الامم المنتسبة الى سائر الاديان ، واقام دعائمه على حبه ، اى جعل قاعدة دعائمه الاسلام هي محبته تعالى الناشئة من مزيد التعرف به والدعوة اليه و كونه تعالى هو المبدأ والمنتهى لكل امور الخلق و كل الاديان الصحيحة على هذا المنوال نعم هي بعد تحر يفها فاسدة لاقيمة لها بالمرّة وميزة الاسلام على الصحيح منها سعة دائرة الدعوة والافصاح عن دقائقها بطرزا وفي واشمل لاقتضاء الحال فيه دونها كما اشعرنا بذلك آنفاً ، اذل الاديان بعزته ، والمراد بها الاديان الرائجة في زمان تشريعه هو لانها كانت حينذاك محرقة مشوشة ليس فيها من الحق الاما لا يعتد به والمنظور بعزته تقدمه عليها في انظار الكمّل من الناس الذين يزنون الاشياء بجواهرها القيمة، ووضع الملل برفعه، يقال الوضع في مقابل الرفع والامل جمع ملة وهي الطريقة والشريعة ، واهان اعدائه بكرامته ، كرامة الاسلام

هي قدسيته وموقعيته في قلوب معتنقيه ومحبو بيته عندهم هي التي اطاحت باعداءه وفرقتهم وقهرتهم على الاضاعة له ، و خذل مجاديه بنصره ، المجاد هو المخالف المبعد في خلافه اى جعل اعداء الاسلام بانتصاره له منقطعين عن المقاومة لذلتهم وقلبتهم عن ذلك ، وهدم اركان الضلالة بركنه ، الاركان هي زوايا اضلاع البناء وتكون اقوى ما فيه يعنى ان الاسلام لما اشد وقوى اثر على الضلال وهو حيرة الجهل والتخبط في العمى حتى ازاله بالانوار العامرة وهداه الواضح ، وسقى من عطش من حياضه 'حياض الاسلام علومه ومعارفه والعطشان هنا هو الجاهل الحائم حول ما يرويه ويرفع اوامره وسقيه هو تعليمه وتعريفه ، وأتق الحياض بمواتحه ، أتاقه بمعنى ملاءه حتى فاض والمتح هو نزاع الدول من البر ومن كل ماء انخفض سطحه والمواتح هي الدلاء والمراد انه تعالى ملاء حياض الاسلام بالتعاليم الوافرة العامرة فالمواتح هي الوسائل التي تظهر العلوم وتبرزها من الكمون الى الظهور ، ثم جعله لانقسام لعروته ، لقوتها وشدتها وذلك كناية عن تاصله وتصامد قواه ، ولا فك لحلقته . الحلقه هي العروة والفك هو تباعد ما بين طرفيها المتلاقين ، ولا انهدام لاساسه ، الاساس هو قاعدة البناء فاذا قوى وثبت اعطى البناء قوة وثباتاً ، ولا زوال لدائمه ، الدعامة ما يدعم بها الشيء اى يسند ويقوى والزوال هو الاضمحلال ، ولا انقلاع لشجرتة ، الانقلاع هو الانقطاع من الجذر ، ولا انقطاع لمدته ، الانقطاع هو الانتهاء وباعتبار ان دين الاسلام هو آخر الاديان وانه شرع للابد لا جرم ان لا تكون لزمانه نهاية ولا غاية ، ولا عفاء لشرائعه ، العفاء هو الانداس والشرائع هي الاحكام . ولا جد لفروعه ، الجذ هو القطع والفروع جمع فرع وهي النواتي التي تكون في الاصل اى ان دين الاسلام فروعاً واصولاً باق مستمر لا يبلا ولا يندرس ، ولا ضنك لطرقه ، الضنك هو الضيق والمراد بطرقه ملاكاته وقواعده وذلك لان الاحكام الاولية اذا تعذرت و تعسرت انتقلت حالة المكلف الى دورة الاحكام الثانوية واذا تعذر في حقه الجميع سقط عنه التكليف رأساً ، ولا وعوثة لسهولته ، الوعوثة كثرة في السهولة تولد للماشي جهداً لان اقدمه تسيخ في التراب او الرمل فهو لا يعود يستطيع المشي الا بصعوبة مجهدة يقول عَلَيْهِ السَّلَام انه سهل لكن لا بنحو تقتضى سهولته الفوضى والارتباك

وعدم الانضباط ، ولاسواد لوضحه ، الوضح هو البياض يريد ان اشراقه كما هو سيبقى فلا يتغير بالحوادث والسوانح . ولا عوج لا نتصابه ، اى وكذلك قيامه و اعتداله لايعتريه انحناء ولا اعوجاج ، ولا عصل فى عوده ، العصل هو الالتواء و المراد ان عوده مستولا تلوى فيه ، ولا وعث لفججه ، الفجج هو الطريق والوعوثة زيادة فى السهولة كما اسلفنا ، ولا انطفاء لمصايحه ولا مرارة لجلالوته فهو دعائم اساخ فى الحق اسناخها ، اى فالاسلام فى تأصله كالدهامة التى حفر لها فى بطن الارض و اقيم اصلها حتى لاتتضعع على مرور الزمان وفاعل اساخ هو الله تعالى والاسناخ جمع سنخ هو الاصل ، وثبت لها آساسها وينابيع غزرت عيونها ، الينبوع مانبع من الارض والغزارة الكثرة والعيون جمع عين وهى الثقبة فى الارض حيث يدفق منها الماء وهو كناية عن ان الاسلام قابل لان تستنبط منه معارف كثيرة وفنون غزيرة : و مصايح شبت نيرانها ، شبت النار ارتفعت ، و منار اقتدى بها سفارها ، و المنار الشواخص التى ينار عليها لاجل ان يهتدى بها الحائرون والسفارهم المسافرين والمنظور بذلك فى هذا الباب هو ان معالم الاسلام قائمة تهدى الى الحق من تحير فى طريقه او ضل عن هداة ، و اعلام قصد بها فجاجها ، الاعلام هى الشواخص المرتفعة ومفردها علم وقصد بها اى بسبب الاستدلال بها والفجاج جمع فجج وهو الطريق والمسلك ، و مناهل روى بها و رادها ، المناهل جمع المنهل وهى الموارد التى يورد منها الورد اذ جمع الوارد وهو الذى يرد الماء ليستقى او يشرب ، جعل الله فيه منتهى رضوانه ، اى ان المكلف اذا اتبع ملة الاسلام فقد حظى بالغاية من رضوان الله تعالى ، و ذروة دعائمه ، الذروة هى القمة والضمير فى دعائمه يرجع الى الرضوان والمعنى بالغاية والذروة هنا واحد ودعائم الرضوان هى الامور التى تقوم بمرضاة الله وليست هى الاشرائع الاسلام و القيام بها ، و سنام طاعته ، السنام حذبة البعير و سنام الطاعة اعلاها اى ان الله سبحانه جعل فى اعتناق الاسلام اعلا طاعته ، فهو عند الله وثيق الاركاب ، الوثيق هو المحكم ، رفيع البنيان ، الرفيع هو العالى ، منير البرهان ، اى ان دلائله واضحة مشرقة لاسترة عليها ، مضى النيران عزيز السلطان ، السلطان هو التسلط و



التفوق و عزة السلطان مزيد في القوة ، مشرف المنار ، اى ان شواخصه النيرة مشرفة يراها كل احد ، معوذ المثار ، معوذ اسم فاعل من اعادنى الله يعيدنى اى منعى وحصنى والمثار يجب ان يكون بضم الميم من اثاره يثيره اثاره فهو مثار وذلك مثير والمنظور ان الاسلام يحصن من ازعجته الشكوك والاهام و انه لقوته يحفظ الضعيف اذا ثار عليه من هو اقوى منه ليبتره حقه و ما الى ذلك من المعانى ، فشر فوه ، اى شيدوا شرفه ، و اتبعوه ، اى اجعلوه اماماً لكم ، و ادوا اليه حقه ، بالقيام بوظائفه ، وضعوه مواضعه ، التى عينها الله له فلا تحرفوه ولا تشوهوه .

ثم ان الله سبحانه بعث محمداً ﷺ بالحق حين دنا من الدنيا الانقطاع وأقبل من الآخرة الاطلاع وأظلمت بهجتها بعد اشراق وقامت بأهلها على ساق وخشن منها مهاد وأزف منها قياد فى انقطاع من مدتها واقتراب من أشراتها وتصرم من اهلها وانقسام من حلقتها وانتشار من سببها وعفاء من أعلامها وتكشف من عوراتها وقصر من طولها جعله الله سبحانه بلاغاً لرسالته وكرامة لامته وربيعاً لاهل زمانه ورفعة لعاوانه وشرفاً لانصاره .

بعد ما استعرض ﷺ شيئاً من اوصاف الاسلام تعرض لذكر نبىه ﷺ فقال ، ثم ، التراخى هنا باعتبار ما قبل زمان بعثة النبى الاعظم ، ان الله سبحانه بعث محمداً ﷺ بالحق ، اى بالشرائع الحقة التى لاشوب للباطل فيها و كل الانبياء بعثهم الله بالحق ولا خصوصية لنبى الاسلام فى ذلك الامن جهة اتساع دعوته وقوانينه طبقاً لما يرام فى شريعته من البقاء المستمر المواجه لتسلسل الاجيال وتدرج العقول من نقص الى كمال ، حين دنا من الدنيا الانقطاع واقبل من الآخرة الاطلاع ، الانقطاع هو الفناء والدثور والاطلاع هو الاقبال والطلوع ومفاد الفقرتين ان بعثة النبى ﷺ حصلت والدنيا فى آخر زمانها والآخرة فى قرب طلوعها وهذا امر لانعلم منه شيئاً من طريق الطبيعة ولذلك نحيل به الى خاصة سر الله وموضع امانته و تشير الفقرتان ايضاً الى اختتام النبوات بنبى الاسلام وقد صرح من طريق المدارك الاسلامية انه لانبى بعد محمد ابن عبدالله ولعل السر هو احتواء شريعة الاسلام على برامج لم تبق شأننا من الشؤون

البشرية الا و تعرضت له كما يقتضيه المنطق لا كما تحاوله الرغبات الخاطئة فان الرغبات المجردة عن المقاييس المنطقية لحرمة لها ولا وزن لاهلها ، وأظلمت بهجتها بعد اشراق ، الابتهاج هو انشراح النفس وانسائها يلوح من هذه الفقرة ان الدنيا قبل ازمان البعثة بمسافات كانت مبهتجة مشرقة والذى يلوح على طول سلاسل الزمان منذ عهد البشر نفسه ان الدنيا كانت ولا تزال على طرائق متقاربة جناتها اكثر من محسنيتها وأشراها أوفر عدداً من اخيارها وشروطها تتضاعف في الكثرة على خيراتها فهل يشير بذلك الى ما قبل العهد البشرى بما هو ع واهل سر الله أعلم به اوانه يشير الى ما هو احسن بالنسبة الى عهود الجاهلية المظلمة ولا ريب في تحقق هذا المعنى فان عهود الجاهلية عهود منحطة لآخر درجة و كل من كان فيها من افراد البشر نازل الكفة مظلم الروح بعيد عن الانسانية قريب من الضراوة منجرف الى صوب الحيوان المهمل ، وقامت بأهلها على ساق ، يقال قامت الحرب على ساق اذا اشتدت وطأتها فيكون المنظور من الفقرة ان اهل الدنيا تكالبوا فيما بينهم حتى اشتدت وطأة الدنيا على اهلها فسأم الحياة فيها كل احد وهكذا كانت حياة الجاهلية ، وخشن منها مهاد ، المهادما يكون تحت الانسان في مضجعه فاذا خشن امتنع النوم على صاحبه او تنغص على النائم نومه والمنظور ان الدنيا اذا خشن مهادها لم تكن قابلة للاستقرار ، وازف منها قياد ، اى قرب رحيلها ، في انقطاع من مدتها ، في انقطاع متعلق بقوله آناً بعث محمداً و ضمير هدتنا راجع الى الدنيا والمراد مشاركة عمرها على الانتهاء ، واقترب من اشراطها ، اى من علامات فنائها بطلوع الآخرة والاشراط هي علامات القيامة ، و تصرم من اهلها ، التصرم هو الانقضاء والمنظور ان تصرم الناس شيئاً بعد شيء وان كان مقروناً بحدوث مواليدهم الا انه بالآخرة ينتهي الى فناء عام وما صادفته بعثة النبي ص من ذلك هو من طرف السلسلة الرامية الى الانتهاء ، وانقصاص من حلقتها ، انقصاص الحلقة يكون بحدوث فجوة بين طرفيها وذلك ما يدعو الى عدم الاستفادة منها ما بقيت على حالها . وانتشار من سببها ، اى من سبب فنائها وتلاشيها ، وعفاء من اعلامها ، العفاء هو الاندثار يقال عفت الدار اذا اندرست والاعلام هي الشواخص الناهضة والمنظور ان ما هو علامة نهوض الدنيا واستقامة امورها

قد انهار وتلاشى ولا ريب ان المستهدف بذلك امورها المعنوية ، وتكشف من عوراتها ، العورات هي القبايح وتكشفها ظهورها فاذا راجت المفاصد في الدنيا وخفت الاخيار و قل الابرار الاطهار فقد تكشفت قبايح الدنيا ، وقصر من طولها ، اى من عمرها ، جعله الله سبحانه بلاغاً ، اى مبلغاً استعمل المصدر مكان اسم الفاعل تأكيداً فى مبلغيته ، لرسالته ، اى لما يريد سبحانه ابلاغه الى عباده لأتمام الحججة عليهم ، و كرامة لامته ، لاشبهة ان نبي الاسلام محمد بن عبدالله كرامة للامة المسلمة لوعظت وتدبرت ، وربيعاً لاهل زمانه ، يطلق الربيع على الارض المخضرة ذات الماء والكلأ والهواء الطيب ولا ريب انه ص كان باعظم من هذه المثابة لمعاصريه ، و رفعة لاعوانه ، اى شرفاً لهم بل هو مجمع فضائلهم ونظام اجتماعهم وقاعدة حياتهم ، و شرفاً لانصاره ، و الناهضين معه لتأييد دعوته .

### (القرآن واهدافه الراقية)

هذا الكتاب الكريم اذا استعرضه الفنان بدقة نظر ونزاهة ضمير ومراعاة لمصالح الكون والكائنات وجده من ارقى المثل العقلية ومن اعظم قوانين الانسانية مع كمال ادب فى التعبير وبلاغة فى اصال المقاصد و اصابة الاهداف و فصاحة ما ورائها محط فى المفردات والتركيب عاصر الفصحاء والمتشدين ونسلت عليه قرون انتجت فى مضاميرها الخطباء البارعين والكتاب المرموقين والشعراء المبدعين والناطقين اللسنيين فبذ" الجميع وقهرهم وملك اعجابهم به وللآخر سيبقى كذلك .

فهو فى فصاحته وبلاغته آية وفى استدلاله العميقة الظاهرة معجزة وفى احكامه وقوانينه منقطع النظر وفى مواظبه وزواجره لاند" له ولا قرين وفى آدابه واخلاقه عز" عن البديل وفى قصصه وعبره وامثاله جل عن المثل وهو بمجموع ما احتوى عليه يملك السمع ويبهز النظر ويستعبد القلوب ويسترق العقول ولا يعترى قارهه و مطالعه سأم ولا ملل وليس للاعجاز حد بعد هذا وكل ما تطورت الدنيا اذداد رفعة فى النفوس و تمكن حبه من القلوب : واما هذه الحيوانات الضارية المملوءة جهلا وشهوة وعمى و ضلالة وتحيرا فى الحياة فهى لا يجوز ان يعتبر لها رأى او يعتد لها بعقل بعد ما انحطت

كفة اخلاقها عن الحيوانات العجم السارحة بلاراع ولا وازع .

ونظرة عميقة يقوم بهارائد الحقيقة للموازنة بين ما احتوى عليه من كل اشياءه و بين كتب فلاسفة الروح والاجتماع من متقدمين ومتأخرين الذين احتلوا لانفسهم من الاجتماع مكاناً مرموقاً خوّلهم سمعة عالمية تكفى للحكم له بالسبقه في كل مظنة روحية واجتماعية فضلاً عما فيه من اضافات قيمة خارج موضوع الفلسفة التربوية و الفلسفات النظرية الاخرى .

وهكذا نظرة ثانية يقوم بها المتعطر لانتهاج الحقائق في مقام المقارنة بينه و بين الكتب الاخرى المنسوبة للسماء كالتوراة والانجيل الراجين بل والحقيقيين ايضاً فان صاحبها يجد فيها من الفروق الاساسية بينه وبينها ما لا يحيط به القلم فان كتب العهد القديم والجديد لاتملك روعته اللفظية ولا سبكه التركيبى الخاص ولا معارفه البناءة ولا اخلاقه العالية ولا تشريعاته العظيمة ولا ولا .

ذلك لالآن الله سبحانه لم يعتد بكتبه الاخرى التى انزلها فى حينها والتى امر الناس بالخضوع لها ولكنه تعالى انزل ما انزل لادم محدود ولناس معدودين وعلى افهام لم تتوسع فى المعرفة : والامة التى عاصرها النبى محمد ﷺ وان كانت عامية فى كل ما يعود لها الا انها لم تكن وحدها محط النظر ولا الهدف الوحيد من الدعوة بل كانت حلقة من ملايين الحلقات التى شاء الله لها السعادة بهذا الكتاب المنزل متى تا بعت خطوه وهذا هو الذى دعى ان يكون القرآن بمكان فوق العلو المتصور . ولا غرابة فيما قلناه ذلك لان الناقد البصير البليغ اللسن لا يجوز له ان يعطى نفسه لجميع من يكون طرف الخطا به على نحو قد بل له مع القروى الساذج البسيط موقف ومع ساكن القصة المنور شيئاً ما موقف غيره ومع سكنة المدن المتمدين موقف ثالث ومع العلماء الافذاذ موقف آخر وهلم دوا اليك وهو فى كل حالاته مصيب بل فاعل للواجب المحتم عليه والله سبحانه لم يتخط هذا الملاك فى كل ادوار البشرية وعليه تفاوتت الرسالات السماوية والكتب المنزلة من لدنه .

وقد قال على عليه السلام فى الافصاح عنه : ثم انزل عليه الكتاب نوراً لاتطفأ مصابحه ،

وسراجاً لا يخبو توقده ، وبحراً لا يدرك قعره ، ومنهاجاً لا يضل نهجه ، وشعاعاً لا يظلم ضوؤه وفرقاناً لا يخمد برهانه ، وتبياناً لا تهتم ار كانه وشفاء لا تخشى اسقامه ، وعزاً لا تهزم انصاره ، وحقاً لا تخذل اعوانه ، فهو معدن الايمان وبجبحوته ، وينابيع العلم وبحوره ، ورياض العدل وغدرانه ، واثافي الاسلام وبنياه ، واودية الحق وغيطانه ، وبحر لا ينزفه المستنزفون وعيون لا ينضبها الماتحون ، ومناهل لا يغيضها الواردون ، ومنازل لا يضل نهجها المسافرون . واعلام لا يعمى عنها السائرون ، و اكام لا يجوز عنها القاصدون .

ثم انزل عليه الكتاب نوراً لا تطفأ مصابيحہ ، كثيراً ما يقال العلم نور وهو حق لان النور يكشف الوهدة من النجدة ويميز الطريق المعتدل عن المعوج و ما الى ذلك و العلم يشخص الضلال الموجب للانحراف و السقوط و الهدى الموصل الى الحق و كتاب الله لما احتوى على اهم المعارف العقلائية كان نوراً يستضاء به وهدى يهتدى بوسيلته وانما لا تطفأ مصابيحہ لمر كز حقائقه ، وسراجاً لا يخبو توقده ، خبت النار اذا هفتت والحقيقة المر كزة لا قديم فيها ولا جديد ولا تعثر بها كهولة ولا شيخوخة والتوقد هو الاشتعال ، وبحراً لا يدرك قعره ، لان الفنان الوارد في العلوم يستطيع ان يستنبط من مضامينه ما يشاء ، ومنهاجاً لا يضل نهجه ، المنهاج الطريقة فاذا وضحت وبانت وانكشفت امتنع ان يحصل لناهجها ضلال في سلوكه ، وشعاعاً لا يظلم ضوؤه ، لا استمرار شعلته ، وفرقاناً لا يخمد برهانه ، الفرقان ما يفرق بين الشيء والشيء والمنظور بذلك هنا ما يوجد من الفرق بين الحق والباطل وانما لا يخمد برهانه لانه قائم على اليقين لاعلى الشبهات والاعوات ، وتبياناً لا تهتم ار كانه ، التبيان هو البيان والبيان هو الايضاح والاصحار و كل حقيقة اذا اتضحت وانكشفت وانجلت لا تقبل الهدم بالسفسطة والمعميات ، وشفاء لا تخشى اسقامه ، اى لا تخشى معه الاسقام لانه يقضى عليها . وعزاً لا تهزم انصاره ، لان العزيز حافظ لحرمة طارد للذل عن ساحته و كل من كان كذلك كان ثابئاً غير منهزم ، وحقاً لا تخذل اعوانه . من طريق المنطق وان استطاعت القوى الهدامة ان تشتتهم و تسحقهم ، فهو معدن الايمان وبجبحوته ، الايمان هو الاعتقاد الجازم بالشيء و متدبر

القرآن يجيء مؤمناً بحقائقه غير متزائل في عقيدته وبحبوحه الدار وسطها المرموق يقال فلان في بحبوحه الشرف ويراد توسطه فيه و تركزه عليه ، وينابيع العلم وبحوره ، ينبوع هو الماء المتفجر من تحت الارض والقرآن يبعث في العقول كوامن الحقائق فكان نظيراً للينبوع فيما يعطيه ، ورياض العدل وغدرا نه الغدران جمع الغدير وهو الانخفاض في الارض الجامع لماء المطر والرياح جمع روضة وهي القطعة المعشبة من الارض والقرآن بالنسبة الى محافظته على العدل واصراره على العمل به حق فيه الوصف الأنف ، واثافي الاسلام وبنياه ، الاثافي جمع اثفية وهي الحجارة التي توضع تحت اسافل القدر لتقوم عليها كالأعمدة للبنىا ولاريبان القرآن عماد الاسلام وعليه قام بناؤه ، واودية الحق وغيطانه ، الاودية جمع الوادي وهو الانخفاض العميق الذي يكون بين الجبال والغيطان جمع الغائط وهو ما انخفض عن سائر القطع المجاورة له واطمان والمنظور ان القرآن مسير ومسيل للحق وموضع اطمئنان له ، وبحر لا ينزفه المستنزفون ، النزيف في الاصل يقال لجريان الدم من البدن الى خارجه باستمرار ثم استعمل في نظائره والبحور المادية عقلاً قابلة للاستنزاف الا ان خزائن العلوم لا تقبل ذلك بل هي على استمرار البحث تفيض وتزداد ، و عيون لا ينضبها الماتحون ، نضبت العين اذا فرغ ماؤها وجفت والماتح هو المستقى بالدلاء والمعنى بهذا ما عنى بالفقرة السالفة ، ومناهل لا يغيضها الواردون ، غاض الماء اذا انقطع والمناهل جمع المنهل وهو المكان الذي ينهل منه اى يورد والواردون جمع وارد وهو الذي يريد الاستقاء او الشرب ، ومنازل لا يضل نهجها المسافرون ، اى لا يتيه المسافرون عن جادتها لانها منازل عامرة و الطرق المؤدية اليها شارعة ، و اعلام ، اى شواخص مرتفعة ، لا يعمى عنها ، اى عن رؤيتها والاهتداء بها ، السائرون و اكام ، جمع اكم وهي الهضبات ، لا يجوز عنها القاصدون ، بل يؤون اليها للاستراحة لطهارتها عن الادران فان الروابي مظنة النظافة والطهارة : وجماع كل هذه الاوصاف بالنسبة الى القرآن انه مجمع كافة الفضائل .

جعل الله رياً لعطش العلماء و ربيعاً لقلوب الفقهاء و محاج لطرق الصلحاء و

دواء ليس بعده داء ونوراً ليس معه ظلمة وحبلاً وثيقاً عروته ومعقلاً منيعاً ذروته و  
عزاً لمن تولاه وسلمأ لمن دخله وهدى لمن ائتم به وعذراً لمن انتحل به وبرهاناً لمن  
تكلم به و شاهداً لمن خاصم عنه وفلجاً لمن حاج به و حاملاً لمن حمله ومطية لمن  
اعمله و آية لمن توسم وجنة لمن استلاءم وعلماً لمن وعى وحديثاً لمن روى وحكماً  
لمن قضى .

جعلله الله رياً لعطش العلماء ، الرى هو الارتواء من الماء غيران المراد من  
العطش هنا هو العطش المعنوى وهو الاحتياج الملح الى تفهم الغوامض والذى يرفعه  
هو القرآن ، وربيعاً لقلوب الفقهاء ، الربيع هو الفصل الذى يكثر فيه الماء والكلاء  
ويتحسن الهواء وهو مطلوب للطبيعة لامتيازه بهذه الامتيازات المرغوبة و لذلك شبه  
عليه السلام القرآن لامتيازاته الجالبة بالربيع وقلوب الفقهاء بالطبيعة التى تستفيد منه  
من آثاره اتم استفادة والفقيه هو المتخصص باحكام الشرائع ، ومحتاج لطرق الصلحاء  
،المحتاج جمع محجة وهى الجادة الشارعة والصلحاء انما يحتاجون السير فى مضامين  
القرآن لانه بمواعظه و زواجره و ارشاداته يوفى بهم على المقصود الصالح الذى  
يتوخونه ، ودواء ليس بعده داء، اى هو دواء اذا استعمله المريض شفى و لم يعاوده  
مرضه ، ونوراً ليس معه ظلمة ، فان نور المعنويات لا ينطفأ ولا يقل بل يزداد ، وحبلاً  
وثيقاً عروته ، فالتمسك بعروته قابض على ما ينجيه ولا يفلته ، و معقلاً منيعاً ذروته ،  
المعقل هو الحصن والملجأ و ذروته القباب العالية التى تشاد عليه توفيراً للراحة و  
الاحسان ، وعزاً لمن تولاه ، اى اتخذه ولياً له ، وسلمأ لمن دخله ، اى مأمناً لمن  
طلب الامان فيه ، وهدى لمن ائتم به ، اى ان القرآن امام هاد لمن استهدى به ، و  
عذراً لمن انتحل به ، اى من اتخذه شريعة له كان عذراً له عندالله . وبرهاناً لمن تكلم  
به ، اى لمن تكلم بمضامينه فانها تغنيه عن اقامة البرهان عليه لانها كالتقضاء ايا التى  
قياساتها معها ، و شاهداً لمن خاصم عنه ، اوبه فكما ان الشاهد فى الخصومة يكون  
بينه يحكم من طريقها على الخصم كذلك القرآن بالنسبة الى من يتخذه شاهداً فانه  
يكون بينه له على مدعاها ، وفلجاً لمن حاج به ، اى سبباً للغلبة لمن حاج خصمه به لمئاته

ادلته وقوة برهينه ، وحاملا لمن حملة : اى ان من يحمل القرآن بالحفظ والنهيم له يعود محمولا به لانه يريجه وينجيه و يخفف عليه كثيراً من المشاق ، و مطية لمن عمله ، اى اعمل مضامينه واحكامه والمطية هى الحامل المريح المنجى و الكلمة استعارة ، وآية لمن توسم ، المتوسم هو المتفرس فى الشىء لاجل التعرف عليه و المنظوران من يتفرس فى الاشياء لاجل ان يقف على الغث والسمين منها فالقرآن نعم العون له على ذلك لانه علامة فارقة بين الحق والباطل والغث والسمين ، و جنة لمن استلاءم ، الجنة هى الوقاية و استلئم لبس لامة الحرب التى تقيه من ضرب السيوف و وخز الرماح اى ان من يتدرع بالقرآن يكون لهوقاية من كل ضلال ومكروه ، وعلماً لمن وعى ، اى ان من حفظ القرآن وفهمه وتدبره كان لهعلماً لا يحتاج معه الى شىء آخر ، وحديثاً لمن روى ، اى هو احسن الحديث لمن يريد ان يروى شيئاً من العلوم و الفنون و الاحاديث ، و حكماً لمن قضى ، اى هو الحكم القاطع للمقضى .

وقال عليه السلام فى تكريمه ايضاً (ج ٢ ص ٥١٠ من النهج الحديدى) واعلموا ان هذا القرآن هو الناصح الذى لا يغش والهادى الذى لا يضل والمحدث الذى لا يكذب و ماجالس هذا القرآن احد الاقام عنه بزيادة او نقصان زيادة فى هدى و نقصان من عمى واعلموا انه ليس على احد بعد القرآن من فاقة ولا احد قبل القرآن من غنى فاستشفوه من ادوائكم واستعينوا به على لأوائكم فان فيه شفاء من اكبر الداء وهو الكفر والنفاق والغى والضلال فاسئلوا الله به وتوجهوا اليه بحبه ولا تسالوا به خلقه انه ما توجه العباد الى الله تعالى بمثله واعلموا انه شافع ومشفع وقائل مصدق و انه من شفع له القرآن يوم القيامة صدق عليه فانه ينادى مناد يوم القيامة شفع فيه ومن محل به القرآن يوم القيامة صدق عليه فانه ينادى مناد يوم القيامة الا ان كل حارث مبتلى فى حرثة وعاقبة عمله غير حرثة القرآن فكونوا من حرثته واتباعه واستدلوه على ربكم واستنصحوه على انفسكم واتهموا عليه آرائكم واستغشوا فيه أهوائكم .

واعلموا ان هذا القرآن ، اى الكتاب المتداول بينكم يجب ان تعرفوا حقه تمام المعرفة فانه ، هو الناصح الذى لا يغش ، لانه انما انزل لتعديل نظامكم وتديير



امور اجتماعكم ، والهادى الذى لا يضل ، لانه من عند الله الذى لا يشوب علمه جهل ولا كماله نقصان ، و المحدث الذى لا يكذب ، لان الكذب وسيلة العاجزو القرآن انزله اغنى الاغنياء و ابعث كل الموجودات عن الحاجة ، و ما جالس هذا القرآن احد ، اى ما تدبره انسان عاقل ، الا قام عنه بزيادة ، تحصل له ، او نقصان ، يزول عنه ، زيادة فى هدى ، لاحتوائه على النصائح الكافية والمواعظ الشافية ، و نقصان من عمى ، اى من جهل لان الجاهل اعمى . واعلموا انه ليس على احد بعد القرآن ، والتدبر فيه واستجلاء مضامينه ومعانيه ، من فاقة ، اى من حاجة لا ستجماعه جميع ما يقوم بيزاد الدنيا والاخرة ، ولا لاحد قبل ، ان يتعرف و يتزود من ، القرآن من غنى ، ومهما حاول تهذيب نفسه فان كمالات القرآن فوق ما يتصوره المتصورون . فاستشفوه ، اى اطلبوا منه الشفاء الروحى و الصحة المعنوية ، من ادوا ائكم ، و اسقامكم النفسية ، و استعينوا به ، اى بجليل ما احتوى عليه من حلول مشكلات و كشف شبهات ، على لاوائكم ، اى شذائدكم التى تعتور حياتكم الفردية والاجتماعية ، فان فيه شفاء من اكبر الداء ، فكان قائلاً يقول و ما هو اكبر الداء فقال ، و هو الكفر و البفاق و الغي و الضلال ، اما داء الكفر فلان الملحد على حد الحيوان الضارى لا يزعجه ولا يمنعه عن ارتكاب المنكرات اهم و اقوى مانع من وجهة الاخلاق وما اضرمثل هذا على الاجتماع : واما البفاق وهو الدجل والتدليس فما اضرم وقعته فى الاجتماع وما اكثر افساده فى الافراد وما شد نكايته فى النفوس و من طريق التدليس العلمى والعملى كم ضاع حق و اشيد بباطل و اميتت حقيقة و احييت بدعة و للتفصيل مجال آخر و اما الغي و الضلال فهما الانحراف عن الجادة المعتدلة وذلك يستلزم التجاوز والتعدى على حقوق الاغيار والاهتداء بانوار القرآن يشفى من كل هذه الادواء ويداوى كافة هذه العلل و الامراض ، فاسئلوا الله ، الهداية و الايمان و الصلاح ، به ، اى بسببه و من طريقه ، و توجهوا اليه ، اى الى الله ، بحبه ، اى بحب القرآن لان القرآن عزيز على الله كريم عنده جليل لديه ، و لاتسالوا به ، اى بسببه ، خلقه لان الله اغنى من الخلق و كتابه اعز عليه بالنسبة اليهم ، انه ما توجه العباد الى الله تعالى

بمثله ، لقر به منه تعالى ، واعلموا انه شافع ومشفع ، وشفاعته انما تكون لمن يعطيه حقه ويوفيه احترامه ويقوم بمسند عيانه ولا يريب في قبول شفاعته حينئذ لانها في الحقيقة شفاعته العلم النافع والعمل الصالح ، وقائل مصدق ، فيما يخبر به الله تعالى من وفاء من وفي له وجفاء من جفاء ، وانه من شفيع له القرآن يوم القيامة صدق عليه ، من ناحية الله ، فانه ينادى مناد يوم القيامة ، شفيع فيه ، اى ان القرآن يشفع في حق من يشفع له ويقول عنه خيراً ، ومن محل ، محل به محل اذا قال في حقه ما يوجب ضرره ويوجه سوء اليه ، القرآن ، بان قال ان هذا الانسان كان جافياً له غير معتد به مكذبا فيه ، يوم القيامة صدق عليه فانه ينادى مناد يوم القيامة الا ان كل حارث مبتلى في حرثه ، اى مسؤل عما حرث وزرع ، وعاقبة عمله ، الذى صدر عنه في دنياه ، غير حرثة القرآن ، الذين اتخذوه عملاً لهم وحرثا في دنياهم فان هؤلاء ينالون من ورائه كل الخير ويستثمرون من طريقه كل بركة فكونوا من حرثه واتباعه ، والآخذين عنه والمعتبرين به ، واستدلوه على ربكم ، اى اجعلوه دليلاً على الله فانه يوصل اليه ، واستنصحوه على انفسكم ، فانه اصدق ناصح واعلم من كل منذر ومبشر ، واتهموا عليه آرائكم ، فان أشارت عليكم آراؤكم بشيء و اشار عليكم بخلافه فخذوا عنه واتهموا آرائكم فى قبالة ، واستغشوا فيه أهواءكم ، وميولكم فان الهوى النفسى والميل الشخصى يدفعان الى كل مضرة ويوقعان فى كل معرفة اما القرآن فهو بعيد عن جميع الاتهامات قريب من كل الخيرات .

وقال **عليه السلام** فى نعت نبى الاسلام (ج ٢ ص ٤٧٣ من النهج الحديدى) ابتهته بالنور المضىء والبرهان الجلى والمنهاج البادى والكتاب الهادى أسرته خير أسرة وشجرته خير شجرة اغصانها معتدلة وثمارها متهدلة مولده بمكة وهجرته بطيبة علا بها ذكره وامتمد منها صوته ارسله بحجة كافية و موعظة شافية و دعوة متلافية أظهر به الشرائع المجهولة وقمع به البدع المدخولة و بين به الاحكام المفصولة فمن يبتغ غير الاسلام ديناً تتحقق شقوته وتنقص عروته و تعظم كبوته و يكون مآبه الى الحزن الطويل و العذاب الوويل .

ابتهته ، وبعثه بمعنى واحد ، بالنور المضىء ، يجوز ان يريد به دين الاسلام كما

يجوز ان يريد به القرآن و كلاهما لما تكفلا يصال الناس الى السعادة وتمييز الحق عن الباطل و كشفاعن المصالح والمفاسد كانا نوراً للمكلف يضيئان له طريقه الذى يمشى فيه لادامة حياته ، والبرهان ، هو الدليل القاطع على الشئ ، الجلى ، لان البرهان الغامض لا يستفاد منه بالمرة ولا يستفيد منه الا الخاصة من الناس واما البرهان الجلى فهو مما يستفيد منه العموم وبذلك تكون له ميزة على كافة البراهين والاسلام والقرآن كلاهما بمضا مينهما العالية وتعاليمهما الفطرية واصابتهما الاهداف الواقعية بما يفهمه عامة الناس بالتدبر لهما وامعان النظر فيهما من اجلا الاديان والكتب المتداولة اليوم بعنوانها ادياناً و كتباً سماوية برهاناً و اقومها ميزاناً ، و المنهاج البادى ، وهو الطريقة المكشوفة التى لانعمية فيها ولا غموض نظير ما يوجد من المعميات فى جملة من الاديان الرائجة والمذاهب المتسترة مما هو دليل تزويرها ودجلها، والكتاب الهادى ، وهو القرآن الذى لا يأتية الباطل من خلفه ومن بين يديه اسرته خير اسرة ، بالنسبة الى غيرها من الاسر الدارجة واستعراض التاريخ يصحح بجلاء ان بنى هاشم بمجموعهم من حيث المجموع لهم تفوق على الاسر الباقية فى المعنويات والملاسات العشائرية ، وشجرته خير شجرة اغصانها معتدلة ، والمنظور باعتدالها انها عريقة فى الحياة غير متهافتة ولا ذليلة ولا ساقطة ولا مبتلاة بتشويه، وثمارها متهدلة، اى متدلية فان الثمرة اذا كثرت فى الشجرة هدلت اغصانها لثقلها وذلك من صفات المدح والمراد ان سجايها الطبية كثيرة ، ومولده بمكة ، حرم الله وهو جهة اعتبار عقلائى نظير سائر الاعتبار العقلائية المأخوذ بها بين العقلاء بما هم عقلاء ، وهجرته بطيبة ، وهى يثرب فى الاصل والذى سماها طيبة هو النبى الاكرم لانها مظهر دين الاسلام ومناخ رجاله الافذاذ وبلد انصاره الاجلاء ، علاها ، اى بطيبة ، ذكره ، بعدما ضايقه قومه وضيقوا عليه رحب الارض الواسعة ، وامتد منها صوته ، الى سائر البقاع وبقية الاصقاع وبذلك يثبت شرف عظيم للانصار جزاهم الله عن الاسلام والمسلمين خير الجزاء ، ارسله بحجة كافية ، لتثبيت الحق وفرض الواقع على الناس وموعظة شافية، لامراء فى تركها وواقعيتها، ودعوة متلافية ، لكل المفاسد الدارجة بين الناس بالاصلاح ، اظهر به الشرائع

المجهولة ، اى الحقائق المغمورة التى جرت عليها ذيل النسيان والاهمال . وقمع به البدع المدخولة ، اى الفاسدة التى احدثها الدجالون لاجل ان يستثمروا من طريقها بغيتهم فى الحياة المادية ، وبين به الاحكام المفصلة ، اى الفاصلة بين الحق والباطل وانما صارت مفصلة بديانه لانها كانت مفصلة قبله ، فمن يبتغ غير الاسلام ديناً ، بعدما كان بهذه الهوية العريقة فى الصلاح والرشاد والصحة والسداد ، تتحقق شقوته 'قطعاً' اذ لا شقاء امض بالانسان من انحرافه عن الطرق اللابحة الموصلة الى المقاصد الصالحة ، وتنقسم عروته ، اى انه ينهار فى الحياة انهياراً غير قابل للجبران ، وتعظم كبوته ، يقال كبا الجواد اذا عثر فسقط الى الارض والكبوة العظيمة مآلها الى التلاشى المحتم ، ويكون مآبه ، ومآله ومصيره ، الى الحزن الطويل ، والندامة المضنية ، والعذاب الويل ، اى ذى الوبال والهلاك .

وقال عليه السلام فى شأن النبى ص (ج ٢ ص ٤٦٦ من النهج الحديدى) ارسله على حين فترة من الرسل وطول هجمة من الامم وانتقاض من المبرم فجاءهم بتصديق الذى بين يديه والنور المقتدى به ذلك القرآن فاستنطقوه ولن ينطق ولكن أخبركم عنه الان فيه علم ما يأتى والحديث عن الماضى ودواء دائكم ونظم ما بينكم .

ارسله ، اى ارسل نبى الاسلام ، على حين فترة من الرسل ، اى بعد مرور زمان على انقطاع الرسالة السماوية عن الارض ، وطول هجمة من الامم اى ومن بعد نوم طويل عن الحق والعمل به من ناحية المكلفين ، وانتقاض من المبرم ، المبرم المقتول وانتقاضه انحلاله اى ومن بعدما اهملت الشرائع الحققة ونقضت الاصول الدينية وحرقت احكام الله وتلوعب بدين الله ، فجاءهم بتصديق الذى بين يديه ، اى الذى كان امامه فان الاديان السابقة على الدين اللاحق باتجاهه لها تكون امامه والامام يكون بين يدى المستقبل ولاريب ان اديان الله كلها حققة وكلها ترمى الى غاية واحدة وكلها تدور على محور فذلا بدع اذا جاء القرآن مصدقاً لها جميعاً لكن سوء الصدف قضت بان الدين النزيه عن كل فضول وتشويه لا يمضى من عمره الا القليل بعد فوت الداعية المشرع له وبعده تبدأ الانحرافات تعتوره من كل جانب ومكان فلا تراه بعد ازمان الاشياء

آخر لا ربط له بنفسه في اول تشريعه ، والنور المقتدى به ، عطف على قوله بتصديق اى وجائهم ايضاً بالنور الذى يجب ان يكون قدوة لطالب النجاة ، ذلك ، هو ، القرآن فاستنطقوه ، ليتكلم فنتفيدوا من نطقه ، ولن ينطق ، بلسان ذى صوت ولكن بحقائق شاخته بنفسها ومضامين عالية في عيارها ، ولكن اخبركم عنه ، مجملاً ، الا ان فيه علم ما يأتى ، اما غيب المستقبل فعلمه عند الله يطلع عليه من يشاء من أمثاله ، وا لحدث عن الماضى ، لا بداعى قص الاخبار بل بداعى العظة والاعتبار ، ودواء دائكم ، اى كل اوجاعكم الروحية وادوائكم الاخلاقية هودوائها الوحيد بجميل ارشاداته وبلغ ابلاغاته ، ونظم ما بينكم ، اى هو الناظم لكم نظم السلك للخريزات حيث لا تصادم معه ولا تراحم مع المشى على سنته مضافاً الى عظمة قوانينه واحقاقه الحق الواقعى وابطاله كل زائف و منحرف .

وقال عليه السلام فى شأنه صلى الله عليه وآله (ج ٢ ص ٤٢٧ من النهج الحديدى) فبعث الله محمداً ص بالحق ليخرج عباده من عبادة الاوثان الى عبادته و من طاعة الشيطان الى طاعته بقرآن قدينه وأحكمه ليعلم العباد ربهم اذ جهلوه وليقرؤا به بعد اذ جحدوه وليثبتوه بعد اذ انكروه فنجلى لهم سبحانه فى كتابه من غير أن يكونوا رؤه بما أراهم من قدرته وخوفهم من سطوته و كيف محق من محق بالمئات واحتصد من احتصد بالثقات .

فبعث الله محمداً ص بالحق ، اى بما هو الواقع البعيد عن كل أضلولة وتلبيس ، ليخرج عباده ، تعالى ولو جحدوه رأساً فان كافة الكائنات و من جعلتها الانسان مخلوقة له ولوضلت عقول جملة فاعتبروا انفسهم كائنين من غير مكون وموجودين بالاموجد ، من عبادة الاوثان ، جمع وثن و هو الصنم و هى اردأ العبادات انصافاً ومن الادلة الجاهرة على اغراق عبادها فى الجهل و الاوهام ، الى عبادته ، هو تعالى حيث يلفت انظارهم العازبة الى ان ما يفعلونه بعيد عن المنطق فان الانسان انما يجوز له عقله ان يعبد من بيده نفع و ضرر و تغيير الامور و تحوير و من بيده الشدة والرءاء و العافية و البلاء و السعادة و الشقاء وهاته النصب المنصوبة المصنوعة من حجارة او مادة اخرى من

أحقر الموجودات لوقوعها آلة لللاعب والهازل وناحتها أقوى منها وصانعها متصرف بها فكيف يليق بها أن تنتصب معبودة للإنسان الذي هو أشرف منها ومن أكثر الكائنات. وليعلم أن وظيفة الرسول ومهمة الفيلسوف هي إبراز كوامن العقول واجالة الصور المندكة في الأذهان فانه ما من شيء بقدره العقل ادراكه وما من مفهوم باستطاعة الذهن ان يتجول فيه الا وهو موجود في العقول البشرية ودقائق الأذهان الانسانية غايته انه موجود ليس بمكشوف فالرسول في دعوته الى الله انما يلفت العقول الى ما غرس فيها واستكن في كوامنها ولذا ترى المدعو بعد الفات نظره تماماً كأنه كان ناسياً فتذكر وغافلاً فتنبه وبعيداً عما هو موجود عنده فأدنى منه وهكذا الفيلسوف في كافة ما يعزى اليه من ابتكار فانه لم يخلق شيئاً لا وجود له في العقول غايته انه انما يجمل ويمجد للفتاته قبل غيره الى كوامن عقله الموجودة في سائر العقول ايضاً كما هي موجودة في عقله فتنبه لها قبل ان يتنبه الغير وهكذا يقال في المخترعين والمكتشفين فانهم لم يوجدوا من انفسهم مالم يكن موجوداً بل كل ما اظهروه موجود في بطون الطبيعة بلا زيادة او نقصان ولكن ميزتهم على من سواهم انهم التفتوا الى هذه الغوامض التي لم يعرها الغير اقل التفات حتى يحظى بها كما حظي بها هؤلاء .

ومن طاعة الشيطان ، ومتابعة الميول النفسية ، الى طاعته ، هو تعالى حيث السعادة في ذلك لهم لاله لفقيرهم الى من يسعدهم ويهديهم الى الطريق الموصل للنجاة وغناه عن كل ذلك لكامله ، بقرآن ، يجوز ان يكون قوله **تعالى** بقرآن بياناً لقوله آناً فبعث الله محمداً **عليه السلام** بالحق فيكون المراد بالحق هو القرآن كما يجوز ان يكون متعلقاً بقوله ليخرج عباده بقرآن اي بكتاب جامع لكل ما فيه خير وسعادة للبشر ، قدينيه ، اي اوضح ما فيه ليستفيد منه كافة العقلاء فان القرآن للناس جميعاً وهم المخاطبون به وقد ضل عن القصد من زعم ان القرآن انما تعرف مقاصده وتستفاد معانيه من طريق تفسير النبي والائمة له وبدون ذلك لا يعتقد له ظاهر من نفسه ولا يستفاد منه شيء : وضلال هذا الزاعم من عدة نواحي .

(١) ان هذا القرآن حين انزل لم يكن نبي الاسلام مصدقاً بالنبوة عند معاصريه

حتى يكون كلامه حجة ومدر كماً على تفسيره وتأويله وانما كان الكتاب المذكور آية صدقه وبرهان نبوته ومعجزة دينه فلو كان معمى المقاصد مستورا المعانى لم يكن فيه اقل تأثير فى عضد النبى ﷺ وتأيدته.

(٢) ان هذا القرآن قد تحدى به الله كافة معاصرى نزوله من العرب الاقحاح الجاحدين له ولمن جاء به فاذا كان معمى المقاصد مستورا المعانى خرج عن كونه قابلا لان يتحدى به.

(٣) ان هذا القرآن معجزة محمد والاسلام الخالدة وليس هو كتاباً للمعتقدين بالاسلام فقط بل لكل مكلف سواء كان مسلماً أم كتابياً أم مشركاً أم ملحداً أم حياً فاذا كان معمى المقاصد مستورا المعانى سقط عن هذه الحيثية .

(٤) ان هذا القرآن هو الحججة الاولى فى الدين الاسلامى فاذا كان معمى المقاصد مستورا المعانى وكانت مقاصده ومعانيه قائمة بما يروى عن النبى (ص) وآله (ع) لم يكن معنى لهجتيه ولا استقلاله بالمدر كية بل كانت الحججة هي السنة فقط وبطلان هذا الوجه من ضروريات الدين الاسلامى .

(٥) اذا كان هذا القرآن معمى المقاصد مستورا المعانى من حيث نفسه لم يكن معنى لما ورد فى السنة المتواترة من وجوب عرض الاخبار عليه فما وافق منها كتاب الله يؤخذ به وما خالفه يطرح .

(٦) اذا كان القرآن بالوصف الآنف لم يكن معنى لدعوة على ﷺ مناوئيه الى الوقوف على مضامينه للفيصلة بينه وبينهم بالحكومة اليه وقد فعل ذلك فى حرب الجمل وغيرها .

(٧) اذا كان القرآن بالوصف المزبور سقط عن جميع حيثياته و كان ملا كما ملاك الطالسم والمعميات التى تجدها فى كتب الادعية والاحراز فكما ان هذه لا يستفاد منها اقل شىء ولا يجوز ان تعرض على مخاطب او مكلف كذلك يكون حكمه و هو خلاف الوجدان المكشوف .

(٨) ان العارف باللغة العربية بما هو كذلك يفهم منه كل محكماته بحكم

معرفة بلغة القرآن بلا توقف على شريعة أو تفسير نظير للذكر مثل حظ الأنثيين و  
لاتقربوا النساء في المحيض وما إلى ذلك .

(٩) ان القرآن حكم على نفسه بانه كتاب مبين والمبين في غنى عن التفسير .

(١٠) ان الظواهر خارجة عن مادة التفسير موضوعاً لان التفسير معناه فلق

باطن الشيء واخراج مكنونه والظاهر ظاهر بنفسه من دون حاجة الى فلق واخراج .

(١١) تصريح امير المؤمنين في خطبته هذه وفي غيرها بان القرآن من مجالي ظهور

الله لعباده وانه تعالى بينه وأحكامه وهكذا تصريح بقية الأئمة (ع) بالمفاد المزبور .

اذن فكل ما ورد في السنة من حرمة التفسير بالرأى فان المنظور به تفسير ما لا ظاهر

منعقداً له كالمتشابهات وهي موارد قليلة لاتمس بكرامة القرآن ولا يقال في شأنها

والاشكال عليها انها لم انزلت متشابهة فقد تكون هناك علل خفية و مصالح واقعية

دعت الى ذلك في حينه ، كما ان الذي هو مظنة للتفسير منه بطونه السبعة او السبعون

التي وردت فيها الآثار ونطقت عنها الاخبار و ذلك ما لا ربط له بظواهره المنعقدة

كما لا يخفى .

وفيما يأتي من فقرات هذه الخطبة دليل واضح على ما اسلفناه ، وأحكامه ،

المحكم هنا في مقابل المتشابه و المنظور به ما استحکم ظاهره بحيث لا متفد فيه

للتأويل ، ليعلم العباد ربهم ، من طريقه ، اذ جهلوه ، تعالى قبل نزوله و لم يعطوه

حقه من المعرفة فان هوية الله المرئسة في اذهان الجاهليين بل والكتابين وسائر

الملل هوية بعيدة عن المنطق كل البعد قريبة من الجهل والضلال و لكن القرآن

في آيات شتى من سورة أبان حقيقة الله لعباده بانه لاتدر كه الابصار للطافته المتناهية

وهو يدرك الابصار لعلمه الواسع وانه واحد للاثلاثة كما عليه النصارى و انه اقرب

الى الانسان من جبل وريده الى غير ذلك مما سلف شطرواسع منه ، وليقروا به بعد

اذ جحدوه ، لان العاقل اذا وقف على الادلة و المناظرات التي تضمنها القرآن في

مقام اثبات الصانع لا يعود يشك من نفسه بان العالم له صانع من وصفه كذا و كذا ،

وليثبتوه بعد اذا نكروه فتجلى لهم سبحانه في كتابه ، تجلى الامر المبرهن عليه في



أطار برهانه وظهور المدلول من استعراض دليله ، من غير ان يكونوا رأوه ، باحد اقدم بل ، بما اراهم من قدرته ، التي قامت بخلق هذه الاكوان العظيمة الشأن وخوفهم من سطوته ، على العصاة المتمردين ، و ، ضرب لهم مثلاً في ذلك بانه ، كيف محقق من محقق بالمثلات واحتصد من احتصد بالنقمات ، اى ان ما ترونه من سقوط قائم وذلة شريف وخضوع متغطرس وزوال ملك سلطان ومالى ذلك كله من نتيجة العقوبات التى اطاحها بهؤلاء حتى يعتبر بهم غيرهم و امثال هذه العقوبات الجسم لا تتأتى الا من طريق متصرف بالكون والكوائن و ليست هى من فعل البشر الموسوم بالعجزو مهما بلغ من القدرة المؤقتة : والسطوة هى الحملة على الطرف بشدة والمحقق هو الابطال والمثلات بفتح الميم وضم التاء المثلثة جمع مثلة كذلك وهى ما اصاب القرون الماضية من العذاب والحصد هنا هو الابداء العامة والنقمات جمع نعمة وهى الانتقام فى مقابل الذنب والعصيان .

وقال عليه السلام فى شأن نبي الاسلام ايضاً (ج ٢ ص ١٩٩ من النهج الحديدى) اما بعد فان الله سبحانه وتعالى بعث محمداً ﷺ وليس احد من العرب يقرأ كتاباً ، ولا يدعى نبوة ولا وحياً فقاتل بمن اطاعه من عاصه يسوقهم الى منجاتهم ويبادر بهم الساعة ان تنزل بهم يحسر الحسير ويقف الكسير فيقيم عليه حتى يلحقه غايته الاها الكأ لاخيره حتى اراهم منجاتهم وبوأهم محلنتهم فاستدارت رحاهم واستقامت قناتهم و ايم الله لقد كنت من ساقتها حتى تولت بحذا فيرها واستوسقت فى قيادها ما ضعفت ولا جينت ولا خنت ولا وهنت و ايم الله لأبقرن الباطل حتى اخرج الحق من خاصرته اما بعد فان الله سبحانه وتعالى بعث محمداً ص وليس احد من العرب يقرأ كتاباً ، اى انهم كانوا حينذاك متهمضين فى العامية عريقين فى الجهل لان الدراسة و المطالعة مهماتكن نزره قليلة فانها تعطى صاحبها شيئاً من الثقافة ولذلك كان فى ضمن مئات الالوف من عرب الجزيرة بعض المثقفين من طريق ممارستهم لاهل الفضل والكمال و من هذه الجهة عرفوا ببعدهم عن عبادة الاوثان وانشمارهم عن اكثر الخرافات : اما العامى العريق فى الجهل فلا يكون الامغراً فى التوحش جافاً فى اخلاقه سمجاً فى

حركاته وسكناته ثقيل الظل بعيداً عن الرحمة قريباً من القساوة ولذلك اغذت الرذائل  
بشتات انواعها في عرب الجاهلية فقد كانوا سفاكين للدماء عائشين على الغارات و  
الانتهاكات يطاردون الانسان والحيوان جميعاً على ارواحهم الى غير ذلك من الهنآت  
النابية عن الذوق الانساني ومن هنا يعرف ان نبي الاسلام كم طوح بنفسه في سبيل  
انتقاذهم من هذه الضلالات وطلع بهم الى شارع النجاة ، ولا يدعى نبوة ولا وحياً ، لا  
حقاً وصدقاً كما هو واضح وما كان من امر هود و صالح وشعيب فيرجع عهده الى زمان  
قديم جداً لربط له بعصور النبي ص كما لم يدع النبوة قبل نبي الاسلام احد من عرب  
الجزيرة لجهلهم بمادتها اساساً وما حدث من امر مسيلمة وسجاح فقد كان بعد عصر النبوة وبعد  
أن عرف العرب ماهي النبوة وكيف تدعى والمنظور من الفقرتين ان بعثة النبي ص صادفت  
احتياجاً مبرماً للدعوة الاسلامية لانها واجهت امة مغذة في الجهل الموجب للعناد و  
المبارزات السخيفة كما حصل كل ذلك امام وجه النبي ص ، فقاتل بمن اطاعه  
من عصاه ، بعد ان قضى من عمر بعثته ما يقرب من خمسة عشر عاماً في التبشير والانذار  
فلم ينجح تبليغه الا في عدة معدودة لم تستطع ان تحتفظ بدينها الا بالهجرة الى ديار  
الغربة او بالاصاخة للعذاب المزعج و كل جامعة تبلغ وحشيتها وتمردتها على السعادة  
الى هذا الحد لا يكون بد من سوقها الى الحق بعضا التاديب ومن هنا يعلم ان دين الاسلام  
كم ساير هذه الشعوب المتعنتة بلين ورفق وسمح فلم يثن من حدثها اقل شيء كما لم  
يؤثر فيها اقل شيء وبقيت الدعوة منحصرة بافراد ليس باستطاعتهم القيام بوظيفتهم ،  
يسوقهم الى منجاتهم ، اي انه ﷺ لم يستهدف بقتاله اياهم ان يسود عليهم ويمص  
من دمائهم ليشيد من شخصيته و يقيم من مقامه وينال من دنياه العيش الرخي والتصرف  
غير المحدود كما يحاول ذلك كل زعيم بل انما فعل ما فعل وزاحم حياته وراحته و صرف  
العزيم من عمره لاجل ان ينقذهم من الهلكة ويركبهم سفن النجاة : والمنجاة مصدر  
ميمى وهو النجاة بنفسها ، ويبادر بهم الساعة ان تنزل بهم ، المبادرة هي الاسراع في  
تحصيل المقصود والساعة هي انحلال الحياة الدنيا بقيام القيامة ومعنى الفقرة ان نبي  
الاسلام من شدة شفقتة على هذا المخلوق كان فيهم مزعج ان يفاجئهم الله تعالى بانقضاء

هذه الدنيا الى الحياة الاخرى وهم على ضلالهم الموجب لشقائهم الابدى فكان يصل  
 ليله بنهاره فى اىصال الدعوة اليهم واشباع ارواحهم بالحق الذى هم مسؤولون عنه و  
 مأخوذون به فهو صلى الله عليه وسلم فى اصراره هذا كأنه يسابق الساعة بهم حتى يدخلهم فى  
 رضوان الله قبل حلول آجالهم ليفدوا على ربهم بعقائد صحيحة واعمال مثمرة و هذا  
 المعنى غاية فى رأفة النبي صلى الله عليه وسلم و حنانه على الناس ، يحسر الحسير ، يقال فلان  
 حسر عن الشيء اذا عجز واعى والحسير هو العاجز الكال ، ويقف الكسير ، وهو من كسر  
 عضوه الذى يمشى به فيقف حيث لا وسيلة الى المشى والحركة ، فيقيم ، اى النبي صلى الله عليه وسلم  
 ، عليه حتى يلحقه غايته ، يقول صلى الله عليه وسلم ان نبي الاسلام من مزيد رأفته بعامة الناس ان  
 من يعبى ويعجز عن تدبر الحقائق لا يرسله ارسال المهملات كما يفعل سائر الدعاة بل  
 يقيم عليه ويعلمه الشيء بعد الشيء مكرراً ومقرراً حتى يلحقه بغايته وهى التعرف بالحق  
 والاعتناق له ، الاها لكأ لاخيره ، اى الا انساناً بلغ به الجهل والعناد مبلغ المكابرة  
 والمهاترة ومثل هذا لامجال معه للمجاملة فهو هالك لاخيره فانذى فعله رسول الله  
 من كل هذا وذلك مزيد من الرأفة والحنان وسعة الاخلاق وكثرة التحمل ، حتى  
 أراهم منجاتهم ، اى ماينجون به ، وبوأهم محلثهم ، اى اسكنهم مكانهم الذى كان  
 من لازمهم ان يكونوا فيه : فاستدارت رحاهم ، استدارت الرحى اذا اخذت حظها من  
 الدوران الصحيح بسلامة من جميع آلاتها وذلك كناية عن استتمام امور المسلمين و  
 اعتدال اوضاعهم بعد اضطرابها ، واستقامت قناتهم ، والمعنى الكنائى لهذه الفقرة مثل  
 الذى قلناه فى الفقرة الانفة : واستقامت القناة اى اعتدلت بعد اعوجاجها ، وايم الله ،  
 كلمة يقسم بها ، لقد كنت من ساقتها ، الساقة جمع سائق كالقائد والقادة والذائد و  
 الذادة ويرجع الضمير فى ساقتها الى ما يتصيد من مضامين الفقرات السابقة اى كنت فى  
 هذه المناورات والمبارزات بين اهل الحق واهل الباطل سائقاً اسوق الكنائب الى الجبهة  
 واقود الجيوش الى المناضلة ، حتى تولت ، تلك الغيوم المتلبدة فى وجه الحق ،  
 بحذافيرها ، اى بكلمها واصبح الدين لله وحده ، واستوسقت ، اى تنظمت الامور واجتمعت ،  
 فى قيادها ، اى فى النظام الذى يقودها الى الغاية كما تنظم الازمة قطار الابل فى سيرها

الى الجهة المقصودة لمسيرها ، ماضعت ، اى ما ابدت ضعفاً وانا اجد قوة ، ولاجبت ، اى ولا نكلت عن التقدم و للتقدم مجال ، ولاخت ، دينى و ما ألقى على عاتقى من تكليف فى الذب والذيد ، ولاوهنت ، اى ضعفت عن القيام بواجبى ، وايم الله لا بقرن الباطل حتى اخرج الحق من خاصرته ، بقر بطنه اذاشقها وخاصة الانسان جانبه وبما ان الباطل فى الاعم الاغلب من شيم النفوس وديدن اكثر الناس لاجرم اذا كان رواجه واستيلاؤه على الاوضاع العامة البشرية موجبا لانغمار الحق تحت ركامه فيكون الحق دائماً مقهوراً باشتمال الباطل عليه ومعنى بقر الباطل شق ركامه المنتشر واخراج الحق من بين اطباقه كشق خاصرة الجبل لاجراج جنينها: وهنا يليق بنا ان نشير الى خلاصة ما قام به على فى دعم الاسلام و تأييد الدعوة الاسلامية منذ طقوله الى آخر ساعة من حياته : فنقول :

لم يخدم الدعوة الاسلامية بعد النبي الاعظم اى انسان يفرض مثل ما خدمها على بن ابي طالب فقد وقف على هذا المشروع المهم حياته وكرس لتقويمه جميع قواه واذاب فى سبيله كل مهجته حتى سقط فى محرابه على حساب هذه الدعوة قتيلاً .

قال ابن حجر فى الاصابة ولد على قبل البعثة بعشر سنين على الصحيح فربى فى حجر النبي ﷺ ولم يفارقه وروى غيره اكثر من ذلك حتى اوصله الى الستة عشر عاماً: وقال ابن كثير فى البداية والنهاية (ج ٣ ص ٣٥) قال ابن اسحاق حدثنى ابن ابى نجيح عن مجاهد قال وكان مما انعم الله به على على ان قریشاً اصابتهم ازمة شديدة وكان ابوطالب ذاعيل فقال رسول الله لعمة العباس وكان من ايسر بنى هاشم ان اباطالب كثير العيال وقد اصاب الناس ماترى من هذه الازمة فانطلق حتى نخف عنه من عياله فأخذ رسول الله علياً فضمه اليه فلم يزل معه حتى بعثه الله نبياً : وعلى ان لم يكن بالغاً عند البعثة فهو انسان تام التمييز لمتابعته النبي ﷺ فى جميع حر كاته وسكناته وقيامه معه فى صلاته حيث لامصلى غير محمد و خديجة يومذاك فهذا القرب اللاصق معشراً ووشيجة رحم مع اتحاد المنزل والمأوى قاض باتصال على بدعوة ابن عمه اكثر من سواء على الاطلاق .

ومن هذا الباب ما جاء في نهج البلاغة (ج ١ ص ٣٥٥ من النهج الحديدى ) من كلام كُتِّم به أصحابه: اما انه سيظهر عليكم بعدى رجل رحب البلعوم مندحق البطن يأكل ما يجد ويطلب ما لا يجد فاقتلوه ولن تقتلوه الا وانه سيأمركم بسبى والبراءة منى اما السب فسبونى فانه لى زكاة ولكم نجاته واما البراءة فلا تتبرؤا منى فانى ولدت على الفطرة وسبقت الى الايمان والهجرة .

وقال فى ذم اهل العراق (نهج البلاغة ج ٢ ص ٤٧) من فصل : بلغنى انكم تقولون على يكذب قاتلكم الله تعالى فعلى من أكذب على الله فانا اول من آمن به ام على نبيه فانا اول من صدقه .

وفى فقرة اخرى (ج ٢ ص ٣٧٨ من النهج الحديدى) اللهم انى اول من اناب وسمع واجاب لم يسبقنى الا رسول الله بالصلاة .

ومن جملة كلام له عليه السلام ايضاً: انا وضعت فى الصغر بكل اكل العرب وكسرت نواجم قرون ربيعة ومضرو وقد علمتم موضعى من رسول الله صلى الله عليه وآله بالقراية القريبة والمنزلة الخصيصة وضمنى فى حجره وانا وليد يضمنى الى صدره ويكتفىنى فى فراشه و يمسنى جسده ويشمنى عرفه و كان يمضغ الشىء حتى يلقمنيه وما وجدلى كذبة فى قول ولا خطله فى فعل ولقد قرن الله به من لدن ان كان فطيماً اعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم ومحاسن اخلاق العالم ليله ونهاره ولقد كنت اتبعه اتباع الفصيل اثر امه يرفع لى فى كل يوم من اخلاقه علماً ويامرنى بالاعتداء به ولقد كان يجاور فى كل سنة بحراء فاراه ولا يراه غيرى ولم يجمع بيت واحد يومئذ فى الاسلام غير رسول الله صلى الله عليه وآله وخديجة وانا ثالثهما ارى نور الوحي والرسالة واشم ريح النبوة ولقد سمعت رنة الشيطان حين نزل الوحي عليه فقلت يا رسول الله ما هذه الرنة فقال هذا الشيطان قد ايس من عبادته انك تسمع ما سمع وترى ما ارى الا انك لست بنبى ولكنك لوزير وانك لعلى خير (نهج البلاغة ج ٣ ص ٢٥٠) .

وفى كتاب له الى معاوية (ج ٣ ص ٣٠٤ من النهج الحديدى) فيا عجباً للدهر اذ صرت يقرن بى من لم يسع بقدى ولم تكن له كسابقتى التى لا يدلى احد بمثلها الا ان يدعى

مدع ما لا أعرفه ولا اظن الله يعرفه.

وقال ابن الاثير في الكامل (ج ٢ ص ٤١) عند تعرضه لآية : و انذر عشيرتک الاقربين : ان رسول الله بعد جمعه لبني عبدالمطلب تكلم فقال يا بني عبدالمطلب اني و الله ما اعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل مما اقد جئتمكم به قد جئتمكم بخير الدنيا والآخرة وقد امرني الله تعالى أن أدعوكم اليه فأياكم يؤازرني على هذا الامر على ان يكون اخي ووصيي وخليفتي فيكم فأحجم القوم عنها جميعاً فقال علي وهو احدثهم سناً وارضهم عيناً واعظمهم بطناً و احمهم ساقاً انا يا نبي الله اكون و زيرك عليه فأخذ برقبته ثم قال ان هذا اخي ووصيي وخليفتي عليكم فاسمعوا له واطيعوا فقام القوم يضحكون ويقولون لابي طالب قد امرك ان تسمع لابنك و تطيع - اهـ - وعلى هذا الحديث تعليق مهم نوافيك به في بحثنا عن الامامة قابلاً فانتظر.

وذكر الحديث الآنف الطبري في تاريخه (ج ٢ ص ٢١٧) وابن سعد في الطبقات (ج ١ ص ١٧١) والنسائي في الخصائص والكنجي في كفاية الطالب والمتقى الهندي في منتخب كنز العمال (ج ٥ ص ٤١ وما بعدها) وابو جعفر الاسكافي في رد الجاحظ (الشرح الحديدي ج ٣ ص ٢٦٣) والخازن في تفسيره المعروف والقندوزي في ينابيع المودة (ص ١٠٥) والقوشجي في شرحه على التجريد والطبرسي في تفسيره واحمد بن حنبل في مسنده (ج ١ ص ١١١) الي غير ذلك وهو كثير.

ومن كلام لامير المؤمنين عليه السلام اقتص فيه ذكر ما كان منه بعد هجرة النبي ص ثم لحوقه به : فجعلت اتبع مأخذ رسول الله ص فأطأ ذكره حتى انتهيت الي العرج (ج ٣ ص ١٨٤ من النهج الحديدي) علق الشارح المعتزلي على ذلك فقال قال محمد ابن اسحاق في كتاب المغازي لم يعلم رسول الله احداً من المسلمين بما كان عزم عليه من الهجرة الاعلى بن ابي طالب و ابا بكر اما علي فان رسول الله اخبره بخروجه وأمره ان يبني علي فراشه يخادع المشركين عنه ليروا انه لم يبرح فلا يطلبوه حتى تبعد المسافة بينهم وبينه وان يتخلف بعده بمكة حتى يؤدي عن رسول الله الودائع التي عنده للناس .

وروى احمد بن حنبل في مسنده (ج ١ ص ٣٢٠) عن عمرو بن ميمون عن ابن عباس قال وشري على نفسه لبس ثوب النبي ﷺ ثم نام مكانه وهو يرمى بالحجارة كما كان يرمى نبي الله : وفي الفصول المهمة : وذهب من الليل ماذهب وعلى نائم على فراش رسول الله والمشركون يرمونه : وذكر هذه الواقعة كل كتاب السيرة والمؤرخين وحررها باستيفاء في (ج ٣ من نتائج الفكر فليراجع من ص ١٥٩ الى ص ١٧٥) .

وروى الحاكم في المستدرک عن علي (ج ٣ ص ٥) قال لما كانت الليلة التي امرني رسول الله ان ابني على فراشه وخرج من مكة مهاجراً انطلق الى الاصنام فقال اجلس فجلست الى جنب الكعبة ثم صدر رسول الله علي منكبي ثم قال انهض فنهضت به فلما رأى ضعفى تحته قال اجلس فجلست وانزلته عنى وجلس لى رسول الله فقال لى يا على اصعد على منكبي فصعدت على منكبيه ثم نهض ﷺ بى فخيلى لى ان لوشئت نلت السماء وصعدت على الكعبة وتنحى رسول الله فألقيت صنمهم الاكبر وكان من نحاس موتداً بأوتاد من حديد فقال لى رسول الله عالججه فعالجت ومازلت اعالج ويقول رسول الله ايه ايه حتى تمكنت منه فقال دقه فدقته فكسرتة ونزلت : هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه ، وقال المتقى الهندي (ج ٥ ص ٥٤) من منتخب كنز العمال واخرجه ابن ابى شيبة : وابو يعلى في مسنده : واحمد في المسند : وابن جرير : والخطيب في التاريخ ايضاً .

وفي كتاب التاج الجامع للاصول (ج ٣ ص ٣٣٢) عن ابن عمر انه قال آخى النبي ﷺ بين اصحابه فجاء على تدمع عيناه فقال يا رسول الله آخيت بين اصحابك ولم تؤاخ بينى وبين احد فقال له رسول الله ص انت اخى فى الدنيا والاخرة : وعلق عليه فقال : وبهذا الحديث امتاز على عن بقية الاصحاب : وقال ايضاً (ج ٣ ص ٤٢٠) فما اربحه وما ارفعه بهذه المؤاخاة : وفي قصة المؤاخاة حديث واسع لامجال للتبسط فيه الان .

وروى احمد في المسند (ج ٢ ص ٢٦) عن ابن عمر قال لقد اوتى ابن ابى

طالب ثلاث خصال لأن تكون لى واحدة منهم احب الى من حمر النعم زوجه رسول الله ﷺ ابنته وولدت له وسد الابواب الاباه فى المسجد واعطاه الراية يوم خيبر اه وكانت راية المهاجرين فى الوقائع كلها مع على بن ابى طالب . راجع لذلك ما ذكره ابن اسحاق والمتقى الهندى فى منتخب كنز العمال (ج ٤ ص ١٠٢ و ص ١٥٧ و ج ٥ ص ٥٠) واحمد فى المسند (ج ١ ص ١٩٩) والحاكم فى المستدرک (ج ٣ ص ١١١ و ص ١٣٧) ومحج الدين الطبرى فى ذخائر العقبى (ص ٧٥) و الحافظ الكنجى فى كفاية الطالب فى الباب ٩٥ وغير ذلك .

وقال ابن ابى الحديد فى كلامه على غزوة بدر (ج ٣ ص ٣٥٨ من شرحه على النهج) جميع من قتل ببدر فى رواية الواقدى من المشركين فى الحرب وصبراً اثنا و خمسون رجلاً قتل على ع منهم مع الذين شرك فى قتلهم اربعة وعشرين رجلاً : اه : و نظير ذلك ترا فى حديث ابن اسحاق وغيره .

وذكر اهل الحديث عن انس وغيره باستفاضة انه قال كنت عند النبى ص فغشيه الوحي فلما سرى عنه قال يا انس اتدرى ما جاءنى به جبريل من عند صاحب العرش قال ان الله امرنى ان ازوج فاطمة من على (راجع لذلك منتخب كنز العمال ج ٥ ص ٣١ وما بعدها) واقراً ما كتبه المحدثون والمفسرون فى شأن نزول آية التطهير وان احدا ساطينها على بن ابى طالب : راجع حد الاقل : مسند احمد (ج ١ ص ٣٣٠ و ج ٤ ص ١٠٧ و ج ٦ ص ٢٩٨) والحاكم فى المستدرک (ج ٢ ص ٤١٦ و ج ٣ ص ١٤٧ و ١٤٨ و ١٥٨) و القندوزى فى ينابيع المودة (ج ١ ص ١٠٦) والمحج الطبرى فى ذخائر العقبى ص ٢١ وما بعدها : والتاج للاصول (ج ٣ ص ٣٦٣) والشوكانى فى فتح القدير (ج ٤ ص ٢٧٠) وغير ذلك مما لا يحصى .

واقراً أيضاً ما كتبه فى آية المباهلة : راجع حد الاقل الشوكانى فى فتح القدير (ج ١ ص ٣١٦) والزمخشري فى الكشاف : ومسند احمد ج ١ ص ١٨٥ : والحاكم فى المستدرک ج ٣ ص ١٥٠ : والبيهقى فى السنن ج ٧ ص ٦٣ : والخازن فى تفسيره ج ١ ص ٣١٥ : والتاج للاصول ج ٣ ص ٣٢٩ و ذخائر العقبى ص ٢٥ و ينابيع المودة ج ٢



ص ١١٩) الى غير ذلك وقال ابن الاثير في تاريخه (ج ٢ ص ١٠٧) عند تعرضه لوقعة احد وكان الذي قتل اصحاب اللواء على قاله ابو رافع قال فلما قتلهم ابصر النبي ص جماعة من المشركين فقال لعلي احمل عليهم وفرقهم وقتل فيهم ثم ابصر جماعة اخرى فقال له احمل عليهم فحمل عليهم وفرقهم وقتل فيهم فقال جبريل يا رسول الله هذه المواساة فقال رسول الله انه منى وانامنه فقال جبريل وانامنكما قال فسمعوا صوتاً .

لا سيف الا ذو الفقار ولا فتى الا على

وراجع لذلك كافة من كتب عن السيرة والتاريخ والحديث : هذا وجميع من قتل من المشركين يوم احد ثمانية وعشرون رجلاً قتل على منهم ما اتفق عليه وما اختلف فيه اثني عشر انساناً : وعلى هو الفاتح الاول للمخندق بقتله عمرو بن عبدود : وهو الذي احرز النصر في خيبر : ولقد صح متواتراً ان النبي ص قال يوم خيبر لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله فتناول الناس فقال ادعوا لي علياً فاتي به ارمد فبصق في عينه ودفع الراية اليه ففتح الله عليه ولل قضية تفصيل ليس محلها الآن .

وقال القاضي عياض في كتابه الشفا (ج ٣ ص ١٠) من طبعته بمصر مع شرحه نسيم الرياض وشرح علي القارى ونحن نذكر هنا ما عن الشفا وشرحه نسيم الرياض جميعاً

خرج الطحاوى وهو الامام الجليل القدر المحدث ابو جعفر احمد بن محمد الازدى المصرى فى مشكل الحديث عن اسماء بنت عميس من طريقين مختلفين فى روايته هذا الحديث عنها ورواه الطبرانى باسناد مختلفه رجال اكثرها ثقة ان النبي ص كان يوحى اليه ورأسه فى حجر على فلم يصل العصر حتى غربت الشمس فقال رسول الله أصليت يا على فقال لا فقال رسول الله اللهم انه كان فى طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس فقالت اسماء فرايتها غربت ثم رايتها طلعت بعد ما غربت ووقعت على الارض والجبال وذلك بالصهباء وهى قلعة بقرب خيبر واليه الاشارة بقوله فى الهمزية .

رددت الشمس والشروق عليه لعلى حتى يتم الاداء

ثم ولت لها صرير وهذا لفراق له الوصال دواء

ثم قال وادعى ابن الجوزى ان هذا الحديث موضوع وقد قال الحافظ السيوطى

وكذا السخاوى ان ابن الجوزى فى موضوعاته تعامل تحاملاً كثيراً حتى ادرج فيه كثيراً من الاحاديث الصحيحة كما اشار اليه ابن الصلاح وهذا الحديث صححه المصنف و اشار الى ان تعدد طرقه شاهد صدق على صحته وقد صححه قبله كثير من الائمة كالطحاوى واخرجه ابن شاهين وابن منده وابن مردويه والطبرانى فى معجمه وقال انه حسن وحاكاه العراقى فى التقریب - اهـ - اقول وقد خرج هذا الحديث والقصة كثيرون جداً تعرضنا لتقولهم فى كتابنا نتائج الفكر ولا مجال لتفصيل ذلك هنا : ثم ان ما فيه من اشكال رد الشمس من حيث المجازى الطبيعية نتعرض له فى آخر بحثنا عن علوم وفنون نهج البلاغة قابلاً .

وعلى هو صاحب حديث المنزلة المتواتر حيث خلفه رسول الله ﷺ فى غزوة تبوك وقال له اما ترضى ان تكون منى بمنزلة هارون من موسى غير انه لا نبي بعدى : وعلى هو الموجه بسورة براءة الى مكة وهو المقول فيه من ناحية النبي ﷺ لا يؤدى عنى الرجل من اهل بيتى : او لا يؤدى عنى الا انا اورجل منى : وعلى هو اقضى الصحابة وهو الاخيشن فى الله وهو الاولى بالمؤمنين من انفسهم بعد النبي بما صح متواتراً من حديث الغدير : وعلى هو الذى تخلى عن روحه وتجر دانصرة الاسلام عن نفسه وكل ما يخص ذاته فى طول ماعمر وعاش وعلى لا يدانيه فى معاليه اى انسان بعد رسول الله ولذا جاء محبواً للنفوس معجوناً حبه فى القلوب عظيماً فى انظار الكمل من الناس جليلاً عند كافة بنى آدم وحقاً ان هذا الرجل خدم نفسه خدمة يعجز عن مثلها اربط الناس جاشاً واصدقهم رياضة واشدهم شكيمة واقواهم عزيمة ولقد شق على طول حياته عاباً من الحوادث وركاماً هائلاً من النوائب ولم يعط من متانته مقدار شعيرة وفى ذلك من الدلالة على بطولته ومضغه للحوادث بالرجولة ما لا يخفى ولا مجال فى هذا المختصر للكلام عن حياته اكثر مما اسلفناه .

واصولاً يجب ان يعرف ان العظمة التى طلع بها فريق من بنى الانسان على مسارح هذه الحياة على اقسام (١) مجرد نسبة العظمة الى الشخص من دون ان يكون هناك كاشف ينير للباحث مدى صحة هذه النسبة و انها عن اى ملاك حصلت

وما أكثر العظمت التي تختلق بالرضائخ للرواة والمؤرخين و المترجمين ثم تأخذ عنهم الطبقات اللاحقة ما حرروه كارسال المسلمات فكم عظيم نقرؤه في بطون الكتب عظيماً ولكن الواقع لا يعترف لهذه العظمة بادنى طرف (٢) وعظمة لها واقع الا ان احجارها التي شيدت عليها كلها مظالم ومجازر وتخريب و تدمير و خنق للانسانية و كبت للمعواطف و تحطيم للمباني الفاضلة وهي كل عظمة طلع بها فاتح شهير وقائد كبير وزعيم خطير على طول سلاسل التاريخ (٣) وعظمة لها واقع ايضاً واحجارها التي شيدت عليها ليست مظالم ومجازر الا ان مبادئها التي اعطتها ونتائجها التي حصلت عنها ليست للناس عموماً وانما هي لفريق دون فريق وهي العظمة التي اقترنت بمحررى بلادهم وكاسبها الاستقلال و مخلصى مواطنهم من الاستعمار و الاذلال كغاندى الهندي و پاتريس لومومبا ونظيرهما (٤) وعظمة لها واقع واحجارها شيدت على الفضيلة و تربية العلم للعموم الا انها لم تقرن بعمل مثالى فاضل و هذا كشأن النوابغ فى العلوم و الصناعات الذين كان همهم تركيز شخصياتهم فى المجامع و فرضها على الوجود و النيل على منصة الزعامة فى نهاية المطاف (٥) وعظمة لها واقع و احجارها قامت على الفضيلة و لم يكن الداعى اليها حب الشهرة و انتشار الصيت و لكنهم انما افادت صاحبها فقط كشأن الصالحين الكبار الذين راضوا انفسهم على المحاسن فكانوا معجزة فى الدهور من دون ان يسخروا من طريق مئاليتهم جيلهم الذى عاشوا فيه (٦) وعظمة لها واقع كالسوابق واحجارها قامت على كافة الفواضل و الفضائل و كان الداعى اليها تخطيط المدينة الفاضلة وبعث الاجيال الحاضرة و القادمة الى اعتناق الفضيلة والاحتذاء حذو ما عليه هذا الداعى المبلغ من مثالية و نبل و انسانية مع اجهاد القوى فى سبيل تحقيقها و فرضها على الوجود حتى تأتى العوالم بأسرها عوالم كما يريد الله و يتمناها الانسان الكامل فى دنياه وهذه العظمة لامصدقها الا الانبيون و اوصيائهم الطاهرون بخاصة على الذى من احدى كلماته المعربة عن روحه قوله : ان قوماً عبدوا الله رغبة فتلك عبادة التجار و ان قوماً عبدوا الله رهبة فتلك عبادة العبيد و ان قوماً عبدوا الله شكراً فتلك عبادة الاحرار (نهج البلاغة ج ٤ ص ٣٤٦) ومن

هذه الروح القهارة يعرف مدى عظمتها الجبارة وكفى .

وقال عليه السلام ( النهج الحديدى ج ٣ ص ٢٤٠ وما بعدها ) يخاطب المسلمين بما من الله عليهم بالاسلام من رفعة بعدضة وعز بعدذل وسعة بعدضيق وأمن بعدخوف وغنى بعدفقر وكثرة بعدقلة وحاكمة بعدمحكومة وبكل خير بعد كل شر لوانتفتوا الى ما كانوا عليه فى ماضيهم وما هم الآن عليه فى حاضرهم و يسرد لهم العبر والامثال محذراً و منذراً .

وتدبروا احوال الماضين من المؤمنين قبلكم كيف كانوا فى حال التمحيص والبلاء ألم يكونوا اثقل الخلائق اعباء و اجهد العباد بلاء واضيق اهل الدنيا حالاً اتخذتهم الفراعنة عبيداً فساموهم سوء العذاب وجرعوهم المرار فلم تبرح الحال بهم فى ذل الهلكة وقهر الغلبة لا يجدون حيلة فى امتناع ولا سبيلا الى دفاع حتى اذا رأى الله سبحانه جد الصبر منهم على الذى فى محبته والاحتمال للمكروه من خوفه جعل لهم من مضايق البلاء فرجاً فأبدلهم العزم مكان الذل والامن مكان الخوف فصاروا ملوكاً حكاماً و ائمة اعلاماً و قد بلغت الكرامة من الله لهم ما لم تذهب الآمال اليه بهم .

من اهم فوائد العقل للوجود الانسانى هو الاعتبار بما اقترن بالكائنات والتمرن على التجارب ولوان الانسان فى نوع ما يأخذ ويندريطبق افعاله وتروكه على المقاييس الالفة الذكر لكان فى سلامة من اكثر ما يحيق به ولعاش ارغد ما يكون بالنسبة الى غيره ولكن الانسان فى اكثر افراده حيوان خالص يمشى وراء اندفاعاته النفسية و نزواته الشهوية ولو ادت به الى فناء جارف وبلاء ما حق ونوع التموجات الدنيوية نتيجة هذه الاندفاعات الجنونية ، و تدبروا احوال الماضين من المؤمنين قبلكم .

هذا خطاب للمسلمين باعتبار اعتناقهم للدين ابتدرهم <sup>عليه السلام</sup> بهذا القول ليسليهم عما نزل بهم من الاحداث الجارحة لعواطفهم وليقوى عزيمتهم على الصبر و التحمل وان المؤمنين قبلهم اصابوا بأكثر مما اصابهم من بلاء وعناء ، كيف كانوا فى حال التمحيص والبلاء ، يقال محصه تمحيصاً اذا قلبه على جميع وجوده ليستخلص حقيقته والبلاء هو الاختبار والامتحان والمراد من التمحيص هنا وفى كل مكان يسند الى الله سبحانه فى

في قبالة مكلفيه هو اقتران المكلف في دنياه بما لا يرضاه من خوف وفقر ومرض وسائر الملبسات المؤذية الجارحة للعاطفة ويستهدف من كل ذلك قليله وكثيره ثقيله وخفيفه اثاره كـ. وامن الانسان بهذا الامتحان فمن صبر واخلص وشكر على كل حالة كان له عاقبة محمودة ومستقبلاً نيراً ومن التاقت به العلل فانحرف عما وظيف له كان وخيم العواقب سىء النتائج مستحقاً للغضب من الله مطروداً عن ساحة عزه محكوماً عليه بالويل والثبور : والتكليف من المكلف انما وضع على عواتق المكلفين ليكون محكماً لطبقات البشر في مضامير هذه الحياة : نعم لاشبهة في غموض السرفى بعض الابتلاآت المستنزفة للصبر الشديدة - الوقوع العظيمة للذع المنجرة الى العقوق لاستئصال النفس من شديد ما تعانیه من محنة وهذا المعنى هو الذى جرف الكثيرين الى جانب الضلالة وحرف الوافرين عن طريق الهداية . ولا ريب ان الاصابة على مثله ثقيلة ولكن الله استصلح ذلك وهو أعلم بما رآه : وقد اسلفنا البحث عن غموض الاسرار الكونية فلانعيد ، الم يكونوا اثقل الخلائق اعباء ، الابعاء جمع عبء وهو الحمل ومعنى كونهم اثقل الخلائق اعباء ان ما تحملوه من التكاليف والمحن والبلايا كان اثقل مما حمل عليكم ومع ذلك صبروا ابتغاء مرضاة الله ، واجهد العباد بلاء ، الجهد هو التعب والمشقة ومعنى ذلك انهم كانوا اكثر الناس تعباً من طريق ما اثقلهم الامتحان بالبلايا والرزايا ، واضيق اهل الدنيا حالا ، من كل جهة فلا انبساط رزق ولا بسطة يد ولا حسن حال ، ثم انه <sup>عليه السلام</sup> شرح بعضاً مما عانوه فقال ، اتخذتهم الفراعنة عبيداً فساموهم سوء العذاب ، ليس اتخذ الانسان عبداً بمجرد ضائراً كل الضرر اذا كان باحسان نظير ما يفعله الموالى المعتدلون في سيرتهم مع عبيدهم ولكن ما فعله فراعنة الدهر مع سائر المخلوقين وراء ذلك بمراحل وأيسر ما يقال فيه انه عبث مجنون هائج وحيوان ضارى ولا فرق في جوهر هذه الروحية الساقطة بين فراعنة القرون الاولى وهذه القرون الاخيرت ولا بدع فان رأس الانسان اذا اختمر بالجهل من ناحية وبالغرور من ناحية ثانية اخرج صاحبه عن كل الجواد معتدلها ومعوجها وصيره يجول في صحارى جرداء لا يقصد جهة خاصة ولا هدفاً معيناً وانما هو الطيش والعبث المجردان

المخربان وحذراً من وقوع الامم في مثل هذه المخازي المغرقة في الانحطاط والتسفل اشترط الشرع في امامة السلطان الشرعي اغلظ الشروط واحال انتصابه الى الله الذي يقول لاينال عهدي الظالمين : ومعنى سامه سوء العذاب اوقع به العذاب السيء و كل عذاب سيء الا ان المنظور بسوءه حيث يوصف به هو بعده عن الشرف و قربه من الاسفاف والرذيلة و كم ارحص انسان حر نفسه وأسألها على الاسل حذراً من مواجهة متحكم مستهتر وامير ساقط وملك جلف لايزن الانسان بأدنى وزنه ولا يقيمه في حدود ارضه وفي ذلك من النكايمة ما لا تحمله العاطفة الشريفة اعادنا الله من امثال هذه المواقف المحرجة ، وجرعوه المراز ، شجر مر الطعم هذا في أصله ثم استعمل في كل كريبه ثقيل على العاطفة و التجرع هو شرب الشيء جرعة بعد جرعة و ذلك يكون اما لنبو الذائقة عنه و كراهتها له و تحملها اياه بمشقة و اما للذيذ تذوقه وشهى طعمه فتريد النفس بتذوقه ان تستفيد منه جهد المقدور و تبليغ من لطافته اكثر من المعمول ، فلم تبرح الحال بهم في ذل الهلكة ، اى ان البلاء استدر بهم على اشق احواله و اشدها فعاش من عاش منهم في محنة ومات من مات منهم اذل ميتة . و قهر الغلبة ، اى كانوا مقهورين للمتغلب مرغمين على الاطاعة له والاصاخة لحكومته . لا يجدون حيلة ، و لا وسيلة ، في امتناع ، اى امتناع يفرض من تجاوز هؤلاء المتغلبين ، ولاسيلا الى دفاع ، لانغماسهم في الذلة واعيائهم امام هؤلاء العفاريت ، حتى اذاراى الله سبحانه جد الصبر منهم على الاذى فى محبته ، اى رآهم مثابرين على الصبر لا يتضععون بالحوادث ولا تزلزلهم النوائب خاضعين لحكمه راضين بقضائه كل ذلك نزولا على رضاه و تأثراً بمحبته ، والاحتمال ، منصوب بعطفه على جد الصبر ، للمكروه من خوفه . اى ورآهم ايضاً يتحملون المكاره من اجل خوف مؤاخذته اياهم اذا سايروا الظلمة بالطاعة و الاجابة او انشمروا من ضيق التكليف الى سعة التفلت على الوظيفة ولا ريب ان الصبر على بلاء الله سواء أ كان بداعى محبة الله ام كان بداعى الخوف منه محمود ومشكور ، جعل الله لهم من مضايق البلاء فرجاً ، المضايق جمع مضيقة وتفريج الشدة معناه كشف موجباتها ، فأبدلهم العزم مكان الذل والامن مكان الخوف فصاروا ملوكاً حكاماً ،

بعد قضاءهم على الفراعنة بأذن الله ، وائمة اعلاماً ، الاعلام جمع علم وهو الشاخص اى انهم جمعوا بين معالى الدين والدينا فكانوا هم حكام الناس وائمة دينهم ، وقد بلغت الكرامة من الله لهم مالم تذهب الامال اليه بهم اى ان الله اكرمهم اكراماً ما كان يخطر ببالهم انه يكون نصيبهم فى الحياة ولا ريب ان من جمعت له زعامة الدنيا والدين فقد بلغ من الاكرام مرتبة القصوى خصوصاً بعد ان كان ذليلاً مضطهداً .

فانظروا كيف كانوا حيث كانت الاملاء مجتمعة و الاهواء مؤتلفة و القلوب معتدلة والايدي مترادفة والسيوف متناصرة والبصائر نافذة والعزائم واحدة الم يكونوا ارباباً فى اقطار الارضين وملوكاً على رقاب العالمين فانظروا الى ما صاروا اليه فى آخر امورهم حين وقعت الفرقة تشتت الالفة و اختلفت الكلمة و الافئدة و تشعبوا مختلفين وتفرقوا متحاربين قد خلع الله عنهم لباس كرامته وسلمهم غضارة نعمته وبقي قصص اخبارهم فيكم عبرة للمعتبرين منكم .

ثم عقب عليه السلام ما افاده اولاً بهذا الفصل مشيراً الى ان كل نتيجة تابعة لمقدماتها فكما ان جد الصبرا كسبهم الفرج فصاروا بعد الذلة اعزاء وعقيب البؤس الماحق سعاد كذلك تشتتهم بعد الائتلاف اعقبهم الانتكاس فى العافية والانتكاس فى الامور المبرمة حيث قال .

فانظروا كيف كانوا حيث كانت الاملاء مجتمعة ، الاملاء جمع ملاء وهى الجماعات والمنظور باجتماع الاملاء تصامدها على الرأى وتعاونها على البر وتكاتفها فى مصالح المجتمع وحساب كل انسان اخاه عضواً من بدنه وهذا هو الذى يشد الاسر ويقوى العزم لانتقارب البيوت فى المساكن و تزاحم المناكب فى المجالس ، و الاهواء مؤتلفة ، الاهواء جمع هوى وهو الرغبة والطلبه اى كانت الرغبات تهدف الى منوى واحد والطلبات ترمى الى مقصد ذى الائتلاف هو الاتفاق ، والقلوب معتدلة ، اى لا ميل فيها ولا تقايق والايدي مترادفة ، بحيث تكون كل يد ردفاً لليد الاخرى والى جانبها ، والسيوف متناصرة ، كل سيف منها ينتصر للسيف الاخر ، والبصائر نافذة ، البصائر جمع بصيرة والمراد بها المشاعر الباطنة ونفوذها هو اصابتها للمواقع ، والعزائم ، جمع عزيمة ،

واحدة ، اى متحدة و يراد بوحدها تضامدها على منظور واحد ، الم يكونوا ارباباً فى اقطار الارضين ، نتيجة اجتماع املائهم ، وملو كأعلى رقاب العالمين ، من ناحية ائتلاف أهوائهم واعتدال قلوبهم وترادف ايديهم وتناصر سيوفهم ونفوذ بصائرهم واتحاد عزائمهم ، فانظروا الى ما صاروا اليه فى آخر امورهم حين وقعت الفرقة ، بين جماعاتهم ، وتشتت الالفة ، بين رغباتهم ، واختلفت الكلمة ، فيما بينهم ، والافئدة من افرادهم ، وتشعبوا ، اى صاروا شعباً و فرقاً ، مختلفين ، فى مذاهبهم و تفرقوا متحاربين ، يوقع بعضهم ببعض ، قد خلع الله عنهم . من طريق انحرافهم وانشعائهم لباس كرامته ، فذلوا بعد العزة ، وسلبهم غضارة نعمته ' الغضارة هى الطراوة والجددة اى سلبهم ما كانوا متمتعين به من العيش الطرى و الحياة الهنيئة فألوا بعد النعمة الى شقوة وبعد الهناء الى عناء ، وبعد الوجود الى عدم ، وبقى ، منهم ، قصص اخبارهم فيكم عبرة للمعتبرين منكم ، الذين يمرون على الحوادث مرومتمان مطمئن ليستفيد مما جاس خلاله علماً نافعاً ونصيحة ناجعة .

فاعتبروا بحال ولد اسماعيل وبنى اسحاق وبنى اسرائيل عليهم السلام فما اشد اعتدال الاحوال واقرب اشتباه الامثال تأملوا امرهم فى حال تشتتهم و تفرقهم لىالى كانت الاكاسرة والقياصرة ارباباً لهم يحتازونهم عن ريف الافاق و بحر العراق و خضرة الدنيا الى منابت الشيحومها فى الريح ونكد المعاش فتر كوههم عالة مساكين اخوان دبروو براذل الامم داراً واجدبهم قراراً لا ياوون الى جناح دعوة يعنصمون بها ولا الى ظل الفقة يعتمدون على عزها فالاحوال مضطربة والايدي مختلفة والكثرة متفرقة فى بلاء اذل واطباق جهل من بنات مؤودة واصنام معبودة و ارحام مقطوعة و غارات مشنونة .

فاعتبروا بحال ولد اسماعيل وبنى اسحاق وبنى اسرائيل ، المجموع من حيث المجموع بالنسبة الى ما سلف ع بيانه فى الفصول السابقة وما يتعرض له لاحقاً : اما بنو اسحاق وبنو اسرائيل فبعد ان طال مدتهم ملو كأوسلاطين انقرضوا التشتتهم انقرضوا حقيقتهم ولقد فعل بهم بخت نصر افعالا ضاقت عليهم الارض من بعد رحبها كما شرح ذلك مبسوطاً فى التاريخ



العمومي : واما بنو اسماعيل وهم عرب الحجاز وما والاها فهم المعنيون بهذا الفصل الذي بأيدينا ، فما اشد اعتدال الاحوال ، المنظور باعتدال الاحوال هنا هو ايقاع المقارنة التامة بين حالتى بنى اسحاق واسرائيل من استعباد الفراعنة لهم و افراج الله بعد ذلك عنهم و عدم شكرهم للنعمة حيث ارتكسوا فى البلاء مرة ثانية و بين حالتى ولد اسماعيل حيث كانوا قبل الاسلام اذلاء صاغرين وبعده اعزاء منعمين وانتكات حالهم بعد هذه النعمة حين انقسموا على انفسهم و تفرقوا فرقاً واحزاباً اذن فالمنظور باعتدال الاحوال تعادلها بين هؤلاء وهؤلاء فى التقابل ويؤيد ذلك قوله فى الفقرة الثانية ، واقرب اشباه الامثال ، فان المنظور بذلك مشابهة المثل للمثل والنظير للنظير ، تأملوا امرهم فى حال تشتتهم و تفرقهم لىالى كانت الاكاسرة ، ملوك الفرس . و القياصرة ، ملوك الروم ، ارباباً لهم ، مسلطين عليهم تسلط الرب على مر بوبه ، يحتازونهم عن ريف الافاق و بحر العراق و خضرة الدنيا الى منابت الشيخ ومهافى الريح . يقال فلان حاز الناس الى مكان كذا اذا دفعهم عن سائر الامكنة و جمعهم فى المكان المذكور و الريف هى القرى ذات المراتع والمرايع و بحر العراق انهاره ومياهه العذبة المغدقة و خضرة الدنيا زهرتها والشيخ نبات معروف احسن ماترعاها الابل وهفا يهفو اذا خفق ومهافى الريح هى الامكنة التى تخفق فيها الرياح بكثرة وذلك نوعاً يكون فى الصحارى الجرداء حيث لا ماسك للريح من بلدان و جدران و رطوبة ارض و نبات متكاثف و حواجز اخرى تقلل من حدته وتخفف الكثير من عبرته : يريد <sup>تعالى</sup> ان دولة الاكاسرة لما استفحلت فى الشرق والقياصرة لما تمكنوا فى الغرب ملكوا كل بلاد العرب كل بنسبته اما الفرس فأنهم استولوا على العراق و الحجاز ومامت الى ذلك واما الروم فانهم ملكوا الشام و ما قرب منها و ليس للعرب مواطن غير ذلك و بطبيعة التنافر بين العناصر المتفككة و اختيار الحاكم المسيطر لنفسه كل ما لذ وطاب اخذ العرب يتسللون حذر المضايقة الى منابت الشيخ ومهافى الريح ، ونكد المعاش ، وهى المعيشة المستقدرة الضيقة، فتر كوهم عالة ، اى فقراء ذوى عيال ومفردها عائل كقادة وقائد و زادة و ذائد ، مساكين ، اى اذلاء على فقرهم ، اخوان دبر و وبر ، الوبر

هو صوف الابل والدبر هو الاثر الذي يخلقه القتب في ظهر البعير والمنظور انهم لا يملكون غير الابل شيئاً والابل لاتعنى الا الغناء القليل ، اذل الامم داراً ، لفقدانها للعمران و كل دار تفقد ذلك لاتكون لها اية مكانة ، واجد بهم قراراً ، لان اغلب منازلهم آباط الصحارى و مثل هذه الارض لاتكون مظنة للخصب ، لا ياوون الى جناح دعوة يعتمون بها ، المنظور بالدعوة هنا الدين اى لم تكن لهم جامعة دين تجمعهم بل كانوا اشتاتأفى طرائقهم الشركية كل قبيلة تعبد صنماً خاصاً : شبه الامام عليه السلام الدين بجسم ذى اجنحة يجذب على افراده بضمها تحت جناحيه كما تفعل الدجاجة ونحوها و كل مبدأ دينى هو كذلك فانه يلف جميع معتنقيه تحت رايته واعتصم فلان بفلان اذا احتفى به فصار ذاعمة من طريقه ، ولا الى ظل الفة يعتمدون على عزاها ، كذلك شبه ع الالفه بشاخص عظيم تتسع ظلاله ويستراح الى بردها ولا ريب فى ان التآلف يوجد قوة ومنعة يعتز بهما صاحبه ، فالاحوال مضطربة ، مشوشة و كيف لاتكون كذلك والعرب اشتات فى كل اشياءهم ، والايدى مختلفة ، غير متصادمة فى امتدادها . والكثرة متفرقة ، الى افراد و آحاد وهل يغنى الفرد عن نفسه شيئاً ، فى بلاء ازل ، الازل هو الضيق والبلاء هو المحنة اى انهم كانوا فى محنة ضائقة ، واطباق جهل ، الاطباق جمع طبق و المراد تراكم جهلهم ، من بنات مؤودة ، اى مدسوسة فى التراب وهى ذات حياة كانوا يفعلون ذلك اما من جهة الفقر او خوف العار حسب ما يزعمون و كل ذلك جهل عارم ، واصنام معبودة ، ولا جهل وراء ان ينحت الانسان شيئاً بيده ثم يقع له ساجداً . و ارحام مقطوعة ، وهو من اشد مراحل الجفاء . و غارات مشنونة ، اى متفرقة يقال شن عليه الغارات اذا فرقها عليه من كل وجه : وما كان يقر للعرب ليل ولا نهار من اغارة بعضهم على بعض لدواعى تافهة لاقيمة لها .

فانظروا الى مواقع نعم الله عليهم حين بعث اليهم رسولا فعقد بملته طاعتهم و جمع على دعوته ألفتهم كيف نشرت النعمة عليهم جناح كرامتها وأسالت لهم جداول نعيمها والنفت الملة بهم فى عوائد بر كنها فاصبحوا فى نعمتها غرقين وفى خضرة عيشها فكهمين قدرت بعث الامور بهم فى ظل سلطان قاهر و آوتهم الحال الى كنف عز غالب و تعظفت الامور

عليهم في ذرى ملك ثابت فهم حكام على العالمين وملوك في اطراف الارضين يملكون الامور على من كان يملكها عليهم ويمضون الاحكام فيمن كان يمضيها فيهم لاتعجز لهم قناة ولا تفرع لهم صفاة .

فانظر والى مواقع نعم الله عليهم حين بعث اليهم رسولا ، مواقع النعم محالها والمراد بالرسول هونبى الاسلام ، فعقد بملته ، اى طريقته ودينه ، طاعتهم . ومعنى ذلك انه نص ربط طاعتهم بدينه على اختلاف الانحاء فالانسان منهم بصرف التبليغ والتمتعت الجاهل بسوقه الى السعادة وان لم يرض بها ، وجمع على دعوته القتم ، فان الاسلام الغى حروب الجاهلية وغاراتها وابطل حزازاتها وقارب بين قلوب الناس و آخى بين المسلمين ، كيف نشرت النعمة عليهم جناح كرامتها ، فتفياوا ظلالها ، واسالت لهم جداول نعيمها ، لقد تغيرت الحال بالعرب بعد الاسلام بمالم يكن فى حسابهم من حيث السعة والنعيم فضلا عن الراحة و الانبساط والعزة والحضارة ، و التفت الملة بهم فى عوائد بر كتبها ، العوائد جمع عائدة وهى الفائدة التى تعود على الانسان ومعنى التفاف الملة بهم فى ذلك انها عمرتهم بالمنافع والبركات كما يغمر اللباس لابسها ، فاصبحوا فى نعمتها ، اى نعمة الملة التى هى دين الاسلام غرقين ، قدضفت عليهم النعم حتى غطتهم وغرقين جمع غرق اسم فاعل من غرق بكسر الراء يغرق فهو غرق على زنة فعل . بفتح الفاء وكسر العين ، وفى خضرة عيشها فكبهن ، خضرة العيش طراوته واخاذهته للبصر والفكه هو البطر الذى انسته النعمة كل خاطرة سواها ، قد تربعت الامور بهم فى ظل سلطان قاهر ، السلطان هو التسلط والقاهر هو الغالب وظل السلطان كنفه المظمئن ويقال تربع فلان فى جلسته اذا جلس على هيئة يأخذ فيها راحته فى جلوسه وهو هنا كناية عن استراحة المسلمين فى ظل الاسلام استراحة حاوية لكل مزايا الاطمئنان ، وآوتهم الحال الى كنف عز غالب ، آوا ضمه اليه وأحرزله آمنه وسلامته والكنف هو الجانب والعز الغالب هو العز الذى لاعز الادونه والمراد بالحال ما كان عليه الاسلام زمان امتناعه وارتفاعه ، وتعطفت الامور عليهم ، اى تمايلت نحوهم واقبلت عليهم ، فى ذرى ، جمع ذروة وهى القمة ، ملك ثابت ، مستقر غير متمزلزل ، فهم ، من طريق الاسلام ، حكام على العالمين ، ولقد كان ارفعهم مكانة بائسأفى دنياه من

جميع جهاته ، وملوك فى اطراف الارضين ، خضعت لهم اغلب الممالك ، يملكون الامور على من كان يملكها عليهم ، من الفرس والروم ، ويمضون الاحكام ، اى يتفقدونها فيمن كان يمضيها فيهم ، شأن كل حاكم ومحكوم ، لاتعمن لهم قناة ، من صلابتها و الغمز معناه تأثير الاصبع فى المكان الذى يعصره والعبارة كناية عن تمام اشدهم و استكمال قوتهم ، و لاتقرع لهم صفاة ، الصفاة الصخرة الصماء الملساء وقرعها هودق شىء عليها فاذا هيب جانب انسان تبوعده عنه فلا تكاد الخطوب تصل اليه كما اذا استعظم الانسان جبلا او رجلا او بحرأ فانه يهرب منه قبل ان يماسه فمعنى لاتقرع لهم صفاة ان حوزتهم مهابة لايدنو اليها احد و كذلك كان الاسلام فى صدره الاول بعيداً عن الانسان المخزية والنوايا المظلمة والروحيات الساقطة وبعدها استحال الى عالم آخر لاربطله بالدين ولا انتساب له بمحمد خاتم النبيين .

و قال عليه السلام من خطبة له فى شأن الاسلام ايضاً (ج٢ ص ٢١٩ من النهج الحديدى ) الحمد لله الذى شرع الاسلام فسهل شرائعه لمن ورده و اعز اركانه على من غالبه فجعله أمناً لمن علقه و سلمأ لمن دخله وبرهاناً لمن تكلم به و شاهداً لمن خاصم عنه نوراً لمن استضاء به وفهماً لمن عقل ولبأ لمن تدبر و آية لمن توسم وتبصرة لمن عزم و عبرة لمن اتعضو ونجاة لمن صدق وثقة لمن توكل وراحة لمن فوض وجنة لمن صبر فهو بلج المناهج و اوضح الولايج مشرف المنار مشرق الجواد مضىء المصابيح كريم المضمار رفيع الغاية جامع الحلبة متنافس السبقة شريف الفرسان التصديق منهاجه و الصالحات مناره و الموت غايته و الدنيا مضماره و القيامة حلبيته و الجنة سبقتة .

الحمد لله الذى شرع الاسلام فسهل شرائعه لمن ورده ، باعتبار ان الاسلام دين جامع لشمول المحاسن بعيد عن الانحياز والانتهاز ضامن للسلام العام و احقاق الحقوق و تركيز كل شىء فى نصابه لذلك كان من موجبات حمد الله و الثناء عليه بما شرع و نشر من تعاليم هذا الدين و سهل موارده على الظماء و العطاش حيث يستطيع كل عاطش ظمآن ان يرد منه بدون مؤنة ، و اعز اركانه على من غالبه ، اى من حاول ان يدكه بالمؤاخذات و سوق الشبهات ، فجعله أمناً لمن علقه ، اى تمسك به والمراد من امنه ان من

تمسك به بعدمعرفته لا يخاف ان يفلج لانه سالم الشرايع ومرتهن بالواقع ، وسلمنا لمن دخله ، اى ان من يدخل في هذا الدين ويكون به من المتمسكين لامحالة يكون من السالمين وبرهاناً لمن تكلم به ، اى ان كل من يدافع عنه تكون شرائعه برهاناً له وودليلاً على ما يقول ، وشاهدأ لمن خاصم عنه ، اى ان الاسلام بصحة نظمه من البيئات الصادقة لكل من يذب عنه ، ونوراً لمن استضاء به ، لا ببناء تعاليمه على المقاييس الصحيحة التى لا مغمز فيها ولا شبهة تعتربها ، وفهما لمن عقل ، اى تبصر وتفكر ، وللبالمن تدبر ، وتأمل فيما تصور ، وآية لمن توسم ، المتوسم هو الذى يلاحظ الوجوه ويمعن فى التفرس فيها ليعرف من هى والاية هى العلامة اى ان الاسلام علامة واضحة من نفسه لمن يريد التعرف بالطريقة الحقة والدين الصحيح ، وتبصرة لمن عزم ، العزم هو عقد النية على المضى فى المقصود والتبصرة هو ما يعطى البصيرة اى ان الاسلام يبصر اهل العزائم بالواقع الذى ينبغي ان يقصدوه وذلك هو التدبير به والاتباع له دون ماسواه ، وعبرة لمن اتعظ ، فان الاسلام بما فيه من اخلاق و آداب دافع قوى لمن اراد ان يصلح نفسه ويرعوى عن غيه و ينقصل عن جهله ، ونجاة ، فى الشأئين ، لمن صدق ، به عن ايقان ودان له بأذعان ، وثقة لمن توكل ، عليه فى جميع ما يأخذ ويذر ويفعل ويترك ، وراحة ، من الموبقات ، لمن فوض ، اليه أعماله وطبقها على برامجها ، وجنة ، واقية ، لمن صبر ، على مشاق التكليف وكبح جماح النفس ومتطلبات الرغبة ، فهو أبلج ، اى واضح ، المناهج ، وهى المسالك التى ينهج عليها ، ووضح الولايج ، جمع وليجة فعيلة من الولوج وهى المداخل اى ان مداخل الاسلام واضحة لابهمة فيها لا ببناء تعاليمه على الفطرة ، مشرف المنار ، جمع منارة وهى الشاخص الذى يوضع على رأسه ناراً ونور ليضىء للمتجربين والاسلام بتعاليمه النيرة يجذب اليه كل احد حتى البعيد اذا لم يصدده صادعن وجهه ، مشرق الجواد ، اى ان طريقه لاحبة واسعة مضيئة لا يتخبط فيها سالكها ، مضىء المصابيح ، ومصابيحها هى تعاليمه وقوانينه ، كريم المضمار ، المضمار هو المكان الذى تضر فيه الخيل حتى يخف عليها الر كض فى السباق والمنظور بكرم مضماره ان ما يستهدف بهذا المضمار امر وراء مسابقة الخيول بمراحل وذلك هو المسابقة بالاعمال الصالحة

الاخلاق الراجحة، رفيع الغاية، لان الغاية منه فى الدنيا اصلاح الاجتماع وفى الآخرة الفوز بالنعيم المقيم وليست غاية فى الغايات ارفع من ذلك ، جامع الحلبة، الحلبة هى جماعة الخيل المعدة للسباق والمنظور بجامعية حلبة الاسلام انه يجمع افراده على البر والاحسان والتقوى والايمان وكل خلق فاضل، متنافس السبقة. اى ان احراز السباق فيه محل منافسة بين عموم المستبقيين لما فى ذلك من غايات رفيعة جداً، شريف الفرسان اى ان حلبته لم تحتو الاعلى اشرف الناس وهم الذين يزنون الحق بميزانه الراجح، التصديق منهاجه ، اى ان طريقة الاسلام قائمة على التصديق بالله وجماعة رسله ومجموعة نظمه، والصالحات مناره، اى ان شواخصه التى يناد عليها هى الصالحات من الاخلاق ، والموت غايته ، اى غاية هذا السباق بمعنى ان المسلم فى اهتمامه بدين الاسلام ينوى غايتين احدهما عرضية والآخرى طولية اما العرضية فهى تسيير حياته على برنامج صحيح واما الطولية فهى استحصاى نتائج زحماته فى دنياه من طريق قيامه بمشاق التكاليف بعد موته يوم يقوم الناس لرب العالمين ليستوفى كل منهم حقه الذى يستحقه ، والدنيا مضماره ، اى مضمار السباق المذكور من طريق هذا المضمار يأتى السابق سابقاً ، والقيامة حلبته، اى مكان اجتماع المتسابقين ، والجنة سبقته ، اى رهانه الموضوع ومنها فى ذكر النبي ﷺ : حتى اورى قبساً لقايس وانار علماً لحابس فهو امينك المأمون وشهيدك يوم الدين وبعيئك نعمة ورسولك بالحق رحمة اللهم اقم له مقسماً من عدلك واجزه مضعفات الخير من فضلك اللهم واعل على بناء البانين بنائه واكرم لديك نزل له وشرف عندك منزلته وآته الوسيلة واعطه السنا والفضيلة واحشرنا فى زمرته غير خزايا ولا نادمين ولا ناكبين ولا ناكثين ولا ضالين ولا مضلين ولا مغتورين .

حتى اورى قبساً لقايس ، حتى غاية للكلام سبق منه ﷺ لم يذكره الشريف رحمه الله اى انه ﷺ أجهد نفسه طوال ثلاث وعشرين سنة راض فيها احوالاً صعبة واوزاعاً سوداً مدلهمة وبارز فيها حيوانات كواسر ووحوشاً ضواري حتى اطلع الحق من تحت ركام الباطل والنور الواضح من اطباق الظلمة يقال اورى الزند اذا قدحه فاشتعلت ناره واورى النار اذا الهبها والقبس شعلة النار والقايس هو

المرصد للاستفادة منها ومعنى ذلك انه عليه السلام انار الحق لطالبه بعد ان عز طلبه عليه ، وانار علماً لحابس العلم هو الشاخص وانارته وضع النور عليه للاهتداء به والحابس هو الذى حبس مطيته عن المسير لحيروته حيث لا يدري اية ناس حية يقصد لاشتداد الظلام عليه فاذا أنير فى وجهه انطلق لمقصده لاتضاح النواحي له ، فهو امينك المأمون ، الذى ائتمنته على شرائعك فقام فى تبليغها خير قيام لا وانياً ولا وكلاً باذلا فى سبيل ذلك كل حوله وطوله ، وشهيدك يوم الدين ، اى هو الشاهد المصدق على من آواه او آذاه ومن صدق به ومن كذبه ومن أجلك فيه ومن وهن به ، وبعيئك نعمة ، على الخلق ، ورسولك بالحق رحمة للناس ، اللهم اقسام له مقسماً ، اسم بمعنى المصدر اى اقسام له قسماً ، من عدلك ، وهو ايقاؤه حقوقه من جميع الجهات ، واجزه مضعفات الخير من فضلك ، اى ضاعف له ما يستحق تفضال من عندك فانه اهل لذلك : اللهم وأعل على بناء البانين بناءه ، اى ارفع دينه على كافة الاديان ، واكرم لديك نزله ، اى ضيافته ، و شرف عندك منزلته ، اى اجعل مقامه عندك محترماً مكرماً ، وآته الوسيلة ، اى اجعله وسيلة يتدبر به غيره اليك ممن يستحق الشفاعة ، وأعطه السناء ، بالمد هو الرفعة والعلاء ، والفضيلة ، وهى التقدم على من سواه ، واحشرنا فى زمرة ، اى جماعته ، غير خزايا ، جمع خزيان مثل سكارى وسكران و الخزيان هو الخجل مما طلع به من الخزى والعار اى وفقنا للاستئناس بسنته والامتثال لشريعته حتى لا نخزى عندك وعنده ، ولانا دمين ، يومذاك على ما فرطنا فى دنيا نامن الانحراف عن طريقته ، ولانا كبين ، اى عادلين عن جادته ، ولانا كئين ، اى ناقضين لعهد الالزام وفاؤه ، ولاضالين ، فى انفسنا عن دينه ، ولامضلين ، لغيرنا عن ملتته ، ولامفتونين ، بالاهواء عن شريعته .

هذا وما افتتح امير المؤمنين عليه السلام خطبة ولا رسالة بغير حمد الله و الثناء عليه فى كل احواله وأطواره من عسر ويسر و ابرام قضية او انتكاث امر ولا ذكر الله بما هو امله الا وعقبه بذكر رسوله محمد (ص) وأشاد بفضله وشرفه ودعاه ممجداً وكرر القول فيه مؤكداً بما لا يوجد لغيره من كافة الصحابة وبقية المسلمين اقل القليل من ذلك ومن الطبيعى ان يكون على (ع) على ما وصفناه ذلك لان علياً جمع من الصفات

والمؤهلات مالا يوجد منه في من سواه من كافة المسلمين بضرورة العيان .

فمن اوصافه الغر انه في طليعة المؤمنين بالله ايماناً ذو به فيه حتى احوال منه انساناً يشكر المبدأ الا علا على الضراء اكثر من شكره له على السراء معتقداً ان كل ما اصابه من نكبات الزمان وما اكثر اصابتها له من لدن ان ولد الى ان قتل فانما هو من تحبب الله اليه الموجب لمزيد قربه وارتفاع درجته ومن هذا الطريق نراه فانياً في ربه فناء ما وجد في مسلم على الاطلاق و امارة ذلك زهده البالغ حد الاعجاز وملازمته للعبادة ملازمة الظل للشاخص واجتنابه عن كل شائبة قد يحتمل من طريقها ان تجر الى ما لا يرضاه الله سبحانه وقيامه بوظيفة المواساة جهد المستطاع : وانه في طليعة العارفين بالله و كلامه الذي اثر عنه في مقام التوحيد لم يؤثر مثله عن اى موحد سواه على استجماعه للحق وابتعاده عن كل شبهة و شك و ما اسلفنا الحديث عنه في الفصل الآنف طرائف منه وما امسكنا عن ذكره اكثر من ذلك .

وانه في طليعة الدعاة الى الله والدار الآخرة ومحاسن الاعمال واقواله وافعاله في ذلك مالا يأتى عليه الشرح المبسوط ولقد كان في هذا المجال امة وحده فهو منقطع النظر حقاً .

وانه في طليعة الاوفياء الامناء و اقل شاهد على ذلك ملازمته للرسول من بدء حياته وذبه عنه اكثر من ذبه عن نفسه على الاخص في المضائق المخرجة ولقد تخلى عنه ﷺ كل اصحابه جنازة لا يعباون بشأنه لاهين بمقاصد اخرى لسنا بصدها الان واقام على ﷺ عليه حتى دفنه ونقض بعد ذلك كل ما يديه من كافة حقوقه بقاء على اسمه ﷺ وحفظاً لدينه ودعوته وهذا غاية الوفاء انصافاً و اضاف على كل ذلك انه ﷺ جعل ذكره ﷺ وتمجيده وايقائه حقه من التجليل والتكريم والتنويه والاشادة بفضل ونبله ورد لسانه لا يعزب عن ذهنه ولا يفارق اشداقه طرفه عين و يرى ذلك فريضة عليه اكثر ممن سواه - ولا جرم - فانه ﷺ خريج مكتبته و تلميذ مدرسته و غصن من دوحة و خالصة لنفسه و امين سره و خليفته بالحق و وصيه والاولى بالمؤمنين من انفسهم من بعده و كانت هذه الروابط الخاصة بين الاستاذ



والتلميذ مشهودة لكل احد وهي التي اهابت بالمنحيزين ان يمتننوا فرص الاغتنام ليقطعوا هذا الفحل عن الجولان في ميدانه وأسروا ذلك في انفسهم واعملوا منوياتهم في اول ساعة ممكنة واخذوا يطاردون هذا الرجل بشتى الصور والالوان ويدفعونه عن حقه في آن بعد آن ورضيت لهم انفسهم ان يقدموا عليه اذ ناب الناس ويرشحوا لمقام الخلافة الاسلامية التي هي تلوا النبوة معاوية بن ابي سفيان ويزيد بن معاوية ومن الى ذلك ممن يضيق بذكوره الغم وينبوع استحضار هويته الذهن وما وقائع مرج عذراء وعرصه كربلاء والجرة الاوليدة تلك التحديات التي قام بها القوم ازاء امير المؤمنين علي عليه السلام واهل بيته الاجلاء وخلص اصحابه الامناء ، ودع عنك نهبا صيح في حجراته ، ولكن هلم الخطب فيمن مضت عن هذه الادوار وتخلت عنه هذه الاعصار وفاتهم من ضائخ معاوية لابي هريرة الدوسى واضرا به يجيء بعد قرون من الزمان مدافعا عن هذه الطغمة اعداء الانسانية وجناة البشرية وفاتحى باب الظلم والاعتات في وجه الامة المسلمة : وليت شعري ما ارتباط ما كان عليه بسرين ارطاة وزيادين ابيه ومسرف بن عقبة وعبيد الله بن زياد والحجاج بن يوسف بما جاء به النبي ص ودعا اليه : وعلى اى ميزان تطبق هذه الحركات النابية عن مذاق الانسانية ولكن قتل الانسان ما اكفره .

اما على ان ضاع حقه بين معاصريه فلقد عرف له بعض الحق من جرد فكرته عن اوهام الدسائس واستخلص روحه من بين التعصبات البغيضة ولم تدر كه شنشنة من اخزم فقالوا عنه وكتبوا في شخصيته ما يفرضه الحق عليهم تجاه انسان محق ونكتفى من هذا الفصل بما اسلفناه .

ثم لنختم الفصل بكلمة عن ذات النبي محمد ص فنقول لا بدع ان يكون لارادة الله بانسان خيراً اثر قهار في توجيه ذلك الانسان وتر بيته وحسن نشأته فهل ترى ان الانبياء المرموقين الذين خلدوا انفسهم واصواتهم ودعوتهم وطلوعوا الى الدنيا باعظم ما طلع اليها نابغ له شأن وكيان عظيم ان كانوا كالعصا بيد الرجل الجلد ان أثرت ضربتها في شيء فانما هو نتيجة قوة الضارب وهي في نفسها آلهامدة لقيمة لها وان تصوير القضية وراء ذلك بما الاربط له بمادة المثال .

نعم تصوير القضية خارج عن هذه الحدود اما اولاً فان لكل انسان في نفسه حدود اختيارات واسعة يستطيع ان يتسفل من طريقها نازلاً كما يستطيع ان يعلو فائقاً و قد ابدى العيان كلتا الصورتين وطبقهما على الخارج تطبيق تجسيم : واما ثانياً فكم من نبوغ طبيعي في الحاسة اوهب به صاحبها فمأاعاره طرفة عين فكان في مطاوى وجوده كالكنز المدفون تحت الارض لا يستفاد منه واما ثالثاً فكم من نابغة تسعى لنبوغة وشعشع به آفاق جوهه ولكنه اكنفى من ادراكه للغايات البعيدة ببعض منها ووقف في مكانه مكتفياً بما حصل ونحن معها اشبعنا الموقف بالمتابعة ووسعنا نطاق الاعتراف لزمرة النابهن من الانبياء كابراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم السلام وقلنا انهم كانوا يملكون فوق الطاقات العادية للانسان نبوغاً وانهم شعشعوا آفاقهم من طريقه وان الغيب امدهم وراء ذلك بأمدادات هائلة حولتهم الصلاحيات الكبرى لمهمتهم الا ان ذلك لا يكفي في تعليل هذا التفاني المدهش الذي قاموا به ووقفوا له حتى النوانى القصار فضلاً عن السنين الطوال من اعمارهم تجاه الهدف الذي رموه : ألم تكن ابدانهم كهذه الابدان التي تعبى وتعجز وتمل وتكل وتطلب الراحة من مظانها باغلا الاثمان نعم كانت ابدانهم كذلك الا ان ارواحهم اندلعت من بواطنهم فكانت عليهم كالدرع المسرودة تقصدها الحوادث و الغوائل بالمزعجات لكنها تنبو عند المصادمة حيث تجد سوراً حديدياً مضاعفاً قد رصد لحدودها فكلما لاقته بعنف تكهمت وهذه الروح هي التي انطلقت محمداً ﷺ حيث قال لخصومه والله لو وضعت الشمس في يميني والقمر في شمالي لما انشيت عما انا قاصد له وهذا التصميم ما وراءه غاية لطالب واذا كانت الهمة بهذه المثابة فلاريب ان تنحط صم الجبال سائخة الى الارض اجابة لطلبها خصوصاً اذا اسعفها القدر الفعال : ومحمد بذل من نفسه من اول ساعة ابتعث فيها الى آخر لحظة من حياته كل ما يقوى عليه من جهد في سبيل تقديم دعوته الى الامام وتطبيقها على العالم ولو ان القضاء المحتوم افرج له عن نفسه بمقدار ما يعيش به الانسان الطبيعي لكان تأثيره في الوجود هائلاً جداً كيفوها نحن اليوم نرى القوى الهدامة من مادية وتبشيرية تدلح السننها بالشهب الحادة حتى في اواسط ممالك المسلمين وعلى ايدى العملاء منهم

فتعبث وتعيث جهد ما تستطيع ومع ذلك نرى دعوته محلقة وفضائلها ظاهرة وعلومها قاهرة و اشراقها على رغم تلبد الغيوم في آفاقها واضح جلي قد ملاء قلوب حساده و اعدائه غيظاً لا يبوخ اواره فمحمد ﷺ ان كان نابغة فهو من هذا الطراز المنقطع النظير.

وفي الختام نجمع الكلام على علل تقدم الاسلام وانحطاط المسلمين ذاك في اول ادواره وهؤلاء في اواخرهم فنقول اما الاسباب الموجبة للتقدم فهي .

(١) وجود الداعي المخلص المؤمن بدعوته الحر في عقيدته المتفاني في تركيز خطته و هذا الملاك قل ما يوجد في اطباق البشرية على سعتها الا في افراد قلائل جداً من ارقاهم مثلاً النبي محمد ﷺ فقد كان من اخلاصه انه لم يترفع بنفسه حتى على آحاد المسلمين في ازهر عصور رقيه و تعاليه ولم ينحز حتى عن صفوف السائرين منهم بل كان كاحدهم في كافة الشؤون الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ولقد عبرص عن روحه هذه مراراً و كراراً و قال انا واحد منكم لولا النبوة كما انه عاش عيشة بسيطة جداً و ليس وراء اعداد حجر المجاعة لرد عاصفة الجوع غاية يقصد ها زاهد متقشف وانه مات حين مات عن لاشيء يعتد به و كفي ذلك مقياساً اعلا في النزاهة و الصدق و الخلوص : و كان من ايمانه بدعوته انه صرح خصومه كما صرح احبائه بانه لو وضعت الشمس في يمينه والقمر في شماله على ان يترك استمراره بدعوته لما فعل و مثل هذا التصميم لم يوجد في اى انسان سواه : و اما حريسته في عقيدته فانه ماداهن عدوا و لا صديقاً و لا جامل انساناً بما يضر بالحق و تنجيز الدعوة : و اما تفانيه في تركيز خطته فانه لم يتأخر عن الشخصوس في صدر كنيسته و لم يفر عن حومة ميدانه و لم يتوان عن تقديم دعوته ساعة واحدة فضلا عن الاكثر منها و بعبارة أقصر انه اذاب وجوده من لدن بعثته الى آخر ساعة من حياته في تركيز خطته و تثبيت دعوته و تقديم دينه و اصلاح امته و اسعاد البشرية على طولها .

(٢) وجود الحواريين من نمطه في دعم دعوته فانه كما قال ص المؤمن كثير

بأخيه فان الحوارى المؤمن المستقيم المعتقد يعدل جيشاً جراراً من القناو القنايل  
ويغنى غناء الآلاف من الناس ولقدسأل عماراً سائل من حضار صفين و كان قد دخله  
الشك فى جواز مقاتلة اهل القبلة بمازورهم الدجالون من اتباع معاوية و هواة سياسته  
عن موقفه الذى هو فيه فأجابته بكلمة هى غاية فى رصانة التعبير عن المقصد الواقعى  
وقال والله لو هزمونا الى سعفات هجر لعلمنا ان على الحق وانهم على الباطل : ولا ريب  
ان مثل هذه الروح اذا تبطنت جوف انسان صيرت منه قوة هائلة لذلك العدو وقد يرس الله لرسوله  
جملة من المهاجرين والانصار صدقوا فى مبايعته وكنفوا دعوته بالذود الكامل والعناية  
التامة وفى طليعتهم سيدهم واميرهم على بن ابي طالب الذى بذل وجوده على ما فيه من  
علم جم وشجاعة قهارة و كفاءة فى كل المطالب و المقاصد و لهذه البطولة من هؤلاء  
الابطال القلائل فى عددهم الكثيرين بحولهم و طولهم اخذ الاسلام يتقدم الى الامام  
خطوات واسعة حتى فرض نفسه على الوجود رغم كافة المحاولات التى صنعت لذكه .  
(٣) سلامة الدعوة فى نفسها من الهنات الموبقة فان من يدرس القرآن درساً  
عميقاً وهكذا ما صح من السنة النبوية وعلوم اهل البيت يجد نفسه بين مجتمع من الحقائق  
التي لاتعجز بغامز ولا تمس بما يطيح بالكرامة والعقل البشرى مهما لوثنه النفوس  
الدينية و شوهت منظرة المادية الساقطة فانه لا يعطى كل توازنه من يده ولا يفقد  
هويته بالمرّة و اصولاً لاتعدم الحقيقة سامعاً واعياً ومنتصراً واقعياً على طول الاجيال  
ومع كل الموهنات : فهذه الاصول الثلاثة بمنزلة الاثافى لرفع الاسلام وتأثيره الاثار  
المرموقة فى الكون .

واما علل انحطاط المسلمين فانك تقرؤها فى المواد اللاحقة -

(١) فوت الداعى وعدم من يقوم مقامه ويسد فراغه كما يقوم مقام الرئيس معاونه  
و كان ذلك اول ضربة هادة للإسلام فان نبيه (ص) لما اصطفاه الله اليه عبث حضار  
السقيفة من مهاجرو انصارى بكرامة الحق وطلعت الى الوجود تلك الارواح المتناكرة  
التي قضى عليها محمد ص حيث حقق الاخوة التامة بين عامة اصحابه جهدا استطاع فلم  
تكن فى زمانه حزانات ساعرة تلهى القوم بعضهم ببعض عن ملاقة المشا كل التي يواجهها

كل داع الى نظام جديد و كل اتباع داع واخذت تفعل مفعولها طبق ما ينفرج الزمان لها ولكن لم تعد تنفجر مرة واحدة بل بقي المخلصون للدين الاسلامى يعملون له ولو كانت في قلوبهم آلاف الحزازات من الحكم السائد غير ان هؤلاء المخلصين لما اتقلصوا واحداً بعد واحد بالموت او الشيخوخة الهادمة او القبوع في زوايا الخمول اخذت دائرة ذلك التناكر تتسع شيئاً فشيئاً حتى جاء دور عثمان و بالاحرى ان نقول دور مروان بن الحكم والوليد بن عقبة ومعوية بن ابي سفيان ومن الى هؤلاء فهناك جاءت هذه الوطأة تشد وتخف كفة الافاضل واستفتح من جديد دور الالحاد الحاد يزيد بن معاوية الذى تشدق غير هياب ولا وجل بقوله .

ليت اشياخى ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الاسل  
لأهلوا و استهلوا فرحاً و لقالوا يا يزيد لاتشل

وجاءت نوبة العنصرية العشائرية ترغومز بدة فبكر وتغلب وربعة ومضروهم لدوا اليك وهذا التفكك المخزى هو الذى فتح باب النهضة لابي مسلم الخراسانى بعنوان الدعوة الى الرضا من آل محمد او بعنوان بنى العباس وهنا فهم الفرس ان القضا يا لم تعد قضايا عقائدية وانما هي عنصرية بحتة بين العرب وغير العرب وهم ان كانوا رضخوا بدو الاسلام بقوة الايمان ومنطق البرهان فهم الان لا يجيز لهم الوقت ان يرضخوا لعنصر خاص يريد التغلب عليهم بجرارة السيف فقط وقد كانوا من سادات الامم آنفاً فلهدا اخذوا يدبون الديب الخفى والجلى ولو بشعار الرضا من آل محمد او بعنوان العباسيين الى ما هم راصدون له من الاتقطاع عن غيرهم وتشكيل حكومة مستقلة او شبه مستقلة لهم حتى يأتى الدور المساعد تماماً لتمام الاستقلال وهكذا ثارت بالترك نخوتهم فمالوا لتشيد دويلات لهم بين الاستقلال والتابعة لمر كز الخلافة: اما الفرس فحصلوا فى اول نهضتهم الوزارة والقيادة والامارة والاعمال المرموقة ثم اخذوا يتكلمون لتشكيل ما كانوا يصدده من حكومات قائمة برأسها والترك نالوا سهماً من ذلك ايضاً حتى ادى بهم الامران يصبوا الخليفة ببغداد ويخلعوه عن مقامه فى يوم واحد لتشبههم بالعرى القوية الحكومية وآل الامر فى نهاية المطاف بالخلع التام للخلافة الاسلامية من شرق الارض وغربها :

(٢) عدم الحواريين من نمط الداعى فى دعم دعوته وتر كيز خطته فان الذين خلفوا الجيل الاول من الصحابة المخلصين بعنوانهم ممثلين للدين الاسلامى كانوا باعة ضمائى اكثر منهم علماء ودجالين اكثر منهم ناصحين صادقين وكان فى طبيعتهم ابهريرة الدوسى وعروة بن الزبير واشباه هذين ثم انتقلت بهؤلاء القضايا من صميم الاسلام الى خلق البدع والتناحر على امور تافهة فى نفسها ومسقطة لكيان الاسلام بصورة أهم وذلك كمسألة الجبر والاعتزال وكون القرآن مخلوقاً او غير مخلوق والقول بالقدر والارضاء وما الى ذلك مما لا يكاد يعد لكثرة تشعبه فى أناس يومذاك وهذه اللطمة قضت على جوهر الاسلام وأطارته شعاعاً .

(٣) ومن هذا التسفل فى النزعات الكلامية والاراء شبه الفلسفية فيما يدعى اهلها وجمود القوم عليها وانحياز الغرب لنفسه يعالج اوضاعه وقيام قادة الافكار فيه فى شتى المراحل العلمية والعملية منتهزين بغير غفوة المسلمين فرصة من اهم الفرص للقضاء على سلطانهم والاطاحة بكيانهم اخذوا الغريون ينجحون فى تهيئة الوسائل يوماً فيوماً حتى قويت حكوماتهم واستعدوا للوثوب على خصومهم فأخذوا يهدمون الدولة المسلمة بعد الاخرى وليس فى المسلمين من يجيب الصريح ويردم الثغرة المنهارة حتى سقطت جميع دول الاسلام ما بين احتلال جاهر او تسلط قاهر هذا من الجنبه الاعدادية : واما من الجنبه العلمية فلما كان فى معلومات القوم ما هو بكر من ناحية وصحيح من ناحية ثانية وكان اعانهم على تحصيله استخدامهم للوسائل التى هيأوها لاستثمار العلم الصادق من طريقها تمكنوا من الطريق نفسه ان يشوهوا سمعة الدين بما فى جملة من احاديثه التى زورها الدجالون من الهنات وان يعدوها شعار دجله وافتضاحه : ولما تحقق فى نفوسهم انهم تر كزوا فى قلوب الناس بما أبدعوه و اكتشفوه اخذوا يكيلون فوق الصادق من معلوماتهم دواهى الار تجالات الكاذبة ويدسونها فى كتبهم ونشراتهم فتمشى مغذة فى اعماق القلوب من دون تأمل وبهذا العمل أطاحوا بالديانات عموماً والاسلام خصوصاً لمن يعدوا وتهم له إطاحات هشمات العظام تهشيماً وأحالت من دنيا الكرة الارضية الحاداً جاريماً فى النفوس جريان الدم فى العروق بسرعة مدهشة فان الله .

نعم ان الغرب والغربيين من اشد خصوم الاسلام والمسلمين ومن اعظم المولعين  
 بتهديمهما وتحطيمهما فانهم لم يجردوا سيوفهم الباترة للقضاء عليهم فقط ولم يدخلوهم  
 في حوزة حكوماتهم فحسب ولم يسلبوهم السلطة الزمنية والحياة المادية ايضاً بل عبثوا  
 بكراماتهم حتى اعادوهم من المهازل انصافاً يسخر منهم العابرو المستطرق : وشمر  
 المستشرقون للبعث بمعارفهم العظيمة الشأن وعرفوها بانها اساطير ولا احيلك على كتب  
 عديدة من ذلك بل ارشدك الى مطالعة كتاب واحد هو دائرة المعارف الاسلامية فانك لا تبدأ  
 تقرأ في مواد حروفها التي رتبت عليها سلسلة مواد الكتاب الا ترى في كل مادة تمت  
 الى الدين الاسلامي منها ما يقيم المسلم الغيور العارف بتاريخ دينه ومقاييسه ويقعده  
 فكم عبث هؤلاء الدجالون بكرامة نبي الاسلام وخصائص الدين الاسلامي وتراثه ورجاله  
 وأظهروا كل ذلك بصورة الاساطير النابية والخرافات التي تشمئز منها اقل النفوس  
 المتنورة ولا ريب انهم لم يكتبوا ما كتبوا الا بداع انتهازي خالص: وان فتك الانتهاز اعظم من  
 فتك الصواريخ المبيدة لان الصاروخ اعظم ما يفعل هو التدمير في المواد التي يواجهها  
 والارواح التي تقابله ويقابلها ولا يستطيع التأثير في العقول والافكار واما هذه الاقلام  
 المأجورة فانها تعبت بالعقول وتمزق مجتمع الافكار وتلعب بالنفوس عبثاً ولعباً لا يحددان  
 بمقياس فليس هؤلاء الستمائة مليون مسلم اليوم قد اعطوا عزيتهم وحاكميتهم على  
 انفسهم فقط بل اعطوا عقائدهم الاسلامية ومعارفهم الدينية وتاريخهم المجيد بر كونهم  
 الى ما كتبه المستشرقون في تاريخهم ومعارفهم حتى انك ترى مسلم اليوم لاشيء  
 في كل شيء.

وقديماً وقفت على رواية صادقة الموضوع من قلم غربي انسان في نزعاته الفكرية  
 وهو برناردين الكاتب الفرنسي الشهير المتولد سنة ١٧٢٧ للميلاد يعلمنا فيها طريقة  
 الاستثمار و كيفية غزوه للناس بصورة عامة فتأثرت بذلك اكثر مماستطيع ان أتأثر  
 فلخصت تعريبيها الذي قام به المرحوم مصطفى لطفى المتغلوطى تلخيصاً قرب الشقق  
 بين مسافاتها ثم نظمت التلخيص بصورة مكبرة المعاني شبيهة فيما احسب وانني أثبت  
 هذا النظم في هذا المكان من الكتاب لياخذ محله من موضعه اللائق به فأقول :

## الفضيلة

١٥ : بول وفرجينى

رواية من اطرف الروايات لم اتصل بها فيما قرأت وطالعت الامن طريق بعض تلاميذى الذين يدرسون على الادب واللغة فرأيت فيها من الاتجاهات ما يتفق مع رأيى فى الحياة ولانها قصة صادقة حبرتها ريشة فنان بقلمه ما الى فى روحه آثرت أن اسكبها فى قالب شعري وأضيف اليها من شعورى ما يضمن لها البقاء لتكون من الدروس الثمينة عن الواقع الصريح وعن هذا الداعى المقدس انبعثت قريحتى فقلت

عند الدنيا او الدين	اذا أحببت أن تروى
معسول المضامين	حديثاً صادق اللهجة
عن بول وفرجينى	هلم اقرأ حديث الدهر
لدى الولدان والعين	فتمّ الفضل موفور



كاتب القصة كما اسلفنا (برناردين) الكاتب الفرنسى الشهير ولد سنة ١٧٢٧ للميلاد وشب على حب الفضيلة وتأثر لأول مرة جاس بها خلال الحياة بماتعانيه الطبقات المحرومة من حقوق الاجتماع البشرى ومن هنا اتجهت حياته لتشكّل بين حناياه حياة انسان لا كما يشب عليه النوع من ضراوة وشره لالتهام الدنيا من اى طريق اوفى بهم عليها : ومن حسن الصدق التى احتفت بحياته انه قارن فى مشاهداته العميقة بين ما عليه عائشوا الحضارة من حياة صناعية مزورة قد ألبسها الدجل والتدليس والتملق والشره وسائر الخلال الدنيئة طاقات غرارة المظاهر معتمة البواطن وما عليه عائشوا البوادي من حياة فطرية ساذجة قد تحالف ظاهرها وباطنها على اراءه الواقع مكشوفاً للعيون من دون أن تمسه يد تزوير وتدليس فمن وقوفه بين هاتين الحياتين عرف الشىء الكثير مما اغلقتة الطبيعة المدلسة على غيره واتجهت روحه للتحدث عن الحقائق الراهنة الكامنة تحت اطباق من القشور المادية الشوهاء : ومن هذا وذاك جاء انتاجه لرواية بول و



فرجيني انتاجاً ماخوذاً عن صفحة الواقع نفسه وان يكن فيه مد شعري ففى رصف عباراته  
لا اكثر وبالاخرة فما تقرؤه فى الفصول الآتية حق لادجل فيه ونعمة من المعرفة يجب  
تقديرها والشكر عليها والتنعم بها جهد المستطاع فان انسانية اى انسان منوطة بالتمرن  
على هذه المعارف الراقية فحسب : ابطال هذه الرواية : هيلين : مرغريت : بول :  
فرجيني : دومينج : مارى : فيديل : الشيخ : والمتحدث عن ذلك : برناردين : كاتب  
القصة المشار اليه : والمنظومة كما تقرؤها فيما يلى :

### موقف الانسان بين عقله وشهوته

هو الانسان بين العقل	و الشهوة مولود
وما الفطرة الا العقل	والمعروف والوجود
هى الروضة تجلوها	رياحين وتغريد
هى الوردة فى الحقل	وفى الكرمة عنقود
هى المزمار للبلبل	لا الناي ولا العود
هى البسمة للثغر	وفى الخدين توريد
هى اللفتة للجيد	و للنعمة تسريد
هى العيش ومن دون	رؤاها العيش مفقود
هى الراحة للروح	و للفكرة تسديد
هى الاخلاص للعبد	وللمعبود توحيد



مجالى الشهوة العمياء	دوما اوجه سود
تبناها غناء الناس	لا الولدان والغيد
خلت منها الصراحت	وعمتها التقاليد
لديها العمر منقوص	وظل البؤس ممدود
وما هذى الحضارات	بها العالم منكود

فلا الشرق ولا الغرب به سعد و مسعود  
سوى الشهوة يحدوها بعصر النور تجديد

✧ ✧ ✧

أ (برنار) عليك الحمد تنلوه الانا سيد  
فقد كنت رحيم القلب فيك العدل مرصود  
درست الكون فى القصر وما فى القصر موجود  
وتابعت السرى فى الريف تطوى ركبك البيد  
لتستلهم هل فى الكوخ ممدوح و محمود  
فكان القصر كالقفر وان ازهاه تشييد  
وكان الكوخ كالجنة فيها العيش منشود  
به الانس به القدس وكل الخير محشود  
به الغيد عفيفات وفتيان الهوى صيد  
كفى بول و فرجينى بلاغاً فيه تأييد

✧ ✧ ✧

### جزيرة موريس

أ (برنار) لئن شطت بك الدار لموريس  
ففيها متعة الانفس لا جنات باريس  
بها الفطرة قد جمت بمعقول ومحسوس  
بها الشمس تمد الكون فى سير و تعريس  
ولا يحتجب البدر بأسفار وتغليس  
وفيها الروض مواج بالوان الطواويس  
وفيها الطل كالصهباء يسقى كل مغروس  
بها كل البساطات بمأكول وملبوس

بها ينحسر الهم  
وفيهما كل تنقيس  
بها العبرة للكل  
بمشهود ومدروس



وفي أكناف ذى الارض  
يرى الرائي اذا جاء  
يرى كوخين قد طوح  
فلا ديداد يغني الدار  
ديار أجرم الدهر  
بها آثار اقوام  
وفوا للموت مذرا حوا  
بلا زاد سوى التقوى  
على ضفة ذا الوادى  
مقيلاً هو كالنادى  
فى أهليهما الجادى  
فى لطف وامداد  
عليها وعدا العادى  
أباة الضيم أمجاد  
الى الموت بميعاد  
ونعمت هى من زاد

### الشيخ

أ ( برنار ) سل الشيخ  
خبير مارس الدهر  
عن الوادى متى جف  
عن الكوخ وقد كان  
عن الروضة لم حالت  
أهم قد أزمعوا الترحال  
وطول ايها الشيخ  
هنا : حز به الوضع :  
أ ( برنار ) هو الدهر  
مشى اعصاره يوماً  
فعند الشيخ تفصيل  
وفى الخبرة تعويل  
وأهليه متى اغتيلوا  
زماناً وهو مأهول  
وعنها القوم لم حيلوا  
ام غالتهم غول  
ففى التطويل تعليل  
وأبكته التفاصيل  
وهل بالدهر تأميل  
فلم يثبت له حيل



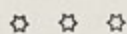
والروض الذى حالا	فذا الوادى الذى قد جف
لبعد الاهل أطلا لا	وذى الاكواخ مذعادات
تبيح الزاد والمالا	وذى الدار التى كانت
وللمعروف تمشالا	مناراً كان للفضل
وكانوا فيه نزالا	اولوا مجد أقساموه
واسترعى له البالا	فما اروى لك الان
اولوا الصولة أبطالا	حديث لم يكن فيه
كرام زهدوا حالا	حديث قد تبناه
احساناً وافضالا	وان كانوا عظام النفس
اكباراً واجلالا	و ( برناد ) يعير الشيخ
وصافاً وقوالا	رآه واسع الفكرة
وللمعروف ميّالا	محباً للكرامات
فلن تبرح مفضالا	أفدنا ايها الشيخ
ترتاح وان طالا	فكلتى اذن للقول

### المسيودى لا تورومدام هيلين

وقد حزت به الذكرى	فعداد الشيخ للقول
وما بالكوخ قد مرّ	ليروى قصة الكوخ
على الفضل طوى الفقرا	فتى : قال : بباريس
بسام الرؤى ثغرا	نبيل النفس عذب الروح
فتستخذى له قهرا	تراه العين اخاذاً
بهيلين فما قرّ	المت عينه يوماً
وان لازمت الطهرا	رأى فساتنة الدهر
وكانت فى التقى اثرى	رأى مثرية الحسن

وعنها لم يطق صبدا  
 من المال غدت صفرا  
 به قد شرفوا قدرا  
 على من يسكن القصرا  
 لمّا اظهر الامرا  
 على العقد انطوا سرا  
 ولم يذكر لها مهرا  
 فقومي استعبدى حرا  
 فكم من بلدة اخرى  
 بلاد فالسرى اخرى  
 لافريقية المسرى  
 وخاض البحر مضطرا  
 المجالى كبد حرى  
 به الدهر وما أضرى

رآها فتمناها ها  
 وما يصنع والكف  
 وأهلوها اولوا طول  
 يرون العز مقصوراً  
 طبيعياً اذا رده  
 ولكن الحبيبين  
 فأجرى صيغة العقد  
 أهيلين انما المهر  
 وباريس اذا عزت  
 اذا ضاقت بانسان  
 هنا صوب (لاتور)  
 طوى البر بلا زاد  
 طغت فيه ليرتداد  
 هو الحر فما اقسى



والسيدة العذرا  
 واختال بهم فخرا  
 للعيش به وكرا  
 تواسيها اذا اسرى  
 يقوى بهم الظهرا  
 ويسالاتور واحرا  
 ومات الموتة النكرا  
 ولم يقض بها عمرا  
 مآسى النكبة الكبرى

مشى هذا الفتى المقدام  
 فما حطاً بهذا السفح  
 الأوجرى يختط  
 فابتاع لها اختاً  
 مضى يطلب أعواناً  
 فيما بقيها لهيلين  
 قضى من غير توديع  
 قضى فى غربة الدار  
 هنا حلت بهيلين

فما تصنع فى ارض  
ومن للحمل يدعوه  
من الحامى من الدهر  
فتاة تفقد الاعوان  
وماذاقت من الايام  
ولكن ضاق منها الدهر  
فثارت ثورة اللبث  
وراحت تحرث الارض  
غدت من زوجها قفرا  
اذا شب ابا برا  
وفيهما الدهر قدازرى  
الا المقللة العبرا  
الا الزمن المرأ  
منذ اتسعت صدرا  
اذا هيج او استضرى  
وتستنبها برا

### مرغريت

وقد حلت مرغريت  
فتاة ذات ايمان  
بريطانية الاصل  
سرى من ذوى المال  
أتى قريتها لصاً  
رآها غضة الروضة  
فأبدى وجهه الزين  
وهل ينجوسيطالروح  
فناجاها على امر  
اراها انه جاء  
ويصفيها من الدنيا  
وتقضى عمرها الواسع  
فما كان سوى أن نال  
بلا عقد ولا عهد  
بنا من قبل هيلين  
رماها الدهر بالهون  
ومن قسم المساكين  
صفيق الوجه والدين  
لختل الخرد العين  
فى حسن وفى لين  
وأخفى قلبه الدونى  
من كيد الشياطين  
فكانت شر مفتون  
لها يخطب فى الحين  
معاشاً غير ممنون  
فى عز و تمكين  
منها كل مكنون  
وتأمين وتموين

وعنها فرّ في ليل	فراراً غير مضمون
فأضحت بعده تفرع	منها سن مغبون
وما أبقى لها الجلف	سوى خزي وتوهين
وحمل بين أحشاها	له هامت كمجنون
فقرت قبل أن تروى	حديثاً في الدواوين



هو الاعواز والبؤس	هو الاقلال والحاجه
فكم ضيعت الرشد	على المرء ومنهاجه
وكم ازعجت الببال	وخلته وازعاجه
ولم تخدع مرغريت	سوى البدره مواجّه
ولم يزن بها الجلف	اذا لم تك محتاجه
يقولون مضى امس	وما في امس أدراجّه
وجاء العصر بالفضل	عليه عاقداً تاجه
فلا قارون في مصر	ولافى الهند من راجه
هو العدل حمى الشعب	: من العادى : وانتاجه
فلا الفاقة تشقيه	ولا تملك احراجّه
بهذا يصدح المذياع	مذ طير أمواجه
خداع كل ما قال	وشعباً وادعاً واجه
فلم نعدم اذى امس	ولا نفقد حجّاجه
وما وعد السياسى	سوى رمز له حاجه



وما هذى القوانين	ودور العدل فى الدنيا
سوى فيخ تبنّاه	رجال الرتبة العليا
لديه مات من مات	ويحى فيه من يحيى

يراه المرء فى الرؤيا	وما العدل سوى طيف
اذا حولك قد أعبى	مر غريت لك الله
عليك وجنى غيا	فما خصمك قد جار
ملايين وما استحيى	هو القاضى الذى أفنى
فيمشى بينهم حياً	يرى الافراد امواتاً



ضيف حلّ بالوادى	أ (برنار) استمع ياخير
من الحاضر والبادى	مرغريت التى فرت
تقيها صولة العادى	لمترتاد لها ارضاً
بلا مال ولا زاد	هنا اختطت لها داراً
بوضع يؤسه بىادى	و فيها ولدت بولا
بأسعاد و امسداد	وما كان يواسيها
لاصلاح و اعداد	سوى زنجية تسعى
من عيش الورى العادى	لعيش وضعه أدون
عفوياً او لميعاد	وقد كنت ازور البيت
من سعى وارشاد	واقضى واجب الزورة
وارتاح لها النادى	الى أن نزلت هيلين
فى موطنها الهادى	رأت اختاً تقرّ النفس
بأسكان و ارفساد	وآوتها مر غريت



ضيفاً جئتها زائر	ومذ حلت بها هيلين
حالى حالها القاصر	أواسيها بما يسعد
عليه مجده ظاهر	رأيت الضيف انساناً
الاحظه العاشر	ولم يجن له الغربية



ولمّا ان درست الوضع  
 أبت نفسى الأبدال  
 فأملت لما يأتى  
 وقلت الدهر قدسار  
 فطوراً يصدع البال  
 وما الدنيا سوى جسر  
 وما العاقل الامن  
 هلماً ننشر الآتى  
 هلماً نعمر الارض  
 فخططت لسكنى القوم  
 بكوخين ظريفين  
 وقسمت الذى يسهل  
 فقال القوم بالقسمة  
 وجاء الطلق هيلين  
 الى ان سرّها الله  
 وسمناها بفرجىنى

ماضيه مع الحاضر  
 ما يمكن للقادير  
 وعزيت عن الغابر  
 عليه المثل السائر  
 واخرى يجبر الخاطر  
 عليه يعبر العابر  
 قضى ايامه صابر  
 ونطوى أمسا الدابر  
 ونحى ما بها بائر  
 داراً وضعها دائر  
 وروض يجلب الناظر  
 تعميراً على العامر  
 ارضاً خيرها وافر  
 فكنّها عونها الساهر  
 بينت حسننها باهر  
 لدى ميلادها العاطر



هو الريف واهلوه  
 يرى الجاربه الخير  
 يقومون مقام الاهل  
 على الفطرة يمشون  
 يجودون على الضيف  
 وهل يلتقى رقيق الحال  
 ترى آهلهما ردلا  
 اولوا المعروف والفضل  
 ويلقى واسع البذل  
 ان شطاً عن الاهل  
 بلاغدر ولا ختل  
 ويزرون على البخل  
 فى البلدة من نبل  
 على مال له جزل

## الحياة الطبيعية والصداقة المتينة

ولما قد قضت هيلين  
 مشت للعمل المثمر  
 وجارتها مرغريست  
 ودومينج الذى كان  
 فتى الزنج عميد البيت  
 ومارى تسعد الجمع  
 مشى الكل الى قصد  
 فمن غزل الى نسج  
 ومن زرع يعد الأكل  
 ومن قطف لاثمار  
 وهذا ديدن الجمع  
 محيط يضمن العيش  
 على الفطرة قدسار  
 لديه يجتلون البدر  
 يعبون عصير الورد  
 يعيشون بالامن  
 ولما طابت الدار  
 اتى دومينج ربه  
 بمارى يطلب الوصل  
 فسر القوم فى عرس

حق المرءة النفسا  
 وارتاحت له نفسا  
 وزادت انسها انسا  
 يجيد الزرع والغرسا  
 رمز العزة القعسا  
 وعنهم تطرد البؤسا  
 به كانوا لنا درسا  
 يقيم الفرش واللبسا  
 او ضرع به يحسى  
 بهاء الحشا يؤسى  
 متى اصبح اوامسى  
 فلا تلقى به نحسا  
 وفى ساحلها ارسى  
 تمأ وكذا الشمسا  
 لاخمرأ ولا كأسا  
 بعز يرفع الرأسا  
 وفيها لم يروا بأسا  
 وافضى لهم ههنا  
 ويهواها له عرسا  
 لمامضى حزنهم انسى



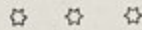
مرغريست لهيلينا

ومذاخلصت الود

وتلقى اللطف والليننا	رأت اختابها تحظى
وقلباً كان محزوننا	فأطفت لاءحج الهيم
هوى بالروح مقروننا	وأصفت لمرغريت
بما تغذوه فرجيننا	وتغذو ودّها بولا
للأمين تسكيننا	وكانت رؤية الطفلين
على مجديهما الهوننا	عن الماضي الذي صبّ
من اصبح مغبوننا	وللاتى الذى يرجوه
بازواج وأهليننا	أذا أشقاهما الدهر
ما يرضيهما حيننا	ففى مستقبل الطفلين

### حياة الطفولة

من بول وفرجينى	وقد شاهدت فى الطفلين
عن ليلى ومجنون	من الخلطة ما نرويه
فى لطف وفى لين	علوق مازج القلبين
كعباق الرياحين	وودّ طيب النشر
بحب القلب مقرون	يعيشان على حبّ
ودين الحبّ من دين	هنيئاً لهما الدنيا



واشدّاً على الشغل	ولما أيفع الطفلان
الى الزرع وفى الحقل	مشى بول لدومينج
ذات العقل والنبل	ومارى التزمت فرجين
وما واجبها الاهلى	لتدرى خدمة البيت
على المعروف والفضل	فشباً خير عونين
بحسن جلّ عن مثل	وخصّ الله فرجينى

ذوات الاعين النجل	بعينين سبت حسناً
فى لين وفى دل	وممشوق كغصن البان
منسول بلا نسل	وشعر ذهبى اللون
فى الكل على الكل	لقد فازت بها الخلقه
بل فى الخلق الجزل	وبول مثلها فى الخلق
بل ما قيمة الشبل	هو الشبل اذا استصرخ
فى دنياه من خدل	ولم يعرف سوى فرجين
هوى عن همها يسلى	كما فرجين تهواه
على قرب وفى وصل	فلا تلقا هما الا
خليطين على الاكل	قريبين لى النوم
على الجامع للشمل	لهيف كل من تلقى



مرغريت وهيلين	وكم حدثت النفس
وزان الوضع تمكين	اذا شب الصبيان
به تشدو الدواوين	يقومان على عرس
وترتاح الرياحين	به ينعطف البان
وللبلبل تلحين	به الشحرور غريد
قداح و نسرين	به السوسن يستصبيه
وتختال البساتين	به يصطرع الورد
وتشدو خرّد عين	به ترقص ولدان
بيض الناس والجون	به يستبق اللذات
به بول و فرجين	هو العرس الذى يحظى
وفى الامال تسكين	هى الامال للام
لهيف القلب محزون	امان كم لها ارتاح

ومن ساوره اليأس

فذاك الدهر مسكين

## هيلين تفكر في مستقبل فرجينى

وتخطأ في طريق تفكيرها

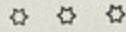
ومذلاح لهيلين	شباب البنت لماعا
طغت فيها الخيالات	وعنها قصرت باعا
أبقى البنت فى ارض	بها تفقد أشياء
ولامل يقبها البؤس	ان خطب لها راعا
كفاها بؤسها الماحق	آلاماً وأوجاعا
وفى باريس أهلوها	غنوا مالا وامتاعا
حووا كل المسرات	ونالوا الخير انواعا
لئن سؤت بهم حظاً	وحقى بينهم ضاعا
فبنتى ماجنت ذنباً	ولا عافت لهم قاعا

\* \* \*

فلم يبرح بها التفكير	حتى صممت حتما
على ارسال مكتوب	الى عمها العظمى
به تشكو لها حزناً	ومن جارى القضا همماً
وان كانت جنت ذنباً	فلم تقصد لها هضمما
وان طاوعت الرغبة	فالجهل لها أعمى
على ان ابافرجين	كان الماجد الشهما
فلم يجن بها جرماً	ولا فى اهلها ظلماً
وفى صالحها مات	بسهم قلبها آدمى
قضى فى طلب العزّة	لانكسأ ولا فدمما
فلا عار اذا خابت	مسايعه ولا ذمماً

ولا أرجو من الايام  
 ولكنى على فرجين  
 اذا جاءت ولاوالد  
 بأرض قد غدت قفراء  
 مضى المكتوب للعممة  
 تلته أعين عمى  
 ولما لم تمل هيلين  
 ولم تدر عن العممة  
 رأته أن تتبع الخط  
 بها كم ظننت الخير  
 ومذ أعجزها اليأس  
 أتى من جانب العممة  
 فقد ضاقت له ذرعاً  
 رأت غمماً به جمماً  
 رأت ألكم مخلوق  
 ابى الا المجافاة  
 فالقت يدها المكتوب  
 وطاحت للثرى شلواً  
 فجاءتها مرغريت  
 رأت هيلين قد حممت  
 فضممتها الى صدر  
 وقالت ما دهاك اليوم  
 فدو مينج غدا نضواً  
 وبول يضرب الارض  
 عقبى لى او نعى  
 اخشى البؤس واليتما  
 يرعاها ولا أمماً  
 من اهل لهم تنمى  
 لكن لم يشرغماً  
 وأصغت اذن صمماً  
 من مكتوبها علماً  
 ما يشبعها فهماً  
 بما يوقظها عزماً  
 فأضحى ظنهما رجماً  
 وطاشت فى المنى سهماً  
 مكتوب لها أصمى  
 بما اوسعها شتما  
 وكانت ترتجى الغنماً  
 اليها ينسب اللؤماً  
 فلا عطف ولا رحمى  
 من خزى به جمماً  
 كأن قد سقيت سمماً  
 وصكت وجهها لظماً  
 ولكن ما بها حمى  
 على نار الغضا انضماً  
 من خطب لنا عمماً  
 ومارى تشتكى سقمماً  
 ويوهى رأسه لدمماً

وفرجينى براها الخطب حتى شخصت عظاما



هناك انتفضت كالطير  
ومرّت تقرأ المكتوب  
فغاظ القوم ما فيه  
له تنزعج النفس  
به كل الدنآت  
ولم تقو مرغريت  
ولم ترض على هيلين  
سفاهاً يوسع الانسان  
متى كنت ولا عطف  
وللساعة كم عشنا  
نعيماً وافراً حزنا  
تصافينا على الايام  
فقرّى واهدئى روعاً  
فلا تلقين غير العزّ  
ولا تحذد فرجينى  
فطابت نفس هيلين  
رأت فى القوم اخلاصاً  
قد أوهنه الضعف  
والقلب بها يهفو  
من السخف به يطفو  
وعنه يحسر الطرف  
وفيه الشتم والقذف  
على ما وصف الجلف  
ما كانت له تقفو  
وداً من له يجفو  
به نرعاك او لطف  
ولا من ولا عنف  
على واجيننا يصفو  
حيث الناس لا تصفو  
باخوان بك احتفوا  
ماداموا ولم يعفوا  
وهم فى حفظها صف  
بصيد حولها التفتوا  
به هادئة تغفو

## الانتهاز الاوربى

ان من يسبر اغوار الحياة  
يجد الانسان فى افعاله  
يسأل النفس عن السرّ فتعيبى  
ليرى اطوار هذى الكائنات  
أحرز السبقة ما بين الجناة  
عن جواب فيه حلّ المشكلات

ألاحراز معاش يتجننى  
 احرز المال مع الجاه فلم  
 ما الذى يدعوه يمشى عابثاً  
 قيل جهل قد تولاه قديماً  
 قطع الدرب على غير احتياج  
 وترقى والياً فى امة  
 وعلا شأنه فاضحى عاهلا  
 فعلام استرذلت أخلاقه  
 دع حديثاً عن عصور دثرت  
 عن عصور غلب العلم بها  
 ملك الناس بهـا حرية  
 اجرى القانون فيها عادلا  
 وعلى الامة لم يحكم سواها  
 كلما لم يمضه الناس جزاف  
 هكذا قالوا ولـكن عبثاً  
 ان مضى امس بما فيه فخيراً  
 هو ما خور وما اهلوه فيه  
 كاسف الطلعة باستهتاره  
 لا يرى الانسان الاساءة ما  
 ليس فى الكون صحيح وقيح  
 وشتات الناس كالحيوان وضاً  
 ليس فى العالم تدبير وما  
 عاش من عاش على حنكته  
 واستذل الدهر احوال التقى

ام لتحصيل مقام وسمات  
 جاء مجنوناً بكل الحر كات  
 فى شتات الخلق من غادو آتى  
 فعنى بل جاء فى رأس العناة  
 بل ليدعى طاغياً بين الطغاة  
 فلماذا كان من اقصى الولاة  
 امره ينفذ فى كل الجهات  
 فعدا يعبث حتى فى العفاة  
 وتحدث عن عصور الجامعات  
 وفشى الفضل بكل الطبقات  
 ما رآها احد طول الحياة  
 وتولى الحكم أثبات القضاة  
 من طغاة وعناة وبغاة  
 هو حكم الرأى لاحكم الكماة  
 حاولوا تمويهه مكشوف الهنات  
 كان من عصر الخنا والترهات  
 غير اشقات بغايا وزناة  
 فاسد النزعة فى كل الصفات  
 يرتعى فى جنب هذى السائمات  
 انها الدنيا ونيل الشهوات  
 درجوا فى الكون من ذئب وشاة  
 هو الافلثة من فلتات  
 وتولى الحكم فيه كل عاتى  
 واتى يشكو الوجا كل الثقاة



ما طغى الغرب على كل الورى  
انه المكر به استولى على  
انها القوة اجراها بعنف  
واتى يخلق للناس الرزايا  
قيل ان الرق الغاه واجرى  
حفظ الصحة والعلم معاً  
أغدق الخير على كل الورى  
كل ذا فحج به اصطاد شعوباً  
فعل الافعال فى تسخيرهم  
سل عن السود فهل جاؤا بذنب  
وعن الشرق عموماً هل به  
هو كالبركان يرغو مزبداً

بدعاء وصيام وصلاة  
سذج الناس ورضخ الشهوات  
وطلاها باراجيف الدعاة  
كل يوم بدواه مهلكاة  
الانتخابات لحفظ الحرمات  
بصفوف الدرس والمستشفيات  
كم له بين الورى من خدمات  
وغدا يحكم فى هذا الشتات  
وبهم انزل كل الموبقات  
فى الورى ساروا به اشقى الشقاء  
راحة من مزعج اومؤلمات  
وسيبقى هكذا حتى الممات



## الز نوج فى افريقية

وجاءت تشتكى التبريح  
فتاة من بنى الزنج  
جرت تخدم فى البيت  
ولا تلقى من العيش  
وان زلت لها رجل  
وفى يوم تولاهما  
فقرت تطلب الغوث  
فلم تلق سوى فرجين  
فابدت جسمها الشاحب

والجوع لفرجينسى  
حواها ابيض دونسى  
وفى غرس البساتين  
سوى الجوع مع الهون  
غدت أتعس مسكين  
بتبريح وتوهين  
وتستعطف ذا دين  
ذات العطف واللين  
من تعذيب مجنون

به للسطو آثار  
ومرت تشتكى جوعاً  
فآتمها من المأكول  
وقالت انسى اشفع  
عسى سعى بهذا الشأن  
ولما لم يكن فى الدار  
اتسته تسأل الاذن  
توافى السيد المولع  
فأمضى رأياها لكن

كآثار السكاكين  
على حالة محزون  
مايكفى لتموين  
فيك جهد تمكينى  
يجديك ويجدينى  
الابول فى الحين  
على اسعاف مغبون  
فى زجر المساكين  
بسير فيه مقرون



مشى بول وفرجينى  
يجوبون الثرى الوعر  
فكم غاصوا بغابات  
وكم قدصعدوا نجداً  
وكم قد قطعوا ارضاً  
فما وافوا حمى السيد  
راوا التسم مخلوق  
رأوه كاسف السوجه  
رأوا جمماً من السود  
ولولاهم لماساد  
ومما حكمه فيهم  
وهل ينصر ذوالعقل  
رموز قدر أيناهما  
نرى الحاكم مبعوضاً

وقدامها العبد  
بالازاد ولا عده  
على هول وفى شدة  
ومروا هابطى وهده  
بها يحسر ذواللبده  
حتى واجهوا صده  
وان جم الغنى عنده  
وفى اخلاقه حده  
وقد اعجزهم و حده  
ولاشاد بهم مجده  
سوى ان قدغدوا جنده  
على اذلاله ضده  
وام نحلل لها عقده  
وكل يتقى حده

وما سواه ذاحكم  
بغيب كل العيش  
وكل يدعى الدين  
سوى من ذمه جهده  
ولكن نشترى وده  
مجيباً داعى الرده



جنى بول وفرجينى  
و رامانه ان يعفو  
فما أولاً هما بدواً  
ولكن منذأى فرجين  
أحد النظر الفاجر  
ومناها بما رامت  
ولما وجد الطفلان  
أغذاً السير للرجعة  
على جوع و اعياء  
وسارا يجهلان الدرب  
يغوصان بأحراش  
الى أن سقطا جهداً  
وجاءت وحشة الليل  
هناك استسلما للموت

امام الابيض الجانى  
عن مملوكه العانى  
سوى نظرة غضبان  
فى الحسن بلا ثانى  
من طرف له زانى  
على تيه و طغيان  
فيه روح شيطان  
فى جد و امعان  
و آلام و اشجان  
والليل غدا دانى  
و غابات و وديان  
واعيى كل امكان  
بأخطار و أحزان  
من أسد و ذؤبان



ولكن سمعا و هنا  
فظنا انه و هم  
فمن علم فيديل  
و من أخبره عنا  
و هل قد جاءه الوحي

نباح الكلب فيديل  
عرا السمع بتخييل  
بماوى الفيل و الغول  
بمكتوم و مجهول  
عن الصادق جبريل

فماتمٌ حديث النفس      من قبال و من قيل  
الآ و أتسى دو مينج      يقفو اثر فيديل



فسر القوم من يسر      لهم قد جمع الشمالا  
اذا هم أحسنوا فالدهر      قد ساء بهم فعلا  
فقد كاد يبید الجمع      طفلا كان ام كهلا  
طريق الخير - مذ كان -      طريق لم يكن سهلا  
و فعل الشر ميسور      لمن يختاره شغلا  
هو العقل به يشقى      من اغتر به جهلا  
فكم انكى بفرجينى      و أشقى معها بولا



و لما أنس الجمع      بشمل لهم التما  
و نالوا من شهى الزاد      ما قواهم جسماً  
غدا دو مينج مماحل      بالطفلين مهتما  
يرى الدرب غدا و عراً      و أمسى ليلهم أعمى  
و طفليه من الاعياء      والتبريح قد جمماً  
و قد أنهكه السير      و أوهاه الحفاز ما  
و من فى البيت قدامسى      لجهل الحال مغتما  
فكم ضاق به الذرع      وان كان فتى شهما  
و قد كان يعير الحال      و العلم بها فهما  
جماعات من السود      جنى البيض بهم ظلما  
ففرروا فى شعاب الارض      يخفون لهم علما  
فأمموا جانب القوم      وألقوا لهم السلما  
وقالوا نحن أعوان      على بلواكم العظمى

الى اخت لنا نعى	فقد اسديتم اليوم
الى أعناقهم ضمًا	فخفقوا بالصيين
والجهد لهم عمًا	الى أن وصلوا المنزل
على طول السرى طعما	وماذاقوا من النوم
وهيلين لهم سقما	وقد ذابت مرغريت
بالعاني وماتما	صبيان ارادا اللطف
وشخصاً ساقطاً أمًا	فكم جابا له وعرا
وعين بالأسى تدمى	وكم قلب إذا باه
بما يعقبه ذمًا	هو المعروف محفوف
لمن يوسعها لؤمًا	وكم تسخو المقادير
ولا آباؤنا قدما	طلسم ما عرفناه



### التجاذب الطبيعي

الصبيان النبيلان	على الفطرة مذشب
لدى روض وبستان	وعاشا عيشة الورد
وقرب السرو والبان	على الحقل وفي الزرع
سوى ورد وريحان	ولم تشهد لهم عين
فى شدو والحنان	يعنيهم هزار الروض
من أظهر غدران	يعبون زلال الماء
من كرم وألبان	ويحسون الطلا الطاهر
محفوفاً برمان	وما النقل سوى التفاح
من لحم وأدهان	ويقتاتون بالسالم
بكذب اوبهتان	وما خانوا الورى يوماً

قضوا ايامهم طراً  
ولم يتبعوا حيناً  
وما شاؤوا بالهم حباً  
وعاشوا خير اخوان  
على قدس وايمان  
خطى رجس وشيطان  
بأكدار وأحزان  
على بر واحسان

☆ ☆ ☆

ولما بلغا الرشد  
غدا كل وراء الحب  
يرى فى نفسه حالا  
ولا يعرف ما الداعي  
فقد كانا أليفين  
ولكن يجدان الآن  
هوى يعبث بالقلب  
هيام قد تبناه  
به مس من الجن  
وتمت فيهما الخلقه  
يطوى فى الحشا عشقه  
وراء العطف والرقه  
لهذا الشوق والعلقه  
ولم تفصلهما فرقه  
غير الحب ما فوقه  
ويدعو دائماً شوقه  
غرام واسع الشقة  
فلا يصحو ولا ينقه

☆ ☆ ☆

و مدظال بفرجيني  
مرغريت أتت هيلين  
وقالت ان داعي الحب  
و للصبوة اغنيات  
ألا ترضين ان نمضى  
ونجدلو عين صبيتنا  
ونجسرى لهما عرساً  
و بول كلف الحب  
عن وضعهما تنبى  
يسبى حينما يصبى  
متى تطغو على القلب  
لما فيه رضا الرب  
اذى البأساء والكرب  
على ما املا يربى

☆ ☆ ☆

فقال يا مرغريت  
لقد أسمعتنى حقاً

ولكننى ارى الفقير	بنا مذحل ما أبقى
وبعد العرس مايشقى	الصبيين كما نشقى
فمن للفرخ ان صار	ومن للعيش ان شقاً
وكم ذقنا اذى الدهر	مذا الدهر لنا عقاً
وها نحن تقاربنا	من القبر فهل نبقى
ودو ميينج غدا شيخاً	ومنه العظم قد دقاً
ومارى ضعفت جسماً	وبعد اليوم هل ترقى
كفانا ما لقيناه	من الضر وما نلقى



فما العيلة ياهيلين	والشوق غدا عارم
فقال مادعا الشوق	سوى وصلهما الدائم
فمن رأى ان ينشأ	بول سفراً حازم
الى الهند فكم منها	اتى كاسبها غانم
فيغدو هداء البال	على عيش له ناعم
هناك العرس مطلوب	ولا تلقى له لائم
به يزد هر العيش	ويغدو ثغره باسم



ولما تم هذا الرأى	للأمين تصويرا
الى الشيخات هيلين	تدعوه الى الشورى
بان يرضى لها بولا	بما تلقاه مسرورا
فأمضى رأيه فى بول	مذلم يرمحذورا



دعاه ليناسجيه	عن الكسب وما فيه
وكم فى الكسب من خير	متى جمت مساعيه

على ما فيه من جهد  
به كم راش مكدود  
خض البحرالى الهند  
هناك المال موفور  
ومذاً نهى الى بول  
رأى منه اخارأى  
فأصغى ليعى منه  
الا يا ايها الشيخ  
وفى كل المهمات  
نزلنا هذه الارض  
فقمنا نغرس الحقل  
وكم درلنا الضرع  
وبالزرع كم ارتشنا  
وكم عشنا على العزة  
وما المال سوى البؤس  
به يهدم ما قام  
كدود القز عقباه  
من العقل اقتصاد المرء  
وهل يعذره البحر  
دع المال لاهليه

ففيه كل ترفيه  
ولذ العيش فى فيه  
ففى البحر دراربه  
لمن بالسعى يبغيه  
حديثاً ظن يرضيه  
حكيمساً فى معانيه  
كلاماً جليل من ذيه  
الذى نحن بواديه  
يواسى ونواسيه  
على لاشىء نزوييه  
ومنه الخير نجنيه  
فذلنا ما نرجيه  
بما يؤتى ويوليه  
فى الحال وماضيه  
اخوالمسال يعانيه  
من العمر ليبنيه  
اذا القز يسواريه  
حيث القرص يكفيه  
من النهر يلاشيه  
ومن بالجهل يغريه



## الرسالة

اتى هيلين مكتوب

وفى هذى الاحايين



به صدق و إخلاص  
 و اغماض عن الماضي  
 من العمة تشكوفيه  
 و عمراً آذن الترحال  
 و تهوى أن ترى هيلين  
 و اما بعث فرجينى  
 فقى موريس ان جم  
 فباريس بها العيش  
 و عندى نعمة عظمية  
 قصور شادها الفن  
 حوت من كل تجهيز  
 فملبوس به قد راق  
 شهى الطير مأكول  
 بها من كل مطلوب  
 فحشى نحونا السير



و لما قرأت هيلين  
 تلتته بين اهل البيت  
 فكم من لوعة حاجت  
 رأوا أن اجتماع الشمل  
 فأنت مثلهم هيلين  
 فقالت هو نوا الخطب  
 ثقوا انى و اياكم  
 ففيكم لم يخن ودا  
 هذا الشرح بالدقه  
 و استوفت لهم نطقه  
 و كم فى القلب من حرقه  
 قد آل الى الفرقة  
 بل ذابت من الرقه  
 فقد اكبرتم طرقه  
 صديق ثابت العلقه  
 و عنكم مازوى صدقه

الى الآخر لا يغفل  
فعنكم لأرى بعداً  
ولما شاهدوا منها  
بها طافوا بأرواح  
من محبوبه حقه  
ولا أطوى له شقه  
جميل الخلق والخلقه  
من الريحان مشنقه



فبينما هم على ذلك  
و دو مينج اتى يسرع  
لكم قد جاء معنياً  
فلا قوه بأعزاز  
ومذ وفتاهم حقاً  
دعاهلين للنجوى  
فلا تدرى بما ينوى  
رأته يؤثر السير  
ولا يرضى لها مكناً  
واما اخذ فرجيني  
و ذى باخرة النقل  
فبتى محكم الرأى

اذا جلبت أقدام  
للمبيت بأعلام  
بكم حاكمنا السامى  
وحيوه بأكرام  
من السامى الى الحامى  
فأهوى قلبها الدامى  
وما قصد له رامى  
لباريس بأبرام  
بدار ما بها حامى  
على السير فالزامى  
استعدت منذ ايام  
لأمضى فيه أحكامى



و مذفارقها الحاكم  
و ناجتها على سر  
أبتاه قضينا العمر  
بعيدين عن الاهل  
وما نحن من الناس  
قضت ايامنا منّا  
مالت نحو فرجيني  
لها فى الصدر مكنون  
فى عيش لنا دونى  
قريبين من الهون  
سوى جمع مساكين  
وما الموت بمأمون

وذا بول بلا حول  
وما انت سوى انى  
وان جئت بافراخ  
فهذا ما يزيد الهم  
فقومى استوثقى بالله  
وأمتى قصد باريس  
وان أغضبنى البين



ولما استنقلت فرجين  
وتهوى أن تراها الام  
أجابتها بمعروف  
وقالت كم رأيت عيناى  
تعدين لنا البارى  
واما العمل الحر  
ومذصرت الى اليوم  
ومن احبابنا الغر  
مر غريت لنا ام  
ودو مينج اب بر  
ولا اعرف باريس  
اخاف البحر يا ام

هذا الرأى والا مرا  
دوماً ولداً برأ  
وأبدت رأياها الحرا  
منك الصبر والشكرا  
على طول المدى ذخرا  
فكم شدت له ذكرا  
لديك لم أذق مرأ  
كسبنا مغنماً وفرا  
ومارى امنأ الاخرى  
وبول فوق مايطرا  
ولا هوى لها المسرى  
فمكثى عندكم احرى



وقد كان بهذا الصقع  
تبنته السياسات  
فكم اغوى لها غراً  
لص اسمه راهب  
ليقضى حقها الواجب  
وعمى شارعاً لاحب

عدو الله فى السر  
فقد كان يصيد الناس  
ولما حل هذا الجمع  
غدا دوماً يواسيهم  
وفى البين اتى هيلين  
فناجته على الامر  
ومذ كان على رمز  
رأى تلمية الامر  
ومن يلو عن الرب  
فخافت منه فرجيني  
ومنها جم تصديق



وبول طول مجرى الامر  
سوى ظن له لاح  
فلما أيقن الواقع  
وقامت فيه الآم  
فلم تدر مرغريت  
سوى أن تشرح الماضى  
فأدنته و نأجته  
و منه طلبت عفواً  
و لم تقصد به سوء  
و لكن غرّها باغ  
و هيلين بحالى قد  
فظنى انها عاراً

لا يعلم ما المجرى  
فلم يعرف له سرّاً  
هاض الهبضة الكبرى  
له كم از عجت فكرا  
بما يوسعه صبـرا  
عليها طبق مامراً  
بماضقت به ذكرها  
اذا كانت جنت نكرا  
به ان حملت غيرها  
بها قد أوقع الشرّاً  
أحاطت سالفاً خبراً  
ترى منك لها صهرا

و عش فينافتى حرّاً  
 و انساناً بها برّاً  
 من الحب و ماجراً  
 لم يبق له عذراً  
 متى هاجت به الذكرى  
 به ذو الكبد الحرّى  
 فيه البؤس و الضراً  
 فسالت عينه العبرى  
 ذكت فى قلبه جمراً  
 فبى موتى هو الاخرى  
 يا قلبى واحراً  
 و منه لثمت نحرّاً  
 بما اثلجه صدرّاً  
 عتاباً فى الهوى مرّاً  
 فى الدنيا و فى الاخرى  
 و كنا اخوة دهرّاً  
 و أغراك بنا هجرّاً  
 من أطراك البحرّاً  
 فاردى اهل طهرّاً  
 و ما عشت بها شهرّاً  
 من الترحال و المسرى  
 اخأ لا يبتغى أجراً

فدع ذلّ الهوى فيها  
 فراضت منه ذاشوق  
 و ظننت انه يسـو  
 و لكن الهوى العذرى  
 تراه طائش الفكر  
 هو الحب فكـم ريع  
 و لما شاهدت فرجين  
 عليه شبكت عشراً  
 و شبت فيه أحزان  
 و نادى ليتنى مت  
 فصاحت مثله فرجين  
 و ضمته الى الصدر  
 فأولاها من الرشـف  
 و ناغاها على البين  
 أفرجين غداء الروح  
 متى حال بك الدهر  
 و من علمك الصد  
 تريدن ركوب البحر  
 فكـم هاج به الموج  
 و ما انت و باريس  
 و ان كان ولا بد  
 فمنى اتخذى عوناً

## السفر

هناقد انصت الشيخ  
لما استقبله بالسرد  
فايها ايها الشيخ  
تحدث عن سرى فرجين  
و عن بول وماعب  
هو الدهر على الاحرار  
و ابدى جزعا جمماً  
عن حادثة عظمى  
فما فى الدهر من نعمى  
مذ فيها السرى زمماً  
لها من بينها سقمماً  
كم أنكى بهم هضمماً

☆ ☆ ☆

فلما اصبح الصبح  
رأى مارى ترعى البحر  
فنادى اين فرجينى  
فاحنت رأسها مارى  
فلم يملك له قلباً  
و فيه عبث البين  
ولم يلبث سوى أن هام  
فلم يلق لها عيناً  
فلم يهدأ له بال  
فالوى راجعاً ركضاً  
فما لاح على البحر  
غدايرعاه كالحائر  
ومذغاب عن العين  
فجئناه وأنزلناه  
رأيناها و هى روحاً  
و بول كوخه أمماً  
و الحزن لها عمماً  
و هل عنانوت عزماً  
و لكن عينها تدمى  
به شك السرى سهما  
فلا بقيا ولا رحمى  
للشاطىء مغتمماً  
على البحر ولا وهما  
بل ازداد بهما همماً  
ليعلو الجبل الاسمى  
سوى الوهم له رسماً  
يرعى النجم فى الظلما  
تولى وجهه لطمماً  
كالمختبل المغمى  
وبالوجد ذوى جسمماً

فأنحى لائما هيلين  
 جنت كفاك بي اثما  
 لقد خنت بنا الحب  
 و قد كنتا اخلاء  
 و لم أجن بفرجينى  
 ولم ابغ لدى التوديع  
 أتبعين لى الغيظ  
 ثقى انى اصبحت  
 ولست اليوم كالامس  
 فلا الدار لكم تبقى  
 و لكننا اخذناه  
 ورضناه على الشغل

و استغربها امّا  
 و أوسعت الوفا لؤما  
 و أوقعت بنا ظلمها  
 فلا لوما و لا ذمها  
 على طول المدى اثما  
 الا الشم و اللثما  
 فما اقوى له كظلمها  
 حليف السهد والحمى  
 لكم ذاك الفتى الشهما  
 ولا هذا الحمى يحمى  
 على سلوانها رغمها  
 فابدى همة شمها



و بي قد كان ذانس  
 فابدى رغبة الطالب  
 فوسعت له بالالا  
 فكم درس له املت  
 و كم غذيته علماً  
 و كم اجرى له ذهننا  
 و كم أبصر من علم  
 و كم جاد بمنثور  
 على عزم به لسورام  
 ولم يتعب له نفسا  
 الا لتسرى فرجين

و فيه كنت مهتمها  
 يبغي جهده علمها  
 و حاولت له غنمها  
 فاستقبله فهمها  
 فاوفى مضغه هضمها  
 به قدادرك المرمى  
 و قد كان به اعمى  
 و معنى زانه نظما  
 نجما ادرك النجمها  
 و يشر الجهد والغرمها  
 منه السيد القرمها

قد امتار من العلم  
لترضاه لها بعسلا  
على نعماء تقضى العمر  
ثراء يطرد العدم  
و من بين الورى سهما  
لا تعرى ولا تظما

## اوربا

مصنت عدة اعوام  
ولم تبعث بمكتوب  
ولم تدر بمسالاقت  
سوى مساكان يأتها  
بأن البنت فى عز  
الى ان جاءها شرح  
شكت فيه هياج الشوق  
الى الام الى الاحباب  
وقالت منذ جد السير  
غدا كل غريب الدار  
فلى دمعته مقروح  
برانى فيكم الحب  
ارى سكان باريس  
على انى لاشكو  
مكنتى فى المقاصير  
واختال لدى الرمان  
ولكنى ارى قلبى  
غرامى فيكم اربى

على غيبة فرجينى  
عن الوضع لهيلين  
من العز او الهون  
سماعاً غير مضمون  
وتأمين وتمكين  
كثير العطف واللين  
من حين الى حين  
من بيض ومن جون  
هب الشوق يؤذنى  
فى البلوى يواسينى  
بقلب فيك محزون  
وللساعة يبرينى  
لهم عم الهنادونى  
سوى معشرها الدونى  
ووكرى فى البساتين  
والزيتون والتين  
على حالة مسجون  
على ليلى ومجنون



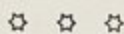
ولمّا جئت للعمّة  
 ابت الاتحيينسى  
 ومرّت تستبين الحال  
 فألفتنى على الفطرة  
 فدينى كلّهُ صدق  
 كتابى عالم الآفاق  
 وان لم اعرف الفن  
 وحسنى قام بالطبع  
 وما يوماً من الايام  
 ولكن عمّتى استائت  
 رأّت انى على جهل  
 لانى لم ار السدير  
 ولم أقرأ من الفن  
 تسرى انى اصبحت  
 فلا دنياى دنيا الناس  
 ودينى عندها دين  
 كأنى عندها وحش  
 فأعطنى الى السدير  
 لأحظى فيه بالعلم  
 فلم اتقن سوى الخط  
 فان البعد أقصانى  
 به اقضى صباباتى  
 و لم احفل بغير الخط  
 حتّى عاد استيادى

فى بزّة مسكين  
 بقول فيه تسكينى  
 عن وضعى وتكوينى  
 فى الدنيا وفى الدين  
 وعيشى غير ممنون  
 فيه كان تمرينى  
 فعلم النفس يكفينى  
 بلا صنع وتلوين  
 راح الجهل يغرينى  
 وابتدت كل مكنون  
 عريق بى مقرون  
 وفيه القس يهدينى  
 علموما لتربينى  
 لنفسى شرّمديون  
 فى طرز وتزيين  
 جزاف غير موزون  
 من الهند اوالصين  
 لتحصيلى و تعوينى  
 وألقى فيه تحصينى  
 بتحرير و تدوين  
 و خطى صار يدنينى  
 اليك و مضامينى  
 فى درس و تلقين  
 بسوء الفهم يرمينى

و لكنى لم اعبأ  
فكم حررت ما يغنيك  
و لكن لم يجيء منك  
فكان الشوق يصيبنى  
حتى انكشف الحال  
فكتبى كانت العمرة  
وكانت تمنع القصاد  
ولا ترضى بما يدريك  
ولم اذ كرك بين القوم  
بغير (الكونت فرجينى)  
على انى (بدى لا تور)  
أبى من دون كل الناس  
لهيلين فدى النفس



وقد اصبحت يا امّاه  
بلاد كلها عهر  
بها جم اذى نفسى  
ولا أختار لى داراً  
بها صرت وفيها جم  
بها اهلى و أحبابى



ختاماً بلغى عنى  
لمارى و مر غريبت  
وللشيخ الجليل القدر  
تحياتى وأشواقى  
و دو مينج أبى الباقي  
فى نفس و أخلاق

و فيديل الذى ط...اب  
وأطياري و اشجارى  
سلامسى و هداىى  
باخلاق و أعراق  
وأشياءى وأعلاقسى  
الى زمرة عشاقسى

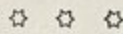


و كل القوم يبكون  
به شوق و تهييج  
و لكن أقلق الحضار  
يرون الشرح لم يذكر  
فهل غالت هوى فرجين  
و هل بول جنى ذنبا  
و هل يوماً سلت ليلى  
رموز ما عرفناها  
لما تملوه هيلين  
و تذكير و تحزين  
سرّ فيه مكنون  
لبول فيه مضمون  
غول وأحايين  
فأنكى فيه توهين  
و عاف الحب مجنون  
و علم الغيب مخزون



و ما اسرع ما لاح  
على حاشية الاصل  
بها خصت حبيب القلب  
فحيته على بعد  
وأهدته وراء الشوق  
بذوراً غضة الاوراد  
ليختار لها حقلا  
لتستاف لها طيباً  
وقالت يا هوى النفس  
تيقن انك الروح  
وانى سوف ألقاك  
لهيلين و ارعاها  
فصول جلّ معناها  
بولا فى قضاياها  
كما قد كان حياها  
من أغلا هداياها  
كانت تتمناها  
به تنمو و يرعاها  
متى عادت لمأواها  
و يامنية احشاها  
و هل روحى أنساها  
كما هيلين ألقاها

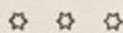
و احظى بأحبابى و دارى و مزايها



## عزم فرجينى على الرجوع : السفينة

والكارثة : موت بول : نهاية الجميع : تهاقت الشيخ و فجيعة

و اما حال فرجينى	باريس مع العمّة
فقد رامت لها وضعا	و فرجين أبت هضمه
أرادتها كباقي الغيد	فى الغلطة والنهمه
على المسرح مذترقص	أو فى السينما نجمه
وحضتها على التزويج	ممن صغرت جرمة
تراه وافر النعمة	لكن ليس ذا حرمه
و ليس الفخر بالمال	ولا الرفعة بالنعمة
وما العز سوى المعروف	يوليه اولوا الهمة
و ما الزوج سوى الشهم	قريبن الغادة الشهمه
على هذا ارتقت فرجين	نبلا و سمت عزمه
و فاقت اهل باريس	و كانت وحدها أمّه
فلم ترض لها العمّة	خلقا أشعرت و سمه
و عنها زوت الفضل	و اموالا لها جمّة
ولم ترع لها يتماً	ولا قربى ولا ذمّه
فعادت لأترى بـداً	من العود على حشمه
فقرت تركب البحر	لموريس و من ثمّه
ترى موريس كالنور	و أوربة كالظلمه
و ما العيش بباريس	مع الذل سوى نقمه



و بول ظل لاينفك  
 ويستكشف عنها البحر  
 الى أن طلع البحر  
 به باخرة تنساب  
 فلم يملك له شوقاً  
 فأهوى يطلب الشاطيء  
 فهل فرجين قد عادت  
 كعبتاق الرياحين  
 فلم يظفر بما حاول  
 وقالوا صاحب المرفأ  
 مضى يستكشف الحال  
 فلم يلبث سوى أن عاد  
 وقال القوم في أمن  
 غداً يأتون في طقس  
 وهذي كتب القوم  
 لكم يعلن ان الكل  
 و من بين المكاتب  
 على عنوان مكتوب  
 به بول مضى عدواً  
 فما فضته هيلين  
 حتى اسبلت دمعاً  
 و واساها جميع الصحب  
 و قاموا يتغننون  
 افرجين غذاء الروح

يرعى و عد فرجينى  
 من حين الى حين  
 بوجه منه ميمون  
 فى الماء كتنين  
 تنزى نزو مجنون  
 كى يحظى بتسكين  
 لتز هو فى الدواوين  
 و اورد البساتين  
 من علم و تأمين  
 لاستطلاع مكنون  
 و يأتينا بمضمون  
 فى عز و تمكين  
 و روح و رياحين  
 من الازعاج مأمون  
 بشير غير مظنون  
 فى طيب و فى لين  
 بدا اسم لهيلين  
 لها بالخير مقرون  
 لا هليه المساكين  
 لتستلوه بتبيين  
 جرى عن قلب مجزون  
 من بيض و من جون  
 بتطريب و تلحين  
 للدينيا و للدين

و بول لم يطوق مكشاً  
 اتى فى وحشة الليل  
 يرى استقبالها حتماً  
 فعفت النوم اكراماً  
 فسرنا و الدجى داج  
 و للريح تباريح  
 و اذناك سمعنا الموج  
 و للمدفع اصوات  
 سألنا ما جرى فى الكون  
 فقالوا ساء وضع البحر  
 و اهل البحر فى حاجة

الى الصبح لياتينى  
 بفرجى نى يهنى نى  
 و لا يرضى به دونى  
 لمن قد جاء يرجونى  
 بغيم فيه مشحون  
 باطراف الافانين  
 يرغو كالمجانبين  
 كاصوات البراكين  
 من سوء و من هون  
 من عصف الطوافين  
 تأمين و تموين



و لم تمض سويعات  
 و فى صحبتة الجند  
 لانجاد اسارى البحر  
 و لكن المقادير  
 فزاد العصف ازعاجاً  
 وهب البحر يرميهم  
 عن القرب من الشاطى  
 و بول صار مجنوناً  
 على نجدة فرجيني  
 فالقى نفسه فى اليم  
 عسى ينقذها مما  
 فمنها تارة يدنو

اتى فى اثرها الحاكم  
 و من كان له لازم  
 من خطب لهم داهم  
 طغت كالثائر الناقم  
 له كم قعد القائم  
 بموج كالح عارم  
 غدا الموج لهم لا طم  
 امام الخطر الغاشم  
 غدا كالثائر الحائم  
 و الموت به جاثم  
 قضاء القدر الحاسم  
 بثغر للقا باسم

وأخرى يرتقى عنها  
 به كم عبث الموج  
 فلم يحظ بفرجيني  
 جثى فى شاطئ البحر  
 ولما اعصوب الامر  
 غذا كل من السفـر  
 فخاضوا لجاج البحر  
 ولكن احرزوا الارواح  
 ولم يبق لفرجيني  
 فما انصفها البحر  
 ذوت كالفن الغض  
 فكملوعة حران  
 وكم ناح عليها الناس  
 وكم أبنتها الفضل  
 وليست وحدها فرجين  
 قضى الوادى و من فيه  
 وصاح الموت بالكل



واما العمّة الرعاء  
 بما مرّ على فرجين  
 و ما لاقته هيلين  
 وان الكل قد ماتوا  
 غدت مكدودة خاطر  
 وان جم لها مسال  
 لما أوعبت علما  
 من نكبتها العظمى  
 من سوء الذى عمّا  
 بلون يبعث السقمما  
 لا تلتذّ بالنعمى  
 فقد لاقت اذى جمّا

بهيلين جنت ذنباً	وفى فرختها جرماً
على لاشيء الا الشح*	قد أوعبها لؤماً
ولم تلق من الاحرار	الا اللعن والشمما
وماتت مية البائس	لا بقيا ولا رحمى
وفى اموالها قد عاث	من أوسعها ذماً
هو اللؤم فكم اخزى	أخا المال كما اعمى

\* \* \*

وماتم* حديث الشيخ	عما مر من خطب
الا أسبلت عيناه	مثل اللؤلؤ الرطب
وجمت فيه أحزان	لمكلموم الحشا تسبى
قست فيه مقادير	على مقدوره تر بى
قضى نجباً فواريناه	محزونين فى الترب
وعدنا و الأسى جم*	على الاحشاء و القلب
هى الدنيا و ما فيها	سوى الحسرة و الندب
على مجتمع الاحباب	يغدو طعمة النهب
فمن حزن على أهل	و من دمع على صحب
و من زفرة حران	على الهضم به تنبى
فما أضيقت دنيانا	وان كانت على رحب

\* \* \*

ونختم الكتاب بكلمات تلخص البحث عن المبدأ والدين : فنقول .

## الدين الفطرى

قال تعالى : فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التى فطر الناس عليها : كل انسان اذا انعزل بنفسه آناً عن تقاليد اهله الذين درج بينهم وبيئته التى اختصنته



والمبلمين نافين ومثبتين ونظرالى ما هو واجدله ولو بالنظر السطحى من قوى ظاهرة وباطنة وما يحيط به من فضاء متسع الارحاء وشموس واقمار وبحار وانهار وسهول وجبال ونباتات مألثة لارحاء البسيطشتى الصور والالوان والرائح والخصوصيات من حلو ومر وقابض وملين ومهلك ومنعش بما لا يدلاى مخلوق فى غرسه وزرعه وسقيه وتنميته وحيوانات تشرع من الذرة والنملة الى الاسود والفيلة وتوزع ما بين الزواحف على بطونها والدارجة على ارجلها والقافزة قفزا والعائمة عوما والطائرة باجنحة الى المأكول منها والأكل الاهلى والوحشى الى غير ذلك من صنوفه وانواعه : فلاشك ولاريب : انه فى نظرائه الخاطفة هذه يبقى مبهوتاً متحيراً ويرى نفسه من الحقارة وعدم الاهمية امام هذه المجموعة الكونية ما يورثه الخوف والرعب فى مقابل هذا الكون المتلاطم والتيار المزعج و يعتقد اعتقاداً بسيطاً خالياً من كل شوب ان لهذا المحيط الهائل .

- موجدأ - هو فوقه فى كل شىء لقدرته على ايجاد المتضادات الفائلة عن حد الاحصاء من حيوان لا تحصى صنوفه والوانه ونبات لا تحصر انواعه واقسامه وجماد متفاوت الهوية من تراب السبخة الى معدن الذهب والفضة وانسان مترامى الاطراف فى سحناته ولهجاته وتصوراته وتفكيراته بل فى كل شىء تجوز نسبته اليه بما لا يأتى عليه حساب ولادفتا كتاب .

-- حياً -- لان نوع هذه الموجودات التى يراها ومن جملتها نفسه واجدة لخصائص النشوء والنماء والحس وهى آثار الحياة فلا بد ان يكون من اوجدها بهذه الخصائص واجد المنبعها وهو الحياة اذ لا يعقل بالعقل الفطرى ان يكون الواهب فاقداً لما يهبه .

- عالماً - لانه يدرك الحكمة فى كثير مما يرى خلقته وحد الاقل خلقته نفسه الواجدة لصنوف القوى القائمة بانواع الاحتياجات اللازمة وهذه حكمة عظيمة تدل فضلاً عن علم موجدها على عظيم دقته و جليل معرفته واحتواءه على كمال عجيب لا يوجد بعض من كماله عند اعظم اختصاصى .

مقتدراً بالقدرة الواسعة - فان خلقه واحد من هذه المخلوقات كافية في اثبات قدرته الواسعة التى يعجز عن اقل قليل من آثارها اعظم عظيم فى الفن و الاكشاف مختاراً تمام الاختيار فى فعله . اذ لا يتصور قاهر فوقه .

مباشراً لخلق كل مخلوق بالمباشرة النامة : حيث لادخاله لغيره فى خلقته حتى الوراثة وحتى التلقيح اما الوراثة فلو كان لها قانون او بعض قانون لما تفاوتت افراد البشر و الحيوانات تفاوتاً عظيماً بحيث ربما لا يوجد اقل تشابه بين الاصل و الفرع فى اقل الاشياء و كذلك الشأن فى النباتات فانه بلغ من كلى تفاوتها انه لا ورقة من غصن تشابه الورقة المعلقة قريباً منها فى تخاطبها وهندستها فضلاً عن الجذور والغصون وهذا من اقوى الادلة الفطرية على ان الخالق باشر وراء خلق الشجرة خلق الورقة وهذا الاصل مما يجعل الحاجة الى الخالق مستمرة فى كل شىء و ان انقطاع مباشرة الخالق عنه موجب لانهار العالم كله : واما التلقيح فانه لو كان بنفسه مجدداً لجاء من كل تلقيح نتيجة فى حال ان الامر ليس كذلك لكثرة العقم فى الذكران و الاناث ولكانت النتيجة واحدة فى حال أنها ليست كذلك فربما تكون النتيجة ذكراً مرة وانثى اخرى و توأمين مختلفين ومتفقين واكثر من ذلك و اقل تام الخلقه و ناقصها وهذا كالسابق من الادلة الواضحة على اعمال الخالق ارادته المحجوبة السبب علينا فى كل مخلوق مخلوق الفرد والتوأم الذكر والانثى التام والناقص : و ليست هذه النظرة التى شرحنا طرفاً منها فى كل ناظر مما تحتاج الى قراءة درس سابقة على النظر بل هى نظرة وجدانية يجدها الناظر من نفسه لادنى تأمل يكون منه فى محتويات الكون ومن جملتها نفسه مضافاً الى ان الفلسفة بدروسها العالية انما تكونت من هذه النظرات فان معناها البحث عن حقائق الكونيات والبحث مبدؤه النظر و هذا الامر الوجدانى هو الفطرة التى اشار اليها تعالى بقوله فطرة الله التى فطر الناس عليها : و معنى أقم وجهك للدين حنيفاً انك ايها الانسان يلزم ان تجعل اتجاهك فى كل امورك لهذا المبدأ الذى شخصته بفطرتك وعرفت انه المستولى على كل شىء فى الوجود مباشرة بلا ان يكون لغيره دخالة معه وان لا تميل عنه مقدار شعرة فى كل شأن من

شؤنك فان غيره لا ينفعك اذ ليس به قدرة على نفعك.



## -الدين-

يعطى المتدين فائدتين صون حياته في الدنيا من كل مزيج وتأمين حياته في النشأة الثانية وهاتان الفائدتان مفقودتان من نفاة الاديان بالادلة التالية : قال تعالى : من عمل صالحا من ذكر او اثنى وهو مؤمن فلنجينه حياة طيبة ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون .

روح الانسان اذا تجردت عن الدين والخضوع له تعود روحاً بهيمية تتضارب فيها الاندفاعات المتناقضة الى حد لا يوصف بل لا يحيط به حتى المجرد عن الدين نفسه فان روح الانسان المتجرد عن الدين اذا اتجهت صوب المآكل وتفززت الى مافى كـل طعام من لذة للذائقة واخدمتها هذا التصور مأخذه من الدماغ اندفعت بكل صلاحية وقاحة حتى الى السرقة بل حتى الى التكدى والتطفل فضلا عما بينهما من مراتب : و اذا اتجهت صوب الملابس و الازياء و اطوارها في شتى انواعها و الوانها و صفاتها و تفززت احساساتها الظاهرية نحو هذه الجهة كذلك غامت بنفسها الى تهيأة ما اتجهت له كل المغامرة فلا تدع طريقاً لاستحصاله الاوسلكته كائناً ما كان ذلك الطريق واذا اتجهت صوب المساكن والعمارات وتجهيزاتها من فرش ملونة وستائر رقيقة و مناضد ومقاعد ومرافق وتفزز حسه الظاهر لذلك اندفع بحوله وطوله لتأمين ما تسعه هذه القوى من ذلك : واذا اتجهت صوب الشهوات الجنسية وتفززت حواسه المربوطة لذلك لا تعود تفيد الزوجة والزوجتان ولا الاكثر من ذلك بل تراه فضلا عن مطاردته لاعراض الناس وما يلقى في هذا السبيل من محن و كوارث وسقوط و امتهان ومتابعته خطى الفواحش وما يلقى من جرائها من توهين ربما طارد الحيوانات ومع ذلك لا تهدأ فورته ولا تنكسر شهوته بل بنحو عام نقول انه اذا صادف مغنياً مطرباً تمنى ان يكون مغنياً واذا اشتهر اسم لشحاذ و سمعة للصويت لم شعوذ تمنى ان يكون شحاذاً

لصاً مشعوذاً و اذانبه اسم لمتمول احب ان يكون متمولاً واذا رأى زعيماً من  
 زعماء الدنيا قد حاطته الخيول والالوية احب ان يكون كذلك كما انه اذا رأى  
 عالماً كبيراً لآراءه تناقل في المجالس ولشخصه احترام بين الناس احب ان يصير عالماً  
 و اذا رأى امام جماعة وقد تراصفت و ترابطت وراءه الصفوف احب ان يكون امام  
 جماعة واذا رأى خطيباً مصقلاً يهز الجالس والمجالس بخطابه وبيانه احب ان يكون  
 خطيباً و اذا رأى ناسكاً مكتفياً من دنياه بقرصيه و من لباسه بطمريه مأنوساً بذلك  
 خفيف الحاجة غير مؤاخذ على ما هو عليه احب ان يكون ناسكاً وهلم دو اليك : فهو في  
 نزعاته ونفسياته متناقض متضاد موجب منقى قلق مضطرب لاقرار له متقسم بين  
 اندفاعاته ونفسياته تقسماً يوجب له جنون الوضع وخفقان الحركات وبؤس الحالة حقاً  
 وكل المتجردين عن الدين مرتبكون منزعجون سلاطين كانوا ام مكدين وهؤلاء مع  
 كدحهم في دنياهم واصرارهم على التمتع لا تراهم الا قصار الاعمار سيئى الاخلاق ناقمين  
 على وضعهم يتمنون حياة الرهبان وعيشة الضعاف من المتدينين و يحسدونهم على ما  
 هم فيه من الانشراح والرضا بما قسم لهم وقد اطل عبد الملك بن مروان قبل موته على  
 قصار وهو يعمل بكل نشاط تظهر عليه سيماء الراضى عن وضعه فتمنى ان يكون قصاراً  
 منذ ولدته امه خلاصاً من تبعات الدنيا التى تأسر من القى بنفسه بين احضانها : هذه  
 نواحي المتجرد عن الدين من جهة اندفاعاته النفسية : واما انزعاجه من المصائب  
 والحوادث والكوارث وتألمه حتى من تصور الفقرا اذا اعطى من ماله لرحم او مستحق  
 او ذى حاجة وتخيل عدوى المرض اذا عاد رحمماً او جاراً او اخأله وتوهم العطب اذا  
 سافر الى جهة من الجهات وهزال ولده اذا وبأه وادبه والوقوع فى مخالب المنية اذا  
 بارز عن عرضه او عن حق من حقوقه والتدهور فى الحياة اذا لم يتملق فحدث عنه ولا  
 حرج فى ارتبائه واضطرابه لا يدري ماذا يصنع فى جلب تلك الشهوات لنفسه ودفع  
 هذه المخاطر الجارحة عنها ومن يكن بهذه الحالة يرثى له حقاً وان تزوقت ظواهره  
 بالترف احياناً : واشد من كل هذا وذلك وقعاً وتبريحاً فى نفسه انه لا يعرف وراء دنياه  
 هذه دنيا تحتضنه قد خلصت من كل هاته الشوائب وجمت من كل اللذائذ : اما المحتضن

للدين المعتقد به السائر ولو على لمعة من نوره المتروح ولو بعبقة من عبيره فهو بفضل الدين ورجاله العاملين في كمين وأمن من تيك المزعجات والاضطرابات سواء نشأت من الاندفاعات النفسية الشهوية ام من تصور المحزنات و المزعجات الدنيوية مضافاً الى ما يعتقده من حياة ثانية سعيدة غاية السعادة .

اما كونه في كمين وامن من تيك المزعجات الهائلة الدنيوية فهو ان الدين في طرف من تعاليمه التي وجهها للانسان ألزمه بأن يحترم ذاته ومن بعض الشواهد عليه قولهم رباني فيه

اتزعم انك جرم صغير      وفيك انطوى العالم الاكبر

وليس المراد باحترام الذات هو التكبر والتعطرس والانانية وعجرفة الاخلاق واعتزاز الانسان بمأ كوله وملبوسه وحاله وما له وما آباءه وامهاته بل هذه الصفة من اذل صفات النفس لانها تقود الى الضعف والاعتزاز بالتواضع وبمعظام الاباء ورفات الامهات وتصرفها عن الالتفات الى اكتساب الفضل الذي يعود بعد اكتسابه جزء من وجود الانسان لامتنعاً عنه كالمال والمال وما اليهما - لا - كل ذلك ليس بمراد من الصفة المومناً اليها بل المراد ان الانسان يجب ان يعنى بنفسه و بعقله و بالملكات الثمينة التي ديفت في طينة وجوده و ذلك بان لا يكذب لان الكذب فضلا عن كونه ربما يوقع المكذوب عليه في ضرر انه اذا انكشف للناس اسقط صاحبه عن القيمة فلم يعودوا يحترمونه من قلوبهم ولو كان شخصاً ذا مقدرة : وان لا يطارد الشهوات لانها توجب خفته قطعاً ومهما حاول الاتزان : وان لا يخون فانه يفتضح ومهما راوغ : وان لا يسرق فان السرقة تظهر عليه ولو تستر بما شاء ان يتستر : وان لا يعد فيخلف او يستدين ولا يفي فان كل ذلك حتى لو صدر من سلطان انزل قدره : وأن لا يتملق فان المتملق بطبيعة نهوض عرق التملق في باطنه يوجب خفضه معنى و ظاهراً فلا تراه الادائم التقبيل للايدي تجاه منوى تافه فاذا احترم المتدين ذاته فقد ترك كل تيك الرذائل فلم يزن اذن و لم يغش و لم يداس و لم يسرق و لم يتملق و لم يكذ و اذا كان بهذه الروح لم تندفع نفسه تلك الاندفاعات التي صدرت وتصدر من المجرد عن الدين

فى سبيل تأمين المأكل والملبس والمنزل والشهوة الجنسية وما إليها كما لا تتحدث بالامنيات المتناقضة المجردة بل تراه يرضى من كل ذلك بالميسور الذى يؤمن قطعاً شهوة الذائقة واللامسة والشامة والسامعة والباصرة وشهوة القوى الباطنية ويستدل فضلاً عن رضاء نفسه بما تهيأ لها بما يراه او يتلقنه من ضرورات التاريخ ان المثاليين من البشر والمهذبين فى بنى آدم اكنفوا من هذه الحياة بما تيسر منها ولم تندفع انفسهم الى قليل من تلك المزعجات ومع قناعتهم التامة بالنسبة الى ما عليه هواة الدنيا المجردون عن الدين او البعيدون عنه فقد كانوا اصح امزجة واعمر ابداناً واقوى صراعاً واشجع قلوباً وبعد صيتاً واسع شهرة وطول اعماراً من اعظم مترف فى الدنيا يري ذلك مشاهدة احياناً ويتلقنه عن التاريخ الصحيح احياناً اخرى :

هذا ويزعه دائماً عن ان يعير طرفه للتصورات المزعجة ما تلقنه عن الدين بتواتر وآه فى التجربات كثيراً ان لاعدوى فى كل مرض ولا فقر مع كل عطاء ولا عطب فى كل سفر ولا موت فى كل مبارزة ولا هزال مع كل ضرب مضافاً الى ان مستند ذلك هو ارادة الله الغالبة فما لم يقدره لا يكون وما قدره لا بدوان يحصل: وعلى فرض ان صلته لارحامه وعطفه على المجاويج وبذله فى سبيل الله ربما أفقره وعبادته للمريض ربما عدته وتأديبه لولده ربما أهزله ودفاعه عن عرضه ربما أماته واعتزازه بنفسه ربما ضره فهو انما فعل ذلك انقياداً لاوامر الله الذى وعده وعداً صادقاً لاخلف فيه انه سوف يجزيه عن ذلك فى نشأته الثانية احسن الجزاء ويسعده باحسن سعادة ويعطيه فوق آمال الراغبين فهذه بعض فوائد الدين للفرد .

### من فوائد الدين للمجاعة

فوائد الدين للمجاعة بوصف الاجتماع كثيرة لاتحصى ونحن فى هذا الدرس نتكلم على بعضها - الاول: الاتحاد والائتلاف - وقد قام به الاسلام قولاً وعملاً اما القول فهو فى الكتاب والسنة كثير من بعضه قوله تعالى واعتصموا بحبل الله جميعاً : فقد دعى الله جماعة البشر ان يأتلوا فيه وان يكون هو تعالى نقطة الائتلاف وهو محور الاتحاد بينهم ذلك

لانه هو خالقهم ومدبر شؤونهم ومصرف امورهم ولانه بعيد عن التحيز الى جانب دون آخر ولانه يجب خير العموم وسعادة الجميع وليس في العالم على اطلاقه من يكون بهذا الوصف فالاحد اذن اولى منه في كونه مطافاً للجميع ومحوراً يدور عليه الكل : واما العمل فانه الغى العنصرية واللون فلم ير لعنصر على عنصر اقل تفاوت في حال ان الناس انما تميزوا وبقوا لجهلهم متميزين لا اعتزاز كل ذى عنصر بعنصره فالعربي لا يرى الفارسي والرومي والزنجي وما الى ذلك الاذونه ويا بى ان يتزوج منهم ويزوجهم من نفسه وبالعكس وهكذا يترفع الابيض على الاسود وحتى اليوم والاسلام لا يرى رفعة لاحدهما على الاخر الا بالفضل ولا يرب ان هذه الحواجز اذا ارتفعت تقارب الناس الى هدف غير بعيد على الجميع واستدل الله سبحانه على رفع الحواجز العنصرية بأسد دليل وأقربه حيث قال يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكروا نثى : فكلكم من عنصر واحد ومن لون واحد ومهما تسلسلت انسابكم وتكثرت الوانكم فانكم بالمال ذائبون في حقيقة واحدة وراجعون الى ابوام متحدين وهذا الدليل وحده كاف في تزييف كل قول يقال في التمايز من حيث العناصر والالوان وان كل ما قيل او يقال في هذا الموضوع فهو جزاف لا وزن له وان سردت فيه القصائد وكرست فيه المقالات والفت في الكتب واطال خطبته فيه الخطيب وان كل حرب قامت على هذا الاساس وكل حزب دعى الى تفكيك العناصر وان شمار كل عنصر الى ناحية تبعد عن العنصر الاخر ومهما بلغ من التجدد والتمدن والثقافة فانه باطل وموجب لتفكيك الاواصر وتخريب الاجتماع وملقح للعداوة : والغى الرفعة والضعفة من حيث المقامات الدنيوية فلم يجز لاحد ان يترفع على آخر ولو كان المترفع اميراً او وزيراً او متمولاً او ذا رجال ومنال مستدلاً على كل ذلك بانها اجنبى عن الانسان من حيث ذاته وانما هو عرض زائل وعارية تسترد وتمويه لاحقيقة له والحقيقة صرفاً مقرونة بالكسب للفضيلة والجد في طريق تحصيل الكمال لان هذه الامور المعنوية قائمة بالنفس وتزيد على مرور الزمان نمواً وانتاج نتيجة فهي دخيلة في مقام الذات قريبة من النفس ملكة لاعارية وحقيقة لا تمويه وبما انها لا تحصل عفواً ولا تتأتى جزافاً وتصلق النفس وترفع صاحبها الى مقامات

عالية في الجوهر كانت الرفعة والضة واختلاف المقامات مربوطة بها فقط :  
ويستدل على ذلك من المدارك الاسلامية بادلة منها ان اهل تلك المقامات  
العرضية الزائلة من زعيم ومتمول وامير ووزير ان اقتصروا في سيرهم كما هو الغالب  
على تأمين زعامتهم وزيادة تمويلهم واحراز رياستهم كانوا ذؤبانا ضارية بعيدين عن  
الرحمة والانسانية وان اتخذوا هذه الوسائل معبراً لاحقاق الحقوق وتحكيم العدل  
والسلام بين الناس وتركيز الرفاه للضعفاء فبطبيعة حالهم لاتراهم مترفعين  
لانهم اناس مثاليون يندرجون في اهل الفضائل والكمالات التي بهاتفات الناس  
حقاً ويكون فيهم الرفيع والوضع وهذا ما يشير اليه قوله تعالى : والعصران الانسان لفي  
خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات و تواصلوا بالحق و تواصلوا بالصبر: فحكم  
تعالى بخسر كل انسان لم يكن مؤمناً بالمبدء الصادق ولا عاملاً للصالحات ولا قائماً  
بالحق ولا موصياً بالصبر في طريق ايقطاعة تفرض وعلى اية كارثة تكون : و منها قول  
الرسول ﷺ في فتح مكة حيث عظم من اجله مقامه بين اهل الجزيرة لانسان شاهده  
بين اصحابه الكثيرين فاضطرب رعباً وخوفاً : لاتخف اني لست بسلطان انما انا ابن  
امرء كانت تأكل القديد : وهكذا قوله لاصحابه : انا واحد منكم الا فيما يوحي  
الي : وغير ذلك وهو كثير .

وألقى الامتياز الطبقاتي الفاحش من حيث المعاش و الوسائل و الزم الناس  
لخطة قريبة التفاوت بما هو ضروري في العقول و دحر بخطته الوزينة هذه كلا من خطتي  
الاستبداد والاشراك حيث لا يوجد اليوم الا الافراط والتفريط المزعجان و كلاهما  
بعيدان عن الحق والمنطق ولوان طريقة الاسلام في هذا البحث أجريت في الناس عملاً  
لساد العدل العمومي حقاً.

اما الاستبداديون الذين لهم وجود شائع اليوم في الشرق والغرب وان ادعوا  
التنوير لانفسهم وازروا على اوضاع العوالم السابقة عليهم فهم اخس الناس وضعاً و  
طبعاً دجالون منافقون يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم و يأمرون الناس بالبر و  
ينسون انفسهم فلاتراهم في داخلاتهم و بين اصحابهم الا لصوصاً و ذئباً يفترسون كلشيء



تنتجيه رغباتهم فى كمين من حجاب واسع ضربوه على انفسهم حتى لا تطلع عليهم العامة من الناس نعم قصارى ما عندهم تزويق الظواهر بظاهر التمدن الزائف من تعبيد الشوارع وتعميم الانارة وما الى ذلك.

واما دعاة الشيوعية فهم كهؤلاء الاستبدادين فى اعمالهم الداخلية المر بوطه بهم حدوا النعل بالنعل دجالون منافقون يخترنون احسن الاشياء لانفسهم ويعمون بكلماتهم وظاهر مدعياتهم على السذج البسطاء الا ان الكلام فى تحليل منطقتهم فان له فى ظاهره روعة وطلاوة والعنوان العام لطريقتهم ودعوتهم هو ايجاد المساواة بين الناس جميعاً و تحريرهم اياهم من كل قيد يفرض سوى قيود النظام العام.

## جماع مقاله الاشتراكيون فى نقد الوضع الرائج

قالوا ان الحرية مادامت مطلقة للافراد فى وضع ايديهم بحق الملكية على ما يختارون من الاراضى والمباني فمن اللازم ان تخضع الامة لناموس المزااحمات و المنافسات وتستحيل الجمعية البشرية الى معمة قاسية يتنازع فيها الافراد حق الحياة ويتسلط نفوذ الاقوياء على الضعفاء ويفوز المحتالون على المستقيمين الصادقين وتنتهى الحال بأن تكون الثروة بيد افراد يعدون بالاصابع والسواد الاعظم من الشعوب فى ايديهم وطوع ارادتهم يسخرونها فى معاملهم طول اعمارهم ثم لا ينال الواحد منهم ما يكفيه حاجة اهله فيضطر لتشغيل امرءته واطفاله معه فينهدم بناء الاسرة وتصبح الحياة عبئاً ثقيلاً على الجزء الاعظم من النوع الانسانى وما سبب ذلك الا ترك الحرية للافراد فى الملكية فلما بطل هذا النظام المؤدى للفساد وجمعت الثروة العامة الى بيت مال مشترك ووزع على كل فرد منهم من ذلك المال بقدر عمله وكفايته توزيعاً عادلاً مكفولاً بسطوة الرأى العام لبطلت المزااحمات والمنافسات واصبحت الجمعية البشرية سعيدة باخص معانى الكلمة.

فأجاب المشترعون عن هذه النقطة بقولهم قذف بالانسان الى هذا العالم عارى الجسد مجرداً من السلاح فجد واجتهد وحصل قوته بشق الانفس ثم آلمته الآلام

ووخزته المتاعب ففكرو ونظرو وتأملو وتدبر فهداه بارعهم الى ضروب من الاعمال وانواع من المحاولات فحرث وزرع وبنى وشيد وأسر الحيوانات ودجنها وبذل أقصى مجهوداته في تذليل صعوبات العيش ولم يكن كل افراده على هذا الحال من الهمة بل كان فيهم الكسلان الذى يسهل عليه ان يموت مكانه من ان يكبد لنجاته والمسرف الذى يبذر ما يقع له فى اعقاب شهواته فهل من العدل ان يتقاسم هذان الرجلان الكسلان والمسرف محصول ذلك العامل الذى افنى فيه قواه وانضى له جسمه : هذا الرجل العامل كان يستطيع ان لا يعمل فلا ينتج شيئاً فكيف لا يكون ما أنتجه خالصاً له دون غيره انه لم يؤذ احداً باستثماره كده وقواه بل هو الذى يؤذى لو حكم عليه باشتراك غيره معه فى نتيجة جهاده نعم الانسان لا يخلق شيئاً ولكنه يحول ما يجده بواسطة الصناعة الى شيء له قيمة ومنفعة فيجد حجراً ملقى على الارض لا قيمة له فينحته ويصقله ويرزقه شكلاً صناعياً بديعاً يساوى قدراً من المال فلا شك ان ذلك المال ثمن عمله لان الحجر كان ملقى لا يلتفت نظر احد فاذا استثمر هذا الانسان وكل من كان على شاكلة كده وجمع منه ما لا صدق فى حقه قطعاً انه ماله وانه مسلط عليه وانه لا يجوز اكله منه بغير رضاه وانه مختار فى جهة بذله الى اى احد شاء ومن جملة موارد تخليفه للوارث او القائه فى البحر فانه لا يجوز لاحد ان يعترض عليه ذلك و ان يدعى فيه حقاً لنفسه نعم يجوز له ان يلومه اذا القاه فى البحر او صرفه فى المفاصد والتوافه ، وعلى هذا بنى الاسلام احكامه واعتبر كل ثروة تكون من طريق الغش والتدليس والاحتكار والربا والرشوة والسرقه والشعوذة والغبن والنفوذ والقدرة اكل مال بالباطل كما هو صريح الفقه الاسلامى ومضافاً على كل هذا فقد اوجب فى الاموال الحقنة الزكوة والخمس والكفارات وغيرها ودعى المسلمين بدعوة عامة طالما شاد بها وكررها الى استحباب التصدق ووقوف الاوقاف فى سبيل المصلحة العامة وبناء القناطر والمدارس والاحسان الى الضعفاء والارحام والجيران و اهل العلم والمؤمنين المعوزين وفى سبيل الجهاد وحفظ شعور المسلمين الى ما شاء الله مما لا يعد فى هذه الفرصة ولا يحصى فلا يجوز للطاعن من المتجددين ان يحكم على الاسلام بانه يحمى

عن المتمولين الذين ماجمعو نوع اموالهم الامن طرق الغش والتدليس و التزوير والاحتكار والربا والغبن والتفوذ والافتقار و لامنفذ للمشروع الا في طرف ضعيف من اموالهم .

ومن فوائد الدين في الاجتماع انه قاطع لتعديات بعض على بعض او انه حد الاقل مقلل من ذلك لان الدين لما كان وازعاً من طريق العقيدة نافذاً الى اعماق القلوب كان تأثيره في نظام الجامعة اكثر بالمائة مائة من تأثير القوى الظاهرية لناحيته (الناحية الاولى) ان البشر اذا لم يراقبوا الا الظواهر وما يحذرونه من ناحيتها وتتعلق مطامعهم واغراضهم الشخصية بما منعوا عنه من طريق القوة تراهم يخترعون الحركات العجيبة لتأمين منوياتهم بالحيلة والشعوذة واذا اتهمتهم المحاكم في ذلك رأيتهم اقاموا الايمان الكاذبة واقعدوها في تبرير موقفهم وتذرعوا بالانكار القوى و توسطت الوسائط المؤثرة ونحو ذلك وهانحن نرى باعيننا جهاراً ومباشرة ان الحكومات تنهى عن القتل والسرقة واكل اموال الناس من غير طريق القانون وتناول الايون وزرعه وبيعه وشراؤه ومع ذلك نرى وقوع هذه القضايا بكثرة على مرور الساعات فضلا عن الايام والسنين وداعى وقوعها هو التذرع اليها بوسائل مرموزة وكم جدت الحكومات جداً بليغاً في مقابل تهريب الاجناس او الاشخاص فلم تنجح من مقاومتها الا في طرف من ذلك : اما الدين فلما كان ارتباطه بالقلوب و تأثيره على القوى الباطنية والظاهرية كانت هيمنته على الافراد في الخلوات والجلوات على حد سواء فترى المتدين فضلا عن أنه لايسرق اذا وجد ما لاضاعاً اخذ يعرف به في الملاء العام حتى يتعرف بصاحبه ويسلمه اليه و غير المتدين فضلا عن انه يلتهم الضوائع التهاماً لاول مرة يحاول الفرصة حتى يسرق واذا ساعدته القرص على النهب من يد الانسان المتحذر نهب وترى المتدين ايضا فضلا عن انه لا يهاجم نوايس الناس علناً لا يزاحمها وحتى سراً مع تمكنه من ذلك اما غير المتدين فمزاحمته مع الممكنة فضلا عن كونها خفيفة المؤنة عليه تراه يزاحم حتى في العلن وان لقي في سبيل ذلك ما يلقي و ترى المتدين فضلا عن انه لا ياكل اموال الناس بالباطل يفهم حقوقهم ويزيدهم عليها

بالهدايا وحد الاقل برفع الت شكرات تصديقاً لقول نبيه ﷺ المؤمن حسن القضاء والاقتضاء اما غير المتدين ففضلا عن انه لا يفي الناس قروضهم اذا تمكن سرق اموالهم وخانها واكلها بلا خوف ولا حذر ولو بارزته القوى : الناحية الثانية : ان القوى مهمما تفرض فهي محدودة وليس باستطاعتها ان توكل بكل انسان شرطياً وعلى فرض ذلك فان الشرطى نظير غيره اذا لم تكن للدين حكومة ولهذا نرى اليوم اهم الدول المتمدنة في العالم عاجزة عن ان تصون نظامها صيانة تامة فما اكثر القتل والسرقة والنهب و التعدى فى اعظم مدينة من مدنها مع قدرتها الكافية وما ذلك الا لضعف الدين فيها و-وان الدين فقد منها بالمرة الواحدة - اى دين فرضناه - لوجدت الولايات فيها بلا حساب ولا كتاب .

ومن فوائد الدين فى الجامعة : حثه للأفراد على التعاون واحقاق الحقوق و الرفق والمواساة وان يحب الانسان المتدين لآخيه المتدين ما يحب لنفسه ويكره لهما يكره لها وان يشاء اذا سافرو يستقبله اذا قدم ويعوده اذا مرض ويقرضه اذا احتاج و يعطيه اذا اعوز ويشاركه فى الافراح والاحزان ويتفقده اذا غاب عن وجهه ويعطف على اهله اذا بعد عنهم وان يحضر جنازته اذ مات ويشيعه حتى يدفن ويعزى اهله ويسلمهم ويكون لهم فى رفع الوحشة عنهم كما كان فقيدهم لهم وفى ذلك من الاثار قضايا واخبار جمة وآيات مهمة منها قوله : ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى حقه : وقوله تعالى : لاتنالوا البرحتى تنفقوا مما تحبون : وقوله تعالى : وتعاونوا على البرو والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان : الى عشرات سوى ذلك .

وعن ابي جعفر الغزاري (فروع الكافي : كتاب المعيشة ) قال دعا ابو عبد الله ع مولى انه يقال له مصادف فاعطاه الف دينار وقال له تجهز حتى تخرج الى مصر فان عيالى قد كثروا قال فتجهز بمتاع وخرج مع التجار الى مصر فلما دنوا من مصر استقبلتهم قافلة خارجة من مصر فسألوهم عن المتاع الذى معهم ما حاله فى المدينة و كان متاع العامة فاخبروهم انه ليس بمصر منه شىء فتجالفوا وتعاقدوا على ان لا ينقصوا متاعهم من ربح الدينار ديناراً فلما قبضوا اموالهم وانصرفوا الى المدينة دخل مصادف على ابي

عبدالله ﷺ ومعه كيسان في كل واحد الفدينار فقال جعلت فداك هذا رأس المال وهذا الآخر ربح فقال ان هذا الربح كثير ولكن ما صنعتم بالمتاع فحدثه كيف صنعوا وكيف تحالفوا فقال سبحانه الله تحلفون على قوم مسلمين الا تبيعوهم الا بربح الدينار ديناراً ثم اخذ احد الكيسين فقال هذا رأس مالي ولا حاجة لنا في هذا الربح ثم قال يا مصادف مجالدة السيوف اهون من طلب الحلال: وفي الكافي عقيب ذلك: عن حماد بن عثمان قال أصاب اهل المدينة غلاء وقحط حتى اقبل الرجل المؤسر يخلط الحنطة بالشعير ويأكله ويشترى ببعض الطعام وكان عند ابي عبدالله طعام جيد قد اشتراه اول السنة فقال لبعض مواليه اشتر لنا شعيراً فاخلطه بهذا الطعام او بعده فانكره ان تأكل جيداً أو يا كل الناس ردياً: الى غير ذلك .

ولاريب ان هذه العواطف اذا عملت كما يريد الشرع أصبحت الدنيا هي المدينة الفاضلة التي يتمثل بها الان كل ذى بضاعة لا يعود يحتكرها او يعتز بها فتكثر المدارس على نفقات اهل الخير وهكذا المساجد والتكايا والمستشفيات وتعقد القناطر والجسور وترتفع الشدة من اهلها والفقر من اهل الحاجة كما يرتفع الجهل والمرض والصعوبات ولا يعود الانسان بحاجة: اما لو حولت كل هذه المطالب بعاتق الدول ففضلا عن عجزها عن القيام بكل هذه الواجبات الفردية والاجتماعية مادة ومعنى لقصور دخلها عن كل هذه اللوازم وعدم استطاعتها البحث والتفتيش عن حال الاطراف البعيدة وعن مجارى الافراد المنشعنين الضعفاء والبؤساء انها اذا ارادت ان تتعدى المشروع فتجمع الاموال بالقهر والغلبة ادنى بهاذلك الى مصارعة العواطف من ناحية واتخاذها احيانا من ناحية ثانية وتعددها في جمع المال اذ لا تعود تفحص الفحص اللازم في كيفية اخذها من تاخذوكم تاخذ وكيف تضبط ما تأخذ من ناحية ثالثة على سوء في السمعة وتنفر القلوب منها حينئذ والذي أعان دول الاسلام على البقاء والاستمرار هو تجرد نفس المسلمين للقيام بمصالحهم من بناء مستشفيات ومدارس ورباطات ومساجد وتكايا وسقايات واحداث سواقى وجداول ومؤسسات خيرية وفضلا عن قيامهم بذلك فقد وقفوا المشاريعهم اوقافاً ضخمة اكلها الفساق الذين لازمة لهم .



### نسبة احتياج الانسان الى الدين

الانسان في حياته الضرورية محتاج الى عدة اشياء لازمة لا يتيسر له العيش من دونها وهي الماء والغذاء واللباس والمسكن وما يؤمن الشهوة الجنسية هذامن ناحية الماديات الاولية الى تقوم به اشخصيته الفردية ومن ناحيته الاجتماعية فهو في حاجة ماسة الى النظام العام وكل ذلك وهذاموقوف على وجود الدين بين الافراد شخصياً ونوعياً وبسوى الدين لا يتيسر الحياة الابمشقة وارتباك هائل.

وتشريع الاحكام العامة للعموم انما يكون من الشرع الذي لا يتحيز لجانب دون جانب ولا يراعى حيلا دون جيل ولا يقع تحت العوامل المؤثرة ولا يكشف الواقع له فهو اقرب الطرق اليه بل ادق الكواشف عنه : ثم الشرع لم يوظف من ناحية الله تعالى لاجل العبادات الفردية الواصلة للمعبود بربه كالصلاة والصوم والحج ونظير ذلك فقط بل ما استهدفه من تحصيل الرفاه للناس مادياً ومعنوياً ونظاماً لضبط حركاتهم وسكناتهم اكثر بكثير مما استهدفه من القيام بواجب العبادات الفردية فالدين اذن هو معنى القانون المدني والجزائي وما يكفل اقتصاد الناس واجتماعهم .

وذلك لان الشرائع العامة بملاحظة وضع الاجيال ومراعاة قابلياتها تضع من القوانين ارقى ما يمكن ان يقرره المشرعون في ذلك الجيل لان المشرع الاعظم بعراه عن كل نخوة وعصية قومية ولونية واحاطته بالمصالح والمفاسد يتمكن ان يصيب بتشريع محز الواقع في الجميع من دون ان يكون له تحيز لجانب دون جانب بخلاف المشرعين من بنى الانسان فانهم ومهما كانوا كاملين فلا بد ان تنحاز بهم الدوافع النفسية ولومع الغفلة عنها الى جانب دون آخر ومصالحة فريق اكثر من فريق خصوصاً ماراعته الشريعة العامة الاسلامية في اجيالها المترامية على طول الزمان فان الطرح الذي طرحته الشريعة الاسلامية الغراء لسكان المعمور لاحظت فيه كافة المزايا التي تقدر في حياة البشر فعندما اقتضت المصلحة الربانية العامة ارسال محمد ﷺ الى الناس كافة وان نبوته تكون ختام النبوات شرع الله في علمه قانوناً واسعاً

لل بشرية يكفيها ان تزود منه مادام لها بقاء في الوجود فكانت احكامه على انحاء اربعة.  
( الاول ) مرحلة الاقتضاء ومعناه ان مقتضيات تشريع الحكم موجودة ولكن  
الوضع بحسب ملاسباته وظروفه واحتياجاته يأبى عن اعمال هذه المقتضيات لان الملاسبات  
الزمنية لا ترى مجالاً لذلك.

( الثاني ) مرحلة الانشاء وهي تكون بعد حصول المقتضى عند مقارنة الوضع  
الذي يستشتم منه سئو ح فرصة الوقوع ومعنى الانشاء هو خروج المقتضى بما اقتضاه الى  
منصة الظهور والقرار الخارجي نظير تدوين القانون الذي كان صرف خواطر نفسية وارادات  
قلبية لم تخرج من الخاطر والقلب الى عالم الكتابة والتحرير.

( الثالث ) مرحلة الفعلية وهي تكون بعد مرحلة الانشاء كمن دون قانوناً فيرسله  
الى الوزارات المربوبة لتبثه بين اداراتها التابعة :

( الرابع ) مرحلة التنجز وهي تكون بعد مرحلة الفعلية كمن ابلغ قانونه لعامة  
الادارات فبلغته ايضاً للافراد بوسيلة الاعلانات وغيرها فهنا تكون المؤاخذة والاثابة  
المؤاخذة على التمرد والاثابة على الطاعة

وفي كل آن من آنات الشريعة حسب الملاسبات الوقتية للمراحل الاربعة  
الاحكامية وجود فجملة من الاحكام قد تكون لحد الآن في مرحلة الاقتضاء ولا تبرز  
الى منصة الظهور الا بعد تهيأة محققاتها كما كانت جملة من الاحكام في اوائل البعثة  
اقتضائية صرفة لان الملاسبات الوقتية ما كانت تجيز اكثر من الدعوة الى التوحيد  
والايمان بالله وطرد عقيدة الالحاد وعبادة الاصنام كما ان جملة منها تبقى انشائية لصد ما  
هو اهم منها عن فعليتها وجملة منها فعلية غير منجزة كعدم اتصال الحجة بالمكلف والاخرى  
منجزة لبلوغها اليه .

ثم الاحكام العامة التي تشرع للاحوال العامة : ومن لازمها مراعاة النوع  
بما هو نوع : تسمى احكاماً اولية كالامر بالوضوء والايفاء بالعقود وتسمى الاحكام  
المشرعة للطوارة احكاماً ثانوية كالجرح والضروما اليهما .

و الاحكام الشرعية المحررة اعم من ان تكون بالعناوين الاولى او الثانوية

في كافة ارباع الفقه من العبادات والعقود والايقاعات والاحكام تقوم بجميع احتياجات الجامعة في كافة ادوارها بما لا نقصان معه اصلا .



## من هو نبي الاسلام

هو محمد بن عبدالله اباً وابن آمنة بنت وهب أمها شمي الاب زهري الام قوى البنية سـالم الخلقة متزن التركيب برىء من كل عيب جاء هذا العنصر الى وجود منشعث الجنبات من حيث الروحيات والاخلاق و كل امم عصره فاقدة للمخلق الصحيح وان تفاوتت في النقص شدة كجزيرة العرب وخفة كالرومان وجامع نقائصها اعتزاز كل قبيل بنسبه و ترفعه على غيره ترفعاً لامقيل له من اقل نسب الصحة فضلا عن اكثرها وتفاوت الطبقات حتى في العنصر الواحد بل وحتى في التوافه و عدم اعتناؤه بالقانون امام منوياته ولو شخص سقوطها وانهارها وحسابه للحياة حساباً مادياً صرفاً وفشو الجهل الواسع في عموم الطبقات واعراض النوع عن المبدء الصحيح واطباقهم نوعاً على عبادة الاوهام والاصنام جاء هذا العنصر ليحول الطقس البشرى الى طقس آخر والى مستوى لم يعده معاصروه بالمرة و كانت الدواعى التى تهيب به الى تحقيق دعوته فى المعمور من الكرة الارضية حينذاك -عدة امور -

(الاول) انه كان شديد الايمان بمبدءه كما نطق القرآن فى حقه : آمن الرسول بما انزل اليه من ربه: والايمان بالمبدء مما يخلق فى المؤمن به روح المفاداة والتفانى فى حقه و كما يقدمه فى الحياة ولو بعد معاناة الشدائد يقدم دعوته تقديماً محسوساً و اذا استشهد فى طريق مبدءه اتخذ مناراً يستضاء به ويعد أباً الاحرار فى نوعه والفشل نوعاً انما يرافق الكاذب المدلس الذى يستهدف بالدعوة الصالحة فى ظاهرها منويات زائفة واهدافاً مرموزة كما هو إشارة الكثيرين و أقصر الدلائل على توثق النبي من نفسه و مبدءه ان العالم المحيط به بارزه بانواع المبارزات وقاومه اشد المقاومة على فقدته للنصر ومع ذلك لم ينثن عن مرامه .



(الثانى) انه كان شجاعاً قوى الارادة والقلب وما كانت الحوادث والخطوب ترعبه وان ازعجته و كان فى مكة يمشى وحده ويسافر وحده مع شدة الرقابة فى وجهه و كان فى حروبه كالجبل الثابت تزول الصفوف عنه وتضايقه الاعداء ولا يزول عن مكانه و كل من يملك مثل هذه الروح يتقدم باذن الله .

(الثالث) الثبات والاستقامة : يوجد فى الدعاة الى اى مبدء يفرض حس الثبات والاستقامة ولكن على مرور الزمان ومواجهة الحرمان يبرده هذا الحس ونبى الاسلام طالما أودى وحوصور شرّ وواجه من المؤلّمات الشىء الكثير ومع ذلك لم يزد الاثباتاً واقداماً حتى ركز دعوته فى حال حياته وفرض وجودها على الجزيرة العربية قبل كل شىء ومن بعده التهمت الخافقين .

(الرابع) تحليه بكل الاخلاق الفاضلة من الصدق والامانة والزهد و العبادة والتواضع وحب الخير وفعله مع الناس كافة و كان فى كل خلق من هذه الاخلاق المثل البارز بما حير العقول وملك الالباب ويكفيه فخراً انه كان يعيش بين منافقين خارجين عن حدود الاحصاء ومع ذلك كان يوسعهم من نفسه كل البشر و الطلاقة مع قدرته على الايقاع بهم بسمى صور الايقاع لكنه لم يفعل .

(الخامس) ان دعوته كانت خالية من كل عيب وشين لائقة لان تفرض على الجامعة البشرية ولو بالقهر لضمانها السعادة للانسان من جميع نواحيه .



## وظائف المسلمين

وهى اربع وظائف : وظيفة المسلم بالنسبة الى ربه : ووظيفته بالنسبة الى الاسلام : ووظيفة بالنسبة الى نفسه : ووظيفة بعضهم مع بعض : اما وظيفة المسلم بالنسبة الى ربه فهو ان يتقى ربه كما قال تعالى يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته : ومعنى اتقاءه لربه ان يكون الله منظوراً له فى كل حر كاته وسكناته وفعاله وتروكه فلا يفعل فعلاً الا وهو مستحضر قبل ان يفعله ان الله ناظر اليه ومطلع عليه ولا يترك تر كاً الا كذلك ولا ريب ان من نتيجة هذه الوظيفة طلوع الانسان باكمل الفضائل وبعده حتى عن احقر

الردائل فلا يعود يفعل الا الخير ولا يترك الا الشر ومثى تحققت هذه الوظيفة بين الافراد وجدت الدنيا باحسن ما يمكن ان تكون في كل اشياءها .

واما وظيفته بالنسبة الى الاسلام فهى ان يعتمز به اعتمزازه بنفسه لانه بعد ان يسبق بنظمه وقوانينه وانه خير ميزان لضبط حياة الاشخاص فى قبال الله وفى قبال بعضهم من بعض يجدان وجوده المرفه المأمون من الاخطاء والافات المنزه من الشوائب والادران الواجد لكمال الاستقلال والحرية بل لكل ما يضبط سعادة الفرد من جميع نواحيها موقوف على وجود الاسلام وحياة نظمه وحكومة قوانينه وان الاسـلام اذا تقلص عن افق الجامعة ضربتها الحوادث والمشتبهات ضربات متعاكسة ما بين افراط و تفریط : واما وظيفته بالنسبة الى نفسه فهى ان يرى الانسان نفسه مسؤولا بدينه ومهما كان حقيراً فى الجامعة ولا يجوز له ان ينزع هذه العهدة عن نفسه محيلاً بها على اهل المال والرجال و النفوذ والقوة والشخصيات والعلماء قائلين اننا نحن اتكلف بالدين وما قيمتى حتى اكون مسؤولاً به وما نتيجة قيامى حتى اقوم به فان حس المسؤولية اذا ابعده عن نفسه ضعف من حينه ضعفاً فوق ضعفه وصار انساناً متردداً تتلاعب به الالهواء والحالات المتبادلة فتراه مستسلماً لكل حاله ومحكوماً لكل حاله كما هو خاضعاً لكل من يريد التسلط اما اذا اعتمز بنفسه وبما هو مسؤول به من عهدة دينه لم يصر متردداً ولا يكون مطمعا لكل طالع ولا اكلة لكل آكل وكما ان حس هذه المسؤولية لا بد منه فى الضعفاء لا بد منه ايضا فى الاغنيا ، واهل النفوذ والعلماء وايّة شخصية تفرض كلاً بحسب ما يتمكن الغنى ببذل ماله فى الخدمات الاجتماعية العامة و النافذ باعمال نفوذه فى جلب الخير و طرد الشر والعالم بافشاء علمه و تدريب الجامعة و تهذيبها .

واما وظيفة المسلمين بعضهم مع بعض : فهى الالفة و المحبة و الاتحاد و غض النظر عن صغار الجرائم والتعاون والارفاق وحمل كل انسان اخاه على اصلح الوجوه فقد تواتر فى الاثار الاسلامية ان المسلمين بمنزلة جسد واحد اذا تأثر عضومه تأثرت له بقية الاعضاء وانه لا يؤمن المسلم حتى يحب لآخيه ما يحب لنفسه ويكره له ما يكره لها ولا يجوز للمسلم ان يهجر اخاه اكثر من ثلاثة ايام ويبتدأ المسلم بالسلا من يعرفه ومن

لا يعرف والمسلم من سلم الناس من يده ولسانه وسأل رسول الله ص سائل فقال ما حال المسلمين اذا شهر كل منهم ما سيفه على الاخر فقال ص كلاهما في النار القاتل والمقتول فقال يا رسول الله اما دخول القاتل النار فواضح لكن ما بال المقتول فقال لانه اراد قتل صاحبه وهم به وقال لا تؤمنون حتى تتحابوا الى غير ذلك مما هو كثير وكثير ولم يتدهور المسلمون ويتقهقر دين الاسلام الا لانعدام القيام بهذه الوظائف من المسلمين فلم يتق المسلم ربهم ولم يحتفظ بدينه ونزع مسؤولية الدين عن نفسه ولم يتعاون المسلمون بعضهم مع بعض ولذلك وهذا تصغرت دائرة الاسلام عن بقعتها الوسيعة .



## في المزايا التي تقدم الاجتماع

ان المزايا التي تقدم المجتمع وتؤهله لان يكون ارقى مجتمع في عالم الانسانية ثلاثة امور (الاول) الايمان بالله ومعنى ذلك ان يعرف الانسان ان مبدئه محض الخير والكمال تيار علم بحر فضل ثروة هائلة من الخير لا يعرف الشر وينبئ عنه ككل رحمة و لطف وتدبير وقداسة وطهارة ونزاهة وحكمة ومعروف ومعرفة وان هذا المبدء غامر له في كل الانشائية لا يستطيع الانقلاط منه غايته انه في دنياه اذا عرض عنه وتجافى عن التمسك به ضرب بينه وبينه حجابا يكون حائل عن استمداد فيوضاته ومن هذه الجهة تراه الساقط الجلف واما اذا جعل هذا المبدء الفياض نصب عينيه يستضيء من نوره ويهتدى بهداه و يمشى على طريقته فلا تراه الا الرؤف العطوف الصادق الطاهر الذي لا ياتي منه الا الخير حتى لو اسيء اليه ولا يعرف الشر ولو كان من اسباب ترقيه يبر بالوالدين ويحذب على الارحام ويتجنب للاجانب ولا يسرق ولا يخون ولا يزنئ ولا يرتكب اى فحشاء ولا يستخف ولا يتملق ولا يخضع للباطل وتتكون فيه همة الشجعان المغاور ولعلمه ان احدى الحسينيين نصيبه لامحالة فهو ان توفيق في مغاورته امام الباطل فذاك والا فنيصيه من الله جد وفير وبهذه الروح عاش المهاجرون و الانصار في دنياهم سعداء اقوياء اعزاء ايديهم فوق الايدي ومرامهم فوق كل مرام فان من يطالع سيرتهم زمن نبينهم ويراهم بارزين الى بدر بابدان عارية وسلاح ضعيف امام عدو قوى كثير ومع ذلك يدكونه

ويغلبونه يعرف ان الذى دفع بهم بشوق وافرالى مغامرة تيك الاوضاع الشائكة هو ايمانهم الصادق وهكذا من يطالع سيرة الحسين واصحابه يقف على لب الايمان وانه كيف يدفع بصاحبه الى السعادة دنيا و آخرة ولا يرب ان هذه الروح العالية لما تحللت فى الناس وانكبوا على الاخذ بالسبب الظاهر وان الدنيا بيد النافذين وان مخالفتهم توجب الحرمان جاءتهم الذلة من كل جوانبهم .

(الامر الثانى الامر بالمعروف) المعروف هو الفعل الحسن شرعاً وعقلاً ومما لا شك فيه ان جامعة البشر يستحيل عليها النظام الصحيح اذا فقدت الافعال الحسنة فى جريها فان النظام الصحيح هو الفعل الحسن ليس غير فلا بدوا لامن تشخيص الفعل الحسن من السىء وذلك موقوف على الاحتكاك بالعقول الصحيحة وتحليل الافعال والتروك على ضوء العلم بما يميز الحسن منها عن السىء فالامر بالمعروف لا يكون من الجهال فهو اذن قبل كل شىء يدعو الى العلم ومن هنا كانت وتكون الجوامع الجاهلة احط مجتمعات الدنيا لاقرار فيها ولاراحة ولا موت بسعادة: كما لا آخرة لها اصلاً ولمحة من النظر الى ما عليه اهل البوادي من الانحطاط الكثير كافية فى التدليل على ان الجهل اعظم من الموت و اشد نكايه من القتل فاذا وجب العلم ولزم التنوير والتثقف وتعلم الناس وتثقفوا ارتفع منهم كثير من موجبات الانحطاط نعم سعادة الانسان فى دنياه واخراه غير مر بوطه بأى علم يكون بل ببعض العلوم دون بعض فمثلاً توجه الجامعة الى التعرف بالعلوم الطبيعية واستكناه الطبيعة وما تحويه من ذخائر لا يعطيها السعادة الواقعية فى الدنيا الامن طرف ضعيف مثلاً خلق لنا استخدام الطبيعة النور والنار والبرق والبخار وما يمت الى ذلك فلم تستفد منها الجامعة الا الخلاعة والاستهتار فى الاعم الاغلب والعلم الذى يناط به صلاح الجامعة ويتكفل سعادتها هو علم الأخلاق الذى يقوم بتطهير القلوب وتهذيب النفوس وتعديل حركات الانسان و وزن افعاله وتروكه بميزان صحيح .

(الامر الثالث النهى عن المنكر) المنكر هو الفعل السىء شرعاً وعقلاً كالكذب والنميمة والغش والتدليس وما الى ذلك وما قدمناه فى الامر بالمعروف آت هنا لان النهى

عن المنكر في قبال الامر بالمعروف من باب الاضداد ثم ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ليس المنظور بهما الوقوف على الوعظ والارشاد لساناً بل الاهم في الباب اعمال ذلك بالعمل فالنافذ امره بالمعروف ونهيه عن المنكر منعه عن المنكرات من طريق نفوذه ورب المنزل امره بالمعروف ونهيه عن المنكر ان لا يخول زوجته وبنته وولده وكل من تحت سيطرته وعيولته موجبات رغبتهم الفاسدة فلا يبذل لهم المال ولا الوقت ولا غض النظر بما يوجب خلائعهم واستهتارهم وخفتهم وارتكابهم للباطل فانه اذا فعل ذلك صار شريك جرم قطعاً واذا تمرد عليه احد هؤلاء وجب عليه ان يقطع عنه المادة و يقاطعه في المعشرو بما ان النافذ لم يقم بواجبه ورب المنزل لم يؤد وظيفته انتشر الفساد في البر والبحر فكل امة جمعت الخلال الثلاث الايمان بالله والامر بالمعروف والنهي عن المنكر كانت ارقى امة تفرض و كل امة فقدت ذلك كانت احط امة .

الى هنا تمت الحلقة الاولى من شرحنا على نهج البلاغة

بقلم محمد بن محمد طه بن نصر الله بن الحسين

الحويزي الكرمي

عفي عنه

## دليل مطالب الكتاب

الصفحة	العنوان
٣	على في مجارى التاريخ
٤	اللغة العربية وانتشارها من طريق الاسلام
٦	مقدمة الورود فى البحث
٨	الشكوك حول نهج البلاغة
٢٦	نهج البلاغة والتوحيد وتحليل العقائد
٤٠	كون العالم ووجوده
٥٠	صفة خلق آدم
٦٠	ما الداعى الى لزوم عصمة الانبياء
٦٣	لزوم بعثة الرسل لاصلاح الجوامع
٦٨	جزيرة العرب وبعثة النبي محمد ﷺ
٨١	شكوك الماديين فى حكمة الصانع
١٠٥	البراهين فى دحض شبه الماديين
١٦٩	نهج البلاغة وتعريفه للاسلام
١٧٢	كليات اصول الاسلام
١٩٢	قالوا ونقول فى الشبه حول الاسلام ودفعها
٢٠٣	روحانية اليوم وامس وكيف يجب ان تكون غدا
٢١٧	المقارنة بين الاسلام وسائر الاديان
٢٢٤	تعريف امير المؤمنين للاسلام
٢٤٢	حجية ظواهر الكتاب

الصفحة	العنوان
٢٤٨	خدمات عليؑ في سبيل الدعوة الاسلامية
٢٧١	علل تقدم الاسلام في اوله وانحطاط المسلمين في آخرهم
٢٧٦	الفضيلة : عرض عام للحياة البسيطة والحياة المركبة
٣١٦	الدين الفطري
٣١٩	الدين
٣٣٠	نسبة احتياج الانسان الى الدين
٣٣٢	من هو نبي الاسلام
٣٣٣	وظائف المسلمين
٣٣٥	المزايا التي تقدم الاجتماع

## انتظروا

صدور الحلقة الثانية من هذه السلسلة بعنوان

نهج البلاغة في المواقف والزواجر

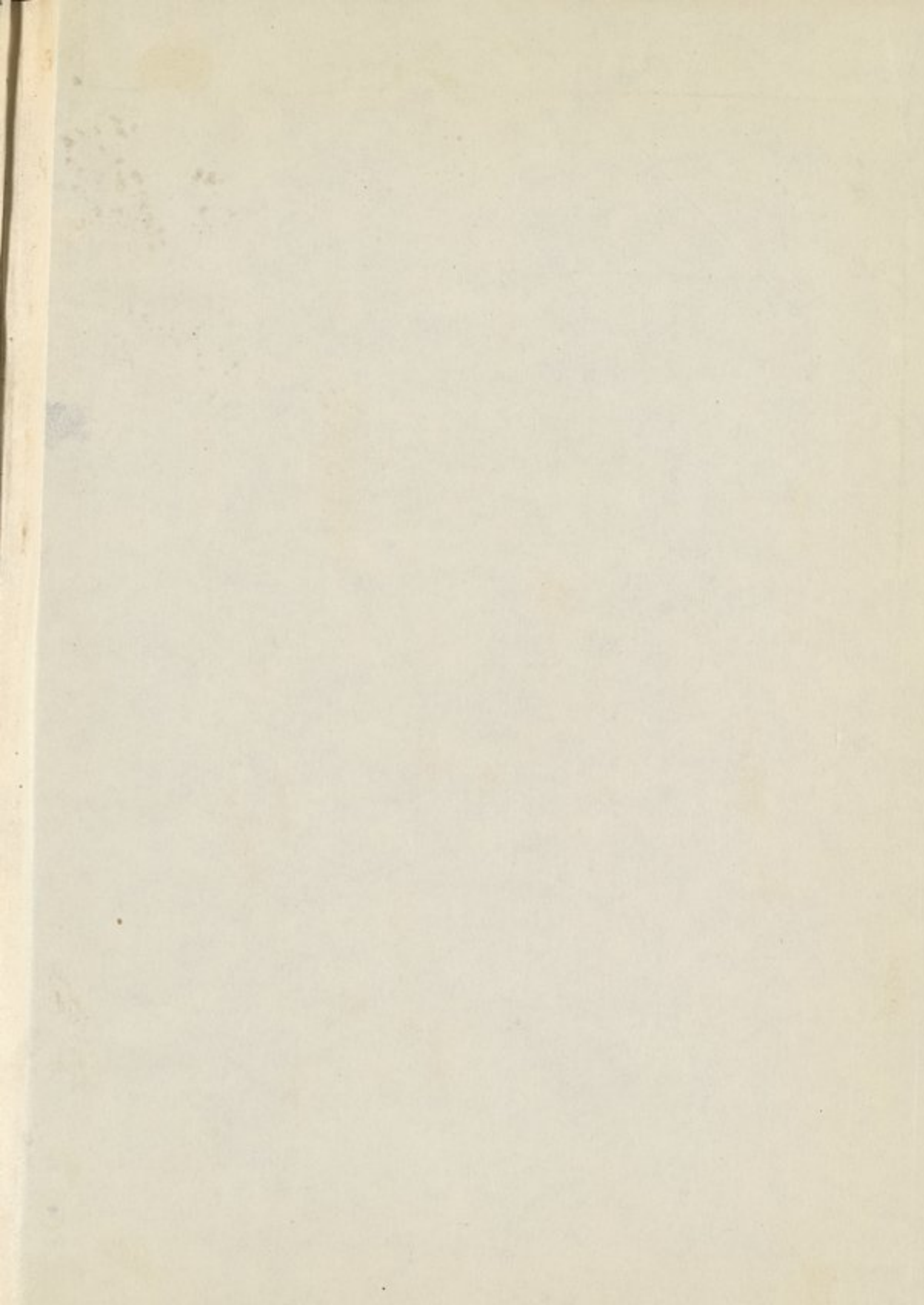
## وانتظروا

صدور الحلقة الثالثة من هذه السلسلة ايضا بعنوان

نهج البلاغة في العلوم والفنون









Princeton University Library



32101 058324482